

المسرح
غفر الله له ولوالديه

شكج

مَقَامَاتُ الْحَبْرِيِّ

أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن القاسمي الشيبلي

تمتبه
محمد أبو الفضل إبراهيم



المكتبة العصرية
سنة ١٤٠٥

الجزء الأول

المسرح
غفر الله له ولوالديه

شرح مقامات الحريري

للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

جامعة الكويت
إدارة المكتبات، قسم التزويد والعرف
رقم التسجيل: ١٣٦٧٢١
التاريخ: ٩٨/٦/٢٥



الجزء الأول

المكتبة العصرية
مكتبات - بيروت

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م

شركة البناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار البيضاء - المغرب

بكيروت - ص.ب ٨٣٥٥ - تليكس ٤٩١٧٤٤

صعيدا - ص.ب ٢٤١ - تليكس ٤٩١٩٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

مقامات الحريري

١ - لم يبلغ كتاب من كتب الأدب ما بلغته هذه المقامات - التي أبداع إنشائها الأستاذ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي الحريري - من نباهة الذكر ، وبعد الصيت ، واستطارة الشهرة . فإنه لم تكد تصدر منها التسعة الأولى في بغداد حتى أقبل الوراقون على كتابتها ، والعلماء على قراءتها عليه من شتى الجهات ؛ ذكروا أن الحريري وقع بخطه في شهر سنة أربع عشرة وخمسمائة على سبعمائة نسخة^(١) ؛ كما أن العلماء في جميع الأقطار العربية أخذوا يتدارسونها في المدارس والمعاهد ، ويقرونها في الأندية والمحافل ، بل إن شهرتها امتدت في حياته إلى الأندلس ، فوفد فريق من علمائها على الحريري ببغداد - منهم الحسن بن علي البطليوسى ، والحجاج بن يوسف القضاعى ، وأبو القاسم عيسى ابن جهور - وقرءوا عليه بمنزله هذه المقامات ، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء ، وتناولوها رواية وحفظاً ، ومدارسه وشرحاً . .

ولمؤرخى الآداب العربية أقوال مختلفة في سبب إنشائها . .

نقل ياقوت بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النعمان البزاز ببغداد ، قال : سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات . يقول : أبو يزيد

(٢) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ .

السُّرُوجِيّ ، كان شيخاً شجاعاً بليغاً ، ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بني حرام ، فسلم ثم سأل الناس — وكان بعض الولاة حاضراً ، والمسجد غاص بالفضلاء — فأعجبهم فصاحته ، وحسن صياغة كلامه وملاحظته ، ثم ذكر أسر الروم ولده . . واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل ، وما سمعت من لطافة عبارته وتحقيق مراده ، وظرافة إشارته في تسهيل إيراده ؛ فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا السائل ومجلسه مثل ما شاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت ، وكان يغير في كل مسجد زِيَّة وشكله ، ويظهر في فنون الحيل فضله ، فمتعجبوا من جريانه في ميدانه ، وتصرفه في تلون إحسانه . فأنشأت المقامة الحرامية ، ثم بنيت عليها سائر المقامات ، وكان أول شيء صنعته . وذكر ابن الجوزي هذه الحكاية في تاريخه ، وزاد فيها أن الحريري عرض هذه المقامة الحرامية على أنوشروان بن خالد وزير السلطان ، فاستحسنها ، وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها ، فأتتها خمسين مقامة^(١) .

وفي رواية لابن خلكان ، قال : لما عمل الحريريّ المقامات أنشأها على أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاها ، فلم يصدق ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هي لرجل مغربيّ من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فادعاها . فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال : أنا رجل منشيء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة بعينها ، فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زماناً كثيراً ، فلم يفتح الله عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان في جملة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٣ .

من أنكر دعواه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر ، فلما لم يعمل الحريري
الرسالة التي اقترحها الوزير أنشأ ابن مفلح :

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رِبِيعَةِ الْفَرَسِ يَنْتَفُ عُنُونَهُ مِنَ الْهُوسِ
أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ كَمَا رَمَاهُ وَسَطَ الدِّيْوَانِ بِالْخُرْسِ

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفرس ، وكان مولعاً بنتف لحيته عند
الفكرة ، وكان يسكن مشارف البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات
آخر ، وسيرهن إليه ، واعتذر من عييه وحصره في الديوان لما لحقه من المهابة (١).

وقال ابن خلكان أيضاً : رأيت في شهور سنة ست وخمسين وخمسمائة
بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات ، وجميعها بخط مصنفها الحريري ، وقد كتب
أيضا بخطه على ظهرها أنه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن
ابن أبي العز علي بن صدقة وزير المسترشد ... قال : ولا شك أن هذه الرواية أصح
لكونها بخط المصنف (٢).

٢- وقد نسب الحريري رواية هذه المقامات إلى الحارث بن همام ، وعنى
بهذا الاسم نفسه ، ونظر في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم حارث
وكلكم همام » ، فالحارث الكاسب ، والهمام كثير الاهتمام بأموره ، وما من
شخص إلا وهو حارث وهمام .

وجعل بطل هذه المقامات أبا زيد السروجي ؛ وتختلف الروايات أيضا في
حقيقة أمره ، فمن قائل : إنه اسم خيالي وضعه الحريري واستوحاه من صورة
الشحاذ الذي لقيه في مسجد بني حرام بالبصرة . ومن قائل بأنه كنية اسم حقيقي

(١) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ . (٢) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ .

لرجل اسمه المطهر بن سلام ، ذكره الففطى فى إنباه الرواة ضمن تراجم النعاة ، وقال فى حقه : صاحب أبى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى ، أنشأ المقامات على لسانه ، وكان فىه فضل وأدب ، وله معرفة بالنحو واللغة والعربية ، قرأ على أبى محمد الحريرى بالبصرة ، وتخرج به ، وروى عنه (١) .

وأباً كان الخلاف حول سبب إنشاء هذه المقامات وبطلها أبى زيد ، فإن هذه المقامات عمل فنى رائع منقطع القرن ، حوى من متخير الألفاظ ومنتخبات الأساليب وناصع البيان ، مع إحكام السبك وإشراق الديباجة والبعده عن الركافة والابتذال - ماجعلها قمة فى الآداب العربية ترتفع عن مقام المتحدى والمعارض على السواء . وقد صاغها مجالس متنوعة تختلف موضوعاتها باختلاف البلاد التى تخيل أنه زارها ، ورحل إليها ، ما بين فرغانة وغانة ، وأفرغها فى قوالب طريفة فى الأدب والنقد والوعظ والفكاهة ، يتخللها وصف للمجتمع وأحوال الناس ، وجمالها فى أسلوب السجع الكامل ، بعد أن وشأها بألوان البديع ، من الجناس والطباق والمقابلة ، أو كما يقول المؤلف فى صدر كتابه : أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة - خمسين مقامة تحوى على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان ودرره ، وملح الأدب ونوادره ، إلى ما وشحتها به من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصمته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحاجى النحوية ، والتناوى اللغوية ، والرسائل المتكررة ، والخطب الخبيرة ، والمواعظ المبكية ، والأصاحيك الملهية .

وكان أول لقاء وقع بين الحارث بن همام وأبى زيد السروجى فى صنعاء ، وكانا فى رواء الشباب ووربيع العمر ، حيث لقي الحارث أبازيد خطيباً واعظاً ، ثم عرفه بعد ذلك مخادعا مخاتلاً ، وعليه بنى الحريرى المقامة الأولى وأسمائها المقامة الصنفاينة . ثم

(١) إنباه الرواة ٣ : ٢٧٦

أخذ الحارث يقطع الأسفار ، ويجوب الفيافي والقفار ؛ ليلقى أبا زيد ؛ مرةً في
 ساحة القضاء ، وأخرى في مجالس الولاية ، وآونة في أندية الأدباء ؛ واعظاً أو
 شاعراً ، أو شحاذاً أو محاصماً ؛ ثم يمضي بهما العمر وتتابع الأيام ؛ إلى أن يلتقيا في
 أخريات عمرهما بالمسجد الجامع بالبصرة بعد أن خلقت جدتهما ، وذوى عودهما ، ورث
 بُرد شبابهما ؛ وإذا أبو زيد يقف في حشد الناس ؛ يعلن توبته ، ويندم على ما قدم
 من ذنوب وآثام ، وينشد :

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديتُ
 كم خضت بحر الضلال جهلاً ورحت في الغي واعتديتُ
 ومك تناهيت في التخطي إلى الخطايا وما انتهيت
 فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم أجن ما جنيتُ
 يارب عفواً ، فأنت أهل للعفو عني ، وإن عصيت

ثم يختفي أبو زيد ويمود إلى بلده سرُّوج ، يلبس الصوف ، ويؤم الصوف ،
 ويجنح الحارث بعدها إلى الراحة ويكف عن الأسفار ؛ ويكون هذا آخر لقاء بينهما ،
 وبه تنتهي المقامة الخمسون ، آخر المقامات .

٣- ولم يكن الحريري مبتدع فن المقامات ولا أبا عذرها ، بل سبقه إلى هذا
 الفن بديع الزمان الهمداني ، وإلى ذلك يشير بقوله في صدر المقامات يتحدث عن
 سبقه : هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سبق غايات ، وصاحب آيات ،
 وأن المتصدّي بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتى بلاغة قدامة ، لا يفترق إلا من
 فضالته ، ولا يسرى هذا المسرى إلا بدلالته ؛ والله درّ القائل :

فلا قبل مبكها بكيت صباية

بسمدي شفيت النفس قبل التندم

ولكن بَكَتْ قَبْلِي فَمَيِّج لِي الْبِكَاءُ بِكَاهَا فَقَلْتُ الْفَضْلَ لِلتَّقَدُّمِ
ومع ذلك فإن من جاء بعدهما من كتاب المقامات ؛ إنما قصد محاكاة
الحريري والنسج على منواله ، والسَّير في دربه ؛ فمنهم من حاول ولم يوفق ، ومنهم
من عمل ولكنه أخفق . . .

فمِمَّنْ حاول ذلك عليّ بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحليّ ، قال ياقوت :
وردتُ أميد في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأناني عنفوان الشباب وربعه ؛ فبلغني
أن بها عليّ بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحليّ - وكان من العلم بمكان
ممكنين ، واعتلق من حباله بركن ركين ؛ إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم
المتقدمين ولا المتأخرين وزنا ، ولا يعتقد لأحد فضيلة ، ولا يقتر لأحد بإحسان
في شيء من العلوم ولا حُسن ، فحضرتُ عنده ، وسمعت من لفظه إزراره على أولى
الفضل ، وتنديده بالعيب عليهم بالقول والفعل ؛ فلما أبرمني وأضجر ، وامتدّ في
غيّه وأصحر ، قلت له : أما كان فيمن تقدّم على كثرتهم وشفّف الناس بهم عندك
مجيد قط ! فقال : لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : المنجبي في مديحه خاصة ،
ولوسلكت طريقه لما برز عليّ ، ولسقت فضيلته نحوى ونسبتها إلى ، والثاني
ابن نباته في خطبه ، وإن كانت خطبي أحسن منها وأشهر ، وأظهر عند الناس
قاطبة وأشهر . والثالث ابن الحريريّ في مقاماته . قلت : فما منعك أن تسلك
طريقته ، وتشدّ مقاماتٍ تحمد بها جمرته وتملك دولته ؟ فقال : يابني ، الرجوع
إلى الحق خير من التماذي في الباطل ؛ ولقد أنشأتها ثلاث مرات ، ثم أتأملها
فأسترذ لها ، وأعمد إلى البركة فأغسلها ؛ ثم قال : وما أظنّ الله خلقني إلا لإظهار
فضل الحريريّ (١) !

ومنهم أبو الطاهر محمد التميمي السرقسطي الأشرأكويّ (٢) المتوفى بقرطبة سنة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ - ٢٦٩

(٢) منسوب إلى أشرأكوي ، من أعمال تطيلة ، من بلاد الأندلس .

٥٣٨ ، أنشأ كتاب «الخمسین مقامة الزومية»^(١) عارض بها مقامات الحریری،
ولزم فی نثرها ما لا یلزم ، متأثراً بالمعری فی لزومیاته، فأبد النجعة، وأتعب خاطره،
وكدّ ذهنه ، وأسهر جفنه ، وصعب علی نفسه المسالك ، وقید كلامه نظماً ونثراً.
واتخذ راویه المنذر بن همام، وجعل بطله السائب بن تمام ؛ ولكن هذه المقامات
ذهبت بها عوادى الأيام ، فلم تصل إلینا .

ثم قام جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ المتوفى سنة ٥٣٨ أيضاً ، فأنشأ مائة
مقامة كالمقالة ، تدور كلها حول الوعظ ؛ ولكن ليس فیها راوی، ولا بطل ؛ بل
خاطب فی جميعها نفسه ، وذكرها بالآخرة ، ورغبها فی الأعمال التي تؤدي بها
إلى نعيم الله ورضوانه .. وكان الزمخشريّ أحسنّ فی هذه المقامات بقصوره عن
غاية الحریری ، وبعده عن مداه ، فقال :

أقسم بالله وآياته ومشر الحج وميقاته
أن الحریریّ حرىّ بأن نكتب بالتبر مقاماته

ثم توالى المقلّدون جيلاً بعد جيل ، كابن الجوزي وأبي العلاء أحمد بن أبي
بكر الرازيّ وابن نايقا وابن الصيقل الجزريّ وابن حبيب الحلبيّ وابن الوردیّ
والسيوطیّ وغيرهم ؛ إلى أن انتهى إلى خاتمة المقلدين الشيخ ناصيف
اليازجي ، أحد أعيان البيان بלבنا في القرن التاسع عشر الميلاديّ؛ فدرس مقامات
الحریری وحفظها ، ثم أخذ يروض قلمه على مقامات تنحو نحوها ؛ وتسلك
نهجها ، وما زال يلمس الوسائل ، ويتطلب الذرائع ، ويرتاد نواحي الظفر ،
ويتوخى وجوه النجح، حتى عمل أكثر من ستين مقامة سماها «مجمع البحرين» ،
أى النثر والنظم ؛ وجعل راويها سهيل بن عباد ، وبطلها ميمون بن حزام ؛

(١) فهرست ابن خیر ٣٨٧

وتنقل بسهيل بن عباد في البلدان — كما تنقل الحريري بالحارث بن همام —
ليلقي ميمون بن حزام ، سالكا مسالك أبي زيد في المسكيد وطرق التنكير
والتعلق بفصيح الكلام ...

وعلى الرغم من دقة المحاكاة في بعض هذه المحاولات ، فإن الحريري يبقى
منفردا بفته ، واحداً في أسلوبه ؛ لايدانيه أحد منهم في نثره أو نظمه ، بدّ من
قبله ، وأتمب من بعده ، وستظلّ مقاماته من أجود ما جادت به القرائح ، وأجل
مانضحت به الأقلام ؛ على مرّ العصور والأيام ..

٤ - وإن كان لهذه المقامات منزلة عند التدماء ، عبر عنها ياقوت بقوله :
« واقفه من السعد مالم يوافق مثله كتاب ، جمع بين الجودة والبلاغة
وأتسعت له الألفاظ ، حتى أخذ بأرقها وملك ربقتها ، وأحسن نسقها ؛ حتى
لو ادعى الإعجاز لما وجد من يدفع صدره ، ولا يردّ قوله ، ولا يأتي بما يقاربها ،
فضلا عن أن يأتي بمثلها ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق
على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت به وأكثر ... » ، - فإنها
لم تخل من نقد بعضهم وتجريحهم له ؛ منهم ابن الأثير في المثل السائر وابن الطقطقي
في الآداب السلطانية .

ومن أشهر من نال منه أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن
الخشاب ، وضع رسالة جمع فيها المأخذ التي وقع عليها في المقامات ؛ قال في
مقدمتها : « وله أشياء في أثناء مقاماته لورجع فيها لأقرّ مع الإنصاف بالخطأ
ساکتاً فسلم ، أو لنازع مباحثاً . وأنا أسوقها على التوالي موضعاً فموضعاً ، مع
تمهيد عذره ؛ لقلتها في جنب صوابه ، وما مر به من الحسن في أثناء كتابه ،
علماً بأن الكامل من عدت سقطانه ، والفاضل من أحصيت هفواته » .

وقد قام الإمام عبدالله بن بري فألف رسالة انتصر فيها للحريري من

مأخذ ابن الخشاب ثم جاء عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، فنصب نفسه حكماً بينهما ، ووضع رسالة أسماها الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب في كلامهما على المقامات .

٥- وبجانب الحركة الفكرية والأدبية التي أحدثتها المقامات في المشرق ؛ في العراق والشام ومصر . فإن مثل هذه الحركة قامت في الغرب أيضا ؛ في أسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ؛ وكان أول ما عمل من ذلك ما قام به المستشرق الهولندي جوليوس سنة ١٦٥٦م ، من ترجمة المقامة الأولى إلى اللغة اللاتينية ، ونشرها في الطبعة الثانية لكتاب تعليم اللغة العربية أرينيوس في ليدن . ثم نقل المستشرق الهولندي شولتس ست مقامات بين سنتي ١٧٣١ ، ١٧٤٠م ونقل بعده فانتوردي پارادي منتخبات من سبع عشرة مقامة بين سنتي ١٧٨٦م و ١٧٩٥ إلى اللاتينية أيضا .

وفي فرنسا قام المستشرق كوساندي برسفال بنشر المتن العربي الكامل ، وطبع سنة ١٨١٢م كما قام الأستاذ دي سامي بجمع مخطوطات المقامات وشرحها ، وعمل منها شرحاً عربياً ، وطبع المتن والشرح في باريس سنة ١٨٢٢م ، ثم طبع مرة أخرى في باريس أيضا بين سنتي ١٨٤٧ ، ١٨٥٣م ، واشتهرت هذه الطبعة في الشرق والغرب ، وتصدى لها بالنقد الشيخ ناصيف اليازجي .

أما في ألمانيا ، فقد قام العلامة رُكرت ، وترجم هذه المقامات سجعاً باللغة الألمانية ، وقد اقتضى منه ذلك جهداً في استعمال كلمات نادرة الاستعمال في هذه اللغة حتى قال بعض النقاد الألمان : إن رُكرت أجبر لفته على الألعاب الرياضية الشاقة ؛ وقد تمتعت هذه الترجمة بشهرة عظيمة في عالم الاستشراق .

وفي اللغة الإنجليزية قام تشنري بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية في سنة ١٨٦٧م وتبعه استجاس فترجمها أيضا في سنة ١٨٩٨م .

وفي أسبانيا ترجم الشاعر اليهودي يوراي الحريزي هذه المقامات إلى العبرية، وطبعت هذه الترجمة في لندن سنة ١٨٧٢ م.
وفي كثرة هذه التراجم والطبعات دلالة على ماناله الحريزي في الحلقات الاستشرافية من التقدير في نواحي الغرب^(١).

٦- وقد كانت المقامات من أوائل ما طبع من الكتب العربية؛ وأول طبعة لها كانت هي الطبعة التي ذكرت أنها كانت في باريس سنة ١٨١٩م بعناية كوسان دي برسفال، ثم توالى طبعاتها بعد ذلك في باريس ولندن وليدن وكلكتة ولكتاوهدهلي بالهند وبولاق والقاهرة وتبريز وبيروت^(٢).

أما النسخ الخطية من هذه المقامات فلا تكاد تخلو مكتبة من المكتبات العربية في الشرق والغرب من عدد وافر منها متناً أو شرحاً، وفي دار الكتب المصرية من المقامات أكثر من ثمان وعشرين نسخة؛ غالبها نفيس، ومنها نسخة برقم ١٠٥- أدب منقولة من خط المؤلف بعد سماعها عليه، وفي أولها إجازة بخطه، ونسخة برقم ٤٤٧٩- أدب طلعت، وعليها خط المؤلف أيضاً، ونسخة برقم ٢٥٩- أدب، عليها سماعات مؤرخة سنة ٦٦٣، ونسخة بخط مرتضى الزبيدي كتبت سنة ١١٦٥، ونسخة برقم ١٥٢٩- أدب بخط ابن نجدة كتبت سنة ٧٢٩، هذا عدا النسخ الخطية المشروحة^(٣).

(١) أدت هذه المعارف الاستشرافية؛ مما كتب به إلى العلامة الدكتور أنست يانزت أسناتذ اللغات العرقية في جامعة فينا.

(٢) انظر معجم المطبوعات العربية لسركيس ٧٤٨، ٧٤٩

(٣) انظر فهرس دار الكتب.

صاحب المقامات

١ - ومؤلف المقامات هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريريّ منسوباً إلى صناعة الحرير أو بيعه ، ولد سنة ٤٤٦ هـ بالمشان ، وهي قرية قرب البصرة ، ثم رحل إلى البصرة وسكن في محلة بني حرام - وهم قبيلة من العرب سكنوا بالبصرة - وتآدب بها ، وقرأ العربية على أبي الحسن بن فضال الجاشعيّ شيخ إمام الحرمين ، والفقّه على أبي إسحاق الشيرازي . وعُيّن صاحب الخبر بالبصرة ؛ وهو منصب ظل به إلى أن مات ، فتوارثه أولاده من بعده ، وظلّ فيهم إلى عهد العباد الأصبهانيّ الذي زار البصرة سنة ٥٥٦ هـ .

وكان الحريريّ - إلى جانب علمه وأدبه وتمرسه بفنون العربية جميعها - من ذوى الجاه واليسار ، كان له بالمشان أكثر من ثمانية عشر ألف نخلة ، يغلها ويتردد عليها ، وكان له منزل بالبصرة يقصده الأدباء والعلماء يقرءون عليه أو يفيدون من علمه ، وخاصة بعد أن ألف المقامات وذاع أمرها بين الناس . وكان مرهف الشعور صادق الحسّ والتخمين ، حكى أنه زاره شخص غريب ليأخذ عنه شيئاً ؛ فلما رآه استزرى شكله . ففهم الحريريّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يُملّي عليه قال له : اكتب :

ما أنت أول سارٍ عَزَّهُ قَمَرٌ ورائد أعجبتَه خُضرة الدَّمَنِ
فاختر لنفسك غيري إنني رجل مثل المعيدى فاسمع بي ولا ترني
فجبل الرجل وانصرف عنه .

٢ - وللحريريّ ديوان رسائل أورد ياقوت شيئاً منها ، وله الرسالة السينية التزم في جميع كلماتها حرف السين ، والرسالة الشينية للتزم في جميع كلماتها حرف الشين ، أوردتها ياقوت أيضاً .

وله شعر في غير المقامات ، ذكر منه ابن خلدان قوله :

قال العواذل ما هذا الفرامُ أما ترى الشعر في خَدَيْهِ قد نبتَا

قلت والله لو أن المفئدلى تأمل الرشد فى عينيه ما تبنا
ومن أقام بأرض وهى مجدبة فكيف يرحل عنها والربيع أتى !
وأورد له صاحب الخريدة :

كم ظباءً بماجرٍ فتنت بالمحاجر
ونفوسٍ نفائسٍ خُدرت بالخادرِ
وتتنٍ لخاطرٍ هاج وجراداً لخاطر
وعذارٍ لأجله عاذلى عاد عاذرى
وشجون تضافرت عند كشف الضفائر
وأورد له ياقوت :

لا تحطون إلى خطء ولا خطيئ من بعد ما الشيب فى فوديك قد وخطا
وأى عذر لمن شابت ذوائبه إذا سرى فى ميادين الصبا وخطا
وله غير الشعر والرسائل والمقامات ما يأتى :

١ - درة النواص فى أوام الخواص ، بين فيه أغلاط الكتاب فيما
يستعملونه من الألفاظ بغير معناه فى غير موضعه . طبع فى مصر سنة ١٢٧٢ هـ ،
وفى ليبسك سنة ١٨٧١ م ، وطبع مع شرح الخفاجى فى الأستانة سنة ١٢٩٩ هـ .
٢ - ملححة الأعراب فى صناعة الإعراب ، وهى أرجوزة ، وأولها :

أقول من بعد افتتاح القول بمحمد ذى الطول شديد الحول
طبعت فى باريس وبيروت ومصر ، وقد شرحها بحرق الحضرمى ، وأسمى
الشرح « تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب » ، وطبع بمصر مرارا أيضا .
٣ - قصيدة من وزن الخفيف ، منها نسخة مخطوطة فى مكتبة برلين برقم
٧٧٩ ، وأوردها السيوطى فى المزهر ١ : ٢٨٦ - ٢٨٨ ، وأولها :

أبها السائل عن الظاء والضا د الكيلا تفضله الألفاظُ

شرح المقامات

١ - وتعتبر مقامات الحريري أكثر الكتب حظاً فيما وقع لها من شروح ، وما أديرَ حولها من تعاليق ، أحصى صاحب كشف الظنون أكثر من خمسة وثلاثين شارحاً ، منهم محمد بن علي بن عبد الله الحلبي ، ومحمد بن علي المعروف بابن حميدة ، ومحمد بن محمد المكي الصقلي المعروف بابن ظفر ، وأبو المظفر محمد بن أسعد المعروف بابن حكيم ، وعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلبي ، وسليمان بن عبد الباقي بن سلامة الضرير ، والشهاب الحجازي ، وعبد الله بن الحسين المكبري ، وقاسم بن قاسم الواسطي ، عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، وأبو الفتح ناصر بن السيد المطرزي ، ومحمد بن عبد الرحمن محمد بن مسعود الفندجيهي ، وأحمد بن عبد المؤمن القيسي المعروف بالشريشي ، وسليمان ابن عبد القوى الحنبلي العروف بن نجم الدين الطوفي ، وأحمد بن المظفر الرازي وغيرهم .

ومن قام بشرحها من المتأخرين المستشرق دي ساسي - كما ذكرنا - عمل شرحاً من الشروح التي وقعت له ، وأضاف إليه فوائد من كتب الأدب والنحو والتاريخ . وطبع هذا الشرح في باريس مع فهرس للألفاظ والأمثال والأعلام .

ولعل كثرة هذا العدد من الشارحين يرجع إلى ما زخرت به المقامات من الكلمات العربية ، والأمثال والأحادي والأناز ، والنكات النحوية والبلاغية مما يجعل ميدان الشرح ذا سعة وأردية الاستطراد كثيرة .

٢ - وتختلف هذه الشروح إيجازاً وإطناباً ، وأسلوباً ومنهجاً ، ومن أوسعها مجالاً ، وأجمعها الشئيت الفرائد ومنثور الفوائد ، ومتشعب الأغراض ، هذا الشرح الذي

وضعه العلامة أحمد بن عبد المؤمن القيسى المعروف بالشريشى . وقد وقعت له نسخة المقامات مما رواه عن أبي القاسم عيسى بن جهور وأبي الحجاج يوسف القضاعى وأبي الطاهر الخشوعى ، وهم ممن ذكرنا أنهم رحلوا إلى المشرق من علماء الأندلس ولقوا أبا محمد الحريرى فى بغداد ، وقرأوا عليه المقامات فى منزله ، وعادوا إلى بلادهم يحملون المقامات ؛ ضمن الكنوز النادرة التى حملوها من المشرق إلى المغرب عن طريق الرحلة والرواية ...

وقد وقف الشريشى جهده حقبة على هذه المقامات ، يتدارسها مع العلماء ، ويستوعب الكتب والأسفار والدواوين والشروح والتعليق ، ليتخذ العدة لشرحها ؛ ولهذا الغاية يقول : لم أدع كتاباً ألف فى شرح ألفاظها ، وإيضاح أغراضها إلا وعبيته نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وترددت فى تفهمه ورداً وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطا كان أو مختصراً ... ولم أترك فى كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقها ، ولا غريبة إلا استلحقتها ... فاجتمع من ذلك حفظاً وخطأً أعلق جمّة ، وفوائد لم تهتم بها قبله همة ؛ ثم لم أقنع بتدوين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف النصائيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء الأعصار .

وجعل من أهم مقاصده فى هذا الشرح أيضاً التعريف بالأمصار المذكورة فى المقامات - ما وسعه الجهد - ثم شرح الأمثال . وترجم للمشهورين من الآباء والأبناء والشعراء والأدباء والأعيان ، مع العناية بصنوف البديع وبسط أنواع الأدب وفنونه والإكثار من الشعر فى كل مناسباته . . . وخاصة الشعر الأندلسى فإنه حشد فيه مجموعة من مختار هذا الشعر ، وانفرد بنصوص نادرة منه لا تجدها فى غير هذا الكتاب .

وبهذه المزايا مجتمعة كان هذا الشرح مرجع الباحث وغُنمية المتأدب ،وغاية المطالع والمستفيد .

٣- والشارح هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي ، ولد بشرش سنة ٥٧٧ - وكانت شريش من أجمل بلاد الأندلس ، وأحفلها بأشجار الكروم والتين والعنب والزيتون - عاش فيها صدر شبابه ، وتلقى بها على أبي الحسن بن لبّال وأبي بكر بن الأزهر وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي الحسين بن جبير . ورحل إلى المشرق ثم عاد إلى شريش ، وتوفّي بها سنة ٦١٩ هـ .

وقد أُلّف من الكتب غير هذا الشرح مختصرا لنوادير أبي على التالي وشرحا لكتاب الإيضاح لأبي على الفارسي وآخر لشرح الجمل للزجاجي ، وجمع مشاهير قصائد العرب ؛ كما وضع رسالة في العروض . وكان أيضا شاعرا مطبوعا شائق اللفظ رشيق المعنى .

ومن نموذج شعره تلك الأبيات التي أوردها المقرئ في ترجمته^(١) ، وكان قد سافر إلى الشام وشُغِف بها ثم رحل عنها ، فقال يتشوق إليها :

ياجيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ	فإن قلبي بنار الشوق يستمر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم	مالذّ للعين لا نومٌ ولا سهرٌ
إذا تذكّرت أوقاتا نأت ومضت	بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنير بين ^(٢) ضحى	والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد ، والأغصان راقصة	والدّوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسّفح ، أين عشيّاتي التي سلفت	لى منه ، فهي لعمري عندي العمرا
سعة كياسفح ، سفح الدمع منهملا	وقلّ ذلك له إن أعوز المطر

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الشرح واحد من ثلاثة شروح وضعها

(١) فتح الطيب ٢ : ٣١٧ (٢) النيرين ، من قرى دمشق .

المؤلف : أولها مختصر ، وثانيتها متوسط ، وثالثها هذا المطول ؛ وهو الذي اشتهر في الخلفاء ذكروه ، وأقبل عليه العلماء والمتأدبون دون غيره . . . ومن قصد البحر استقل السواقيا .

* * *

٤ - وحينما قمت بتحقيق هذا الكتاب تحيّرت النسخ الآتية للرجوع إليها :
(١) نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب برقم ١٧٥ - أدب ، مكتوبة بقلم معتاد ؛ إلا أنها تخلو من الضبط ، ، وتقع في ٤٣٢ ورقة ، وفي كل صفحة ٣٥ سطرا ، وكل سطر يشتمل على ٢٢ كلمة تقريبا كتبت سنة ١١٣٠هـ ، وفي أولها وقفية على خزانة جامع شيخون سنة ١١٩٣هـ وبعض التمليكات ، وقد رمزت لها بالحرف (ا) .

(٢) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٧٨ - أدب ، تقع في ١٢٧ ورقة ، وفي كل صفحة ١٩ سطرا ، كل سطر يشتمل على ١٢ كلمة تقريبا ؛ وهي نسخة جيدة صحيحة فيها بعض الضبط إلا أنها ناقصة تشتمل على شرح ١٧ مقامة فقط ، وبهامشها المقامات ، وقد رمزت لها بالحرف (ب) .

(٣) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٨٠ - أدب ، وهي نسخة خزائنية كتبت بخط نسخ واضح ، ولكنه خال من الضبط ، وتقع في ٤٥٢ ورقة ، وفي كل صفحة ١٠ كلمات تقريبا ، ويحتوي على شرح خمس وعشرين مقامة . وقد رمزت لها بالحرف (ج) .

(٤) نسخة طبعت في بولاق سنة ١٣٠٠هـ بتصحيح محمد الحسيني ، وقد رمزت لها بالحرف (ط) .

وجميع هذه النسخ كتبت على هامشها المقامات .

هذا عدا ما رجعت إليه من كتب الأدب واللغة والتاريخ ومجموعات
الشعر ودواوين الشعراء .

ويطيب لى فى هذا المجال أن أنوه بفضل الصديق العلامة الحجة الدكتور
محمود مكى الذى تفضل بقراءة هذا الجزء بعد طبعه ، وكانت له ملاحظات قيمة
أثبتها فيما بعد ، هنا بالإضافة إلى المعارف والمعلومات التى أفدتها منه ، وخاصة
فى الأدب الأندلسى وتاريخه .

ويقع هذا الكتاب - إن شاء الله - فى ستة أجزاء ، وسألحق بآخره إن شاء الله
الرسالتين السينية والشينية للحريرى ، وحواشى ابن الخشاب وابن برى وغيرهما على
المقامات ؛ فضلا عن الفهارس الفنية العامة .

ومن الله العون والتوفيق .

رمضان سنة ١٣٨٩ هـ

نوفمبر سنة ١٩٦٩ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

شرح مقاييس الحري

للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأستاذ الغويّ النحويّ أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن ابن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشيّ ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته بمنه وكرمه أمين :

الحمد لله الذي اختصّ هذه الأمة بأفصح الألسنة وأفسح الأذهان ، وشرف علماءها بالافتنان في أفانين البلاغة والبيان ، وميّزنا بين سائر الأمم بالنثر المتفق الفِقْر والنظم المعتدل الأوزان .

نحمده على أفئدة هداها ، وألسنة أطال في شأو البلاغة مداها ، ونصّل على سيد المرسلين ، وخيرة العالمين ، الذي ختمت بنبوته العامة النبوة ، ونسخت بشرعته التامة الكتب المتلوّة ، محمد سيد هذا العالم والمحصوص بعلوّ المكانة ، وعموم الديانة في ولد آدم ، وعلى آله وصحبه الذين عزّروه ووقّروه ، وأوّوه إيواء الموفين باليهود ونصروه ، وثقلوا شرعه الكريم ثقل التواتر وآثروه ، وسلّم تسليماً ، وآتاهم من لدنه رحمة وأجرًا عظيمًا .

ورضى الله عن الإمام المصوم ، المهديّ المعلوم ، مجدّد معالم الديانة ، والمليء بأداء الأمانة ، والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة ، وعن خلفائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى ، والتالين له في شرف ذلك المدي ، والقائمين بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبداً .

ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الأئمة الراشدين ، سعداً يُعلى أعلامه ، ونصراً يصحب قلبه وحسامه ، وتأيداً يُظهر أمره وينصر اعتمازه ، حتى ينتظم شدّان^(١) الأمهار في سلك ملكه ، وتزدحم وفود الأمم

(١) الشدان ، بالضم والفتح : المنفرد ، وأصله في الحصى والإبل .

على غمّر برّته ، وتنطوى ضمائر القلوب ومحبتات الغيوب على إخلاص طاعته والاشناء لأمره .

أما بعد ؛ فإن العلم أربح المكاسب ، وأرجح المناصب ، وأرفع الراتب ، وأنصع المناقب ، وحرقة أهل الهمم من الأمم ، ونجلة أهل الشرف من السلف ، لم يتقدّ ساكّه إلا جيّد ماجد ، ولم يتوشّح برّده إلا عطّف جادّ في طلب الكمال . جاهد ، ولم يستحقّ اسمه إلا الواحد النذّ بعد الواحد ، وهو وإن تشعبت أفاقينه ، وتنوّعت دواوينه ؛ فعلم الأدب علمه ، والأسّ الذي يبني عليه كلمه ، والروح الذي يخبّ في ميدان الطروس قلمه ؛ ولذلك كان أولى ما تترحه الترائح ، وأعلى ما تجنح إليه الجوائح ؛ فذوو الأخطار في سائر الأقطار يقنافسون في اقتنائه ، ويتصافنون في عافى إنائه^(١) ، ويرتاحون لأوضاعه وتأليفه ، ويستريحون إلى أعبائه المكدودة وتكاليفه ، فإنه زمام المنظوم والمنثور ، وقوام^(٢) نطق الألسنة وفكر الصدور ، ومنسّط المقال من عقال النهاهة ، ومميّز الأقدار بالمهابة والنباهة .

ولم يزل في كل عصر من حمانته بدر طالع ، وزهر غصن يانع ، وعلم ترنوا إليه أبصار وتوميء إليه أصابع ، وصناعة البراعة بينهم تتمكّن وتتأصل ، وتنويج البديع ينضبط ويتحصّل ، والآخر يكدّ ذهنه في تميم ما غادره الأول ؛ إلى أن اعتدلت كفتاه ، وامتلاّت ضفّته ، وراق مجتلاه ومجتناه ، وتناهى في الحسن والإحسان لفظه ومعناه .

وكان آخر البلغاء وخاتمة الأدباء ، أولهم بالاستحقاق ، وأولاهم بسمة السباق ، والقدّ الذي قد عمقت عن توءمه فتية العراق ، وفارس ميدان البراعة ،

(١) يقال : تصافن القوم الماء ؛ إذا قسموه بالحصص . والعاق : ما فضل في القبول ؛ والكلام على الاستمارة .

(٢) قوام الأمر بالكسر : نظامه وعماده .

ومالك زمام القُرطاس والبراعة ، والملبّي عند استدعاء دُرر النِقَر بالسمع والطاعة ،
 أبو محمد القاسم بن عليّ الحريريّ - سقى الله ثراه صَوْبَ رحماه ، وكافاً إحسانه
 في الثناء عايه بمجسناه - فبسط لسان الإحسان ، ومدّ أفنان الافتنان ، ومهد جادة
 الإجادة ، وقوى مادة الإفادة ، ولم يُبق في البلاغة متعقبا ، ولا للريادة مترقبا ،
 لاسيما في المقامات التي ابتدعها ، والحكايات التي نوّعها وفرّعها ، والمُلمح التي
 وشّحها بدُرر النِقَر ورضّعها ؛ فإنه برّز فيها سابقاً ، وبزّ البُلغاء فائقاً ، وأتى بأعنى
 الدقيق للنظ الرقيق مطابقاً ، وخلدها تاجاً على هامة الأدب وتِقصاراً^(١) في جيد لغة
 العرب ، وروضة تحوم أنفاس عليها ، ولا تصل أيدي المطامع إليها .

ولما كانت من البراعة بهذا المحلّ الشهير ، وسارت مسير النّيرين بين
 مشاهير الجماهير ؛ جعلتُ الاعتناء بها سهم فهمي ، والعكوف عليها حرز عزمي ،
 والدّءوب في حفظ لغاتها وفكّ محبّاتها أهمّ همّي ، وصيّرت تحفّظها فرض عيني ،
 والفكر الذي لا يحول وسني بينه ويدي . فبدأت بروايتها عن الشيوخ والنقات ،
 وتقييد ألتاظها عن أعلام هذه الجهات ؛ حتى لا أقل لفظاً إلا عن تحقيق ، ولا أثبت
 ضبطاً إلا من طريق .

فكان أوّل من أخذت عنه روايتها ، وتلقّيت منه درايّتها ، ببليدى ،
 الشيخ الفقيه المقرئ أبو بكر بن أزهر الحجريّ ، حدّثني بها عن صهره
 الفقيه الحدّث الراوية أبي القاسم بن عبد ربه القيسى المعروف بابن جهور ،
 عن منشئها أبي محمد الحريريّ . وحدّثني بها أيضاً ببليدى الشيخ الفقيه الراوية
 أبو بكر بن مالك النهريريّ عن ابن جهور المذكور ، وعن الشيخ الفقيه
 أبي الحجّاج الأبدّي التضاعّي ، كلاهما عن أبي محمد الحريريّ . وحدّثني بها
 أيضاً إجازةً الشيخ الفقيه الحدّث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجريّ

(١) التقصار والتقصارة ، بالكسر : العبادة ؛ سميت بذلك لازوماً قصره العنق .

عن القُضاعيّ. وحدثني بها أيضاً الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ الجليل بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات القرشي المعروف بالخشوعيّ عن الحريريّ. وحدثني بها أيضاً الشيخ الفقيه الأستاذ أبو ذرّ مُصعب بن محمد بن مسعود الخُشنيّ بسنده ، بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لي بتكميله .
وتلقيت بها جماعة من جلة الأسيّاح أكثر في العدد ممن ذكرت ؛ لا يعدمني واحد منهم إفادة ضبطيّة أو لفظيّة ، ولا يقدني زيادة هزلية أو عظيمة ، فأخذتها أخذ متثبت ، عن واعي منكّت .

ثم لم أدع كتاباً ألف في شرح ألفاظها وإيضاح أغراضها ، وتبيين الإنصاف بين انفصالها واعتراضها إلا وعيته^(١) نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وتردّدت في تفهمه ورذاً وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً ؛ حتى أتيت على جميع ما انتهى إليه وسعى ممن فسرها ، واستوعبت عامة فوائده الممكنة بأسرها ؛ ولم أترك في كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقتها ، ولا غريبة إلا استاحقتها ، ولا غادرت في موضع منها مستحسناً يشدّ عن جمعي ، ولا مستجاداً ينبو عنه بصري أو سمعي .
فاجتمع من ذلك حفظاً وخطأً أعلق جمّة ، وفوائد لم تهتمّ بها قبلي همّة ، ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء هذه الأعصار ، فباحثت وناقشت ، وتناولت وتداولت ، وطالبت المتحفّظ بالأداء ، والمتيقّظ بالإبداء ؛ حتى لم أبق في قاذحة زندياً إلا اقتدحته ، ولا مُتفلاً إلا افتتحت ، فتحصّل لي من ذلك أيضاً عيون صائبة النواظر ، وفنون قلماً توجد في مخبّات الدفاتر .

وأنا في خلال ذلك ألتبس مزيداً ، ولا أسأم بحثاً وتقييداً ، إلى أن عثرتُ على

(١) ط ب : «أوعيته» ، وأوعى الشيء : حفظه ؛ مثل وعى .

شرح الفَنجَدِيهِي^(١) للمقامات - والفنجديهي هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد ابن عبدالرحمن بن محمد السعودي ، من قرية فنجديهة من عمل خراسان - فرأيت في شرحه الغاية المطلوبة ، والبغية المرغوبة ، والضالة التي كانت عنى إلى هذا الأوان مطوية محجوبة ؛ فاستأنفت النَّظْرَ ثانياً ، وشمرت عن ساعد الجِدِّ لا متكاسلا ولا وانياً ، وعانيت نور المعنى في نور اللفظ فأصبحت محتياجاً جانبياً ، فاستوعبته أيضاً أبلغ استيعاب ، وقيدت من فوائده ما لم أجد قبله في كتاب ، وأخذت منه أحاديث مسندةً أوردتها ، وآثاراً مرفوعة قيدها تليق بالباب الذى أوردت فيه ، وتورد مصححةً إما لألفاظه وإما إمامانيه ، وحذفت أسانيد - وإن كان قد أوردتها - تخفيفاً عن يريد الملتن ويتغنيه ؛ فتم لى بهذا الغرض استيفاء مقاصده ، واستيعاب فوائده . وتركته مستلب المعانى ، مطروق المعانى ، كالروض ركدت ريمه ، والجسم قبض رُوحه ؛ فأنضاف من فوائده هذا التأليف البديع - إلى الفوائد الملتقطة من الألسنة والأخوذة من التصانيف المستحسنة - روض كله زهر، وسلك كله دُرر ، وأدب إن لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر .

فاستخرت الله تعالى فى ضمّ ما انتشر من فوائدها ، ونظم ما انتثر من فرائدها ، والاعتناء بتأليف المقامات يُغنى عن كل شرح تقدّم فيها ، ولا يجوز

(١) الفنجديهي ؛ منسوب إلى فنجديهة ، قال ياقوت : « فنجديهة ، بالفتح ثم السكون ثم فتح الجيم وكسر الدال وياه ثم هاء خالصة ، وينسب إليها فنجديهة . بلدة فيها خمس قرى ؛ قد اتصلت عمارة بعضها ببعض ، قرب مرو الروذ . وهو أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود السعودي ، التوفى سنة ٥٨٤ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ووصفه العماد فى سفريات الذهب بالرحال الأريب وقال : مات عن اثنتين وثمانين سنة بدمشق ، وسمع من أبى الوقت وطبقته ، وأملى بمصر مجالس ، وعنى بهذا الشأن ، وكتب وسمى ، وجمع فأوعى ، وصنف شرحاً طويلاً للمقامات ، قال يوسف بن الخليل الحافظ : لم يكن فى نقله بثقة ، وقال ابن النجار : كان من الفضلاء فى كل فن ، فى الفقه والحديث والأدب ، وكان من أطرف المشايخ وأجلهم » .

إلى سواه في لفظ من ألفاظها ولا معنى من معانيها ، فتمّ من ذلك مجموع جامع ، وموضوع بارع^(١) ، أودعته من اللغات أصحّها وأوضحّها ، وأسلسها قياد لفظ وأسمحها ؛ وأولاها بالصواب في مزان الاختلاف وأرجحها ؛ ونسبت المشكّل منها إلى قائله من جهاذة العلماء ، وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الأسماء ، وسبكت العبارة عن المعاني سبكا يدلّ على الإلغاء والإصفاء . وهذا النصل وإن سبقى إليه من تقدّمني من الشارحين قبلي ، فلي فيه مزية إيراد اللفظ البعيد عن الإشكال ، والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال .

ثم زدت في فوائد هذا التأليف التعريف بالأمصار المذكورة في المقامات على أوفى ما يمكنى ؛ من ذكر مواضعها وأقذارها واختطاطها ، ومن عقّد صلاحها ، أو تولّى فتحها ؛ وهذه فوائد لا يخفى مكانها ، ولا ينكر استحسانها ، فالحاجة إلى التعريف بالمكان ، تنلو الحاجة إلى غوامض اللسان .

ثم استوعبت شرح الأمثال ونسبتها ، جمعاً بين القائلين والأقوال ، ولم أغفل منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال ، وهذا الفن لم يتبعه أحد على الكمال ، وإن ذكره فإنما يذكره استطراداً بحسب الحال .

ثم استوفيت أيضاً ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتمّ استيفاء ، وعرفت المشتهرين من الآباء والأبناء ، وبيّنت أنسابهم وأمكنهم ، وأخبارهم وجرّقتهم ، وآثارهم ومدتهم ، زيادة في التهم^(٢) والاعتناء . وهذا الفن أيضاً لم يورده الشارحون حقّ إirاده ؛ ولا اعتمدوه بالتبليغ حقّ اعتماده ، وهو مهمّ في الإفادة ، وعلى مغفله في الوقت وبعده الإعادة .

ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ، ولا من قصد قصدهما ، سوى أبي سعيد التّمجديهي في بعض المواضع ، فإنه ألمح وألمع ، وأورد اليسير فما شفى ولا أقنع :

(١) : « فصار ذلك مجموعاً جامعاً ، وموضوعاً بارعاً » .

(٢) ط : « التهم » ، تحريف ، صوابه من ١ .

أحدها: تبين مأخذ الحريري في الكلام ، وإخراج الإحالات المودعة فيه من حيز الإبهام ، والرد إلى المنشأ في آية أو أثر ، أو خطبة أو خبر ، أو حكمة فائقة ، أو لفظة رائقة ، أو بيت نادر ، أو مثل سائر ؛ وهذا تتميم بين ، وتكميل متعين .

والفصل الثاني : التنبيه على صناعة البديع ، وتوفية أسمائه ؛ كالنجيس والتتيم والترصيع ، والإتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع ، وبسط أنواع الأدب واقتنانه ، والإكثار من الشعر في مظانه من الجدد والهزل في المواضع اللاقة باستحسانه ، ومقابلة كل باب بما يزيد في حسنه وبيانه ، والجري مع أبي محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه .

ومن تمام التصنيف ردّ الفرع إلى أصله ، والجمع في الترتيب بين الشكل وشكله ، فأتبعت المواعظ بما يزيدها أثراً في القلوب ، وأردفت المسليات بما يعينها في إجلاء الكروب ، وسلكت هذه المسالك في سائر الأساليب وأنواع الضروب ؛ فإن وُجد في هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل ، أو معنى ينسب فيه إلى العذل ؛ من وصف نور وثمر ، وذكر نديم وخر ، أو نعت حُسن وحسن ، أو مدح سماع وأذن ، فلانّ أبا محمد بدأ بأمر فتمم ، وخصّ نوعاً فعمم ، مع أن صنعة الأدب مبنية على الملح ، وخواطر الأدباء جائشة بما سَنَح . فجاء من هذا الترتيب الغريب ، ما يضرب في الإجادة بسهم مصيب ، ويثبت لى في الجدد والدعوب أو فَرَ نصيب .

ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر كالفنحديهيّ وابن ظفر^(١)

(١) هو محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر ؛ صاحب التصانيف المتنوعة السائرة ، ذكره القفطي في الإنباه ٣ : ٧٥ ، وقال : « ورأيت له شرح المقامات ، قد صنّفها لأهل المغرب ، وقد نقل ألفاظها من نسخة سقيمة فصحف ونجح التصحيف ؛ وسمعت أنه كان ينتد من ذلك إذا قيل له ، ويقول : هذا أمر أحدثته العجالة وبعد الدار . وذكر صاحب كشف الظنون هنا الشرح وسماه : « التنقيب على ما في المقامات من الغريب » .

قد جرّدوا من شروهم مختصرات وجيزة ، اقتصروا فيها على إيراد اللغات ،
فخذوتُ حظّهم في مختصرٍ أوردتها فيه على الكمال ، ووقّيتها حقها من رفع
الغلط وكشف الإشكال ، ولم أخلّ في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه
ولا حال من الأحوال ، فجاء غاية في هذا الباب ، مغنيا في اللغات الغربية عن
كل كتاب ؛ فإن فاته هذا الأصل بضروب من الإفادات وأنواع من الزيادات ،
فلذلك الفرع شُوف الاستيعاب في اللغات ، ومزية الاشتقاق والتصريف
والشاهد من الشعر والآيات .

وكلّ ذلك بلطف الله تعالى ، وبسعد من شرّفت كتابي بخدمته ،
وبنيتُ تأليفي على أداء شكر نعمته ، ونصبت نفسي لأتف ببابه الأعلى ، وأتزيّن
بلمّ تربته فأنا العبد وهو المولى ؛ عماد الأنام ، والظلّ الممدود على المسلمين
والإسلام ، ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام ؛ منفق سوق المعارف ،
ومفجّر بحور المنّ والعوارف ، المجير بفضلّه وعدله من المفاقر الفادحة والخاوف ،
سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن إمام الأئمة الراشدين وولّي
عهده سيدنا الأمير الأجلّ أبو يعقوب ، أيد الله سلطانهم ، وأيد بيضتهم
وحزبهم ، وجمع القلوب على الاتقياد لهم ، والوجوه على التوجّه قباهم .
وهذا الكتاب وإن كان للمعبر عن حسنه ، والغاية الملتزمة في فنه ، والجامع
لما افترق في سواه ، وللمبرز بما وشّحه من الزيادات وحلّاه ، فإنه لم يتم جماله ،
ولا استوفى احتواءه على الفوائد واشتماله ، إلا ببركة مولانا الخليفة ، واقتران اسمه
الكريم باسم ولىّ عهده المستحق للتقديم في هذه الصحيفة . فالحمد لله على التوفيق
لخدمتهم ، والمعونة على شكر نعمتهم ، والتمرض لخيري الدنيا والآخرة في ظلّ حرمتهم .
وقد بذلتُ في الخدمة جهدي ، وأبرزت من فوائد هذا التّأليف أنفس
ما عندي ، ولم أتعاط قياماً بكل الواجب ، ولا وفاء بجميع الحقّ الراتب ؛ فالقول
يقصر عن التحصيل ، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليمّ من سبيل .

وقد كنت حين أتممتُ هذا التأليف ، وألقيت عن كاهلي الأعباء التي له والتكليف ، وجلوته كالحسنة ألقى في المنصّة النّصيف ، كثرت خطابه إلى من البلدان ، وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان ، فقلت : حتى يقشّر بلمّ اليمين العليا ، ويتخصّص بقبول إمام الدين والدنيا ، فمن بابهِ الأسمى يُلتقط درّه المنظوم ، وببركاته يسطع مسكه العبيق^(١) المختوم .

وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الأهدى ، وبنجته المتقلّد منه صفة وعهداً ، في شرح الخطبة كلمة كلمة ، وإيضاحها حتى لا أَدع لفظة مبهمه ، ثم أشرح المقامات على الولاء ، وأسلك الجمع بين الإيجاز والاستيفاء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم أفضل التسليم .

(١) ط : « العبيق » تصحيف ، صوابه من أ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصِّدْرُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ ، وَأَلْهَمْتَ مِنَ
التَّبْيَانِ ، كَمَا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَأَسْبَلْتَ
مِنَ الْغَطَاءِ .

* * *

اللهم - إنا نحمدك ؛ اللهم اسم خصصته الميم المشددة في آخره ببناء الباري سبحانه ، والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفاً عنه ، ولحلّ اللام في أوله ، لأنه لا يلي حرف النداء لامُ التعريف إلا في قولهم : « يا الله » ؛ لتكون اللام الزائدة نائبة عن حرف أصليّ ، وهي همزة « إله » ، فصارت كالأصليّ ، وفي غير هذا الاسم تنجرد اللام للزيادة في أول الاسم . و « يا » زائدة في أوله كذلك ، وها جميعاً لتخصيص الاسم وإزالة التشيع التذكير عنه ، فلما تقاربا في المعنى ، وتشابها في الزيادة ، وطلب كل واحد منهما أن يلي الاسم دون صاحبه ، ترك استعمال الجمع بينهما في أول الاسم إلا في ضرورة الشاعر لإقامة الوزن . وأما اللام في قولهم : « يا الله » فلما كانت نائبة عن حرف أصليّ خفيت زيادتها ، فلما زادوا الميم في آخره فضحت اللام وشهرت معنى الزيادة ، فامتنعت « يا » من أوله إلا عند الضرورة كامتناعها في الرجل والغلام ؛ فلما كانت الميم هي الموجبة لمنع « يا » حمل الاسم معها معنى « يا » فصار مختصاً بالنداء متمتعاً من غيره .

ونحمدك ، معناه ثني عليك بآتم وجوه الثناء كلها ، فيدخل تحته الشكر ،

والشكر ثناء يقابل به معروف ، وفي الحديث : « الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره »^(١) ، والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة . والشكر ذكره بما له من أفعال جليلة ، من قولهم : دابة شكور ، إذا ظهر بهامن السمن فوق مائتا كل من العلف . ويقال : أشكر من برّوقه^(٢) ، وهي شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر ؛ ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم والشكر في مقابلة الكفر ، فاختلاف تقيضيهما دليل على اختلافهما في أنفسهما .

البيان : وضوح المعنى وظهوره ، والتبيان : تفهّم المعنى وتبينه . والبيان منك لتفكيرك ، والتبيان منك لنفسك ، مثل التبيين تقول : بينت الشيء لغيري بياناً وتبينته أنا تبياناً ؛ وقد يقع التبيان بمعنى البيان ؛ حكى أبو منصور الأزهري رحمه الله : بينت الشيء تبييناً وتبياناً ، قال تعالى ﴿ تَبَيَّنَا لَكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣) أى بيّنت لك فيه كل ما محتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين ، فهو لفظ عام أريد به الخاص . وقد يقع البيان لكثرة الكلام ، ويُعدُّ ذلك من النفاق ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحياء والعى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » أخرجه الترمذي^(٤) . وقال : « العى قلة الكلام والبذاء الفحش ، والبيان كثرة الكلام » .
أهملت : تبهت عليه وفهمته . وأسبغت : أتممت وكثرت . وأسبلت : أطلت . والغطاء ، أراد به ستر الله على عبده .

* * *

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شِرَّةِ اللِّسَنِ ، وَفُضُولِ الهَدَرِ ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ
مَعْرَةِ اللَّكَنِ ، وَفُضُوحِ الحَصْرِ . وَنَسْتَكْفِي بِكَ الْاِفْتِنَانَ بِإِطْرَاهِ

(١) الجامع الصغير ١ : ٢٦٠

(٢) الميداني ١ : ٣٨٨ ، قال في شرحه : « هي شجرة تخضر من غير مطر ، بل

تفتت بالسحاب إذا نشأ - فيما يقال » .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) نقله في الجامع الصغير ١ : ٧٦١ عن الترمذي وأحد والمأتم .

الْمَادِحِ، وَإِعْضَاءِ الْمُسَامِحِ؛ كَمَا نَسْتَكْنِي بِكَ الْإِتِّصَابَ لِإِزْرَاءِ
الْقَادِحِ، وَهَتَاكَ الْفَاضِحِ.

* * *

نعوذ، أى نستجير . شِرةٌ: حدة، واللسن: حدة اللسان وإدلاله على الكلام .
فضول: زوائد. الهذر: إكثار الكلام بغير فائدة . معرفة: شدة وصعوبة، والمعرفة:
الغيب والعار . وقيل: هى كل ما يؤذيك ، وفلان يَعْرِتُ قَوْمَهُ ، أى يُدخل عليهم
مكروها يلطّخهم به ؛ وأصله من العرة وهى الفعلة القبيحة ، أو من العرّ وهو
الجرب . وَاللَّكْنُ: احتباس اللسان عند الكلام . فضوح: شهرة وفضيحة . الحَصْرُ:
العِىّ، وَحَصْرٌ حَصْرًا إِذَا أَعْيَا وَاسْتَحْيَا أَوْ ضَاقَ صَدْرُهُ . واستعاذ من شرّة اللسن
لأنه من اقتدر على الكلام أدّاه إلى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة
الحق ، وفيه إثم على فاعله، وأصل الشّرة التلق والانتشار ، ومنه الشرّ ؛ وقد شرّ
يُشَرُّ، ومنه شرّر النار . ثم استعاذ من ضدها وهى المعرفة ، لأن صاحبها لا يتم لفظه
فيشين بذلك نفسه ، ويقصر عن مراده من البيان . ثم قرن بها الحصر لأن مَنْ
يعتربه يتوالى عليه الوهلُ والخجل ؛ فلا يستطيع الكلام ، فيفتضح ويشهر عيبه .
وهذا الفنّ من الكلام يسمّى فى صنعة البديع المقابلة، وأول من صدّر به كتاباً
عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان^(١)، فقال: اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول،
كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلّف لما لا نحسن، كما نعوذ بك
من العُجب بما نحسن، ونعوذ بك من السّلاطة والهذر^(٢)، كما نعوذ بك من العِىّ
والحصْر ؛ وقد يما تعوّدوا بالله من شرهما، ورغبوا إليه فى السلامة منهما ؛ وقد قال
النّير بن تولب :

(١) البيان والتبيين ١ : ٣ ، مع اختصار وحذف .

(٢) السّلاطة : حدة اللسان والصخب : والهذر : كثرة الكلام فى خطأ .

أعدتني ربّ من حصّر وعيَّ ومن نفسٍ أعالجها علاجاً
وقال محمد بن علقمة^(١):

لقد وارى المقابرُ من شريكٍ كثيرٍ تحمُّمٍ وقليلِ عابِ
صُوتاً في المحافل غير عيَّ جديراً حين ينطق بالصوابِ

ثم استرسل في ذكر العيِّ والبيان إلى غاية بعيدة ، واستشهد على النوعين
بآيتين؛ بقوله تعالى: ﴿سَلِّقُوا كُم بِالسَّنَةِ حَدَادٍ﴾^(٢)، وفي الصّدِّ بقوله تعالى: ﴿أَوْ مَن يُنَشَأُ
الْحِلْيَةَ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٣)؛ فاختدى الحريري هذا الخذو، فجمت تشبيهاً
أطبع وأصنع، وزاد عليه بأن ابتداءً بحمد الله على نعمة البيان ، ثم استعاذ بما استعاذ
منه الجاحظ ، وبيان المقابلة في كلامه أنه قابل شرّة بمرّة واللّسن باللكن، والهدر
بالحصر ؛ فإذا تفهّمت مواقعها في كلامه قست عليها ما يشبهها في النظم والنثر .
وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة ، فقال : هي أن يضع الشاعر أناظاً يعتمد
التوافق بين بعضها وبعض في الخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف
بما يخالف ، وأنشد في ذلك :

فيا عجباً كيف اتفقنا فناصحٌ وفي ومطوى على الغشّ غادر^(٤) !
فجعل يزاء « ناصح » ، « وفي » ، « غاشاً : غادراً » . ومثله :
فتي تمّ فيه ما يسرّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعداء^(٥)

نستكفي : معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا الافتتان ؛ وذلك أن
تصاب بفتنة الإعجاب ، وأصل الفتنة اختبار النضّة بالنار ، قال تعالى في الاختبار :
﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾^(٦) ، أي اختبرناك . والفتين : النضّة المحرقة ، والفتين أيضاً : الحجارة
المحرقة ، وهي الحجارة تُدلك بها الأقدام في الحمام . والإطراء : الاسترسال في مدح

(١) في البيان والتبيين : « محرز بن علقمة » .

(٢) الأحزاب ١٩ .

(٣) الزخرف ١٨ .

(٤) تحرير التيجير ١٨٩ — قال : « أحسبه لكثير . وانظر العمدة ٢ : ١٤ » .

(٥) للناطقة الجمدي ، ديوانه ١٧٤ .

(٦) سورة طه ٤٠ .

الإِنسان بحضرة، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله». .
 إغضاء: تجاوز ومسامحة، وأصله أن يبدو لك الشيء فتدني جفنيك وتقتصر نظرك كأنك لم تره. والإغضاء: الإغماض وأغضيت عنه وأغضت، إذا تغافلت عنه. المسامح: الموافق لفرضك، المتجاوز عن عيبك. الانتصاب: الظهور والاعتراض أمام الشيء. إزاء: تقصير وتنقيص. القادح: العائب، وقدحت الدود في الأسنان والشجر: أكلتها، فكأن فعل هذا العائب في أعراض الناس فعل الدود في الشجر. والقادح أيضا: الذي يضرب الزند بالحجر ليورى. هتك: شق، وهتك الستر: خرقته. الفاضح: الذي يشهر عيوبك، وفضحت الشيء: كشفتته.

وَنَسْتَفْرِكُ مِنْ سَوَاقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سَوَاقِ الشُّبُهَاتِ ؛ كَمَا نَسْتَفْرِكُ
 مِنْ نَقْلِ الْخَطَوَاتِ إِلَى خَطَطِ الْخَطِيئَاتِ . وَنَسْتَوْهَبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا
 قَائِدًا إِلَى الرَّشِيدِ ، وَقَلْبًا مُتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ ، وَلِسَانًا مُتَحَلِّيًا
 بِالصِّدْقِ ، وَنُطْقًا مُؤَيَّدًا بِالْحُجَّةِ ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً عَنِ
 الرَّيْبِ ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ ، وَبَصِيرَةً نُدْرِكُ بِهَا
 عِرْفَانَ الْقَدْرِ .

نستفرك: نسألك المغفرة، وهي من غفرت الشيء سترته. الشبهات: جمع شبهة وهي ما يشبه عليك أمره. والخطوات: جمع خطوة؛ وهي ما بين القدمين. الخطط: جمع خطة وهي الطريق يخطه الرجل في الأرض يجعله حدًا للشيء يحوزه ويعتمده. والخطّة، بالضم: المنزلة والمزية. والخطيئات: الذنوب، وهي من الخطأ، وجعل ماساقه

في المقامات كأنه شهوة اشتهى عملها ، ثم اشتبه عليه : هل في ذلك رضا الله أم سخطه ! فكأنه ساق شهوة إلى سوقٍ يجهل التَّباع فيها فلعَّله فيها خاسر الصَّفقة ، فلهذا استغفر الله منها. الرُّشد : الهداية يرشده الله رشداً وأرشده : هَدَاه . ورشدهو رُشداً ورشادا : اهتدى . متحلِّياً : متصفاً ومتزِيناً . مؤيداً : مُعَاناً . وأصابني كلامه إصابة : إذا نطق بالصواب ، ورمى فأصاب لم يخطئ ؛ وقوله تعالى : ﴿ رُخَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ ﴾^(١) ، أى حيث أراد ، قال القراء : اختلفتُ أنا وعيسى النخوى في الآية قلت : ما أحدٌ أعلم بهذا من رؤية ، قال : فسرنا إليه فلقيناه يتوكأ على اثنين ، فقال : أين تصيبان ؟ أى أين تريدان ؟ ، قلت لصاحبي : كُنَيْتَ السُّؤال^(٢) . ذائدة : دافعة . الزيف : الميل ، وزاغ عن الحق : مال عنه إلى الباطل . العزيمة : الجِدُّ ، وعزم على الشيء : جَدَّ فيه . قاهرة : غالبية . وهوى النفس : ماتحبه وتميل إليه . بصيرةٌ : يقيا ، والبصيرة للقلب ، والبصر للعين . عِرْفان القدر ، أى معرفة أقدارنا .

* * *

وَأَنْ تَسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الدَّرَايَةِ ، وَتَمُضِدَنَا بِالْإِعَانَةِ ۖ عَلَى الإِبَانَةِ ، وَتَمُصِمَنَا مِنَ النِّوَايَةِ فِي الرِّوَايَةِ ، وَتَصْرِفَنَا عَنِ السَّقَاهَةِ فِي الْفُكَاهَةِ ؛ حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الأَلْسِنَةِ ، وَنُسَكْفَى غَوَائِلَ الرِّخْرِفَةِ ؛ فَلَا نَرِدَ مَوْرِدَ مَأْتِمَةٍ ، وَلَا نَقْفَ مَوْقِفَ مَنْدَمَةٍ ، وَلَا نُرْهَقَ بِتَبِيعَةٍ وَلَا مَعْتَبَةٍ ، وَلَا نُلْجَأَ إِلَى مَعْدِرَةٍ عَنِ بَادِرَةٍ .

* * *

(١) سورة ص ٣٦ .

(٢) الخبر في الكشاف ٤ : ٧٤ ، روايته : « عن رؤية ، أن رجلين من أهل اللغة قصدها ليسألوا عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما ، فقال : أين تصيبان ؟ فقالا : هذه طلبنا ؟ ورجما . »

(٢ - شرح المقامات)

الدَّرَايَة: مصدر دَرَيْتُ الشَّيْءَ دِرَايَةً وَدَرِيًّا، عَلَّمْتَهُ . تَعَصَّدْنَا تَعْوِينَا، وَعَصَدَهُ: أَعَانَهُ وَكَانَ لَهُ عَصْدًا . الإِبَانَة: مصدر أَبْنَتُ الشَّيْءَ ، أَيْ بَيَّنْتَهُ . تَعَصَّمْنَا مِنَ الْعَوَايَةِ ، أَيْ تَمَنَعْنَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالنَّسَادِ ، وَالْعَوَايَةِ : مصدر غَوَى غَوِيًّا وَغَوَايَةَ وَغَوِيًّا أَيْضًا غَوَايَةَ ، وَهِيَ ضِدُّ رَشَدٍ رُشْدًا . الرواية : نقل الحديث من صاحبه إِلَى طَالِبِهِ . تصرفنا: تزييلنا . السفاهة: الجهل ، والفكاهة : المزاح و ما تستريح به النفوس وهى فى الكلام كالفاكهة فى الطعام . حصائد الألسنة : شرر كلامها وقطعها فى أعراض الناس، وأراد ماجاء فى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ، إنا لنؤاخذ بما نتكلم؟ فقال : « تكلمتكم أممك يا معاذ! هل يكذب الناس فى النار على رءوسهم إلا حصائد ألسنتهم! » فدعا الله أن يتمَّ سعده بأن يؤمِّنه عادية الألسنة . والحصائد فى الأصل : جمع حصيدة وهى الحزومة من الزرع المحصود فهى فعيلة بمعنى مفعولة ، والحصيد : الشئ المحصود .

نكفى : تمنع . غوائل : قوائيل ومهلكات ، واحداها غائلة ؛ وغالته المنية أهلكته . الزخرفة : تزيين الباطل ، وأصلها تزيين الشئ بالزخرف وهو الذهب . نرد : نقصد . مورد مأتمة : موضع إثم ، والمورد أصله الموضع يشرب منه الماء . مندمة : ندم . نرهق : نهم ونعاب : والزهق : العيب ، وتبعة : خطيئة يتبعه ضرها بعد الموت . معتبة : سخط ، وهى من العتاب ، وهو تقبيح القول على جهة الإشفاق ، وأصله من عتبت الأديم ، أى رددته إلى الدباغ ليصلح ، ومنه: وإنما يعاتب الأديم ذو البشرة^(١) . ويقال : عتب على فى كذا عتبا فأعتبته ، أى رجعت إلى ما يريد وأرضيته . وباء « تبعة » وتاء « معتبة » يكسران ويفتحان . نلجأ : نُحْوَج . معذرة : اعتذار . بادرة : سقطة وزلَّة ، وقد بدرت الكلمة والفعلة :

(١) الميدانى ١ : ٤٠ قال : « والمأتمة : المعاودة ، وبشرة الأديم : ظاهره النهى عليه الشعر ، أى أن ما يعاد إلى الدباغ من الأديم ، ما سلعت بشرته » .

خرجت من غير أن يدبر موقعها ، وفلان تخشى بوادره ، أى فلتاته .

* * *

اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُنِيَّةَ ، وَأَنْلِنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ ، وَلَا تَضْحِنَا عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ ، وَلَا تَجْمَلْنَا مُضْغَةً لِلْمَاضِغِ ؛ فَقَدْ مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ ، وَبَخَعْنَا بِالِاسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمَسْكِنَةِ ، وَاسْتَنْزَلْنَا كَرَمَكَ الْجَمِّ ، وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ ، بِضِرَاعَةِ الطَّلَبِ ، وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ . ثُمَّ بِالْتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَالشَّفِيعِ الْمَشْفَعِ فِي الْمَحْشَرِ ، الَّذِي خَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ . وَوَصَفْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ نَمَّ أَمِينٍ ﴾ (١) . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْهَادِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ ، وَاجْمَلْنَا لِيَدَيْهِ وَهَدَيْهِمْ مُتَّبِعِينَ ، وَانْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

* * *

الْمُنِيَّةُ : مَا يُتَمَنَّى . وَالْبُغْيَةُ : مَا يُطْلَبُ . أَنْلِنَا : أَعْطَانَا . تَضْحِنَا : تَكْشِفُنَا . ظِلُّكَ السَّابِغُ : سَتْرُكَ الْمَدِيدِ ، وَأَصْلُ الظِّلِّ السَّتْرُ ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي لَا تَبْلُغُهُ الشَّمْسُ ، وَفِي الْحَدِيثِ « ضِحًا ظِلُّهُ » ، أَيْ عَدَمُ فَانْكَشَفَ مَوْضِعُهُ لِلشَّمْسِ . مُضْغَةٌ : لُقْمَةٌ ، وَكُلُّ مَا يَعْضَغُ لُقْمَةً ، وَالْمَاضِغُ هُنَا : الْعَائِبُ الْآكِلُ أَمْرَاضَ النَّاسِ ، وَجَمَلُ الْعَرَضِ حِينَ يَعْصِبُهُ مُضْغَةً لَهُ ﴿ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَمَّا عُرِجَ

بى مهدتُ بأقوامٍ لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقالت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : « هؤلاء الذين يأكلون لحومَ الناس ويقعون فى أعراضهم » . المسألة : الحاجة والفقر . بجمعنا : أقررنا ، وبجمع له بحقه أقربه ، وبجمع نفسه : قتلها غيظا ، ومنه : ﴿ فَلَعلَّكَ بِأَخِيعِ نَفْسِكَ ﴾ ^(١) فالتمدية بالباء غير المتعدية بنفسها . الاستكانة : الخضوع . والمسكنة : الفقر والذلة . استنزلتنا : طلبنا أن تُنزل علينا ، والاستنزال السؤال بتلطف . والجَم : الكثير . فضاك : إحسانك . عَمَّ : شَمَلَ . ضراعة : ذلة . البضاعة : المال يُتجر به . الأمل : الرجاء ؛ يقول إن تجارتنا التى نحصل بها منك إحسانك ، رجاؤنا توكلنا عليك . التوسُّل : التقرب . البشر : الخلق ، وهو فى الأصل جمع بَشْرَة ، وهى ظاهرة الجلد ، وسَمُوا بشرا ، لظهور أبقارهم خلافا لغيرهم من الحيوان . الشفيع : الطالب لغيره . والمشفع : الذى أُعطيَ الشفاعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خُبِرَتْ بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمؤمنين المُنتَقين ! لا ولكنها لذنبين المتلوثين الخطائين » ^(٢) .

الحشر : موضع اجتماع الناس يوم القيامة ، والحشر أيضا : الحشر وهو الأشبه باليوم . ختمت : جعلته خاتمهم ، أى آخرهم . درجته : منزلته . عليين : أعلى الجنة وكأنه جمع عليّة . المبين : المبين . رسول كريم ، قيل : هو جبريل ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم . مكين : رفيع المنزلة . تمم : معناه هناك ، قال الزجاجى : هى إشارة إلى ما كان متراميا من الأماكن ، والأشهر أن المراد به فى الآية جبريل ؛ ولذا رجع الحريرى آخره فأزال الآية من كتابه ، واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) ، وليس رجوعه عن القول

(٢) نقله فى الجامع الصغير ١ : ١٨ .

(١) الكهف ٦ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

الريعب ، بل هو حسن ، إذ كان الرجوع عن الخطأ إلى الصواب واجباً ، إلا أن
الثابت عند ابن جهور (إنه لقول رسول كريم) ؛ قال ابن عباس رضى الله
عنهما : هو جبريل وهو الرسول لحمد بالقرآن . ذِي قُوَّةٍ ؛ لأنه قلع بأحد جناحيه
أربع مدائن لقوم لوط ؛ وهى سدُوم ودامورا وصابورا وعمُورا ؛ فى كل
مدينة مائة ألف إنسان سوى ما فيها من الدواب والأنعام . آله ، أى أهله وأصله
«أأل» فأبدلت الهمزة ألفاً ، وأكثر ما تضاف إلى الظاهر ، وقد سُمِعَ إضافتها إلى
المضمر فى الشعر والكلام الفصيح ، خلافاً لأبى جعفر النحاس وأبى بكر
الزُّبَيدى ، فإنهما منعا من إضافتها إلى المضمر ، وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من
هاء «أهل» وصوابه أنها أصل فى بابها ، من آل يتول إذا رجع لأنهم يرجعون إليه
ويُرجع إليهم . الهادين : المرشدين إلى طريق الخير ، وقد هديته الطريق ، إذا
أرشدته . شادوا : رفعوا وبنوا . هديه وهديهم : طريقته وطريقتهم ، وقال النبي
صلى الله عليه وسلم «الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرَضاً بعدى ، فمن أحبهم
فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن
آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » . جدير : حقيق .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى بِيَعْضِ أُنْدِيَةِ الْأَدَبِ الَّذِي رَكَدَتْ فِي
هَذَا الْعَصْرِ رِيحُهُ ، وَخَبَّتْ مِمَّا يَبْجُهُ ، ذِكْرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا
بَدِيعُ الزَّمَانِ ، وَعَلَامَةُ هَمْدَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَعَزَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ
«الْإِسْكََنْدَرِيَّ نَشَأَتْهَا ، وَإِلَى عَيْسَى بْنِ هِشَامٍ رِوَايَتَهَا ، وَكِلَاهُمَا مَجْهُولٌ
لَا يُعْرَفُ ، وَنَكِيرَةٌ لَا تَتَعْرَفُ .

أندية : مجالس واحدها ندى ، والندى والنادى والمنتدى : مجلس القوم

للحديث ، وقيل هو من الندى وهو الكرم ، لأنهم يُتصدون فيه فيعطون .
 وقيل : هو من النداء الذى هو الصوت لأنه ينادى فيه بعضهم بعضاً ليجتمعوا .
 وقيل : هو من الندى وهو العرق لأن الداخل فيه يحتشم فيعرق . والأدب : معرفة
 الأخبار والأشعار ، وفلان أديب ، إذا كان متفنناً مشاركاً . ركبت : سكنت ،
 والمقامات : المجالس ، واحداها مقامة ، والحديث يُجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة
 ومجلساً ، لأن المستمعين للحدث ما بين قائم وجالس ، ولأن الحديث يقوم ببعضه
 تارةً ، ويجلس ببعضه أخرى ؛ قال الأعمى : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض
 على فعل الخير .

[بديع الزمان الهمداني]

ذكر البديع أبو منصور الثعالبي في يتيمته ، فقال : « بديع الزمان هو أبو الفضل
 أحمد بن الحسين الهمداني ، مفخر همدان ، ونادرة الفلك وبكر عطار ، وفريد
 الدهر ، وغرة العصر ؛ وهن لم يُلف نظيره في ذكاء التريجة وسرعة الخاطر
 وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه في ظرف النثر ومآجه
 وغرر النظم ونكته ، ولم يُرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسرّه ، أو جاء
 بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها
 أنه كان يُنشد القصيدة لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتاً ، فيحفظها
 كلها ، ويوردها إلى آخرها ، لا ينخرم حرف منها . وينظر في الأربع والخمس الأوراق
 من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ، ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا
 ويسردها سرداً . وكان يُقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى غريب
 وباب بديع ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عما فيها ، وكان ربما يكتب
 الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بأخر سطوره ، ثم هلم جراً إلى الأول ، ويخرجه
 كأحسن شيء وأماجه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من
 إنشائه ، فيقرأ من النظم النثر ، ومن النثر النظم ، ويعطى التوافى الكثيرة ، فيمصل

بها الأبيات الرشيقة . ويُقترح عليه كلّ عروض من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يباعه ، و نَفَسٍ لا يقطعها ؛ وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارة القلم ومجاراة الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة . خفيف الروح ، حسن العشرة ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص الود ، حلوا الصداقة ، مرّ العداوة . فارق همدان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقتباً الشيبية ، غصّ الحدّائة . وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جميع عنده واستنفذ علمه ^(١) . وورد حضرة صاحب أبي القاسم بن عبّاد ، فتزوّد من ثمارها ، وحسن آثارها . وورد نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ^(٢) ، فنشر بها بَازَه ، وأظهر طرزَه ، وأملى أربعائة مقامة نحاً أبا الفتح الإسكندريّ في الكُدَيّة وغيرها ، وضمّهما ماتشهيّ الأنفس ؛ من لفظٍ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطاع والمقطع كسجع الحمام . وجدّ يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ... ^(٣) ثم ألقى عصاه بهرّة ، فعاش فيها عيشة راضية وحين بلغ أشده ، وأرّب على أربعين سنة ؛ ناداه الله قلباه ، وفارق دنياه في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ؛ فقامت نوادب الأدب ، واثلم حدّ القلم ، وبكاه الفضائل مع الأفاضل ، وورثاه الأكارم مع المكارم ؛ على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد مَنْ بَقِيَ على الأيام نظامه ونثره ؛ والله عزّ وجلّ يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه ^(٤) .

(١) القيمة : « واستنفذ علمه ، واستترف بحره » .

(٢) في ط : « وولى » ، تحريف ، والمبارة في القيمة : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتميش في أكتافهم ، والاقباس من أنوارهم ، واختص بالدهخدا أبو سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضائمه لديه ، وتوفّر حظه من عادته المعروفة في إسداء المعروف ، والإنصال على الأفاضل . ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح عنه في سفرته نوافلها في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . . . » .

(٣) حذف المؤلف هنا من كلام التعاليّ ما يزيد عن صفحة .

(٤) قيمة الدهر ٤ : ٢٤٠ - ٢٤٢ .

وذكر الحصري رحمه الله في كتاب الزهر أن الذي سبب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته ، هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثاً ، ذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، على طبع العرب الجاهلية ، بألفاظ بعيدة حوشية ، فعارضه البديع بأربعائة مقامة ، لطيفة الأغراض والمقاصد ، بديغة المصادر والموارد^(١) . انتهى كلامه .

والذي جاء بها ، فيه قلة الإمتاع للسامع من حديثها ، وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطر ، فجاءت مقامات الحريري أحفل ، وأجزل وأكمل ؛ فلذلك فضلت البديعية . وقد صرح علماء الأدب في كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه ، ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع ، قال :

وَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنْ فَتَشْتُ فِي لِقَابِهِ

وسئل بعض علماء الأدب من أهل عصرنا عن الحريري والبديع ، فقال : لم يبلغ الحريري أن يسمى « بديع يوم » ؛ فكيف يقارن بديع زمان !

وجرى ذكر مقاماته في مجلس بعض أشياخنا ، وكان حافظاً أديباً ، فقال : مقامات البديع يحكى أنها ارتجال ، وأن البديع كان يقول لأصحابه في آخر مجلسه : اقترحوا غرضاً نبني عليه مقامةً ، فيقترحون ما شاءوا ، فيملي عليهم المقامة الارتجالاً في الغرض الذي اقترحوه ؛ وهذا أقوى دليل إن صح على فضل البديع . قوله علامة : أي كثير العلم ، وهي بذية للمبالغة .

[ذكر همدان]

وهمدان ، بفتح الهم ونقط الذال : بلد بخراسان . وقيل : همدان من كور الجبل . وبلد همدان واسع جليل القدر كثير الأقاليم والكور ، افتتح سنة ثلاث وعشرين ، ويشرب أهلها من عيون وأودية . وقال اليعقوبي : من أراد السير من الدينور إلى همدان سار متنزهاً إلى موضع ، يقال له : أسد آباز مرحومين -

(١) زهر الآداب ٢٦١ .

هو من أسد آباز إلى مدينة همدان مرحلتان - وهي كثيرة البرد . وقال فيها ابن خالويه - وهو همداني ، واستوطن حلب عند بني حمدان :

إذا همدانُ اعتَرَّها البردُ وانقضى
برغمك أيلولٌ وأنت مقِيمٌ
فعميناك عَمَشَاوانِ وَأَنْفُكَ سَائِلٌ
ووجهك مسودَّ البياض بهيمٌ
بلادٌ - إذا ما الصيفُ أُقبلَ - جنةٌ
ولكنَّها عند الشتاء جحيمٌ

ولبعضهم :

همدَانُ متلفَةُ النفوسِ ببردِها
والزَّمهريرُ ، وحرَّها مأمونٌ^(١)
غلب الشتاء مصيفها وخريةها
فكأنما تموزها كأنونٌ

وكل الرواة يروونها « همدان » بفتح الميم ونقط الذال ، إلا ابن اللبابة فإنه رأيت في شرحه : همدان بسكون الميم ودال غير معجمة ، وهي قبيلة يمانية ، قال فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه :

ولو كنت بواباً على باب جنةٍ لقاتٍ لهمدان ادخلوا بسلام^(٢)

والرواية الأولى أثبت . قوله : « عزا » أبي نسب يقال : عزيته عزياً ، وعزوته عزواً : نسبه ؛ واعتزى إلى بني فلان : انتسب إليهم ، وأبو الفتح في البديعية بمنزلة أبي زيد في الحريرية ، وعيسى بمنزلة الحارث . نشأتها : صنعتها . روايتها : إسناد أحاديثها . والتكرة التي لا تتعرف ، هي في غير الأسماء .

فأشار من إشارته حُكم ، وطاعته غُتم ، إلى أن أنشي
مقاماتٍ أتلو فيها تلو البديع ، وإن لم يدرك الظالم شأوَ
الضليع ، فذا كرتُهُ بما قيلَ فيمن ألفَ بين كلمتين ، ونظَم

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٧٦ ، ونسبها إلى كاتب بكر .

(٢) من مقطوعة له ، أوردها ابن رشيق في العمدة ١ : ٣٤

بَيْتًا أَوْ بَيْنَتَيْنِ ، وَاسْتَقَلْتُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْفَهْمُ ،
وَيَفْرُطُ الْوَهْمُ ، وَيُسْبِرُ غَوْرَ الْعَقْلِ ، وَتَبِينُ قِيَمَةُ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ ،
وَيُضْطَرُّ صَاحِبُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَخَاطِبِ لَيْلٍ ، أَوْ جَابِ رَجُلٍ
وَخَيْلٍ ، وَقَلَّمَا سَلِمَ مِثْلَهُ ، أَوْ أُقِيلَ لَهُ عِثَارٌ .

[السبب في إنشاء الحريري للمقامات]

غُفْمٌ : غنيمه . وحكى الفنجديهى في شرحه للمقامات : أن الذى أشار عليه بها هو شرف الدين أنوشروان بن خالدوزير الخليفة ، أمره بإنشاء المقامات وحكم عليه بها . وقيل : أمره بها صاحب البصرة وواليتها . وقال : سمعتُ الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النُّفُور البزَّار ببغداد يقول : سمعتُ الشيخ الرئيس أبا محمد الحريرى يقول : أبو زيد السَّروجى كان شجاعاً بايعاً ، ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بنى حرام يتكلم ، ويسأل شيئاً ، وكان بعضُ الولاة حاضراً ، والمسجد غاصُّ بالفضلاء ، فأعجبهم بفساحتِهِ ، وحسن صناعته وملاحظته ، وذكر أسراروم ابنته ، كما ذكرنا في المقامة الحرامية وهى الثامنة والأربعون ، قال : فاجتمع عندى عشية ذلك اليوم جماعة من معارف فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيتُ لهم ما شاهدتُ من ذلك السائل ، وسمعتُ من لطافة عبارته في تحصيل مُرادِهِ ، وطرافة إشارته في تسهيل إيرادِهِ ؛ فحكى كل واحد من جلسائى أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدتُ ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعتُ . وكان يغير فى كل مسجد زِيَّةً وشكله ، ويظهر فى فنون احتياله ، فمجبوا من جريانه فى ميدانه ، وافتتانه فى إحسانه ؛ قال الحريرى : فابتدأت فى إنشاء المقامة الحرامية تلك الليلة ، حاذياً لِدَوِّهِ ، فلما فرغتُ منها أقرأتها جماعةً من الأعيان ، فاستحسنوها غاية الاستحسان ،

وأنبهوا ذلك إلى وزير السلطان ، واقترحوا على أخواتها ، والله المستعان .
وهذا الذي ذكر الفنجديهي قد حدثني بنحوه من يوثق به من الطالبة ،
بسند متصل بأبي محمد الحريري ، وأن الحريري وند مع أهل البصرة بغداد ،
فوجدوا بواسطة أبا زيد السروجي^(١) ، فقال : يا أهل البصرة ، أنتم تزعمون أنكم
لا تكادون ولا تُخدعون ، وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم ، فما تعذر
عليّ فيها موضع لم أجد منافع أهله بضروب من المكر . فلما بلغوا بغداد
أخبروا بالقصة وزير السلطان ، فأمر الحريري بجمع المقامات :

لكن الذي ثبت عندنا ، هو ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو بكر بن أزهر
أن الفقيه الراوية أبا القاسم بن جهور ، حدثه أن الحريري حدثه أن قصة المقامة
الثامنة والأربعين حق ، وأن رجلا قام بمسجد بني حرام ، فأظهر التوبة من
ذنبه ، وسأل عن الوجه في كفارته ، فقام رجل من بين الناس ، فذكر أسر
انته ، فنظم الحريري القصة وجعلها مقامة ، وأنها أول مقامة أثبتت في الكتاب ،
وكان ابن جهور يقول : إن الذي أشار إليه بها في قوله : « فأشار من إشارته
حكم » هو المستظهر بالله العباسي ، وكان لهذا المستظهر رغبة في الطلب ، وحظ
من الأدب ، وعناية بأهل العلم .

وحدث ابن جهور أنه دخل بغداد في أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل
حامل علم ، وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان في الديوان ، وأجرى على كل واحد
من المال بقدر حفظه من العلم . وكان ابن جهور يحدث أن الحريري ألف
المقامات كلها على الركب ، وذلك أن المستظهر بالله لما أمره بصنعها ، أخرج
كالحافظ على العمال ، فكان يخرج في الأبردين يتمشي في ضفتي دجلة والفرات ،
ويقتل خاطره بنظر الحضرة والمياه ، فلم ينقض فصل العمل إلا وقد اجتمع له

(١) السروجي ، بفتح السين : منسوب إلى سروج : بلدة قريبة من حران واسم أبي
زيد السروجي المطهر بن سلال اللقوي ، وأحد من اشتغل بالتحقيق في البصرة ، ذكره القفطي
في إنباه الرواة ٣ : ٢٧٦ .

مائتا مقامة ، فخلص منها خمسين وأتلف البواقي ، وصدر الكتاب ، ورفعته إلى السلطان ، فبلغ عنده أسنى المراتب .

قوله : « فذا كرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتاً أو بيتين » ، قال أبو عمرو بن العلاء : الإنسان في فسحة من عقله ، وفي سلامة من أفواه الناس ، ما لم يضع كتاباً أو يقل شعراً .

وقال العتابي : من صنع كتاباً فقد استشرف للمدح والذم ، فإن أحسن فقد استهدف للحسد والغيبة ، وإن أساء فقد تعرض للشم بكل لسان .

غيره : من صنّف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس . وقال حسان :
 وَإِنَّمَا الشُّعْرُ عَقْلُ الْمَرْءِ يَعْزِضُهُ عَلَى الْبَرِيَّةِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُجْمًا^(١)
 وَإِنْ أَحْسَنَ يَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ يَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا

واستقلت : طابت الإقالة . المقام : موضع القدمين وأنت قائم . يحار : نتحير : يفرض : يسبق . الوهم : الغلط . يسبر غور العتل ، يختبر قدره ومنتهاه ، وأصله في الجراحات يُخْتَبَرُ غَوْرُهَا ، أي بعد قمرها . والمسبار : الحديدة التي يقاس بها مقدار غور الجراحة ، وسبرها : قاسها به ، يفعل ذلك الطبيب للتقصص أو للدواء ، ويقال لحديدته : السِّبَارُ وَالْمِسْبَارُ وَالْمِسْبَرُ وَالْمَكْحَلُ وَالْمِيلُ وَالْمِرْوَدُ وَالْحِرَافُ . تبين : تتبين . يضطر : يُلْجَأُ . حاطب ليل : جامع الخطب بالظلام ، وهذا مثل لأكرم بن صيفي حكيم العرب ، ذكره أبو عبيد في الأمثال^(٢) ، وقال : إنما شبهه بحاطب الليل لأنه ربّما نهشته الحية أو لسعته العقرب في احتطابه ليلا ، فكذلك المهذار ربما أصابه في إكثاره بعض ما يكره ، قال التزديق :

كحطّيبٍ ليلاً أسودَ هضبةٍ أتاه بها في ظلمة الليل حاطبةً^(٣)

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما تحتطب ، فهو يؤلف بين الخطب الكبير والصغير ، والقوى والضعيف ، والجيد والردى ، فكذلك المكثار

(١) ديوانه ٢٩٢ . (٢) فصل المقال ٢٥ ، ولفظ المثل فيه : « المكثار كحاطب الليل » .

(٣) ديوانه ٥١

يأتى بالضعيف من الكلام والقوى والجيد والردى، فشبهه لذلك بالحاطب، وأراد: بـ «جالب رجل وخيل» ما أراد بحاطب الليل، لأن الرجل ضعيف والفارس قوى. والمكثار: الكثير الكلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، كَانَتْ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ، أَلَا وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسَ كُنْ» (١).

أقيل: أقيم ورفع. عثار: انكباب وسقوط، وإقالة العائر أن تروعه من سَقَطَتِهِ، ومنه الإقالة في البيع ونحوه.

فَلَمَّا لَمْ يُسْعِفْ بِالْإِقَالَةِ ، وَلَا أَعْنَىٰ مِنَ الْمَقَالَةِ ، لَبَّيْتُ
دَعْوَتَهُ تَلْبِيَةَ الْمُطِيعِ ، وَبَدَلْتُ فِي مُطَاوَعَتِهِ جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ ،
وَأَنْشَأْتُ - عَلَىٰ مَا أَعَانِيهِ مِنْ قَرِيحَةٍ جَامِدَةٍ ، وَفِطْنَةٍ خَامِدَةٍ ،
وَرَوِيَّةٍ نَاصِبَةٍ ، وَهُمُومٍ نَاصِبَةٍ - خَمْسِينَ مَقَامَةً ، تَحْتَوِي عَلَىٰ جِدِّ الْقَوْلِ
وَهَزْلِهِ ، وَرَقِيقِ اللَّفْظِ وَجَزَلِهِ ، وَغَرَرِ الْبَيَانِ وَدُرَرِهِ ، وَمُلْحِ الْآدَبِ
وَنَوَادِرِهِ ، إِلَىٰ مَا وَشَّحَّتْهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ ، وَتَحَامِينِ الْكِنَايَاتِ ،
وَرَصَعَتِهِ فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَاللِّطَائِفِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَالْأَحَاجِي
النَّحْوِيَّةِ ، وَالْفِتَاوَى اللَّغَوِيَّةِ ، وَالرِّسَالِ الْمُبْتَكِرَةِ ، وَالْخُطَبِ
الْمُحَبَّرَةِ ، وَالْمَوَاعِظِ الْمُبْكِيَّةِ ، وَالْأَضَاحِيكِ الْمُلْمِيَّةِ ، مِمَّا أُمَلِّتُ
جَمِيعَهُ عَلَىٰ لِسَانِ أَبِي زَيْدِ السَّرُوجِيِّ ، وَأَسْنَدْتُ رِوَايَتَهُ إِلَىٰ
الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامِ الْبَصْرِيِّ .

يُسْعَفُ: يُوَاقِي وَيَنْبِيلُ الرَّغْبَةَ ، وَأَسْعَفَتِ الرَّجُلَ بِمَطْلَبِهِ : سَاعَدَتْهُ عَلَيْهِ .

والإسعاف المصدر ، وساعفته مساعفة : قضيت إرادته . ولا أعنى من القالة ، أى لم يُعنى من كلامه وإلحاحه ، وأعفيت : الرجل وعانيته : أزلت عنه ما يشق عليه ، وأصله التَّرك ، ومنه إعفاء اللحية . وهو أن يتركها على حالها ، ومنه : عفا الله عنك . لنيت : أجت وقلت : لبيك . أنشأت : ابتدأت وأخذت أفعل . أعانيه : أعالجه ، وأصلها من العناء وهو التعب . قريحه : ذهن ، وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها ، ومنه القُرحة للجراحة ، لأن أصلها مادة وشبهه الذهن بذلك لما يتولد عنه من المعانى . فطنة : ذكاء ، والفطن : الذكى . خادمة : ساكنة ، وخمدت النار : سكن لها . روية تدبّر ، وروأت الأمر ، تدبّرت كيف تصنعه ، وأصل الروية الهمز واستعملت بغير همز . ناضبة : جافة ، ونضب الماء : غار في الأرض . ناضبة : متعبة ، وهم ناصب على معنى النسب ، أى ذو نصب ، ولو جاء على انقباس لثقل : منصّب ، لأن فعله أنصبه الهم ، وقال بشر :

تَعَنَّكَ هُمٌّ مِنْ أُمَيْمَةٍ مُنْصِبٍ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا يَكْذِبُ^(١)

وَنَصَبَ نَصَبًا : أعيى من التعب . جزلة : غليظه ومتينة . غرر : جمع غرّة وهى خيار الشيء ومنه غرّة الفرس وهو البياض فى جبهته فجعلها للبيان مجازاً . دُرُّهُ : جمع دُرّة ، وهى الجوهرة العظيمة ، والكلام الحسن يشبه بالدرر والجواهر . مُلْح : جمع مُلحة ، وهى ملبح الكلام . نواذره : غرائب . وشحّتها : زينتها . الكنایات : ضرب من الألفاظ ، وأصل الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه ، إما لإبهام على جليستك أو لتعظيم أو لتحقير ، فالإبهام أن تذكر لفظاً يفهم من ظاهره غير مرادك ، مثل قوله تعالى جا كياً عن هود عليه السلام ، حين قال له قومه : ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ... قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾^(٢) ، فليس فى اللفظ زيادة على فى

(١) مطلع قصيدة فى ديوانه ٧ - ١٢ ، ورواية الشطر الثانى فيه :

* كَذَى الشَّوْقِ لَمَّا يَسْأَلُهُ وَسَيَذْهَبُ *

(٢) سورة الأعراف ٦٦ ، ٦٧ .

السفاهة ، وقد تضمن الكلام التكذيب لهم والتعظيم ، مثل كناية الرجل بأبي فلان ، ترك اسمه وعدل إلى كنيته تعظيماً له . والتحقير : أن يكون الشيء خسيماً فتأنف من ذكره فنذكره بغير اسمه ، مثل قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَا كِلَانَ الطَّعَامِ ﴾ (١) فكفى عن الحدث بالأكل لما كان يتولد عنه . رصعته : نظمته ، وألصقت بعضه ببعض ، وتاج مرصع : مزين بخرز وجوهر يُنظم فيه . اللطائف : الرقائق والكامة اللطيفة ، أي الرقيقة المعنى التي تحل في القلب فتلطفه . الأحاجي : ضرب من الألفاظ واحداً أحجية ، وهي قولك لصاحبك : أخرج ماني يدي ولك كذا ، تقول العرب : أحاجيك ماني يدي ؟ وحجياك ماني يدي ؟ وهي من الحجى ، وهو العقل .

الفتاوى اللغوية ، أَرادها المسائل المائة التي في الثانية والثلاثين ، والفتيا : إظهار الشيء المستول عنه عند السؤال . المتكررة : التي لم يسبق إليها ، وبكر وابتكر خرج بكرة ، ومنه الباكور وهو المبكر من كل شيء في الإدراك ، وبكر كل شيء : أوله . الحبرة : الزينة ، وحبرت الشيء تحبيراً زينه ، وأصلها من الحبر ، وهي ثياب تصنع باليمن فيها رقوم وتزيين . أمليت : أقيمت ، وأمليت على الصبي : أقيمت عليه ما يكتب . أسندت : رفعت .

وَمَا قَصَدْتُ بِالْإِحْمَاضِ فِيهِ ، إِلَّا تَنْشِيطَ قَارِنِيهِ ، وَتَكْثِيرَ سَوَادِ طَالِبِيهِ . وَلَمْ أُوَدِّعْهُ مِنَ الْأَشْعَارِ الْأَجْنِبِيَّةِ إِلَّا بَيِّنِينَ فَذَبْنِ ، أَمَسْتُ عَلَيْهِمَا بَنِيَّةَ الْمَقَامَةِ الْخُلُوعِيَّةِ وَآخِرِينَ تَوَامِينِ ضَمْنَتْهُمَا الْمَقَامَةُ الْكَرْجِيَّةُ (٢) ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَخَاطِرِي أَبُو عَذْرِهِ ، وَمُقْتَضِبِ خُلُوعِهِ وَمُرِّهِ .

(١) سورة المائدة ٧٥ .

(٢) ط : «خواتم المقامة الكرجية» ، وما أنبتة من ج .

هَذَا مَعَ اعْتِرَافِي بِأَنَّ الْبَدِيعَ رَحِمَهُ اللهُ سَبَّاقُ غَايَاتٍ ، وَصَاحِبُ
 آيَاتٍ ، وَأَنَّ الْمَتَّصِدِيَّ بَعْدَهُ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ ؛ وَلَوْ أَوْتِيَ بِلَاغَةَ
 قُدَامَةٍ ، لَا يَعْتَرِفُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلَتِهِ ، وَلَا يَسْرِي ذَلِكَ الْمَسْرَى .
 إِلَّا بَدَلَالَتِهِ .

الإحماض : الانتقال من شيء إلى شيء ، وأصله في الإبل ترعى الخلّة ، وهي
 حُلُو المرمى فتملّه فتنقل إلى الحِمض تأكل منه فيذهب الحمض عن قلبها استيلاءً .
 الخلاوة ، فتنشط بذلك على الرعى فيقال : أحمض الرجل إحماضاً ، والعرب تقول :
 الخلّة خبز الإبل ، والحمض فاكهتها ، فأراد به تنقله في المقامات ، من حكاية فائقة ،
 إلى قضية رائقة ، ومن موعظة تبيكي إلى ملهية تُسلي ، وفي ذلك تشبيط وترغيب .
 في قراءتها ، ونقي الللل والكسل عن قارئها . سواد : أشخاص ، ويسمى الشخص
 سواداً ، لأنه يسود الأرض بظله . أودعه : أضمنه . الأجنبيّة : التي ليست من شعره ،
 والأجنبيّ : من ليس بينك وبينه قرابة ، من الجنابة وهي البعد . فذّين : منفردين .
 هذا من شعر وهذا من آخر . توأمين : أخوين من شعرٍ واحد . أسست :
 أصلت ، والأساس أصل الحائط . الخلوانية والكرجّية : منسوبتان إلى حلوان
 والكرج ، وهما بلدان . ماعدا : ماجاوز . خاطري : ذهني . أبو عُذره ، أي
 أوّل صانع له ، يقال للمرأة : فلان أبو عُذرها ، أي أول زوج تزوجها فوجدها عذراء .
 فافتضحها وأزال عُذرتها ، أي ما بها من صعوبة . مقتضب . مقطوع . حُلوه ومُره :
 جيده ورديته .

غَايَاتٍ : جمع غَايَةٍ وهي طَلَقٌ^(١) الخليل ، والسَّبَّاقُ منها الذي يجيء أبداً سَبَّاقاً .

(١) الطلق : الشوط الواحد في جرى الخيل .

المتصدى : المتعرض . بلاغة : فصاحة ، وأصلها أن يبلغ الإنسان من الكلام والحجة ما أراد .

[ذكر قدامة بن جعفر]

قدامة ، هو أبو الوليد^(١) بن جعفر ، كان بليغاً مجيداً عالماً بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها ، وله كتاب يعرف بسرّ البلاغة في الكتابة ، وترجمته تدلّ على متضمنه ، وله تحقيق في صنع البديع يتميز به عن نظرائه ، وتدقيق في كلام العرب يُرَبِّي فيه على أ كفاؤه ، وتحذيق في علوم التعليم أضرم فيها شعلة ذكائه ؛ فلذلك سار المثل ببلاغته ، واتفق المتقدم والمتأخر على فضل براعته .
الفضالة : البقية من الماء وغيره ، وهي ما فضل عن الحاجة . واغترفها : أخذها بيده يسرى ذلك السرى : يقصد ذلك المقصد ، وأصل يسرى ، يسير بالليل . دلّالته : تقدمه وهدايته ، وتفتح دالها وتكسر ، والفتح أكثر .
والدليل بالفلاة : الذي يهدى القوم قصدم .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

فَلَوْ قَبِلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً

بِسُعْدَى شَفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَأَكْرَنَ بَكَّتْ قَبْلِي فَمَيِّجٌ لِي الْبُكَاءِ

بُكَاهَا ، فَقُلْتُ : الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

(١) كنيته في معجم الأدباء ١٨ : ١٢ ، أبو الفرج ، واسمه قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب . قال : « كان أحد البلاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ؛ ومن يشار إليه في علم المنطق » - (٣ - شرح مقامات الحريري)

مبكاها : بكاءها . صباة : شوقا هيج : حرك ، والبيتان لعدى بن الرقاع ، وقبلهما :

وتما شجاني أنتى كنت نائماً أعللّ من فرط الكرى بالتشم^(١)
إلى أن دعت ورقاع في غصن أيبكة تردّد مبكاها بحسن الترميم
فلو قبل مبكاها . . .

[عدى بن الرقاع]

وعدى هو أبو زيد بن مالك ، ينتمى إلى معاوية بن الحارث ، وينسب إلى الرقاع وهو جدّ جدّه . وكان شاعراً مقدّماً عند بني أمية ، مداحاً لهم ، خاصّاً بالوليد بن عبد الملك ، ومنزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ، وكان من أوصف الناس للعطية ، وكذا ذكره صاحب الأغاني^(٢) في ترجمته . وقال نوح بن جرير لأبيه : من أنسب الناس^(٣) ؟ قال : ابن الرقاع في قوله :
لولا الحياء وأن رأسى قد عسا فيه الشيب لزلت أمّ القاسم^(٤)
وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده التماس فرنقت في عينه سنة وليس بناأم

* * *

أقرّ الحيرى هنا للبديع بالفضل ، وجعله سبّاقاً للغايات ، وما أحسن هذا الأدب منه ، مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ، ومن أدلّ دليل على ذلك أنه منذ ظهرت مقامات الحيرى لم تستعمل مقامات البديع ، ثم إنه طبّق استعمالها آفاق الأرض ، إلا أنه أسرّ هنا شيئاً ، لأنه ختم كلامه ، بأن البديع فضله بالتقدم ؛ وهذا منه مذهب مستحسن ، ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ،

(١) الكامل للمبرد ٣ : ١٢٥ ؛ قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أن الشعر مصيب .

(٢) الأغاني ٩ : ٣١٠ ؛ الشعراء

(٣) الأغاني ٩ : ٣١٣ ، وعسى ، أى اشتد وانتشر .

ثم لم ير لنفسه قدراً في قوله : « وإن لم يدرك الظالعُ شأوَ الصليح » ؛ فجعل نفسه كالفرس الأعرج الذي جريه إذا اجتهد دون مشى الصحيح ، وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل التوتة . ثم لما بلغ إلى هذا الموضع بعد أسطار صرح في الظاهر للسامع بأن البديع سبقاى غايات ، وصاحب آيات ، وأومى لمن فطن ، أنه إنما فضله بتقدم الزمان . ثم خلط الكلام في الخفاء بين المتقدمين والمتأخرين ، ثم تناسى ذلك إلى آخر الكتاب في السابعة والأربعين ، وصرح هناك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيله نفسه على البديع ، حيث يقول :

إن يكن الإسكندري قبلي فالطلّ قد يبدو أمام الوبل
* والفضل للوابل لا للطلّ *

ولو كان غيره من العلماء المنسويين إلى سوء الأدب، ورأى فضل مقاماته ، لدمّ البديع ونقص كتابه فكان ينعكس الذمّ عليه ؛ وكذا رأينا في الغالب من ادعى لنفسه فضلاً ، وازدرى غيره ، أنه قلما يكون إلا ممقوتا ، فلما أظهر الحريري مدح البديع ، ووقاه قسطه من التفضيل والترفع ، ولم ينظر إلى نفسه إلا بطرف خفي قلّ من يتفطن له ، ستر الله عليه ورفع صيته ، ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة . فشرق حتى لم يجد ذكر مشرقٍ وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب^(١) . فلا يذمّ كتابه إلا أحد الرجلين فذين ذكرهما ؛ إما جاهل ، أو حاسد .

[القديم والحديث في الأدب]

ومذهب الناس في تفضيل الحديث على القديم ؛ وأكثرهم على تفضيل القديم ، وقد أحسن حبيب حيث يقول :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى • ما الحبّ إلا للحبيب الأول^(٢)

(١) ط : « مغرب . . . مشرق » ، والوجه ما أثبتته من ا ، ب .

(٢) ديوانه ٢٥٧ .

كم منزلٍ في الأرض يألفه اللقي وحتيئنه أبدأً لأول منزلٍ
وقال :

لَا زِلْتَ مِنْ شَكْرِي فِي حُلَّةٍ لِأُسْبَاهَا ذُو سَلْبٍ فَآخِرٍ (١)
يقول من تفرع أسماعه : ما ترك الأول للآخر
وذكر ابن شرف علة ذلك فقال :

أولع الناس بامتداح القديم وبذم الحديث غير الذميمة
ليس إلا لأنهم حسدوا الحى ومالوا إلى العظام الرميم (٢)
وللتأخرين شعر كثير في تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين ؛ من أحسنه
قول المرثى :

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه لآتٍ بآلمِ نُستطمه الأوائل (٣)
وقال ابن عمار :

أنا ابنُ عمار لا أخفى على أحدٍ إلا على جاهلٍ بالشمس والقمرِ
إن كان آخرنى دهرى فلا عجبٌ فوائداً لكتبٍ يُستلحقن في الطررِ
والذى ذكر أبو العباس في الكامل هو الحق ، قال : وليس لقدم العهد
يفضّل القائل ، ولا لحدائثة العهد يُهضم المصيب ، ولكن يعطى كلُّ ما يستحق (٤)

[القول في الحمام]

وأما بيت عدى في الحمام ، فالحمام قد كثرت ذكر العرب لها في أشعارها ، ونلم
هنا بفصل منها ؛ يروى عن عليّ رضي الله عنه أنه اشتكى إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحشة فقال له : « اتخذ حمامةً تؤنسك وتصيب من فراخها ، وتوقفك
للصلاة بتفريدها » .

(١) ديوانه ١٤٣ .

(٢) ألف باء : ١٠٩ ، ٦٠ .

(٣) سقط الزند ٥٢٥ .

(٤) الكامل ١ : ٢٩ .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتخذوا الحمام فإنها تلهي الجنَّ عن صبيانكم »^(١) .

وروى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر إلى الحمام الأحمر وإلى الأترج .

وكان إبراهيم بن سيار يعجب بالحمام ، وكان إذا ذكرها يقول : إن الله جمع فيها حسن النظر ، وكرم الخبر ؛ تكفيك مؤنتها ، وتكثر لديك معونتها ؛ فهي للطارق عُدَّة ، وللمستوطن لذة ، تطعم في الصحراء ، وتعود عليك بالسَّراء ، ويأنس الوحيد بحركاتها ، وتغنيه عن الأوتار بنغماتها ؛ وغيرها من الطير يستعجم وهي ناطقة ، وينفر عنك وهي داجنة ، وفي طباعها سكونٌ إلى الناس واستئناس بهم ، وهي طير عفيف ، يبقى الذَّكر بعد الأنثى مفرداً ، والأنثى مثل ذلك ، مع شدة اتفاقهما على المحبة ، إن طارا طارا معاً ، وإن وقعا وقعا معاً ، لها سرعة طيران ، لا تكاد تصيدها سباع الطير إلا بحيلة .

ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتفريد البلبل والورشان ، وقد ذكرت العرب من رقة تسجيحه ما يبعث التذكُّر ، ويولد الشجون ، ويهيج الأسى ، ويجدد رقة القلب ؛ حتى يجعل البكاء فرضاً معها ، والتصابي لازماً لأجلها ، وأعراب وادى القرى إذا ظفروا بشراب الطائف ، أتوا حوائط النخل عند استعلاء الظهيرة ، إذا صارت الوراشين والفواخت إلى تلك الظلال ، فيشربون ويأنسون بتفريدهنَّ ، ويقيمون ترجيع أصواتهنَّ مقام المزامير والأوتار . وأنا أسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر ، كقول أبي صخر الهذلي :

ولمادعتْ غوريَّةُ الأيكِ سَجَّعتْ فسجَّع دمعِي يستهلُّ ويستشرى^(٢)

(١) الحمام الصغير ١ : ٩ ، ولفظه : « اتخذوا هذه الحمام المقاصيس » .

(٢) زيادات شرح أشعار الهذليين ١٣٢١ ، عن الشريشي .

يذكرني شجوي دعاه حمامةً ويبعث لوعاتِ الصَّباةِ في صدري
بكتُ حزناً رزءَ الهديلِ وشفني فراقُ حبيبٍ ضاقَ عن فقدِهِ صبري
وأنشد الأصمعي فقال :

أيها البلبل المغرّد في النَّخْل غريباً عن أهله حيراناً
أفراقاً تشكوه أم ظَلتَ تدعو فوق أفنان نخله ورشانا!
هاج لي صوتك المغرّد شجواً ربّ صوتٍ يهيج الأحراناً
وقال آخر :

أحنّ إلى حوائطِ ذاتِ عرقٍ لتفريدِ الفواخيتِ والحمامِ (١)
ألمّ بها بكلّ فتى كريمٍ من الفتيان مخلوع الزمامِ
وقال آخر :

إذا غنّت على الأغصان وُرُقُ أجبنائها بإعمال المدامِ
وقال آخر :

سُفِينيك عن مزمارِ آلِ محرقٍ وصرعهم تغريد تلك الحمامِ
بأيكّةِ أطيار تجاوبن بالضحى على باسقاتٍ مائلاتٍ نواعمِ
وأنشد أبو عليّ عفا الله تعالى عنه :

ومن بستان إبراهيم غنّت حمامٌ بينها فننّ رطيب (٢)
فقلت لها وقيتِ سهامِ رامٍ ورقط الريش مطعمها الحبوبُ
كما هيّجت ذا حزنٍ معنيّ على أشجانهِ فبكي الغريبُ
وقال نصيب :

لقد هتفت في جنح ليلِ حمامةً تبكي على إلفٍ وإني لنائم (٣)

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق . وهو الحد بين نجد وتهامة - ياقوت .

(٢) البيت الأول في معجم البلدان ٢ : ١٧٠ ، وقال : « وأنشد الأبيوردى لهمضم »
وبستان إبراهيم في بلاد أسد .

(٣) من أبيات أربعة في ديوان المهنون . وكذا نسبها صاحب نثار الأزهار ٧٥ .

كذبتُ وبيت الله لو كنتُ عاشقاً لكما سبقتني بالبكاء الجائِمُ
 وأنشد أبو العباس لمحمد بن ثور :
 وما هاجَ هذا الشوقَ إلاَّ حمامةٌ دعت ساقَ حرٍّ ترحةً وترنماً^(١)
 مُجَلَّاةٌ طوقٍ لم يكن من تميمِ ولا ضربَ صَوَانِجٍ بكفيه درهما
 تَغَنَّتْ على غصنٍ عِشاءٍ فلم تدعُ لنائحةٍ في نوحها متلوّما
 إذا حرَّ كفتهُ الريحُ أو مال ميلةً تَغَنَّتْ عليه مائلا ومقوّما
 عجبت لها أني يكون غناؤها فصيحاً ولم تغفرَ بمنطقها كما
 فلم أرَ مثلي شاقه صوتُ مثلها ولا عَرَبِيًّا شاقه صوتُ أعجما
 وقال حبيب :

لتضعضت عبراتُ عينك أن دعتُ ورقاه حين تضعض الإظلام^(٢)
 لا تشجّينَ لها نين بكاءها ضحك وإنَّ بكاءك استغرامُ
 هنَّ الحمام ، فإن كسرت عيافةً من حائِنٍ فإيهنَّ حِمامُ
 وسمع حبيب بخراسان غناءً بالفارسية ، فلم يدر ما هو ، غير أنه شوقه فقال :
 حَمْدُكَ لَيْلَةٌ شَرُفَتْ وطالتُ أقام سهادُها ومضى كراها^(٣)
 سمعتُ بها غناءً كان أولى بأن يقتاد نَفْسِي مِنْ عَنَّاها
 ومسمعةٌ يحارُّ السمعُ فيها ولم تصممه لا يصممُ صداها

(١) الكامل ٣ : ١٢٤ ، قال : « أما قول حميد : دعت ساق حرٍّ ؛ فإنما حكى صوتها » . وفي شرح الديوان : هو ذكر القارى . وبمده في الكامل :

إذا شئتُ غَنَّتني بأجراع ييشةٍ أو النَّجْل من تثليث أو بيللها
 مطوقة خطبائه تسجعُ كَلِّما دَنَا الصَّيْفُ وأنجاب الربيعُ فأنجمَا

انجال : ألقم . وانظر ديوان حميد ٢٤ - ٢٧ .

(٢) ديوانه ٢٧٩ وروايته « انحدرت » .

(٣) ديوانه ٤٦٧ ، وروايته :

شَكَرْتُكَ لَيْلَةٌ حَسَنَتْ وطلبتُ أقام سرورها ومضى كراها

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجعل شجأها
وظلت كأتى أعمى معنى يحب الغايات ولا يراها
يعنى بهذا الأعمى بشاراً حيث يقول :

ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً^(١)
قالوا بمن لا ترى تهذى! فقلت لهم: الأذن كالعين توفى القلب ما كانا^(٢)

* * *

وَأَرْجُو أَلَا أَكُونَ فِي هَذَا الْهَذَرِ الَّذِي أوردتهُ ، وَالْموردِ
الَّذِي توردتهُ ، كَالْبَاحِثِ عَن حَتْفِهِ بِظَلْفِهِ ، وَالْجَادِعِ مَارِنِ
أَنفِهِ بِكَفِّهِ ، فَالْحَقُّ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ صَلَّ سَمِيهِمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

* * *

قوله : « الهذر الذى أوردته » ، أى الإكثار الذى أتيت به ، وقد تقدم
المورد^(٣) . وتوردته : اقتحمته . الباحث : المفتش ، والظلف : اللبقر والظنم كالحافر
للخيل والحير . وهذا مثل للعرب : وذلك أن ماعزة كانت لقوم ، فأرادوا ذبحها
فلم يجدوا شفرةً ، فنبشت بظلفها فى الأرض ، فاستخرجت منها شفرة ، فذبحوها
بها ، وقالوا : بحث عن حتفها بظلفها ، فسارت مثلاً . وقال الشاعر :
وكانت كعنز السوء قامت بظلفها إلى مُدْيَةٍ تحت الثرى تستثيرها^(٤)

(١) الأغاني ٣ : ٢٣٨ .

(٢) صفحة ١٨ من هذا الجزء

(٣) توفى ، أى تبلغ .

(٤) للفرزدق ، ديوانه ٧١ ، وروى أبو عبيد قبله :

وكان يُجِير النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ فَأَصْبَحَ يَبْنِي نَفْسَهُ مَنْ يَجِيرُهَا

وقال أبو الأسود :

فلا تكُ مثل التي استخرجت بأغلافيها مُدِيَّةً أو بفيها^(١)
 فقام إليها بها ذابحٌ ومن يدعُ يوماً شعوباً يجيها^(٢)
 ولفظ المثل عند أبي عبيد « كالعنز تبحت عن اللدبة »^(٣) والجداع : القاطع
 الأنف . وللمارن : طرف الأنف ، وأراد به قصيراً مولى جذيمة الأبرش . وقد ذكرنا
 قصته في شرح الرابعة والعشرين . ورجا المصنف ألا يدركه من الضرر ما أدركا^(٤)
 من الضرر حين جنياً على أنفسهما وانتفع غيرهما . ضلّ سعيهم : خابت أعمالهم ،
 وأصل ضلّ ، تحير فلم يدر أين يتوجه ، وأصل السعي المشي بسرعة . سمع أعرابي
 رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ، فقال : أنا أعرفهم ، قيل له :
 ومن هم ؟ قال : الذين يبرّدون ويأكل غيرهم .

عَلَى أَنِّي وَإِنْ أَعْمَضَ لِي الْفِطْنُ الْمُتَغَابِي ، وَنَضَحَ عَنِّي
 الْمُحِبُّ الْمُحَابِي ، لَأَأْكَادُ أَخْلَصُ مِنْ غَمْرِ جَاهِلٍ ،
 أَوْ ذِي غَمْرِ مُتَجَاهِلٍ ، يَضَعُ مِنِّي لِهَذَا الْوَضْعِ ، وَيَتَدَدُّ بِأَنَّهُ
 مِنْ مَنَاهِي الشَّرْعِ .

وَمَنْ نَقَدَ الْأَشْيَاءَ بِعَيْنِ الْمَقُولِ ، وَأَنعمَ النَّظَرَ فِي مَبَانِي
 الْأَصُولِ ، نَظَمَ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ ، فِي سِلَكِ الْإِفَادَاتِ ، وَسَلَكَهَا
 مَسَلَكَ الْمَوْصُوعَاتِ ، عَنِ الْمَجْمَاوَاتِ وَالْجَمَادَاتِ .

(١) ديوانه ٢٢ (ضمن مجموعة نقائس المطومات) .

(٢) رواية الديوان : « ومن يدع يوماً شعوباً » ، والشعوب : علم على النية .

(٣) فصل القتل ٢٨٨ . (٤) كذا في ا و ف ط : « أدركما » .

أغمض : سامح وسدّ عينيه عمّالم يرض . والفطن : الذكيّ . المتغابي : المتجاهل
عن الشيء وهو عارف به ، وهو مما يُحمد به الرجل ، قال حبيب :
ليس الغبيّ بسَيِّدٍ في قومه لكنّ سيِّد قومه المتغابي (١)

ونَصَحَ بالماء : غسل . الحبابي : الذي يفضّلني على غيري ، وحباني : اختصّني
بالعطية ، وأصل حاباه أن تعطيه ويعطيك ، وقد يكون في معنى «حَبَاه» . الغمّر :
الجاهل ذي غمّر : صاحب عداوة . متجاهل : مستعمل للجهل وهو على خلافه ؛
يقول : إن سدّ عينيه عن عيبي فطنٌ ذو عقل ، أو تغابي حين يبصر لي خطأ ، أو رأى
لي ذلك العيب محبّ ، فجعل يفسله عنّي لحبته لكلامي ؛ فلا أخلص مع ذلك ،
إمّا من جاهل يعيب ما لا يفهم ، أو من عارف يُظهر لي عداوة وحسداً ، فيردّ حسني
قبيحاً ، وهو عارف بحسني ؛ فيشيع في الناس أن المقامات أكاذيب ، وهو
عارف بنصائها وما قصد بها .

[من أقوالهم في الحقد مدحا وذمّاً]

والغمّر : الحقد ، وصاحبه مذموم ، ولا أعرف من تعرّض من الفصحاء
لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جاء به إلى الرشيد في
قيوده ، فقال له ابن خالد - وأراد أن يبيّته : بلغني أنك حتود ، فقال عبد الملك :
أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر ؛ إنهما لباقيان في صدري -
وفي رواية أخرى : إنما صدري خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شرّ -
فقال الرشيد : والله ما رأيت أحدا احتجّ للحقد بمثل ما احتجّ به عبد الملك ،
فتفتح الباب لابن الروميّ ، فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد :
لئن كنتُ في حفظي لما أنا مودّعٌ من الخير والشرّ انتحيت على عرقبي

(١) ديوانه ، الورقة ١٥٤ مخطوطة دار الكتب رقم ١٢٩ - أدب

لَمَّا عِبْتَنِي إِلَّا بِفَضْلِ أَمَانَةٍ وَرَبِّ أَمْرِي يُزْرِي عَلَى خُلُقٍ مَحْضٍ^(١)
 ولولا الحقود المشككات لم يكن
 لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض
 وما الحقْدُ إلا توهم الشُّكْرِ في الفتي
 وبعض السجايا ينتسب إلى بعض
 فحيث ترى حِقْدًا على ذي إساءة
 فتمَّ ترى شُكْرًا على حَسَنِ العَوْضِ
 ثم رجع إلى الطريقة المثلى، فانتحل المذهب الأعلى، وقال بعيبه، ضاربا بسهم
 البلاغة في الوجيهين :

يامادح الحقد محتالا له شُبُهًا لقد سالت إليه مسلكا وعنا^(٢)
 يادافن الحقد في ضِعْفِ جَوَانِحِهِ ساء الدِّين الذي أضحته جدثا
 الحقدُ داءٌ دَوِيٌّ لَدَوَاءٍ لَهُ يَرِي الصدور إذا ماجمَّره خُرثا
 فاستشفيته بصفحٍ أو محادثة فإتما بُبرأ الصدور ما نقثا
 إنَّ القبيح إذا أصلحت ظاهره يعود ما لم منه مرة شعنا
 كم زخرف القول ذوزورٍ ولبسه على العقول ولكن قلنا لبنا

قوله: « يضع مني » أي يحط من منزاتي . الوضع : السكتاب . يندد : يشهر
 العيب، وندد به، إذا أسمعته المكروه . قد الأشياء : فتش وبحث عايبها . العقول =
 العقل . أنعم : بالغ . وأصل النّظْم جعل حبات الجوهر في خيطها وضمها فيه لغيرها ؛
 ثم سُمِّي بيتُ الشعر نظاما، لأن الكلام فيه ملتصق ببعضه ببعض كحبات الجوهر .

(١) الديوان : • إلا بما ليس عاني . . . « وكم جاهل يزري » .

(٢) ديوانه الورقة ٤٥ ، مطبوعة دار الكتب ١٢٩ - أدب .

والبيت يضمه كالخيط ، والسلك : خيط الجواهر . والإفادات : الفوائد . سلك : قصد. الموضوعات : الكتب المؤلفة ، أى أدخلها مدخل هذه الكتب . المعجاوات : البهائم ، وسميت واحدها عجماء لأن صوتها لا يفهم منه معنى . والمجادات : ما عدا الحيوان ، وأراد ما أُلّف من الكتب مما لا حقيقة له فى الظاهر ، وقد صمّن الحكم الشافية فى الباطن ، مثل كتاب كليله ودمنة وغيره مما أُلّف على السنة ك ما لا عقل له ولا روح . وكذلك المقامات ، وإن كان ظاهرها كذباً فالقصد بها تمرين الطالب وتهذيبه وتدكية عقله ، وأن يكتسب تجارب الدنيا من حكايات السروجى ، فيكون متنبهاً لما يطرأ عليه من التوازل ، فتؤمن على عقله الفغلة α والخديعة ، إلى ما يضاف إليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر ، فإنها أعون شىء عليها .

[مما روى من الحكم على السنة البهائم وغيرها]

ومما يحكى على السنة البهائم ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينا راع فى غنم إذ عدا عليها الذئب ، فأخذ شاة منها ، فطلبه الراعى منه حتى استنفذها ، فالتفت إليه الذئب وقال : من لها يوم السَّبْع ، يوم ليس لها راع غيرى ! « (١) .

بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها ، فالتفت إليه البقرة فكلمته فقالت : أنا لم أخلق لهذا ، وإنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! تعجبا وفزعاً ؛ أبقرة تتكلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإنى مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر » (١) .

السَّبْع ، بسكون الباء : أرض الحشر والسبع : الفزع . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقتاتوا اليهود وحتى يختبئ اليهودى وراء الحجر فيتمول الحجر : يا عبد الله ، يا مسلم هذا يهودى مورأى فاقته » (٢) .

(١) صحيح مسلم ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ ، (٢) صحيح مسلم ٢٢٣٩

قالوا. خرج أسد وذئب وشعاب يتصيدون، فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: أقسم بيننا هذا، فقال: الحمار للملك، والغزال لي، والأرنب للشعاب؛ فرفع الأسد يده فضربه ضربة، فإذا هو مجدل بين يديه. ثم قال للشعاب: أقسمها، فقال: الحمار يتعدى به الملك، والغزال يتعشى به، والأرنب بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أفضاك! مَنْ عَلَّمَكَ هذا القضاء؟ قال: رأس هذا الذئب. وحدث الشعبي، قال: صادر رجل قُبْرَةً، فقالت: ما تريد أن تصنع في؟ قال: أذبحك وآكلك، فقالت: والله ما أشبع من جوع، وخير لك من أكلى أن أعلمك ثلاث خصال: واحدة وأنا في يدك، والثانية وأنا على الشجرة، والثالثة وأنا على الجبل؛ قال: هاتى: قالت: لا تلهفن على ما فات، نخلى سبيلها، فلما صارت على الشجرة قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون، فلما صارت على الجبل قالت له: يا شقى لو ذبحتنى أخرجت من حوصلتى درّتين، كل واحدة عشرون مثقالاً، قال: فعضّ الرجل على شفته تأنهاً، ثم قال: هاتى: الثالثة، فقالت: أنت قد نسيت ثنتين فكيف أخبرك بالثالثة! ألم أقل لك: لا تلهفن على ما فات، ولا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون! أنا ولحمى ودمى وريشى لا يكون فى عشرون مثقالاً، فكيف يكون فى حوصلتى درّتان كل واحدة عشرون مثقالاً! ثم طارت وذهبت. وأمثال هذه الملاح أكثر من أن تحصى.

* * *

وَلَمْ يُسْمِعْ بِمَنْ نَبَأَ سَمِعَهُ عَنِ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ ، أَوْ أَيْمَ رَوَاهَا
فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ .

نَمَّ إِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَبِهَا انْعِقَادُ الْمُقَوِّدِ الدِّيْبِيَّاتِ ،
فَأَيُّ حَرَجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلِحًا لِلتَّنْبِيهِ ، لَا لِلتَّمْوِيهِ ، وَنَحَا بِهَا
مَنْحَى التَّهْدِيْبِ ، لَا الْأَكَاذِيْبِ ! وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ مَنْ

اِتَّدَبَ لِتَعْلِيمٍ ، أَوْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ !
 عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أُجِلَّ الْهَوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ ، لَا عَلَى وَلَا لِيَا
 قوله : « نبا سمعه » أى ارتفع ، وأصله فى السَّيْفِ إِذَا ارْتَفَعَ فَلَمْ يَمُضْ فِي الضَّرْبَةِ .
 أَيْمٌ : جعلهم أصحاب أَيْمٍ . انعقاد العقود ، أى ارتباط العقائد . حرج : إثم ، وأصل
 التحريج التضيق . للتنبية ، أى لينبه به الغافل الذهن فيجعله حاضر الخاطر . نحا
 منحنى : قصد مقصد . التهذيب : التاخييص ، وهدت الطالب : أخرجته وخلصته ،
 ورجل مهذب : مخلص من العيوب . ويروى : ندب وانتدب ، فندب دعا ، وانتدب
 أجاب . وهدى : أرشد . صراط مستقيم : طريق معتدل ، ومن فعل ما ذكر
 ماجور غير آثم ، لكن مع هذا رضى أن يخلص ممن يتكلم فى كتابه بتعميب ،
 وأن يخرج من هذا الكتاب كفاً لا أجر ولا وزر ؛ بل نرجوه الأجر على تبة
 الإفادة والتعليم ، إن شاء الله تعالى .

وَبِاللَّهِ اعْتَصِدْ ، فِيمَا اعْتَمَدُ ، وَأَعْتَصِمُ بِمَا يَصِمُ .
 وَأَسْتَرْشِدُ ، إِلَى مَا يُرْشِدُ ؛ فَتَا الْمَفْرَعُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا
 الْإِسْتِعَانَةَ إِلَّا بِهِ ، وَلَا التَّوْفِيقُ إِلَّا مِنْهُ ، وَلَا الْمَوْزِلُ
 إِلَّا هُوَ ؛ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ ، وَهُوَ
 نِعَمَ الْمُعِينُ !

أعتضد: أستعين. أعتمد: اقتصد. أعتصم: أمتنع. يصم، يعيب. أسترشد: أستهدى. يرشد: يهدى ويدلّ على الخير. والمفرزع: اللجأ، وكذلك الموثل. وتقول: فرعتُ إلى فلان، إذا لجأت إليه واستعنت به ليحميك ويمنعك، وفرعت منه: خفته، والمفرزع الذي ذكره مصدر بمعنى الفرع. وتقول: وأت من ذلك، إذا نجوت منه، وأنت موثلى منه، أى الذى تنجيتى منه. والمفرزع: الموثل والحصن، تفرع إليه فينجيك من طالبك. أنيب: أرجع. والإنبابة: الرجوع إلى الله تعالى والتوبة إليه.

المثامنة الأولى وهى الصنعانية

حدث الحارث بن همام قال : لما اقتعدتُ غاربَ الاغترابِ ،
وأنا نتي المتربةَ عن الأترابِ ، طوّحتُ بي طوائِحُ الزمنِ ، إلى
صَمَماءِ اليَمَنِ ، فدخَلتُها خاوى الوفاضِ ، بأدى الإنفاضِ ؛ لا أملكُ
مُبلغةً ، ولا أجِدُ فى جِرابِ مُضغمةً .

* * *

إن قيل : لأى معنى اختار الحيرى حارثاً وهاماً وأبا زيد، دون غيرهم من
الأسماء؟ فالجواب أنه إنما قصدهم لأنهم أصدق الأسماء، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى الحديث المرفوع : « تَسَمَّوا بأسماء الأنبياء ، وأحبُّ الأسماء إلى الله
عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة » (١) .
وصدقهما أنه ليس أحداً إلا وهو يحرث ، أى يحاول النكسب أو يهجم بحاجته .
وأما أبو زيد ، فإن صدق أنه إنسان بعينه كما تقدم فى الصدر وقم الاكتفاء
به ، وإن لم يصدق فقد حكى أهل اللغة أنه كنية الكبر ، وأنشد ابن قتيبة :
أعار أبو زيد يمينى سلاحه وحده سلاح الدهر للمرء كالم (٢)
و كنت إذا ما الكلب أنكر أهله أفدى ، وحين الكلب جذلان نائم
سلاحه : العصا . وإنكار الكلب أهله ، إذا لبسوا السلاح . وجذلان نائم ، فى
الجدب إذا ماتت المواشى فيشبع من لحومها وينام . وقال ابن الأعرابي : يقال للشيوخ
الكبير : أبو زيد وأبوسعيد . والمروجى فى الغالب إنما يصفة بالكبر والمهرم .

(١) نقله فى الجامع فى الصغير ١ : ٢٢٤

(٢) ما يتول عليه ، مصورة مكتبة المجمع النورى الورقة ٢٠١ .

فوقعت التسمية لغوية، وإنما عني بالحارث بن همام نفسه، لأنه يصفه بأشياء لاتليق إلا بالدهر، مثل قوله :

وكل سرح فيه ذئبي عاثُّ حتى كأني للأنام وارثُ

* سامهم وحامهم وياثُّ *

ومثل قوله :

ووترت أربابَ الأرا نك والدّرانك والسجوفِ

وهي كثيرة، وفي الحمسين له كلام لا يليق إلا بالدهر، فجعل أخذ الحارث من أبي زيد، كناية عن علم الحريري بما جرب من صروف الدهر.

قوله : «اقتعدت» أي ركبت، وأصله اتخذت قعدة أو قعوداً، وهما اسمان للبعير يقعد عليه راكبه . والفارب : مقدم سنام البعير . والاغتراب والغربة : التحول في البلدان والبعد عن الأوطان، وسيأتي ما أصلهما، وأراد : لما اتخذت ظهر الغربة قعوداً. أنا تني : أبعدتني . المتربة : الفقر . الأتراب : الأصحاب على سنن واحد . طوّحت : رمت .

وطوايح : نوايب ؛ تقول : طوّحتُ بالرجل ، إذا رميت به إلى الهلاك ، وقياس الطوايح الطواوح لأنك تقول : طوّحت فهي مطوّحة والجمع مطوّحات ومطواوح . قال أبو عبيد : جاءت الطوايح على حذف الزيادة ، وردّ الفعل إلى أصله ، فإنه من طاحت فهي طائحة ، والجمع طوايح ، قال أبو عمرو الشيباني : جاءت على النسب ، مثل لابن وتامر ، أي ذو لبن وذو تمر وذات تطويح ، قال الشاعر :

(٤ - شرح مقامات المريري ١)

لِيُبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخْصُومَةٍ وَغَتَبِطٌ مَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ^(١)

ومثله ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ﴾^(٢) : تقديره ملاقح ، لأنك تقول : أَلْفَحَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ إِذَا جَمَعَتْهُ وَأَلْفَتَهُ . وضارع مرتفع بمضمر تقديره : يبكيه ضارع ، وهو الدليل .

* * *

[مدينة صنعاء]

صنعاء ، بلد اليمن ، وأضافها إلى اليمن ، لأنَّ تَمَّ صنعاء أخرى ، وهي قرية بدمشق . وكان اسم صنعاء في التديم « أزال » ، قال ابن الكلبي والشرقي^(٣) : ولما واقمها الحبشة قالوا : نعم ، فسُمِّيَ جبلها نعم^(٤) أى انظر ، فلما نظروا إلى مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا : هذه صنعاء ، وتفسيرها هنيئة ، فسُمِّيَتْ صنعاء^(٥) .

وحكى الهمداني قال : وأهل صنعاء يقولون في الإسلام : إثمها القرية المحفوظة ، وأنهم سمعوا هاتماً يقول في بعض أيام من حاربهم : كلُّك عليك يا أزال ، وأنا أتمحن عليك !

وأقدم قصور اليمن وأنبهها ذكراً ، وأبعدها صيناً ومحمدان وقصر أزال ، وهي صنعاء .

(١) لهشل بن حري ؛ في مرثية له ؛ وهو من شواهد الكتاب على أن الفعل المستند إلى ضارع « حذف جوازا ، أى يبكيه ضارع . خزنة الأدب للبغدادي ١ : ١٤٧ .

(٢) سورة الحجر ١٥ .

(٣) هو الشرقي بن القطامي ، واسمه الوليد والشرقي لقب له .

(٤) في ياقوت : « نعم ، أحد حصون اليمن » .

(٥) في ياقوت : « قالوا : هذه صنعة ، ومعناها حصينة » .

والذي أسس عُمدان وابتدأ بنيانه، واحتفر بئرَه الذي هو اليوم سِقاية لمسجد جامع صنعاء، سام بن نوح عليه السلام، على ما يذكره علماء صنعاء واليمن، وذلك أنه لما مات نوح اجتوى بعده السكنى في الأرض الشماليّة، فأقبل طالعاً في الجنوب يطلب أطيب البلاد، حتى صار إلى الإقليم الأوّل، فوجد اليمن أطيبه مسكناً، وصنعاء أطيبَ اليمن، فوضع مقراته — وهي الخيط الذي يقدر به البناء ويبني على حدّه — فوضع الأساس في ناحية فَجَّ عُمدان في غربيّ الجبل، وهو اليوم معروف بصنعاء، فلما ارتفع بعث الله طائراً، فاخطف المقرّة فطار بها، وتبعه سام، لينظر أين يقع؛ فأمّ بها جنوب النعم من سفح نعم، فوقع بها، فلما اتبعه طار بها، وطرحها على حَرّة عُمدان، فلما قرّت، علم سام أنه قد أمرَ بالبناء هنالك؛ فأسس عُمدان، واحتفر بيده بئرَه المسَمّى كرامة، ويُسَمّى منها إلى اليوم لكنها أجاج (١).

خاوى الوفاض: فارغ المزود، ويقال: خوى الرجل، إذا سجد فترك بين جسده وبين الأرض خواء، وخوى البعير: برّك على هذه الحال. والوافض: جمع وَفْضَةٌ وهي شبه الجراب، وهي أيضاً كنانة السهام إذا كانت من جلد لا من خشب، فإن كانت من خشب مجلّد أو غير مجلّد فهي كنانة أو جُعْبَةٌ.

ابن سيده في المحكم: الوفضة خريطة يجمل فيها الراعى أذاته وزاده. والوفضة: جُعْبَةُ السهام. قال أبو منصور الأزهريّ معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم «أنه أمر بصدقة [أن] توضع في الأوافض»: (٢) إنهم أخلاط الناس. قال الفراء: هم أهل الصُّفّة. أبو عبيد: هذا كلّه عندنا واحد؛ لأن أهل الصُّفّة أخلاط من قبائل شتى، ويمكن أن يكون مع كل واحدٍ منهم وَفْضَةٌ، فعلى هذا من قُضِر الوفضة

(١) معجم البلدان ٤ : ٣٨٦ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٥ : ٢١٠ ، قال في شرحه : « هم الفرق والأخلاط من الناس » .

على الجُعبَة ، وخطأ الحريرى بأن الزاد لا يكون في الجُعبَة ، فهو الخَطَى
والجاهل باتساع اللغة . بادی الإفاض : زاهر القفر ، وقد أنفض ، إذا فنى زاده .
وأنفض الجراب إذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد ، ومنه قولهم : الأنفاض
يُقَطَّرُ الجَلَبُ ^(١) ، أى فناء زادهم يحمل إبلهم قطاراً ، أى مربوطة بعضها خلف
بعض ، تساق إلى السوق فتباع ، فيما كلون ثمنها ، قال الهذلي :

لَه طَيِّبَةٌ وَلَهُ عَكَّةٌ إِذَا أَنْفَضَ الْقَوْمَ لَمْ يَنْفُضِ ^(٢)

طَيِّبَةٌ : جَرَبٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدِ طَبِي . مُبْلَغَةٌ : زَادٌ لِلسَّافِرِ يَبْلُغُ بِهِ مِنْ يَوْمِهِ
إِلَى غَدِهِ . الجراب : وعاء من جلد يصنع للزاد . مُضْفَةٌ : لُقْمَةٌ .

* * *

فَطَفَقْتُ أَجُوبُ طُرُقَاتِهَا مِثْلَ الْهَائِمِ ، وَأَجُولُ فِي حَوَمَاتِهَا
جَوْلَانَ الْهَائِمِ ، وَأُرُودُ فِي مَسَارِحِ لَحَاتِي ، وَمَسَائِحِ غَدَوَاتِي
وَرَوْحَاتِي ، كَرِيماً أَخْلِقُ لَهُ دِيْبَاجِي ، وَأَبُوحُ إِلَيْهِ بِحَاجَتِي ،
أَوْ أَدِيْبًا تَفَرِّجُ رُؤْيَتَهُ غُمِّي ، وَتُرْوِي رِوَايَتَهُ غَلَّتِي ؛ حَتَّى
أَدْتَنِي خَاتِمَةَ الْمَطَافِ . وَهَدَّتْنِي فَاتِحَةَ الْإِطَافِ ^(٣) ، إِلَى نَادِرِ حَبِيبِ ،
مُخْتَوِ عَلَى زحَامٍ وَنَحِيبِ ، فَوَلَجْتُ غَابَةَ الْجَمْعِ ، لِأَسْبَرُ مَجْلِبَةَ
الدَّمْعِ ، فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ الْخَلْقَةِ ، شَخْصًا شَخَّتَ الْخَلْقَةَ ، عَلَيْهِ

(١) مثل ، ذكره صاحب اللسان ، وقال في شرحه : « يقول : إذا ذهب طعام القوم
أو ميرتهم قطروا لابلهم التي كانوا يضحون بها ، فجلبوا للبيع فباعوها واشتروا بثمنها مرة » .
(٢) لأبي المثلم الخزاعي . شرح ديوان الهذليين ٣٠٥ . العكَّة : النهر الصغير .
وأنفضوا : ذهب ما عندهم .
(٣) متن المقامات : « الأطفاف » ، يفتح الهمزة .

أُهْبَةُ السِّيَاحَةِ ، وَهِيَ رَنَّةُ الْبَيْحَةِ ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ
لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعَظْمِهِ ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ
الزَّمَرِ ، إِحَاطَةَ الْهَالَةِ بِالْقَمَرِ ، وَالْأَكْمَامِ بِالثَمَرِ ، فَدَلَفَتْ إِلَيْهِ لِأَقْتَبَسَ
مِنْ فَوَائِدِهِ ، وَالتَّقِطَ بَعْضَ فَوَائِدِهِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ خَبَّ فِي
مَجَالِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُ ارْتِمَالِهِ :

طفقت : أخذت وجعلت ، ومعناها ابتداء الفعل والدخول فيه . أجوب :
أقطع وأخرق ، وجوب الأرض : قطعها بالمشى . الهائم : الحيران . أجول : أتصرف .
حوماتها : جهاتها . الحائم : الطائر العاطش يحوم حول الماء ، أى يدور به . أرود :
ألمس المسارح : مراعى البهائم . لَمَحَاتِي : نظراتي ، يريد المواضع التى يسرحُ عينيه
فيها بالنظر . مسايح : مسالك ، أراد طُرُقَهُ التى يسير فيها بالمشى بالغدو والعشى ،
والسَّيْحُ : الماء الجارى على وَجْهِ الْأَرْضِ ، وتكون المسايح أيضا جمع مَسِيحَةٍ أو
مَسْحَةٍ ، وهى الطَّوْفَةُ ، من قولك : مسحت البيت ، أى طفت به ، فيكون على هذا
«فعائل» ميمها أصلية ، وعلى الأول «مفاعل» . أُخِلِقُ : أهين . ديباجتى : جلدة وجهى ،
يريد أنه يخلق وجهه بالمسألة كما يخلق الثوب ، وهذا من قول النبي صلى الله عليه
وسلم : «المسألة كدوح وخدوش فى وجه صاحبها» ، وقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تزال
المسألة بالرجل حتى يلقى الله عز وجل ، وما على وجهه مَزْعَةٌ لحم» ، أى قطعة . أبوح :
أذكر . حاجتى : قهرى . تفرّج : تزيل . عُتْمَتِي : غمى وما يضيّق نفسى . غُلَّتِي :
عطشى . أدتني : أوصلتني . خاتمة المظاف : آخر المشى . هدتنى : دلتنى . والإلطاف :
حسن السؤال وناقحته ، أراد به سؤاله من تلقى فى الطريق إذا دخلت بلداً غريباً ،
فإذا سألت بتلطف أرشدت بسرعة ، فمؤالك هو الذى فتح لك الطريق . ويقال :

أَطْف سؤال الرجل ، إذا رَقَّ لفظه ولم يكن فيه جفاء ، فتقبله القلوب ، وألطف الرجل سؤاله ، إذا سألك بحنان وتلطّف ، واللطف الرفق ، وألطفك أيضا: برّرتك وأكرمك ، فالإلطاف مصدر ألطف ، ويروى : «الألطف» جمع أطف وهو الرفق ، يقال : لطف الله بالعباد لُطْفًا ، رَفَقَ بهم رَفَقًا ، وهو راجع إلى الأوّل . نادٍ : مجلس . رحيب : واسع . محتو : مشتمل . نحيب : بكاء . ولجت : دخلت . غابة الجمع : وسط الناس ، وأصل الغابة الشجر الملتف يغيب فيه مَنْ يدخله . لأسبر : لأفتش ، وأراد دخلت بين الناس لأجرب وأعرف ما الذى أبكاهم وجلب دموعهم . ويروى ، «مَحَابَة» بالحاء ، وهى من الحلب ، يقال : انحلبت عينه ، إذا سالت بالدمع . بُهْرَة : وسط . شَخْت : دقيق ورقيق ، والشَخْت : الحطب الرقيق . أهبة : السياحة : آلة العبادة ، وهى مثل العصا وركوة الماء وثياب الصوف وغير ذلك . يطبع الأسجاع ، أى يرتبها ويصنعها ، تقول : طبعت الدرهم والسيف إذا صنعتها ، وطبعت الكتاب إذا ختمته ، وكانت اللوك تكتب فى فصوص خواتمها « لا إله إلا الله » و« الملك لله » وتطبع بذلك كتبها ، وهذا المعنى أليق بطبع الأسجاع ، أى يرتبها ويختتمها بجواهر كلامه ، ومن روى « لجواهر » باللام فعلى « يصنعها » لا غير ، والتفسير على الروایتين أخذته عن أبى ذرّ . والأسجاع الكلام المفقّر له فافية . كقافية الشعر ، وكان من كلام الكهان ، وهذه الموعظة التى فى المقامة من الأسجاع ، وسجعت الحمامة ، إذا غنّت على طريقة واحدة . يقرع : يضرب . الأسماع : الأذان . زواجر : نواهٍ ، وزجره : نهاه وانتهره . أحاطت : حَلَّتْ : أخلاط : أصناف مختلطون . الرَّمَر : الجماعات . الهالة : الدارة حول القمر من نوره ، والطفافة : الدارة حول الشمس ، والساهور : هو غلاف القمر الذى يستتر فيه ما نقص منه . الأكام : جمع كَم ، وهو الغلاف الذى ينشق عن الثمر ويحيط به . وسمى كَمًا لأنه يستر ما تحته ، والأكام : جمع قائل ، والكثير كام . والثمر حمل الأشجار . دلفت : قربت ، ودلف الشيخ فى مشيئته ، إذا أسرع من ضعف فقار بخطوه . اقتبس من فوائده :

التمس وطلب أخذها واكتسابها . والفرائد : شذور الذهب تفصيل ما بين الجوهر .
 خبّ في مجاله : أخذ في كلامه ، والخبّ عدو سهل ، وهو الذي تسميه العامة السير ،
 وفسر مسيار . والمجال للخيل : موضع تصرفها وجريها . هدرت : صوتت .
 شقاشق : جمع شقشقة ، وهي النفاخة يخرجها فحلُّ الإبل من حلقة عند هياجه ورغائه ،
 ويرجع فيها هديره ؛ شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويذكر به الناس بصوت البعير
 يهيج ويتابع الهدير ، قال الأخطل :

إِذَا هَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَنَشِبَتْ لَهُ الْأُظُنَارُ تُرْكٌ لَهُ الْهُدَارُ^(١)
 أراد: نَشِبَتْ وَتُرْكٌ ، فَخَفَّفَ .

أَيْهَا السَّادِرُ فِي غُلَوَانِهِ ، السَّادِلُ مَوْبَ خَيْلَانِهِ ، الْجَامِحُ
 فِي جَهَاتِهِ ، الْجَانِحُ إِلَى خَزَعْبَلَاتِهِ . . . إِيَّامَ تَسْتَعْرِ عَلَى غَيْكَ ،
 وَتَسْتَمْرِي مَرْعَى بَنِيكَ ! وَحَتَّامَ تَنْتَاهِي فِي زَهْوِكَ ، وَلَا تَنْتَهِي
 عَن لَهْوِكَ !

السَّادِرُ : الرَّاكِبُ هَوَاهُ ، لَا يَرُدُّهُ شَيْءٌ اسْتِطَالَةً وَبَغْيًا ، وَيُقَالُ لِلَّذِي يَطِيلُ
 الْجُلُوسَ فِي الشَّمْسِ حَتَّى يَتَحَيَّرَ بَصْرُهُ : قَدْ سَدَّرَ فَهُوَ سَادِرٌ . فِي غُلَوَانِهِ : فِي ارْتِفَاعِهِ
 لِلشَّرِّ وَجَلَّاجِهِ فِيهِ ، وَهُوَ مِنْ غَلَا يَغْلُو فِي الْأَمْرِ ، إِذَا جَازَ الْحَدَّ ؛ فَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا الْأَعْمَى
 الْكَثِيرُ اللَّجَّاجُ فِي رُكُوبِ الْمَعَاصِي ؛ هَلَّا نَظَرْتَ بَعِينَ الْبَصِيرَةَ ، وَرَجَعْتَ عَمَّا أَنْتَ
 عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ ! السَّادِلُ : الْمَرْخِيُّ ؛ خَيْلَانُهُ : كِبْرُهُ . الْجَامِحُ : الْجَارِي إِلَى غَيْرِ

(١) ملحق ديوانه ٣٥٨ مما نقله عن الشريفي .

غاية ، وقد جمع الفرس إذا أكب رأسه، وجرى في غير قصد ، فيريد أنه أكثر الفساد حتى جرى منه في غير طريق . الجاحح : المائل . الخربلات : الأباطيل ، وهو ما يتراءى للإنسان في نومه من الخيال . تستمر : تدوم في زورك . غيك : ضلالك . تستمرى : تستطيب من المرى ، وهو ما يلتذبه من الطعام . بنيك : ظلمك . تنهاى : تبلغ النهاية ، ونهاية الشيء ، آخره . زهوك : كبرك وعجبك . اللهو : ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب .

[نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر]

وقال القاضي أبو جعفر^(١) بن عمر في ذم الكبر وما يتعلق به :

وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا أَبُوكَ التُّرْبَ يَخْفِضُكَ انْتِسَابًا
وَلَا تَصْحَبْ أَحَا كِبَرٍ وَقَدِّمْ عَلَى النَّفْسِ الْأَعَادِي وَالصَّحَابَا
وَلَا تَحِبَّ مَحَابَّةً بِمَسْحٍ كُنِي بِالرُّءِ حُوبًا أَنْ يُجَابِي
وَحَازِرٌ أَنْ تُرَى فِي الْقَوْمِ رَأْسًا وَلَا تَنْسِ الذُّنُوبَ وَكُنْ ذُنَانِي^(٢)
تَرَابًا كُنْ هُنَا فَعَسَاكَ إِلَّا تَعْنَى أَنْ تَكُونَ غَدًا تُرَابًا

وقال أبو نواس :

حَدَّرْتُكَ الْكِبَرَ لَا يَفْشَاكَ مَيْسَمُهُ فَإِنَّهُ مَابَسٌ نَارَعَتَهُ اللَّهُ^(٢)
يَابُوسَ جَلِدِ عَلَى جَوْفٍ مُجَوَّفُهُ يَجْوِي مَقَاذِيرَ إِنْ كَلِمَتُهُ تَاهَا^(٣)
يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلًا بَيِّنَ بِهِ إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانَ وَالْجَاهَا
إِنِّي لِأَمَقْتُ نَفْسِي عِنْدَ نَحْوَتِهَا فَكَيْفَ آمَنُ مَقْتَ اللَّهِ إِيَّاهَا

(١) ط : « أبو حفص » ، وما أثبتته من أ

(٢) الدنانى : أذنب الناس .

(٣) رواية الديوان ١٩٧ :

يَابُوسَ جَلِدِ عَلَى عَظْمٍ مَحْرَقُهُ فِيهِ الْخُرُوقُ إِذَا كَلِمَتُهُ تَاهَا

وقال أبو العتاهية :

عجبت للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يُقبر^(١)
 ما بال من أوله نطفةٌ وجيفةٌ آخره يفخر!
 أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر

تبارزُ بمصديك ، مالك ناصيتك ، وتجترى بفتح
 سيرتك ، على عالم سيرتك ، وتتوارى عن قريبك ، وأنت بمرأى
 رقيبك ، وتستخفي من مملوكك ، وما تخفي خافيةً على مليكك .
 أظنُّ أن سننفتك حالك إذا أن ارتعالك ! أو ينقذك مالك ،
 حين توبقك أعمالك ! أو يفي عنك ندمك ، إذا زلت قدمك !
 أو يعطف عليك معشرك ، يوم يضمك محشرك !

قوله: «تبارز»، أي تكاشف وتقابل. والبارز: الظاهر المنكشف. والناصية: شعرة مقدم الرأس. تجترى: تقدم وتشجع. والجريء: الشجاع المقدم. سيرتك: عادتك ، وجمعها سير وهي ما يعامل به الناس من خير أو شر ، وتقول: سرت سيرة من خير أو شر ، إذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك ، فصارت عادة لهم ، ولذلك فسرتنا السيرة بالعادة حيث وقعت، وأصل السيرة هيئة عمل السير، وذلك أنك تقول: جلس فلان جاسةً بالفتح ، وهي المرة الواحدة من جلوسه ، فإذا

(١) قوله: «يُقبر» أي يُدفن.

(٢) قوله: «تجترى» أي تقدم.

(٣) قوله: «ما يرجو» أي ما يبتغي. ورواية صورته فيه: «ما احمق الإنسان في فخره».

كسرت الجيم فهي هيئة جلوسه، ومثله ركب ركبة، والركبة هيئة ركوبه، وتقول: سار هذا الفحل سيرة، والسيرة بالكسر: هيئة سيره في الناس من حسن أو قبح أو صواب أو خطأ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم: هيئة أفعاله حيث كانت. تتوارى: تستتر. بمرأى من رقيبك، أي بمنظر ربك أو بحيث يراك، ورقيب الشيء: حافظه وحارسه. مليكك: مالكك، وأراد أن الإنسان إذا خلا بريية، استتر بها عن أخيه وعبدته حياءً منبهاً، ولا يستحي من ربه الذي يطالع على معاصيه، ولا يخفى عليه خافية، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ...﴾ الآية، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

إن كنت تعلم أن الله ياعمرُ
وأنت في غفلةٍ من ذلك تركب ما
تجاهر الله إقداماً عليه، ومن
وقال نابغة بنى شيبان:

يرى ويسمع ما يأتي وما تذرُ
نهالك عنه، ذأين الخوف والحذر!
حُثالة الناس تستحني وتعتذرُ
إن من يركب الفواحش سراً
كيف يخلو وعنده كاتباه
وقال أبو نواس:

حين يخلو بسرّه غير خالٍ^(١)
شاهداه وربّه ذو الجلال!^(٢)
خلوتُ، ولكن قل على رقيب^(٣)
ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ
لهونا لعمر الله حتى تراكمت^(٤)
ذنوبُ على آثارهن ذنوبُ

(١) ديوانه ٦٤ .

(٢) الديوان : « ذو الهال » .

(٣) ديوانه ٢٠١ .

(٤) رواية الديوان : « لهونا بعمر طال حتى ترادفت » .

حالك : عزتك ومالك . آن : حان وقرب . ارتحالك : انتقالك . تو بقك : تهلكك ، يقال : أوْبَقْتَهُ الذنوب ، أهلكته فوبق ، أى هلك ووبق أيضاً .
وقال أعشى همدان :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَعْمَالِي الَّتِي سَلَفَتْ مِنْ عَثْرَةٍ إِنْ يَعَاقِبْنِي بِهَا أُبِقَ
زَلَّتْ : زلقت . معشرك : قومك . محشرك : موضعك الذي تحشرك إليه .

* * *

هَلَّا انْتَهَجْتَ مَحَجَّةَ اهْتِدَائِكَ ، وَعَجَلْتَ مُمَالَجَةَ دَائِكَ ،
وَفَلَّتْ شِبَابَ اعْتِدَائِكَ ، وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ أَكْبَرُ
أَعْدَائِكَ !

أَمَّا الْحَمَامُ مِيَادُكَ فَمَا إِعْدَاؤُكَ ! وَبِالْأَشْيَبِ إِندَارُكَ ، فَمَا
أَعْدَاؤُكَ ، وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ ، فَمَا قِيلُكَ ! وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ
فَمَنْ نَصِيرُكَ ! طَالَمَا أَهْطَكَ الدَّهْرُ فِتْنَاعَسْتِ ، وَجَذَبَكَ
الْوَعْظُ فِتْنَاعَسْتِ ، وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبْرُ فِتْنَاعَسْتِ ، وَحَصَّصَ
لَكَ الْحَقُّ فِتْمَارَيْتِ ، وَأَذْكَرَكَ الْمَوْتُ فِتْنَاعَسْتِ ، وَأَمَّا كُنْتَ
أَنْ تُوَاسِيَ فَمَا آسَيْتِ .

* * *

انتهجت : ركبت . والنهيج المنهيج والنهاج : الطريق الواضح . محجة : طريق ،
من حَجَّه يُحَجُّهُ ، إذا قصده . اهتدائك : استقامتك . معالجة : مداواة . فلَّتْ :
كسرت . شبابة : حد . اعتدائك : جورك وظلمك . قدعت : كفت

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس عدوك الذى إن قتلتته كان لك نوراً ، وإن قتلك دخلت الجنة ، ولكن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » . قال الأصمعى : كننا بطريق مكة فى بعض المنازل ، إذ وقفت علينا أعرابية فقالت : أطمعونا بما أطمعكم الله ، فناولها بعض التوم شيئاً فقالت له : كسبت الله لك كل عدو لك إلا نفسك .

قوله : « أما » : حرف إخبار^(١) واستفتاح كالألف . الحمام : الموت ، من حمّ الأمر ، قضى . اليعاد : الموعد . ما إعدادك : ما استعددت له ، والإعداد مصدر أعدّ للأمر إذا هيأ له ما يحتاج إليه من عُدَّة ، يقول : الموت هو الذى وُعدت به أن يأتىك ولا بدّ ، فاستعدّ له من أفعال البر .

وللفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران :

يا صاح فى الموت لنا حكمةٌ بالغة لو أننا ننتفع
فأعمل له قبل مفاجاته ويحصد الزارع ما قد زرع
لا حيلة تُنجيك منه ولا ذو وزر عنه به يتمنع
كم أمم أفتانهم قبلنا وشمل قوم شته فانصدع

ولحبيب :

فقد أيقنت بالموت نفسى لأننى رأيت المنايا يختر من حياتيا^(٢)
فيا ليت أنى بعد موتى ومبعثى أكون رفاتاً لا على ولا ليا

المشيب : الشيب ، يقال : شاب رأسه شيباً أو مشيباً . إنذارك : إعلامك ، هو إنذارك . أعلمك : أعلمك . تحذر : تحذرك منه ، وأراد قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ كُمُ النَّذِيرُ ﴾^(٣) ، هو أنظر هذا المعنى فى الحادية والأربعين مستوفى نظاماً ونثراً .

(١) قوله : « أما » : حرف إخبار . . . الظاهر أن هذا استفهام تقريرى — حاشية ط .

(٢) ديوانه ٤٨٤ . (٣) سورة فاطر ٣٧ .

أعدارك: جمع عذر ، والإعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر في طلب الحاجة إذا بالغ فيها . قال ابن السبتي وجنس قوائمه :

الشَّيْبُ فِي مَفْرَقٍ حَلَاً وَعَقْدُ عَهْدِ الْمَلِاحِ حُلَاً
وَكَانَ كَالْأَبْنُسِ رَأْسِي فَاحْتَلَّهُ عَاجُهُ حُلَاً
وَحَرَمْتُ وَضَلِي الْعَوَانِي وَقُلْنَا قَتْلُ الْعَمِيدِ حَلَاً

الحد : حفرة في جانب القبر ، وليحد الميت وألحده : شق له في جانب القبر .
وأصل اللفظة الميل . ومقيلك : مقامك ، وأصله النوم في القائلة . قيلك : حديثك
المُقول وحتكت الواضحة ، والقول مصدر كاطحن والذبح ، والقيل : اسم للمقول
كاطحن بالكسر : اسم للدقيق المطحون ، والذبح اسم للمذبح . يعقوب : القال
والقيل اسمان لا مصدران . ابن سيده : القيل في الأصل مصدر ، وحكى الفارسي
قاله قولاً وقيلاً ، مثل ذكره ذكراً ، والقيل يجوز أن يكون مصدرًا ، فإن سيويوه
حكى : ذامه ذامًا وعابه عابًا ، إلا أنه لم ينص على القال . مصيرك : رجوعك . نصير :
معدول عن ناصر للمبالغة . تناعست ، أى أظهرت أنك ناعس . جذبك :
قادك بعنف ، ويقال : جذب ، وجبذوهى أقل من الأولى ، وصحفت العامة هذه الثانية
وقالوا : «جبد» بدال غير منقوطة . تناعست : تأخرت وتصبعت وتشبهت بالأعس ؛
وهو الذى دخل ظهره وخرج صدره ، أى قادك الوعظ إلى الخير فلم تنقد له ،
والعرب تقول : عزة قعساء كأنها تنقص عن الذلة . تجأت : ظهرت . والعبر :
ما يُتخوف ويُتغضب به عند رؤيته . حصحص : تبين ، من الحص وهو ذهاب الشعر
فيقين ما تحته ، والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة ، وإذا اجتمع الأمثال في مثل
هذا ، أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفًا من جنس الحرف السابق ، ومثله
حششت ورفقت ، أصلها حششت ورفقت ؛ هذا قول الكوفيين ، وقال البصريون :

هما لغتان تقاربتا ، إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله أو من مقاربه في الخروج ، وهذه الحروف متباعدة لا يصح إبدالها . ماريت : شككت : توأسى : تعطى .

* * *

تَوَثَّرُ فَلَسًا تَوْعِيهِ ، عَلَى ذِكْرِ تَعِيهِ ، وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ ،
عَلَى بَرٍّ تُولِيهِ ، وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ، إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ،
وَأُغْلَبُ حُبَّ نَوَابٍ تَشْتَهِيهِ ، عَلَى نَوَابٍ تَشْتَرِيهِ .

يُؤَاقِبُ الصَّلَاتِ ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِبِ الصَّلَاةِ ، وَمُعَالَاةِ
الصَّدَقَاتِ ، آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مَوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ ، وَصِحَافُ الْأُلُوَانِ ،
أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ الْأَدْيَانِ ، وَدُعَابَةُ الْأَقْرَانِ ، آسُ لَكَ
مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .

* * *

تَوَثَّرُ : تَفَضَّلَ . تَوْعِيهِ : تَجْعَلُهُ فِي وَعَاءٍ . بَرٌّ : إِحْسَانٌ . تُولِيهِ : تَعْطِيهِ
وَتَلَصِّقُهُ بِمَنْ تَبَرَّهَ . هَادٍ : مَرشِدٌ لَطِيقٌ الْخَيْرِ . تَرْغَبُ عَنْهُ ، أَيْ تَتْرَكَهُ .
تَسْتَهْدِيهِ ، أَيْ تَسْتَرْشِدُهُ وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيكَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَتَسْتَهْدِيهِ الثَّانِيَةَ : تَطْلُبُ
أَنْ يَهْدِيَ لَكَ هَدِيَّةً . يَقُولُ : تَتْرَكَ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ ، فَلَا تَسْأَلُهُ
الْهَدَايَةَ ، وَتَقْصِدُ أَعْرَاضَ الدُّنْيَا مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَغَيْرِهَا ، وَتَرْغَبُ أَنْ تَعْطَى مِنْهَا
هَدِيَّةً ، قَالَ الزَّاهِدُ بْنُ عَمْرَانَ :

تَوْقٌ وَحَازِرٌ مِنْ قَبُولِ هَدِيَّةٍ وَإِنْ جَاءَكَ فِيهَا الْحَدِيثُ الْمَرْغَبُ
فَقَدْ حَدَّثْتُ بَعْدَ الرَّسُولِ حَوَادِثُ تَحَدَّرْنَا مِنْهَا ، وَعَنْهَا تَرْغَبُ
وَكَانَتْ هَدِيَّاتُ الْأَوَائِلِ قَبْلَنَا تَوْلَّفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَتَحْجَبُ
فَعَادَتْ بِلَايَا يُسْرِعُ الْمُنُّ نَحْوَهَا تَفَرَّقَ فِيمَا بَيْنَنَا وَتَحْجَبُ

وله في مثله :

احذَرْ هَدَايَا النَّاسِ تَأْمِنَ الْمَنَّ بِهَا أَوْ قَوْلَ وَأَشِي يَتَشَى
فَقَلَّ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ قَدْ حُشِيَ
التَّبَسُّ الْأَمْرَ فَلَا تَقْدَمَنَّ وَأَخْشَ مَقَامَ اللَّهِ فَيَمْنُ خَشِيَ
كَانَتْ هَدَايَا ثُمَّ عَادَتْ رِشَاً وَفِي الرَّشَا الْهَلْكَ لِمَنْ يَرْتَشَى
حَذَرْنَا مِنْهَا نَبِيَّ الْهُدَى إِذْ لَعَنَ الرَّأشِيَّ وَالْمُرْتَشَى

الثواب : المكافأة على الفعل ، وأراد به ما يجازى الله به عباده على إحسانه
من الأجر ، وهو من تاب يثوب إذا رجع ، وأثبت الرجل : أعطيته الثواب ،
وهو المكافأة على فعله . قوله « يواقيت » : أى جواهر . الصَّلَات : العطايا .
أعلق : ألقى . موافيت : أوقات ، وهى جمع ميفات .

* * *

[من لطائف التجنيس]

ومما يستحسن من تجنيس الصَّلَات والصَّلَاة ، حكاية أحمد بن المدبر - وكان
إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره ، قال لعلامه : امض به إلى المسجد فلا تفارقه حتى
يصلى مائة ركعة ، ثم خله ، فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدين - فجاء الحسين بن
عبدالرحمن البصرى المعروف بالجل ، فاستأذنه في النشيد ، فقال : أعرفت الشرط ؟
قال : نعم ، وأنشد :

أرذنا في أبي حسن مديحاً كما بلدح ننتجع الأولة
قتلنا أكرم الثقلين طراً ومن كفاه دجلة والفرات
قالوا يقبل المدحات لکن جوائزہ علی المدح الصلوة
قلت لهم : وما تعني صلاتي عيالى، إِنَّمَا تُعْنِي الزَّكَاةُ !

فَأَمَّا إِذْ أَبَى إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقِمْنِي الْمَعْمُومَ الشَّاعِرَاتِ
فِيَأْمُر لِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تَنْشَطِنِي الصَّلَاتِ
فِيصْلِحْ لِي عَلَى هَذِي حَيَاتِي وَيصْلِحْ لِي عَلَى هَذِي الْمَاتِ

فضحك واستظرفه، وأمر له بمائة دينار، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قول أبي تمام:

هِنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِنٍ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ^(١)

* * *

قوله: «مغلاة الصدقات»، أي الزيادة في المهور، وغاليت: زدت في ثمن السلعة ووردتها غالية، والصدقات واحدها صدقة وهي الصدق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يئمن المرأة تيسر صداقها وخطبتها»، قال عروة: وأنا أقول: من أول شوأمها ن يكثر صداقها. آثر: أفضل وأكثر أثرًا. موالاة: متابعة. صحائف: جمع صحيفة، وهي الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس. دُعابة: مزاح، وفي فلان دُعابة، وتداعب الرّجلان: تمارحًا، وفي الحديث: «كانت فيه صلى الله عليه وسلم دُعابة»، وفي حديث جابر رضي الله عنه: «هَلَّا بَكَرًا تَدَاعَبَهَا وَتَدَاعَبَكَ!». الأقران: الأصحاب والأمثال. تلاوة: قراءة، وتلوته: قرأته، واختلفوا في اشتقاق القرآن، فقال أبو عبيدة: سُمِّيَ قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها، قال الله تعالى: ﴿إِذَا قرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قرَأْنَهُ﴾^(٢) أي إذا جمعنا لك شيئًا فضمه وامل به، وقال قطرب: سُمِّيَ قرآنًا لأن القارئ يظهره ويبينه ويلقيه من فيه، من قول العرب: ما قرأت الناقة سلاقطًا، أي مارمت به. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد»، قالوا: يا رسول الله. ما جلاؤها؟ قال: «قراءة القرآن».

(٢) نقله في النهاية لابن الأثير ٢: ١١٨

(١) دهرانه ٢٧٩ .

(٣) سورة القيامة ١٨ .

تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْتَهِكُ حِمَاهُ ، وَتَحْجِي عَنِ النُّكْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ ،
وَتُزْحِزِحُ عَنِ الظُّلْمِ ثُمَّ تَنْشَاهُ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا نَنَى إِلَيْهَا انصِيَابَهُ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامَا بِهَا وَفَرَطَ صَبَابَهُ
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صَبَابَهُ

* * *

العرف ، أى المعروف . تنتهك : تتباعد . حماه : حماه .
ماحى منه ، ومنع ، وأصل الحَمْى موضع العشب يحميه الرجل لإبله . وانهاكه :
استئصال عشب بالرعى ، ونهكت الجلد وانتهكته ، إذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف .
النُّكْر : المنكر . تتحاماه : تتباعد عنه . تُزْحِزِحُ عَنِ الظُّلْمِ : تُنَجِّى عَنْهُ غَيْرُكَ
وتزيهه . وتنشاه : تأتبه وتبشره . تخشى : تخاف . وقال ذو الرمة فى هذا المعنى ،
وهو أحسن شعرٍ قاله :

يَارَبِّ قَدْ أَسْرَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي
يَا مَخْرَجَ الرُّوحِ مِنْ نَفْسِي إِذَا احْتَضَرْتُ . وَفَارَجَ الْكَرْبِ زُحْزِحْنِي عَنِ النَّارِ (٢)
دعا لنفسه أن يكون من الفائزين ، لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١) .

قوله : « تَبًّا » ، أى خسراناً وهلاكاً ، وتبتت يده : خسرت . قال تعالى :
﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ (٣) ، أى غير خسار وهلاك ، قال الشاعر :

(١) ملحق ديوانه ص ٦٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة هود ص ١٠١ .

(٥ - شرح مقامات الحريري ١)

عَرَادَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ أَلَا تَبًا لِمَا عَمَلُوا تَبَابًا! (١)

تَبًا: عطف وردّ . انصبابه: جريه - يستنق: يستريح ، وأفاق من المرض: استراح . غرامًا: شدة حبّ لازم له غير مفارق ، ومنه سُمِّيَ الغريم لملازمته التقاضى وإلحاحه فيه ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٢) أَيْ مُلِحًّا دَائِمًا ، ومنه ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ (٣) ، وفلان مغرم بالنساء: يحبهن ويلازمهن ، وقال حاتم: فَمَا كَلَّمَهُ إِنْ نَلَّتْهَا بَغْنِيمَةٌ وَلَا جُوعَةٌ إِنْ جَعَتْهَا بَغْرَامٌ أَيْ بهلاك وملازمة .

فوط صباية: شدة شوق ومجاوزة حدّ في ذلك . يروم: يطلب . صباية: بقية الماء .

[نبذ من الأشعار في ذم الدنيا]

وهذا الشعر مستحسن التوافق ، ومثله في ذلك قول الزاهد ابن عمران (٤) ، وكثيراً ما كان يستمدّ في شعره من أدب المقامات :

تَبًا لِذِي جَهْلٍ دَعَا لِمَبْرَةٍ وَأَجْبَتْهُ بِرًّا بِهِ فَأَذَاعَهَا
مَنَّا وَقَدْ كَأَفَاتُهُ بِهَيَاتِهِ وَذَخَرُهَا عِنْدِي لَهُ ، فَأَضَاعَهَا
فَأَقْلُ اللَّثَامِ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَجِبُ مَهْمَا دَعَاكَ وَجَنَّبِنِ أَوْ ضَاعَهَا

وقال آخر :

(١) لجرير ، ٨٣ ؛ وهو عرادة النهمي راوية الراعي ، وقبله :

أَتَانِي عَنْ عَرَادَةِ قَوْلٍ سَوْءٍ فَلَا وَأَبَى عَرَادَةَ مَا أَصَابَا

(٢) سورة الفرقان ٦٥ .

(٣) سورة الواقعة ٦٦ .

(٤) هو أبو عمران موسى بن عمران المارتنلي الإشبيلي ، ذكره ابن سعيد في المغرب

١ : ٤٠٦ ، وأورد بعض شعره .

يامن يَضِيعُ مُعْمَرُهُ
واعلم بأنك لا محا
متادياً في اللّهُوِ أُمْسِكُ
لَهْ ذَاهِبٌ كَذَاهِبِ أُمْسِكُ
والمصور الفقيه في الشعر المردف (١) :

إِذَا كُنْتَ تَزَعُمُ أَنَّ الْفِرَاقَ
وَأَنَّ الْمَقْدَمَ مَا لَا يَفُوتُ
فِرَاقُ الْحَيَاةِ قَرِيبٌ قَرِيبٌ
عَلَى مَا يَفُوتُ مَصِيبٌ مَصِيبٌ
وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ لَا تَرَعَوِي
فَأَمْرُكَ عِنْدِي عَجِيبٌ عَجِيبٌ

وقال القاضي أبو حفص عمر في معنى شعر الحريري في ذم الدنيا :

بَارَا كَيْضًا فِي طَلَابِ دُنْيَا
لَمْ تُخَشَّ نَارًا هَوَى لَطَاهَا
لَيْسَ لِمَنْ تَصْرَعُ انْتِعَاشُ
بِمَنْ لَهُ نَمُوهَا انْحِيَاشُ
أَعْذِرُ مِنْكَ الْفِرَاشَ حَالًا
عَلِمْتُ مَا يَجْهَلُ الْفِرَاشُ
نَطْلِبُهَا لَا تَنَامُ عَيْنُ
عِنَهَا وَلَا يَسْتَقِرُّ جَاشُ
مَنْ لَكَ بِالرَّيِّ مِنْ شَرَابِ
يَشْتَدُّ مِنْ شَرْبِهِ الْعِطَاشُ
دَعَهَا فَطَلَّابُهَا رِعَاعُ
طَاشَتْ بِالْبَابِهِمْ فَطَاشُوا
لَمْ يَرِدُوهَا فَهَمَّ رِوَاءُ
وَوَارِدُوهَا هُمُ الْعِطَاشُ
فَظَلَمًا لَتَرَوِي ، وَكُنْ كَقَوْمِ
سَقُوا بِهَا غَبِيَّةً فَعَاشُوا (٢)
كَأَنَّ آمَانَنَا ظَبَاءُ
وَنَحْنُ مِنْ حَيْرَةٍ خِدَاشُ
إِنْ لَأَمَانَنَا انْبَسَاطًا
بِهِ لِأَعْمَارِنَا انْكَشَاشُ
كَأَنَّ آجَالِنَا صَقُورٌ
وَنَحْنُ مِنْ تَحْتِهَا خَشَاشُ

ولابن الرومي رحمه الله :

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بُدَارٌ إِقَامَةٌ
إِذَا زَالَ عَنِ عَيْنِ اللَّيْبِ غَطَاؤُهَا

(١) الردف في الشعر: حرف ما كن في حروف المد . واللين يقع قبل حرف الروي ، ليس بينهما شيء ، فإن كان الهمزة لم يجز معها غيرها ، وإن كان واوًا جازمه الياء . وانظر اللسان .
(٢) ب : « ماتوا بها غفة فعاشوا » .

فكيف بقاء النَّاسِ فيها وإنما يُنال بأسباب الفناء بقاؤها!
وقال آخر :

ومن يحمد الدنيا لعيشٍ يسره فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً وإن أقبلت كانت كثيراً همومها
ولا بن سارة رحمه الله تعالى :

بُنُو الدُّنْيَا بِجَهْلِ عَظُمُوهَا فَجَلَّتْ عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْحَقِيرَةُ (١)
يُهَارِشُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا مَهَارِشَةُ الْكِلَابِ عَلَى الْعَقِيرَةِ

* * *

ثُمَّ إِنَّهُ لَبَدَّ عَجَاجَتَهُ ، وَغَيَّضَ مُجَاجَتَهُ ، وَاعْتَضَدَ شَكْوَتَهُ . وَتَأَبَّطَ
هَرَاوَتَهُ . فَلَمَّا رَأَتْ الْجُمَاعَةَ إِلَى تَحْفُزِهِ ، وَرَأَتْ نَاهِبَهُ لِمَزَايِلَةِ مَرْكُزِهِ ،
أَدْخَلَ كُلُّ مِنْهُمْ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، فَأَفْعَمَ لَهُ سَجَلًا مِنْ سَيْبِهِ ، وَقَالَ :
اصْرِفْ هَذَا فِي تَفَقَّتِكَ ، أَوْ فَرَّقَهُ عَلَى رُفَقَتِكَ . فَقَبِلَهُ مِنْهُمْ مُفْضِيًا ،
وَأَنْتَنَى عَنْهُمْ مُشْنِيًا ، وَجَعَلَ يُوَدِّعُ مَنْ يُشِيئُهُ ، لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَهِيئُهُ ،
وَيَسْرِبُ مَنْ يَنْبَهُهُ ، لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبُهُ .

* * *

قوله : « ثم إنه لبَّد عجاجته » ، أى سَكَّنَ غَبْرَتَهُ المرتفعة حتى لصقت بالأرض .
غَيَّضَ : جَفَفَ . الْمُجَاجَاةُ : مَا يُبْقَى مِنْ فِيهِ . وَقَدْ مَجَّ الرَّجُلُ رَيْقَهُ ، إِذَا سَالَ مِنْ
حَقِّ أَوْ كِبَرٍ . وَأَرَادَ بَلْبَدَ عَجَاجَتَهُ ، قَطَعَ كَلَامَهُ الَّذِي كَانَ قَدْ اسْتَرْسَلَ ، وَأَخَذَهُ
مِنْ قَوْلِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ وَفَدَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا ،

(١) قلائد العقيان ٣٠١ .

وتكلم بعدهم رجل قبيح المنظر فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بعد كلامهم سحابة لتبت عجابا .

وأراد بـ « قَيْضٌ مُجَاجِنَةٌ » ما كان يسيل من عينيه وأنفه عند البكاء .
 اعْتَصَدَهَا : جعلها تحت عَصُدِهِ . والشكوة : ركوة الماء تُصْنَعُ من جلد الثور أو الخروف . وتأبَّطها : جعلها تحت إبطه . هراوته : عصاه . رنت : نظرت . تحفزه : تهيوه وعجلته للانصراف ، وتحفزه وانحفزه ، إذا كان جالسا على عقبه متهيئا للقيام . تأهبه : استعداده . مزايله : مفارقه . مركزه : موضعه الذي قام به . أفعم : ملأ ، ونعمت الشيء فعمأ : ملأته . سجلا : دلوا . سيبه : عطاؤه ، معناه وهب له نصيباً من عطاؤه . رفقتك : أصحابك . مفضيا : مستحيا ، وأصل « أغضى » كفت بصره وضم جفنيه . اثنى : رجع وانعطف عن طريقه . مهيبه : طريقه البين . يسرب : يفرق ، فكأنه « تفعل » من السرب وهو الطريق ، كأنه يردم عن تشييعه في طرق مختلفة ، أو يكون من لفظ السرب ، وهو الجحر ، فكأنه يعيقهم عنه حيث يقصد تعمية طريقه عليهم ، أو يكون من لفظ السارب وهو الذهاب في الأرض ، وقد سرب سروباً ، فكأنه يذهبهم في كل ناحية ليجهل مكانه . مربعه : منزله في الربيع خاصة . والمربع : المنزل في كل وقت ؛ من ربت بالمكان ، أقت به .

* * *

قال الحارث بن همام : فاتبعته موارياً عنه عياني ، وفقوت
 إثره من حيث لا يراني ؛ حتى انتهى إلى مغارة ، فأنساب فيها
 على غزارة ، فأمهلته ريثما خلع ثعلبه ، وغسل رجله ، ثم هجمت
 عليه ، فوجدته محاذياً لتلميذ ، على خبز سميد ، وجردي حنيد ،

وَقُبَالَهُمْ مَا خَابِيَةٌ نَبِيدٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا، أَيْكُونُ ذَاكَ خَبْرَكَ،
وَهَذَا مَخْبَرَكَ!

مواريًا : سائرًا . عياني : شخصي ، أى تبعته مستخفياً بحيث لا يرانى .
قفوته : اتبعته من جهة قفاه . انساب: دخل ، وأصلُ الانسياب ، جَرَى الحَيَّة على
وجه الأرض ، أو جَرَى الماء كذلك، ولا يكون الانسياب إلا على وجه الأرض ،
لا يقال : انساب فى الجُحر ؛ حدثنى به بعض مَنْ لقيت من أصحابنا ، وكان
أضبط الناس للسان العرب ، قال : وقول الحريري : «انساب فيها» وهم منه ، ولو قال :
«انشام فيها» لكان أمثل ، يشبهه بالسيف إذا وُضع فى غمده . غرارة : غفلة .
رَيْث : قدر . هجمت عليه : دخلت عليه فجأة ، ومنه هجم عليه الحر ، وهجمت
عينه : دخلت فى رأسه . محاذياً : ملاصقاً أو جالساً بجذائه . تليذ : متعلم الصنعة .
حَنِيد : مشوى ، وحنذ اللحم حنذاً : شواه بججارة محمّاة . نبيد ، أراد به
خمرًا . خبرك ، أراد به أمرك الذى أنت عليه . مخبرك ، أى باطنك وما يختبر
منك .

[أبو نواس فى مجالس الوعظ]

ومما ينتظم فى هذا النمط حكاية أى نواس حين رُئى فى مجلس منصور
ابن عمار يبكى ، فظنّ الناس أنه قد نَسَكَ ، فجعلوا يهشونهُ ، ويقولون : نرجو لك
من الله الخير ، فقال : أنا أهون على الله من ذلك ؛ وليس كما تظنون ، ولكن
أبكى لبقاء ذلك الغزال - وغلام بالمجلس يبكى من وعظ منصور - ثم قال :
لم أبك فى مجلس منصورٍ شوقاً إلى الجنة والحورِ

لكن بكأني لبكا شادنٍ تقيه نفسي كلَّ محذورٍ
تنسب الألسن في وصفه إلى مدى عجزٍ وتقصيرٍ

وحضراً أيضاً مجلس بعض القصاص ، فقالوا له : لعل الله قد أقبل بك ! فقال :
إنما حضرت لأجل هذا الغزال ، ثم قال :

خيامي والمعاصي ودعا ذكر القصاص
واسقياني الخمر صرفاً في أباريق الرصاص
وعلى وجه غزالٍ طائعٍ ليس بعاصي
بين فتیانِ كرامٍ قد تواصلوا بالمعاصي
وعلى الله - وإن أفد - سرطت في الذنب خلاصي

* * *

ففر زفرة القنيط ، وكاد يتهيز من القنيط ؛ ولم يزل يحمق
إلى ، حتى خفت أن يسطو علي . فلما أن خبت نارهُ ، وتوارى
أوارهُ ، أنشد :

لبستُ الخبيصةَ أبنِي الخبيصةِ
وأنشبتُ شعبي في كلِّ شبيصةِ
وصيرتُ وعظيَ أحبَّ ولةِ
أريغُ القنيصَ بها والقنيصه
وألجأني الدهرُ حتى ولجـ
تُبلطف احتيالي على الأيت عيصه

عَلَى أَنِّي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ
وَلَا نَبَضْتُ لِي مِنْهُ فَرِيصَتَهُ
وَلَا شَرَعْتُ بِي عَلَى مَوْرِدِ
يُدْنَسُ عَرْضِي نَفْسٌ حَرِيصَتَهُ
وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ
لَمَا مَلَكَ الحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيسَتِهِ

* * *

قوله: « فزفر زفرة القيظ »، الزفرة: تنفس المهموم أو المعتاظ، والقيظ: شدة الحر، شبه ما أبداه من شدة القيظ بوهج الحر. يتميز: يتقطع ويتفرق. يحملق: يحد النظر، والحلقة: نظر النضبان، والحلّاق: باطن الجفن. يسطو: يصل ويبتناولني بالمكروه، يقال: سطا عليه وبه، يسطو سَطْوًا وسطوة، إذا قهره وأذله. خبت ناره: سكنت حدة غيظه. توارى: تغطى واستتر. أواره: لهبه ونار غيظه. والأوار: وهج النار. الخميصة: كساء فيه خطوط. وقال يعقوب وأبو عبيد: الخميصة: كساء مربع أسودله علمان. الخبيصة: نوع من الحلواء، وتسميه عامتنا الخبيز، بالزاي، وكبني به عن لذة العيش. الشص: حديدة معوجة يصاد بها الحوت، وتسمى الصنارة. شيصة: ثمرة رديئة؛ ومن ملح قصاص البلدان، أن أبا عبد الله جعلنا برتيا ولا تجعلنا شيصا. وقال قاص آخر: إن في الجنة لحم جدى ولحم خروف، ولحم كل شيء بلا عظم مثل الشيص في بلادنا بلا نوى، يريد أنه لا يحترق شيئا؛ فكل ما اتخذ له أخذه. أحبولة: آلة يصاد بها. أريغ: أطلب ملبصعب أخذه، كأنه يروغ من كذا، وأصل راغ من كذا، أى عدل عنه ورجع، وهو يخفى رجوعه. قلل الفراء: لا يقال للذي يرجع: راغ يروغ، إلا أن يكون مخفيا

لرجوعه، قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبُ الْبَالِمِينَ﴾^(١)، أى رجع إليهم يضر بهم مخفياً لرجوعه، ومعنى «بالمين» أى يمينه الذى حلف فى قوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾^(٢)، أو يريد بالمين القوة، وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ﴾^(٣)، أى رجع إليهم فى إخفاء منه لرجوعه . القنيص والقنيسة : الذكر والأنثى مما يصاد من الوحش ، وهذا مثل ، وإنما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل . الأجانى : أحوجنى . ولجت : دخلت . لطف : رقة وتلطف . عيصه : بيته ، وأصله الشجر الملتف . والليث : الأسد . أهب : أخف . صرفه : تقبّبه . نبضت : تحركت . فريضة : بضعة فى آخر الكتف تتحرك عند النزاع . شرعت : دخلت . وعلى : بمعنى « فى » نحو قولك : كان ذلك على عهد فلان ، أى فى عهده . مورد موضع الماء . يدنس : يوسخ ويعيب . عرضى : ذكرى . نفس حريضة : كثيرة الرغبة والطعم . القنيسة : الخصلة القبيحة يفعلها الرجل فينقص بها .

وقال بعضهم :

غَضِي عِيونَكَ يَا عِيونَ النَّرْجِسِ	مِنْكَ اسْتَحْيَيْتُ بَأْنَ أُقْبِلَ مَوْسِي
نَامَ الْحَبِيبُ تَدَبَّلَتْ أَجْفَانُهُ	وَعِيونَكَ شَوَاخِصٌ لَمْ تَنْعَسِ
فَأَجَانِي تَفْلَاحَ صَفْحَةٍ خَدِهِ	بِفَصَاحَةٍ مِنْ أَلْسِنٍ لَمْ تُخْرَسِ
قَبْلُ حَبِيبِكَ مَا اسْتَهَيْتَ فَإِنْ مِنْ	عَادَاتِنَا كَبْتَانِ سِرِّ الْجِمَاسِ
يَارَبِّ إِنْ قَدَّرْتَهُ لِمُقْبَلٍ	غَيْرِي فَلِلْمَسْوَاكِ أَوْ لِلْأَكْوَسِ
وَلَنْ قَضَيْتَ لَنَا بِصُحْبَةٍ ثَالِثٍ	يَارَبِّ فَلْتَكُ شَمْعَةٌ فِي الْجِمَاسِ

ومن أحسن ما قيل فى الدهر ، قول تميم بن المعز :

(١) سورة الصافات ٩٣

(٢) سورة الصافات ٩٣

(٣) سورة الأنبياء ٥٧

يا دهرُ ما أقساک من متلون
 أتروح للنکس الجهول متهداً
 وإذا صفوت کدرت شيمة باخلٍ
 لا أرتضیک وإن کرمت لأنی
 زمنٌ إذا أعطی استردَّ عطاءه
 ما قام خیرک یا زمان بشره
 فی حالتیک وما أقلک مُنصفاً^(١)
 وعلى اللیب الحر سيقاً مرهفاً!^(٢)
 وإذا وفیت نقضت أسباب الوفا
 أدری بأنک لا تدوم على الصفا
 وإذا استقام بدا له فتجرفاً
 أولى بنا ما قلّ منك وما کفی
 إدريس بن الجان^(٣) :

ماذا أقول لدنيا لو ظنرتُ بها
 شجاً من أقذية الأيام برح بي
 أدبها غضباً للعلم والأدب
 بل بالعوالى وبالهندية القضب

ثم قال لي : اذن فكل ، وإن شئت فقم وقل .
 فالتفتُ إلى تلميذه وقلتُ : عزمتُ عليكِ بمن تستدفع به
 الأذى ، لتخبرني من ذا؟ فقال : هذا أبو زيد السروجي ، سراج
 العرباء ، وتاج الأدباء .

فانصرفتُ من حيث أنبتُ ، وقضيتُ العجب مما رأيتُ !

قوله : « اذن » ، أى اقرب . قل ، أى قل ماشئت . التلميذ : الخادم ، والجمع

(١) ديوانه ٢٧٤

(٢) النكس : الرجل الضعيف القصر عن غاية النجدة والكرم .

(٣) هو أبو علي إدريس بنه اليماني العبدي الأندلسي ، صاحب الأملح الكثيرة

للكوائف ، ذكره صاحب المغرب في ١ : ٤٠٠ .

التلاميذ ، قال لبيد^(١) :

* يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلَا قَشِينَا *

أى يجلو التلاميذ لولواً جديداً ، وطابة العلم : تلاميذ شيخهم . الأذى : الضرر . سراج : مصباح ، يريد أنه للغرباء مصباح يفخرون به ويمتدون بحيلته ، وللأدباء تاج يترزبون به ويضعونه فوق رؤوسهم . انصرفت : رجعت . قضيت العجب ؛ أى أتمته ، كأنه قال : قضيت حاجتى مما رأيت . ويقال : قضى نجبه من كذا ، أى بلغ مراده ، وقضى عليه القاضى ، أى قطع عليه ، والقاضى : القاطع للأمور المحكم لها ، وقوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾^(٢) ، أى قطعهن وأحكم خلقهن ، ويكون « قضى » بمعنى « عمل » .

(١) ديوانه ٣١ وسدره :

* فإلما يَجْلُو مَتُونِهِنَّ كَمَا *

(٢) سورة فصات ١٢ .

المقامة الثانية وهي الخلوانية

حكى الحارث بن همام قال : كلفْتُ مُذْمِيطَةً عَنِّي
 التَّمَامُ ، وَنَيْطَةً بِيِ انْعَمَاءُ ، بَأَنْ أَغَشَى مَعَانَ الْأَدَبِ ، وَأَنْضِي
 إِلَيْهِ رِكَابَ الطَّلَبِ ، لِأَعْلَقَ مِنْهُ بِمَا يَكُونُ لِي زِينَةً بَيْنَ الْأَنَامِ ،
 وَمُزْنَةً عِنْدَ الْأَوَامِ . وَكُنْتُ لِفِرْطِ اللَّهْجِ بِقِتْيَاسِهِ ، وَالطَّمَعِ فِي
 تَقَمُّصِ لِبَاسِهِ ، أَبَاحِثُ كُلِّ مَنْ جَلَّ وَقَلَّ ، وَأَسْتَسْقِي الْوَبْلَ
 وَالطَّلَّ ، وَأَتَمَلَّلُ بِعَيْي وَوَلَلَّ .

كَلِفْتُ ، أَى اشْتَدَّحِي ، وَالكَفَّ : شِدَّةُ الْحَبِّ وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ ، وَفُلَانٌ كَلِفْتُ
 بفلان ، أَى مَبَالِغٌ فِي مَحَبَّتِهِ . وَمِيْطَةٌ وَأَمِيْطَةٌ : أَزِيلْتُ . التَّمَامُ : الْأَحْرَازُ .
 نَيْطَةٌ : عُلِقَتْ ، وَإِذَا بَلَغَ الصَّبِيُّ الْحِلْمَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَزَلُّوا الْأَحْرَازَ عَنْ عُنُقِهِ ، وَالْبِسُ
 الْعِمَامَةُ وَالْإِزَارُ ، وَقُلْدُ السِّيفِ ، فَأَرَادَ : أَحْبَبْتُ مَذْبَلْتُ الْحِلْمَ مَجَالِسَ الْأَدْبَاءِ . أَغَشَى :
 أَقْصَدُ وَأَدْخَلَ .

المعان : المنزل . أبو عبيد ، يقال : البصرة معانٌ منّا ، أَى مَنْزِلُ مَنْنَا ،
 قال المرى :

معانٌ من أحببتنا معانٍ^(١)

فالأول اسم موضع معلوم جنس به ، وجعله منزل أحبابه . وقال بعضهم :

(١) سقط الزند ١٧٢ ، والبيت مطلع قصيدة له ، وبقية :

* تُحِبُّ الصَّاهِلَاتِ بِهِ الْقِيَانُ *

سُمِّي معاناً لمعاينة الناس فيه بعضهم بعضاً ، أو لأنّ فيه أعيانا . أنضِي : أهزِل
الركاب : الإبل ، وجعل للطلب إبلا مجازا ، وإنما يريد : أتعبت نفسي فرحلت
إلى طلبه على الإبل . لأعاق منه : لأحصل منه على فائدة أتعاق بها . الأنام : الخلق .
مُزنة : سحابة . الأوام : شدّة العطش ؛ يريد أنه يتعب نفسه في طلب الأدب ليتزيّن
به بين الناس ، ويعيش به إذا احتاج إليه . فرَط اللّهج : شدّة الحب ، يقال : قد
لّهج بالشئ إذا أكثر الحديث به لحبه فيه ؛ وحرصه عليه . ولّهج الفصيل بالرّضاع ،
إذا لجّ فيه . اقتباسه : اكتسابه . التقمص : لبس التميمص . لباسه : ثيابه ،
أى أطمع أن ألبس من ثيابه قميصاً . أباحث : أسائل . جلّ : عظم . قلّ :
حقر . أستسقي الوبل والطلّ ، أى أطلب منه السقي ، والوبل : أشدّ المطر والطلّ :
أضعفه ، ويقال : الرُّكّ أضعف من الطلّ ، ومنه قيل للدنيء : ركيك . أتعلّل :
أشغل نفسي وأطعمها . والعلالة : الشئ اليسير . وعسى وعلّ : معناهما الرجاء
والطمع ؛ يريد أنه يسائل الجليل في العلم والحقير ، ومنّ أكثر علمه وكان كالوبل ،
أو قلّ وكان كالطلّ ، وإذا فقد من يؤخذ عنه العلم رجا نفسه بوجوده وأطعمها .
والتعلّل : قطع الزمان بالعيش اليسير ، وقد تعلّل بشرابه ، إذا أخذ منه قليلا قليلا ؛
فغنى «أتعلّل بعسى وعلّ» ، أذهب علة وجدي بالرجاء والطمع .

* * *

فَلَمَّا حَلَمْتُ حُلُومَانَ ، وَقَدْ بَلَوْتُ إِخْوَانَ ، وَمَسَبَّرْتُ
الْأَوْزَانَ ؛ وَخَبَّرْتُ مَاشَانَ وَزَانَ ، أَلْفَيْتُ بِهَا أَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ
يَتَقَلَّبُ فِي قَوَائِبِ الْإِنْتِسَابِ ، وَيَخْطِطُ فِي أَسَالِيبِ الْاِكْتِسَابِ ؛
فَيَدَّعِي تَارَةً أَنَّهُ مِنْ آلِ سَاسَانَ ، وَيَعْتَرِي مَرَّةً إِلَى أَقْيَالِ غَسَّانَ ،
وَيَبْرُزُ طَوْرًا فِي شِعَارِ الشُّعْرَاءِ ، ثُمَّ يَلْبَسُ حِينًا كِبْرَ الْكِبْرَاءِ .

* * *

[ذكر حلوان]

حللت : نزلت . وحلوان : بلدة بينها وبين مدينة بغداد أربع مراحل ، وهي من كُور الجبل ، وسميت باسم بانيتها ، وهو حلوان بن علي بن الحاف بن قضاة ، وهي مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ ، وهي مقابلة لطبرستان . وهي جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل ، وبها قصب السكر وافتتحت في زمن عمر .

* * *

بلوت : جرّبت . الإخوان : الأصحاب . سبرت : فتمشت . الأوزان : أقدار الناس . خبرت : جرّبت وعرفت . شان : عاب ، وزان : زين ؛ يريد أنه دخاها وهو مجرّب عارف بالناس . ألفيت : وجدت . يتقّب : يتنوّع . قوالب : جمع قالب ، وقالب كل شيء : قياسه وما يُصنع عليه . يخبط : يمشى ، والخبط : المشى في الأرض على غير قصد كمشى الأعمى . أساليب : طرق ، واحدها أسلوب . آل ساسان : ملوك الفرس . يعترى : ينتسب . أقيال : ملوك . غسان : قبيلة باليمن كان منها ملوك . وغسان : ماء كان شرباً لولد مازن بن الأزدي بن العوث فسُموا به . يبرز : يظهر . طوراً : حيناً . شعار : ثياب ، والشعار ثوب يلي الجسد . كبر : تكبر ، يريد أنه لقي أبا زيد بحلوان يتنوّع بذلك في أحوال المكدين ، ويجرى بذلك في طرق اكتساب العيشة فيدعى أنه من آل ساسان .

[شعار الكدية]

وأصل هذا أن الفرس كان فيهم الملك ، وكانت العرب تحت حكم ملوكهم ، فها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكهم بكتابه يدعوهم به إلى الإسلام ، مزقوه ، فدعا الله عليهم أن يُمزقوا كل ممزق ، فأوقع بهم المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية ، فلم يبق لهم في الملك رسم ، وصاروا في خلافة عثمان رضي الله عنه تحت حكم المسلمين ، وكانوا أهل دهاء وجراءة وحروب

ورماية ، فسكن من بقى منهم الأمصار ، واستعربوا وتثقفوا ، فكان منهم من ذم
الله به المسلمين ، وكان منهم أهل أهواء وبدع ، ونشأت منهم هذه الطائفة الخسيسة ،
أهل الكدبية ، فكانوا يطوفون على البلدان ، ويقولون : نحن من بنى ساسان ،
فينتسبون إلى ملوكهم ، ثم يتدللون في السؤال ، ويذكرون تلاعب الدهر وانقلاب
حال الملوك إلى السؤال ، فيقع الإشفاق عليهم ، والميل بالرزق لهم ، حتى شعر الناس
بمكرهم وخديعتهم ، فطردوا ، وصار الناس إذا رأوا سائلاً متمسكاً قالوا :
ساسانى . وقيل : إن ساسان اسم رجل معين ، وهو أول من أسس الكدبية ،
فنسبوا إليه ، كما أن الطنبلي منسوب إلى رجل اسمه طنبيل وهو أول من تطفل .
فأراد أن أبا زيد كان يتنوع في أحواله ، فيتمسكن تارة ويدعى أنه من
ساسان ، ويتعاطم أخرى فينتسب إلى غسان ، ويبرمز مرة في أحلاس الشعراء
المكدين ، ويظهر ثانية في ثياب فاخرة ، لباس الكبراء المثريين .

* * *

يَبْدَأُ أَنَّهُ مَعَ تَلَوْنِ حَالِهِ ، وَتَبَيُّنِ مُحَالِهِ ، يَتَحَلَّى بِرِوَاءِ وَرَوَايَةِ ،
وَمُدَارَاةِ وَدِرَايَةِ ، وَبِلَاغَةِ رَائِعَةِ ، وَبِدِهَةِ مُطَاوِعَةِ ، وَآدَابِ
بَارِعَةِ ، وَقَدَمِ لِأَعْلَامِ الْعُلُومِ فَارِعَةِ ، فَكَانَ لِمَحَاسِنِ آيَاتِهِ ،
يُبَلِّسُ عَلَى عِلَالَتِهِ ، وَلِسَعَةِ رَوَايَتِهِ ، يُصْبِي إِلَى رُؤْيَتِهِ ، وَلِخَلَابَةِ
عَارِضَتِهِ ، يُرْغَبُ عَنْ مُعَارِضَتِهِ ، وَلِعُدُوبَةِ إِرَادِهِ ، يُسَمَفُ بِجُرَادِهِ ،
فَتَمَلَّقَتْ بِأَهْدَابِهِ ، لِخِصَائِصِ آدَابِهِ ، وَنَافَسَتْ فِي مُعَافَاتِهِ ،
لِنَفَائِصِ صِفَاتِهِ .

فَكُنْتُ بِهِ أَجْلُو مُؤَمِّمِي وَأَجْتَلِي
زَمَانِي طَلَقَ الْوَجْهَ مُلْتَمِعِ الضِّيَا

أَرَى قُرْبَهُ قُرْبِي وَمَمْنَاهُ غَيْبَةً وَرُؤْيِيَهُ رِيًّا ، وَمَخْيَاهُ لِي حَيًّا

قوله : « بَيِّدْ أَنَّهُ » ، أى غير . مُحَالَه : باطله ، والمُحَال ما لا يمكن أن يُتصَوَّر ، وهو « مفعول » من حال الشيء ، إذا تغير ، كأنه زال عن وجهه . يتحلى : يتزين . رواء : نظافة وحسن منظر . مداراة : حسن سياسة في صُحْبَتِهِ ، وأصلها المخادعة . دراية ودرية : مصدر دَرَيْت . بلاغة : فصاحة . رائعة : معجبة ، ومَنْ شاهدتها ارتاع وتعجَّب . والبديهة والبداهة : الأخذ في الكلام من غير فكرة ، وهى الارتجال . مطاوعة : مُنْقَادَة . بارعة : فائقة تفضل غيرها . أعلام : جبال . فارعة : طائفة قد علمتها ، واللام فى قوله : « لأعلام » زائدة ، وزيادتها إذا تقدمت أحسن منها إذا تأخرت ، مثل ضربت زيدا ولزيد ضربت . آلاته : عدده ، وأراد به هذه الأنواع التى قدمها التى تحلى بها . يابس : يصاحب ويخالط . علاته : عيوبه التى ذكر من أنواع الغربة . سعة روايته : كثرة علمه وما يرويه . يُضَيُّ : يمال . خلابة : خداع ، وقد خلبه خلباً وخلابة : خدعه . عارضته : قوة كلامه . معارضته : مقابله ومناقضة كلامه ، وتقول : رغبت عن الشيء تركته وتزهدت فيه ، ورغبت فيه ، إذا أحببته ، فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته لا يعترض أحد لجداله ، فهو يخادع به الناس حتى لا يعترض له فيما يقول ، وقيل : معنى فلان شديد العارضة ، إذا أفحش وأسمع المكروه ، ورجل شديد العارضة ، أى لا تقرب ناحيته . إيراده : أخذه فى الكلام . يسعف : يساعد . أهدا به : أطراف ثوبه . وخصائص الشيء : ما يختص به ، أى ينفرد . نائست : زائدت وغاليت . مصااته : مصاحبتة . نئاس : جمع نفيس ، وهو الرفيع من كل شيء يسقى نئاساً ، من النفس وهى العين ، حتى كأنه لرفعته تتعلق به العين ، وقد قال المعرى :
فالعينُ يسلمُ منها ما رأتُ فنبتُ عنه وتلحقُ ما تهوى من الصُّورِ (١)
قوله : « أجلو » ، أى أكشف . أجتلى : أنظر . طلق الوجه : مستبشرا ، والطلاق

ضدّ العابس . ملتجع : منير بادي الامعان : قربي : نسباً ، ومغناه : منزله ، من قولهم : غني بالمكان يعني غنياً ، إذا أقام به . غنية : غني ، يقال : غني يعني غني فهو غني ، إذا استغنى ، والاسم : الغنية . ريباً : شعباً من الماء ، ورويت من الماء ضدّ عطشت : محياه : حياته . حياً : مطر عام . ويقول : إنه كان بمصاحبتة أبا زيد يزول همه ، ويلقاه يبشر منه ، فيرى قربه منه بالودّ كقرابة النسب ، وكان منزله لما يجد فيه من الخصب أو من غزارة العلم يرى أنه غناه ، وإذا رآه زال عطشه للعلم أو للماء برويته . وقصد تجنيس الألفاظ ببعده المعنى .

* * *

وَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً ، يُنْشَى لِي كُلِّ يَوْمٍ نَزْهَةً ، وَيَذُرُّ عَن قَلْبِي شُبْهَةً ، إِلَى أَنْ جَدَحْتَ لَهُ يَدُ الْإِمْلَاقِ كَأْسِ الْفِرَاقِ ، وَأَغْرَاهُ عَدَمُ الْعِرَاقِ بِتَطْلِيْقِ الْعِرَاقِ ، وَانْفَظْتُهُ مَعَاوِزُ الْإِرْفَاقِ إِلَى مَفَاوِزِ الْآفَاقِ ، وَنَظَّمَهُ فِي سِلْكِ الرَّفَاقِ خُفُوقُ رَايَةِ الْإِخْفَاقِ ، فَشَحَذَ لِلرَّحْلَةِ غِرَارَ عَزْمَتِهِ ، وَظَمَنَ يَقْتَادُ الْقَلْبَ بِأَزْمَتِهِ .

فَمَا رَاقِي مِنْ لَاقِي بَعْدَ مُبْعِدِهِ

وَلَا شَاقِي مِنْ مَسَاقِي لَوْصَالِهِ

وَلَا لَاحَ لِي مُدٌّ نَدٌّ لِفِضْلِهِ

وَلَا ذُو خِلَالٍ حَازَ مِثْلَ خِلَالِهِ

° ° °

لبثنا : أقمنا . برهة : مدة . ينشئ : يصنع ويتبدى . والنزهة ، أصابها التّباعد عن الرّيب ، ثمّ كثرت حتى صارت الخروج للرياض للتفرّج ، ثمّ استعملت في المعاني ، فقيل : نزّه فلان في آدابه ، وكنتي بهذا عمماً يستفيدة من علمه . يذراً : يدفع . شبهة : إشكال والتباس . جدحت : حركت ومزجت . والمجدح : (٦ - شرح مقامات الحريري ١)

آلة يمزج بها المشروب الصعب الامتزاج . الإملاق : الفقر من الملقّة وهي الصخرة
الملساء ، فأملق ، كأنه صادف ملقّة لاتنبت شيئاً ، ولم يصادف خصباً بعد أن كان
في ترفهٍ وغنى . أغراه : حرّضه .

والعراق ، اختلفوا فيه ، فقال صاحب العين : العراق : العظم بلا لحم ، فإن
كان عليه لحم فهو عرق .

ابن قتيبة ، يقال للعظم الذي عليه اللحم عراق ، وللخالي من اللحم عرق .
أبو عبيد ، العراق : القاعة من اللحم . أبو يزيد ، قول العامة : ثريده العراق
خطأ ؛ إذ كان العراق العظام ، وأنشد لرجل يطرد الطير عن زرعه في
عام جذب :

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِسْفَاقِهَا وَمِنْ طَرَادِي الطَّيْرَ عَنْ أَرْزَاقِهَا

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفْتُ عَنْ سَاقِهَا حَمْرَاءَ تَبْرَى اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا

ابن الأنباري ، قول أبي عبيد هو الصواب ؛ لأن العرب تقول : أكلت
العراق ولا تقول : أكلت العظم ، وفي حديث أم إسحاق العنزيّة^(١) : فجعلت
لا آكل العراق ولا أضعه ، فقولها : « لا آكل » يدلّ على أن العراق لحم مفرد
أو لحم على عظم .

الأصمعي ، قيل لأعرابي : أيّ الطعام أطيب ؟ قال : ثريده دكّناء من
الفلفل ، رقطاء من الحمض ، ذات حفافين من البضع ، لها جناحان من العراق ، قيل :
كيف أكلك لها ؟ قال : أصدع بهاتين — يعني السبابة والوسطى — وأسند بهذين —
يعني الإبهام والخنصر — وأجمع ما شدّ منها بهذه — يعني البنصر — وأضرب
فيها ضرب ولّى السوء في مال اليتيم . فهذا يدلّ على أن العراق قطع اللحم إذ كانت
العرب لاتصف الثريد والأطعمة بكثرة العظام .

والعراق في البيت : الأكل ، تقول : عرقت العظم عراقاً ، أكلت ما عليه
من اللحم ، والعظم معروق ، وهو بمنزلة سكت سكاتاً .

(١) اللسان : « الغنوية » .

العراق : قال صاحب العين : هو شاطئ البحر ، وبه سُميت العراق ،
لأنها على شاطئ دجلة . ابن الأعرابي ، سمي عراقاً لأنه سفل عن نجد ، ودنا من
البحر ، أخذ من عراق القرية ، وهو الخرز في أسفلها . قطرب ، سُمي عراقاً لأنه دنا
من البحر ، وبه يَنَاح وينجد .

ويقال : استعرت إبلمهم ، إذا أتت ذلك الموضع . لفظته ، أي رمته .
ومعاوز : جمع مَعَوَز ، والمعوز هو العوز نفسه ، والمعوز بالكسر : الثوب الخلق
وجمعها معاوز . الإرفاق ؛ مصدر أرفقته ، إذا أوصلت إليه نفعاً يَرْتَفِقُ به ، ورقفته
بمعناه ، فأراد بمعاوز الإرفاق فقد ما يَرْتَفِقُ به . والمفاوز : جمع مفازة وهي الصحراء ،
سميت مفازة على التفاؤل ، لأن الرجل إذا قطعها فاز ونجا . والآفاق : نواحي
الأرض . نظمه : ضمّه وجمعه . سلك : خيط . الرفاق : جمع رُفقة ، وعنى بسلك
الرفاق الطريق الذي ينتظمون فيه إذا أخذوا في السير ، لأنهم يمشون فيه واحداً
بعد واحد ، فنظمهم الطريق ، وصار لهم كالسلك . خفوق : اضطراب ، وقد خفق
خَفَقاً وخَفُوقاً ، والإخفاق : الخيبة ، ويقال : غدا فأخفق ، إذا خاب ، ومثله في الصائده :
صاد فأروق . شحد : حدّ وسنّ ، وشحد الرجل سيفه ، إذا ألحّ عليه بالتحديد ،
ومنه قولهم للملح في المسألة : شحاذ ، والعامّة تصحّفه فتقول : شحات ، بالتاء . غرّار :
حدّ . وأراد أنه لما عزم على الارتحال حدّ عزمته ، أي عوّل على السفر بحدّ .
والعزيمة : مصدر عزم إذا جدّ ، وجعل لها حدّاً ، مبالغة في تعجيل السفر . ظعن :
ذهب وارتحل . أزمّة : جمع زمام ، وهو حبل من جلود يشدّ به في حلقة مجموعة
في وتد أنف البعير ، فجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه ، وحينئذٍ إليه ؛
كأنه قد ربطها بأزمّة وقادها معه ، فمن روى « القلوب » عادت الهاء من
« أزمته » على السروجيّ ، ومن روى « القلب » عادت على القلب أو على
السروجيّ ، والقلب لابن همام .

قوله : « راقني » ، أي أعجبنى ، وقد راق الشيء يَرُوق رَوْقاً فهو رائق ،
إذا أعجب . لاقني : لصق بي وصحبنى .

شاقى : شوَقى . ساقى لوصاله : دعانى لصحبته . لاح : ظهر . ندَّ : فرّ وشرد .
 ندَّ : مثل ، والجمع أُنْدَاد . خِلَال : جمع خُلَّة بالضم ؛ وهى الصداقة ، خِلاله :
 جمع خُلَّة بالضم أيضاً ، وهى الخصلة . وهذا النَّمط فى وصف الصديق وغيبته بارع .
 ولا بن عمران فى ذلك :

يَمْزَجِبًا بِصَدِيقٍ لَسْتُ أَبْصِرُهُ إِلَّا تَجَدَّدَ لِي أَنْسٌ بِمَرَأَةٍ
 وَإِنْ تَعَيَّبَ عَنِّي فَلَمْ أَرَهُ فَلَئِنْ فَوَّادَ بظَهْرِ الغَيْبِ يَرَعَاهُ

* * *

وَاسْتَسْرَّ عَنِّي حِينًا ، لَا أَعْرِفُ لَهُ عَرِينًا ، وَلَا أَجِدُ عَنْهُ مَبِينًا .
 فَلَمَّا أَبْتُ مِنْ غُرْبَتِي ، إِلَى مَنْبِتِ شُعْبَتِي ، حَضَرَتْ دَارَ كِتَابِي الَّتِي
 هِيَ مُنْتَدَى الْمُتَادِبِينَ ، وَمُلْتَقَى الْقَاطِنِينَ مِنْهُمْ وَالْمُتَعَرِّينَ ، فَدَخَلَ
 ذُو لِحْيَةٍ كَثَّةٍ ، وَهَيْئَةٍ رَثَّةٍ ، فَسَلَّمَ عَلَى الْجُلَاسِ ، وَجَلَسَ فِي
 أُخْرِيَاتِ النَّاسِ .

° ° °

استسرّ : غاب واختفى ، وأصله من سِرار الهلال فى آخر الشهر ، وهو
 يستسرّ ليلة لا يظهر أو ليلتين . والعرين : بيت الأسد وماواه . مبيناً : معلماً به
 يبين لى أين استقرّ . أبْتُ : رجعت . منبت شعبتى ، أى بلدة قرابتى التى نبتوا
 فيها ، يريد البصرة . والشُّعبة : القرابة . دار كتبها : مدرسة العلم . منتدى : مجتمع .
 القاطنين : الساكنين ، وقطن بالمكان : أقام فيه . كثّة : كثيرة الأصول من
 غير طول .

[مما قيل فى اللحية]

ويقال للحية إذا قصر شعرها وكثر : إنها لكثّة ، وقد كثت تكث كثافة
 وكثوثة ، ورجل كث اللحية ، ولحية كُثْمَةٌ ، إذا كثفت وقصرت وجعّدت ،

«ورجل كثرهم اللحية . وإذا عظمت وكثر شعرها قيل : إنه لذو عُشَنون ، وإنه
 لَهَلُوفٌ ، فإذا كانت اللحية قليلة في الذقن ولم تكن في العارضين فذلك السَّنُوطُ
 والشَّنَاطُ ، ورجل سُنَاطٌ : بَيْنَ السَّنَطِ ، فإذا لم يكن في وجهه كثير شعر ، فذلك
 الشُّطَطُ ورجل نُطٌّ ، ورجال نُطَاطٌ . والسَّبَلَةُ : مَقْدَمُ اللّحِيَةِ ، ورجل مَسِيلٌ ، وفلان
 خفيف العِذارين ، وهما ما اتصل من شعر اللحية بالصدغ ، وهما العارضان ، وهما
 ما نبت في الخدين من الشعر على عوارض الأسنان ، قال رؤبة في لحية حرب بن قطن :
 هَلُوفَةٌ كَأَنَّهَا جُوالِقُ نَكَدَاهُ لَا بَارِكُ فِيهَا الْخَالِقُ
 لَهَا فَضُولٌ وَلَهَا بِنَائِقُ إِذَا الرِّيحُ الْعَصْفُ السَّوَابِقُ
 طَيْرُنَهَا طَارَتْ لَهَا عَقَائِقُ إِنْ الَّذِي يَحْمِلُهَا لَمَائِقُ
 وَأَنشَدَ أَبُو عَلِيٍّ :

وَأنتِ امرؤٌ قد كَثَّاتُ لَكَ لِحِيَةً كَأَنَّكَ مِنْهَا قَاعِدٌ فِي جُوالِقِ
 وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ سَعَادَةَ الْمَرْءِ خَفَتِ لِحِيَتُهُ» . وَكَانَتْ عَائِشَةُ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقْسِمُ فَتَقُولُ : « لَا وَالَّذِي زَيَّنَ الرِّجَالَ بِاللَّحْيِ » ، تَقُولُ : إِنَّهُ قَسَمَ
 لِلْمَلَائِكَةِ .

قَالَ الْأَحْذَبُ الصُّوفِيُّ : سَمِعْتُ مَطْيَارَ بْنَ أَحْمَدَ يَقُولُ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَشْتَهَى لِحِيَةً كَبِيرَةً ، فَقَالَ لِي :
 « لِحِيَتُكَ جَيِّدَةٌ ، وَأَنْتَ مَحْتَاكُ إِلَى عَقْلِ تَامٍ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اَعْتَبِرْ وَاعْقِلِ الرَّجُلُ فِي ثَلَاثٍ : فِي طَوْلِ لِحِيَتِهِ ،
 وَنَقْشِ خَاتَمِهِ ، وَكُنْيَتِهِ » .

أَنَّى رَجُلٌ طَوِيلُ اللّحِيَةِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ : أَمَّا اللّحِيَةُ فَلَا نَسْأَلُ عَنْهَا ،
 بَلْ نَقْشُ خَاتَمِكَ ؟ فَقَالَ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ
 الْغَائِبِينَ ﴾ ^(١) ، قَالَ : فَمَا كُنْيَتُكَ ؟ فَقَالَ أَبُو الْكُوْكَبِ الدَّرَمِيُّ ، قَالَ : كَمَلُ الرَّجُلِ .

(١) - سورة النمل . ٢٠ .

وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء .
 وكان عبد الله بن عمر يقيض على لحيته ، ويأخذ ما زاد منها على قبضته .
 الحسن بن المنثى : إذا رأيت رجلاً له لحية طويلة ، ولم يتخذ لحية بين لحيتين ،
 كان في عقله شيء .

وكان المأمون جالساً مع ندمائه ببغداد ، مشرفاً على دجلة وهم يتذاكرون
 أخبار الناس ، فقال المأمون : ما طالت لحية إنسان قط إلا ونقص من عقله بمقدار
 ما طال من لحيته ، وما رأيت عاقلاً قطُّ طويل اللحية . فقال له بعض جلسائه ، ولا
 يردّ على أمير المؤمنين : قد يكون في طول اللحية أيضاً عقل ؛ فبينما هم يتذاكرون في
 هذا ، إذ أقبل رجل كبير اللحية ، حسن الهيئة ، فاخر الثياب ، فقال المأمون :
 ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : رجل عاقل ، وقال آخر : يجب أن
 يكون هذا قاضياً ، فقال المأمون لبعض الخدم : على بالرجل ، فلم يلبث أن أضعده
 إليه ووقف بين يديه ، فسلم فأجاد السلام ، فأجلسه المأمون ، واستنطقه فأحسن النطق ،
 فقال المأمون : ما اسمك ؟ فقال : علوية ، قال : فما الكنية ؟ قال : أبو حمدويه ،
 فضحك المأمون ، وغمز جلساءه ثم قال : ما صنعتك ؟ قال : فقيهٌ أجيد الشرع
 في المسائل ، فقال له : نسألك مسألة ! فقال الرجل : سل عما بدا لك ، فقال له
 المأمون : ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل ، فلها تسلمها المشتري ، وقضى
 الثمن ، ضرطت ، فخرج من استها بعة ففقت عين رجل ؛ على مَنْ تجب دية
 العين ؟ قال : فنسكت بإصبعه في الأرض طويلاً ، ثم قال : تجب على البائع دون
 المشتري ، فقال المأمون : وما العلة التي أوجبت الدية عليه دون المشتري ؟ قال :
 إنه لما باعها لم يشترط أن في استها منجنيقاً ، قال : فضحك المأمون حتى استلقى على
 قفاه ، وضحك كل من حضره من الندماء . وأنشد المأمون يقول :

ما أحدٌ طال له إحييةٌ فزادت اللحيةُ في حليته

إلا وما ينقص من عقله
وقال آخر :

إذا عظمت للفتى لِحْيَةٌ
فإنقصان عقل الفتى عندنا
وأشدد أبو علي :

لا تفخرنَّ بالحِيةِ
يهوى تفرُّقها الرِّيا
قد يدرك الشرفَ الفتى
وقال : الحسيلة العجلة .

وأشدد أبو العباس رحمه الله :
كل امرئٍ ذى لحية عَثْوَلِيَّةٍ
وما الفضلُ في طول السِّبَالِ وعرضِهِ
عَثْوَلِيَّةٌ : كبيرة .

نظر يزيد بن مزيد الشيباني رحمه الله إلى رجل ذى لحية عظيمة ، وقد
تلففت على صدره ، وإذا هو خاضب ، فقال له : إنك من لحيتك في مثنوثة ، فقال :
أجل ، ولذلك أقول :

لَعَمْرُكَ لو يعطى الأميرُ على اللحي
إذا لشفتني لحيتي من عصاية
لأصبحتُ قد أيسرتُ منذ زمان^(١)
لهم عنده ألفٌ ولى مائتانِ
وآخر للحِمْماءِ بيتِ درانِ
ولولا نوالٌ من يزيد بن مزيدِ
لصوت في حافاتهما الجلمانِ

(١) الأبيات في اللسان (حسل) من عجز نسبة .

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ١٢٨

فأمر له بمشرة آلاف درهم . والجلمان : المقصّ ، ويسمى الجالم .

وقال إسحاق بن خلف يصف رجلاً بالقصرِ وطول اللحية :

ما سرّني أنّني في طولِ داودِ وأنتي علم في البأسِ والجودِ^(١)
 ماشيتُ داودَ فاستضحكتُ من عجبِ كأنني والذئبيشى بموؤودِ
 ما طولُ داودَ إلا طولُ لحيتهِ يظلُّ داودُ فيها غيرَ موجودِ
 تكنه خصلة منها إذا نفحت ريح الشمالِ ، وجفّ الماء في العودِ
 أجدى وأغنى من الخبزِ الصفيقِ ومن بيض القطائف يوم القترِ والسودِ

وأشدّ إفراطاً منه قول ابن الرومي :

ولحيةٍ يحملها مائقٌ مثل الشراعين إذا شربعا
 تقوده الريح بها طامعاً قوداً عنيفا يتعب الأخذعا
 وإن عدا والريح في وجهه لم ينبعث في مشيه إصبعا
 لو غاص في اليمّ بها غوصةً صاد بها حيتانه أجمعا

وأشدّ إفراطاً منه قول الآخر :

يا لحيّة الشيخ الأزب تميم أهديت للأقوام عرف الثوم
 لو أنها دون السماء غمامةً ضاقت مسالك دعوة المظلوم
 أو صبّها في الماء ثم سماها قامت مقام العارض المركوم
 ولا بن سارة :

ولحيةٍ لست أدري كيف أنعتها فضول أشعارها أودت بأشعاري
 كأنها ويمينُ الريح تنشرها مذبة وقعت في عود بيطان

(١) الكامل للهبرد ٢ : ١٢٨

وقال آخر :

أبصرتُ شيخاً ذاهباً جائياً ذا لحيةٍ قد كبرتُ في اتِّساعِ
عرضاً وطولاً وهو من خلفها كأنه ناشرُ ثوبٍ يُباعِ
وقال آخر :

لقد كانتُ مجالسنا فساحاً فضيَّتها بلحيتهِ ربَّاحِ
مُقلَّبةُ الأسافل والأعالي لها في كلِّ زاويةٍ جناحِ
وقال آخر :

يأتيها الناس خذوا جذرُكم قد برزتُ لحيتهُ مُهنَّولِ
فطولها الفرسخُ في فرسخِ وعرضها ميلٌ إلى ميلِ
لو ضمَّ ما يقطر من دهنها أسرج منه ألفُ قنديلِ
ولو سها الحجاج عن قصها لحالطت ما في السراويلِ

ذكر هنا أبو محمد لحية السروجي أنها كتة، وكل صفة يصف بها السروجي في المقامات ، فتلك كانت صفة الحريري . وذكر ابن جهور أن الحريري كان قليل اللحية لا خلقة ، وإنما كان مولعاً بنفها ، كانت يده رحمه الله لا تفارق لحيته . وهذا على كثرته قليل فيما قيل في اللحية .

قوله «رثة» ، أى خلقة بالية . أخريات : أطراف ، وهي جمع أخرى .

* * *

ثم أخذَ يبدى ما في وطابه ، ويمجِبُ الحاضرينَ بفصلِ خطابه ،
فقالَ لمن يليه : ما الكتابُ الذي تنظرُ فيه ؟ فقال : ديوانُ
أبي عبادة ، المشهود له بالإجادة .

* * *

أتى طاحه رضى الله عنه مجلس قوم ، فجعلوا ينادونه من كلِّ جانب : هاهنا

يا صاحب رسول الله! قال: فجلس في أدنى المجلس، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن من التواضع لله الرضا بالذون من شرف المجلس».

وطابه: زقاق لبنيه، أراد أنه يظهر ما عنده. يعجب: يجعلهم يتمعجون. بفصل خطابه: يريد بفصل كلامه وجودة بلاغته، وقوله تعالى: ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾^(١) هو قول الخطيب: «أما بعد». يليه: يلصق به.

[البحتريّ وبعض أخباره وشعره]

أبي عبادة. قال البكريّ: هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد، من بني بختر بن عتود بن عنين ابن سلامان بن ثعل بن عمرو بن العوث بن جلهمة، وهي طيء. شاعر مقدّم لا يُعدّل به أحد، يفضّل على حبيب، والناس في تفضيلهما على اختلاف.

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: كان البحتريّ شاعراً فصيحاً، حسن المذهب نقيّ الكلام، ختم به الشعراء المحدثون، وله تصرف في ضروب الشعر، سوى الهجاء، وإن بضاعته فيه نزرّة.

قال البحتريّ: وكان أول أمرى أنى سرت إلى أبي عامر بحمص، فمرضت عليه شعريّ - والشعراء يعرضون عليه أشعارهم - فترك من حضر وأقبل علىّ، فقال لي حين تفرّقوا: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت خلة، فكتب إلى أهل معرّة النعمان، وشهد لي بالحدق في الشعر، وشفع لي إليهم، وقال: امتدحهم. فسرت إليهم، فأكرموني بكتابه، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته^(٢).

وحدث أبو الفرج، قال: حدثني أبو العوث البحتريّ، عن أبيه، قال: أوّل

(١) سورة ص ٢٠.

(٢) الأغاني ١٨: ١٦٧، ١٦٩.

أمرى أنى دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، فأنشدته قصيدة أولها :

* أأفاق صب من هوى فأفياً *

فسرّ أبو يوسف بها ، وقال : أحسنت والله يافى وأجدت - وفي مجاسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه ، فوق كل من حضر ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على ، ثم قال : أما تستحى منى ! هذا شعري تنتحله وتنشده بحضرتى ! فقال له أبو سعيد : أحقاً ما تقول ؟ قال : نعم ، وإنما علقه منى وسبق به إليك ، وزاد فيه . ثم اندفع فأنشد أ كثر القصيدة ، حتى شككتنى - علم الله - فى نفسى ، وبقيت متحيراً ، فقال لى أبو سعيد : يافى ، قد كان لك فى قرابتك منى ما يفنيك عن هذا ! ففجئت أحلف بكل محرّجة من الأيمان أن الشعر لى ، ماسمعه منه ، ولا انتحلته . فلم ينفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد ، وقطع بى حتى تمنيت أن يساخ بى فى الأرض ، ففقت منكسف^(١) البال ، أجرّ رجلى ، فما بلغت باب الدار حتى ردّنى الغلام ، فأقبل على الرجل وقال : الشعر لك يافى ، والله ماقلته قط ، ولا سمعته إلا منك ؛ ولكننى كنت ظننت أنك تهاونت بموضى ، فأقدمت على الإنشاد بحضرتى ، تريد مضاهاتى ، حتى عرفنى الأمير نسبك ، ولوددت ألا تلد طائية إلا مثلك ، ودعانى وضمّنى إليه ، وعانقنى ، وأبو سعيد يضحك ، فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه ، واحتذيت فنه^(٢) .

وعن أبى الفوش عن أبيه قال : ، قال لى أبو تمام : بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالا جليلاً ، فبم مدحتهم ؟ فأنشدنى شيئاً منه ، فأنشدته ، فقال لى : كم أعطوك ؟ فقلت : كذا ، فقال لى : ظهوك ، والله ماوفوك حقك ، فلم استكثرت ما أعطوك ! والله لبيت منها خير مما أخذت . ثم أطرق قليلاً وقال : لعمرى لقد استكثرت ذلك لك مات الكرام ، وذهب الناس ، وغاضت المكارم ، وكسدت

(١) الأغاني : « منكسر » .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٦

أسواق الأدب ، أنت الله يابني أمير الشعراء غداً بعدى ، فقامت فقَبَلت رأسه ويديه
ورجليه ، وقلت : والله لهذا التول أسرُّ لي مما وصل إلى منهم .

قال البحرى : أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعرى ، فأنشدنى
بيت أوس :

وإن مُهْرَمٌ مَنَّا ذَرَّاحِدُنَابِهِ تَمَخَّطَ فِينَا نَابُ آخِرِ مُهْرَمٍ (١)

ثم قال : يابني ، نَعَيْتَ إِلَى نَفْسِي : فقلت : أعيذك بالله من هذا ! فقال لى :
إن عمرى ليس يطول ، وقد نشأ مثلك لطياً ، أما علمت أن خالد بن صفوان
المنقرى رأى شبيب بن شبة ، وهو من رهطه يتكلم ، فقال . يابني ، نعى نفسى
إلى إحسانك فى كلامك ؛ لأننا أهل بيت ، مانشأ فىنا قط خطيب إلامات من قبله .
قال : فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ، ومات البحرى سنة ثلاث
وثمانين ومائتين .

المبرد : ذكرت للمتوكل المنازعة التى جرت بينى وبين أبى النفتح فى
تأويلات ، (٢) فبعث إلى عامله بالبصرة أن يحملنى إليه مكرهاً ، فوردت سر من
رأى ، فأدخلت على المتوكل ، وفى المجلس البحرى وأبو العنبر الصيمرى ،
فأنشده البحرى قصيدة أولها :

عن أى ثغرٍ تبسمُ وبأى طرفٍ تَحْتَكِمُ (٣)
حَسَنٌ يَصْنُ بِحُسْنِهِ وَالْحَسَنُ أَشْبَهُ بِالكَرَمِ

حتى بلغ :

قل للخليفة جعفر المتوكل بن العتصم

(١) وذرا حد نابه : انكسر ؛ كذا فسره صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت .

(٢) ج : « تأويلاته » ومى ساقطة من السعدوى وإنباه الرواة .

(٣) ديوانه ١٩٩٨ .

المرتضى ابن المجتبى والمنعم ابن المنتقم
 أمّا الرعيّة فهي من أمناتِ عدلِكَ في حرمِ
 يابانى المجدِ الذى قد كان قوّضَ فأنهدمَ
 اسلمَ لدينِ محمّدٍ فإذا سالتَ فقد سلّمَ
 نلنا الهدى بعد العمى بل والغنى بعد العدم^(١)

ثم مشى القهقرى للانصراف ، فوثب أبو العنابس ، وقال : يا سيدي «
 تأمر برده ! فقد والله عارضته ، فأخذ ينشد في ذلك :

في أيّ سلحٍ تنتظّمُ وبأيّ كفٍ تلتئمُ
 أدخلت رأس البحترى أبى عبادة في الرّحمِ

ووصله بما يشبهه من الشعر . فضحك المتوكل حتى استأق ، وقال : يُدفع
 إلى أبى العنابس عشرة آلاف درهم ، فقال أبو الفتح : يا أمير المؤمنين ، والبحتريّ
 الذى هُجِيَ وأُسمع المكروه ينصرف خائباً ؟ قال : ويُدفع إلى البحتريّ
 عشرة آلاف درهم ، قال : يا سيدي ، وهذا البصريّ الذى أشخصناه من بلده ،
 ألا يشركهم فيما حصلوه ؟ قال : ويُدفع له عشرة آلاف : قال . وانصرفنا كلنا
 في شفاعة الهدى ، ولم ينفع البحتريّ جدّه وحذقه .^(٢)
 وأما أبو الفرج ، فقال : حدثني جحظة عن أبى العنابس الصيمريّ ، قال :
 كنت عند المتوكل والبحتريّ ينشده :

* عن أيّ نفرٍ تبتدسمُ *

وكان البحتريّ من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور في مشيه مرّة
 جانباً ، ومرّة القهقرى ، ويهزّ رأسه مرّة ومنكبيه أخرى ، ويشير بكفيه ، ويقف
 عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ! ثم يقبل على المستمعين ، ويقول لهم :
 مالكم لا تقولون : أحسنت ! هذا والله ما لا يحسن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجر

(١) الديوان : « بك والغنى » .

(٢) الخبر برواية البرد في مروج الذهب ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ وإنباه الرواة ٣ : ٤٤٤ .

المثوكل من ذلك ، وأقبل على فقال : أما تسمح يا صيمري ما يقول ؟ فقلت :
بلى ياسيدي ، فرّ فيه بما أحببت ، فقال : بحياتي اهْجُهِ على هذا الروي ،
فقلت على البديهة :

أدخلت رأسك في الرَّحِمِ	وعلمت أنك تنهزم ^(١)
يا بحترى حذارٍ ويح	ك من قضاقة ضُغْم
فلقد أسلت بواديني	ك من الهجاسيل العرم
فبأى عرض تعتصم	وبهتكه جف القلم
والله حلفه صادق	وبقبر أحمد والحرم
ووحق جعفر الإمام	م بن الإمام المعتصم
لأصيرنك شهرة	بين المسيل إلى العلم
يا بن الثقيلة والتقي	ل على قلوب ذوى النعم
وعلى الصغير مع الكب	ير من الموالى والحشم

وبعد هذا ما يقبح ذكره ؛ فغضب البحترى ، وخرج يعدو ، وجعلت

أصبح به :

أدخلت رأسك في الرَّحِمِ وعلمت أنك تنهزم
والمثوكل يضحك ، ويصفق حتى غاب عنه .^(١)

ومدح البحترى بعض الولاة ، فتوانى في حقه ، فأنشده :

إن الأمير أطل الله مدته^(٢) يعطى من العرف ما لم يُعطه أحد^(٣)
ينسى الذي كان من معرفه أبدا إلى العباد ، ولا ينسى الذي يعد

فأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : البيتان خير من القصيدة .

وقال الهدلي : قيل للبحترى : أيما أشعر ؟ أنت أو أبو تمام ؟ قال : جيده خير

من جيدي ، وردئي خير من رديته . وصدق ، أبو تمام لا يتعاقب به أحسن في

(١) الأغاني ١٨ : ١٨٣ ، وأخبار البحترى للصولي ٨٧

(٢) ملاحق ديوانه ٢٥٤٥ .

بقي جيده ، وربما اختل لفظه لامعناه، والبحترى لا يختل لفظه .
 وقيل له : قد عثرت باحتذائك أبا تمام في شعرك! فقال: أيعاب علي أن أتبع
 أبا تمام ، وما علمت بيتاً قط حتى أخطر شعره ببالي !
 وذكروا معنى تعاوره البحرى وأبو تمام ، فقال المبرد للبحترى: أنت في هذا
 أشعر من أبي تمام ، فقال : لا والله ، ذلك الرئيس الأستاذ ، والله ما أكلت
 الخبز إلا به .

وقال عبد الله بن الحسن : سألت المبرد عن أبي تمام والبحترى أيهما أشعر؟
 فقال : لأبي تمام استخراجات لطيفة ، ومعانٍ ظريفة ، وجيده أجود من شعر
 البحرى ومن تقدمه من المحدثين، وشعر البحرى أحسن استواء من شعره، لأن
 البحرى يقول التصيدة كلها، فتكون سليمة من طعن طاعن ، وأبو تمام يقول
 البيت التادر والبارد ؛ وهذا المعنى كان أعجب إلى الأصمعي ، وما أشبهه إلا
 بغائص يُخرج الدرّة المخشّلبة - وهي زجاجة توضع مكان الدرّة - ثم قال : لأبي
 تمام والبحترى من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيه مثله ،
 ثم قال : والبحترى ختم الشعر، وله بيتان لو وضعنا إلى شعر زهير لجازا فيه؛ وهما:

فما سفهُ السّفيفه وإن تعدّى بأنجحَ فيك من حِلْمِ الحليم^(١)
 متى أحفظتَ ذا كرمٍ تخطّى إليك ببعض أفعال اللّثيم-

وذكر المبرد في هذا المجلس شعراً له ، وقدمه على نظرائه :

وإذا ذكرتُ محاسنَ ابني صاعدٍ أدت إليك مخائِلَ ابني مُخلدٍ^(٢)
 كالفرقدَيْنِ إذا تأملَ ناظرٌ لم يعلُ موضعُ فرقدٍ عن فرقدٍ

وقوله :

مَنْ شَاكَرْتُهُ عَنِّي الْخَلِيفَةَ لِلَّذِي أَوْلَاهُ مِنْ فَضْلِي وَمِنْ إِحْسَانِي^(٣)

(٢) ديوانه ٥٤١

(١) ديوانه ٢٠٧٩

(٣) ديوانه ٢٢٥٥ .

حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ رَأَيْتِ
وبعدهما :

أَغْنَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي ، فَأَقْرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
وله أيضاً في الفتح بن خاقان ، وقد نزل إلى الأسد فقتله :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ عَطْفَكَ مَا انْتَنَى ، وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَدَّهُ نَبَأٌ (١)
فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا وَصَمَّ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا
وله فيه :

وَمَا مَنَعَ الْفَتْحُ بِنَ خَاقَانَ نَيْلَهُ وَلَكِنَّمَا الْأَيَّامُ تُعْطَى وَتَحْرِمُ (٢)
سَحَابٌ خَطَانِي جَوْدُهُ وَهُوَ مَسْبِلٌ وَبِحَجْرٍ عَدَانِي فَيَضُهُ وَهُوَ مَنَعَمٌ
وَبَدْرٌ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رَجُلِي مِنْهُ أَسْوَدٌ مُظْلَمٌ
أَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَ أَنْ وَسِعَ الْوَرَى وَمَنْ ذَا يَنْدِمُ الْغَيْثَ إِلَّا مَذَمَّمٌ !

وله أيضاً في انتقاض صلح بين عشيرته :

إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَّ عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ (٣)
وَلَسَّ هُمْ السَّيِّدُ أَشَدَّ حُبًّا إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمُصِيبِ
ومن جيد شعره :

وَلَمَّا التَّقِينَا وَاللَّوْمَى مَوْعِدٌ لَنَا تَبَيَّنَ رَأْيِي الدَّرَّ حَسَنًا وَلَا قِطْعَةً (٤)
فَمَنْ لَوْ لَوْ تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْ لَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاقِطُهُ
والبحتري مكثر جداً ، وديوان شعره نسخ مختلفاً بالزيادة والنقص ؛ لأنَّ
شعره لا ينضبط لكثرتيه .

(٢) ديوانه ١٩٨٠

(١) ديوانه ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) ديوانه ١٩٠ .

(٤) ديوانه ١٢٣٠ .

[وصية أبي تمام للبحرئى]

قال البحرئى : كنت أروم الشعر في حدائتي ، وكنت أرجع فيه إلى الطبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه ، حتى قصدت أبا تمام ، وانقضت فيه إليه ، واتسكنت في تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة ، تحيّر الأوقات وأنت قليل المهوم ، صفر من الغموم . واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصدها الإنسان لتأليف الشيء ، أو حفظه في وقت السّحر ، وذلك أن النفس تكون قد أخذت بحظها في الراحة ، وقسطها من النوم ، فإن أردت التشبيب ، فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكثر فيه بيان الصّبابة ، وتوجّع الكتابة ، وفاق الأشواق ، ولوعة الفراق ؛ فإذا أخذت في مدح سيّد [ذى أباد] (١) ، فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معالنه ، وشرف مقامه ، ونضد المعاني ، واحذر المحتمل (٢) منها . وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ المهجينة (٣) ، وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضّجر فأرح نفسك ، ولا تعمل شعراً إلا وأنت فارغ القلب . واجعل شهوتك إلى قول الشعر الذّريعة إلى حسن نظامه ، فإن الشهوة تجمع النفس (٤) . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سبق من شعر المايضين ، فما استحسّن العلماء فأقصده ، وما تركوه فاجتنبه ؛ ترشد إن شاء الله تعالى .

قال : فأعملت نفسى فيما قال ، فوقفت على السياسة (٥) .

* * *

فقال : هل عثرت له فيهما لمخته ، على بديع امتمّامخته ؟ قال :

نعم ، قوله :

(١) من زهر الآداب

(٢) زهو الآداب : « الرديئة » . (٤) زهر الآداب : « نم المين » .

(٥) زهر الآداب ١١٠ ، ١١١ ، العمدة ٢ : ١١٤ .

(٧ - شرح مقامات الحريرى ١)

كَأَنَّما يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو مُنْضِدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ آقَاحٍ
فَإِنَّهُ أَبْدَعَ فِي التَّشْبِيهِ، الْمُوَدَّعِ فِيهِ .

* * *

قوله : « هل عثرت » ، معناه اطلعت . لحته : نظرته . بديع : معنى لم يسبق
غيره إليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما كما ذكر من صنع البديع في [المقامة]
الثالثة والعشرين . والبِدْع : إحداث الشيء قبل أن يكون أولاً ، والبِدْعَة : ما ابتدع
من الدين ، والبديع : الحدث العجيب ، وأبدع الرجل : أتى ببديع من قول أو فعل ،
وأبدع الله الأشياء وابتدعها : خلقها بلامثال . استملحته : وجدته مليحاً . يسيم :
يبدي بعض أسنانه عند الضحك . لؤلؤ : جوهر شبه به الأسنان . وهذا البيت
من شعره ، وقبلة :

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَعْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الوِشَاحِ^(١)
فَبِتَ أَفْئِدِيهِ وَلَا أَرْعَوِي لَمْ يَهَيِّ نَاهٍ عَنْهُ أَوْ لَحْيِي لِأَخِ
أَمْزُجُ كَأْسِي بِحَيِّ رِبْقِهِ وَإِنَّمَا أَمْزُجُ رَاحًا بِرَاحِ
كَأَنَّما يَبْسِمُ الْبَيْتِ .

وبعده :

سِحْرُ العُيُونِ النَّجْلِ مُسْتَهْلِكُ لُبِّي ، وَتَوْرِيدِ الخُدُودِ لِلْمَلَاخِ
قَلْ لِأَبِي نُوحٍ شَقِيقِ العَلَا وَمَعْدِنِ الجُودِ ، وَتَرْبِ السَّمَاخِ^(٢)
أَعُوذُ بِالْفَضْلِ الجَمِيلِ الَّذِي عَوَدَتِي ، وَالنَّائِلِ المُسْتَمَاخِ
مَنْ أَنْ تَصُدَّ الطَّرْفَ عَنِّي وَأَنْ أَخِيبَ فِي جُدُوكَ بَعْدَ النَّجَاخِ
أَشْمَتَ حُسَّادِي وَأَخْرَجْتَنِي عَنِ سَيْبِكَ المُعْدَى عَلَى المَرَاخِ
فَهَلْ لِأَنْسِ بَانَ مِنْ عَوْدَةٍ أَمْ هَلْ لِحَالِ فَسَدَتِ مِنْ صَلاخِ

(١) ديوانه ٤٣٥ .

(٢) هو أبو نوح عيسى بن موسى المدوح .

لستُ على سخطك جَدَّ التوى وَلَا عَلَى هجرِكَ شَاكِي السَّلَاحِ
قوله : « المودع » : المضمن ، وأودع الشيء : صيره وديعةً .

قَالَ لَهُ : يَا لَلْعَجَبِ ، وَلِضِيْمَةِ الْأَدَبِ ! لَقَدْ اُسْتَسَمَنْتَ ذَا وِرْمٍ ،
وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ! أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْبَيْتِ النَّذْرِ ، الْجَامِعِ
مُشَبَّهَاتِ الثَّنْرِ ! وَأَنْشَدَ :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِثَنْرِ رَقٍ مَبْسَمُهُ
وَزَانَهُ شَنْبٌ نَاهِيكَ مِنْ شَنْبِ
يَهْتَرُ عَنْ لَوْلُوٍ رَطْبٍ وَعَنْ بَرْدِ
وَعَنْ أَقَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبَبِ

استسمنت : حسبته سميناً وطلبت السمانه من هزيل . ورم : دمل ، والمعنى
أنه يرميه بسوء الفهم ، وقد بين هذا أبو الطيب التنبجي فقال :

أَعِيدُهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّخْمَ فَيَمِنُ شَحْمُهُ وَرَمٌ^(١)
وَمَا ائْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ

ونفخت في غير ضرم ، مثل لطلب الشيء في غير موضعه ، ولفظ المثل^(٢) :
« نفخت » أو « تنفخ » ، والضرم : النار . النذر : النادر ، الغريب . الثنر :
الأسنان ، مبسمه : موضع ابتسامه ، يعني الفم .

(١) ديوانه ٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) لفظ المثل في جهرة الأمثال ٢ : ٣٠٥ : « نفخت لوتنفخ في فم » ، والفصم :
الجر الطاق .

الشَّنبُ : الماء القليل الجاري على الأسنان . الجرمي : سمعت الأصمعي يقول :
الشَّنبُ بَرْدُ الأسنان والقم ، قلت : أصحابنا يقولون : حدتها حين تطلع ، فيراد
بذلك حداتها وطراءتها ، لأنها إذا أتت عليها السنون تغيرت ، فقال : ما هو إلا
بَرْدُها . ابن سيده : قال الأصمعي : سألت رؤبة عن الشَّنب ما هو ؟ فأخذ حبة
رمان فأوماً إلى بصيصها .

ناهيك : كافيك ، وتقول : ناهيك بفلان ! أي قد انتهى الأمر فيه إلى الغاية
ونَهِيَ الرَّجُلَ مِنَ اللحم وأنهى ، إذا شبع منه واكتفى ، والنهْيُ : الغدير
لأنه ينتهي إليه ماء الوادي . يفتَرُ : يكشف ويبيِّن . رطب ، أي طرى كما
أخرج من أصدافه ، وفي اللؤلؤ إذا ذاك رطوبة وسطوع بياض ، فإذا أصابه الهوى
ودام عليه صلب ، وإذا تداولته الأيدي باللمس وقدم تغيرت بياضه . الطَّاعُ :
أول حمل النخلة ، وهو الفرخ فإذا انشق فهو الضحك ، وبه تشبه الأسنان
في بياضه ، ثم الإغريض إذا افترق حبه ، وإنما شبه الأسنان بالطَّاع ، وهو الفرخ ،
لأنه إذا شقَّ وجد ما فيه من حمل النخلة في غاية البياض ، ويقال له : الوليع ،
قال الشاعر :

وتبسم عن لؤلؤ كالوليم تشقق عنه الرقاة الجفوا^(١)

الجفوف جمع جُفِّ وهو قشر الفرخ ، ويقال له القيقاء والببلة ، وهو طيب
الريح ، والرقاة : الراقون إلى أعلى النخل .

والحَبِّبُ : تنضد الأسنان ، وقيل : طرائق تظهر في الحمر عند مزجها بالماء ،
فأما الفقاقع التي تعلق الحمر عند المزج فهي الحباب ، بزيادة الألف ، قال المتلمس^(١) :
عُقارُ أَعْتَقَتْ في الدنِّ حَتَّى كَانَّ حَبَابُهَا حَدَقُ الجَرَادِ^(٢)

(١) اللسان - ولع ، جفف ، من غير نسه .

(٢) شعراء النصرانية ٣٤٢ . والعقار : الحمر ؛ سميت عقارا لأنها ماثرت اللان .
والحمر المبيقة : القديمة .

وقال آخر :

حَمْرَاءُ قَانِيَةٌ إِذَا مَا شَعَمَتْ يَنْزُو إِلَى وَجهِ النَّدِيمِ حَبَابِهَا

فَاسْتَجَادَهُ مَنْ حَضَرَ وَاسْتَحْلَاهُ ، وَاسْتَعَادَهُ مِنْهُ وَاسْتَمْلَاهُ ،
 وَسُئِلَ لِمَنْ هَذَا الْبَيْتُ ، وَهَلْ حَى قَائِلُهُ أَوْ مَيَّتٌ ؟ فَقَالَ : أَيُّمُ اللَّهِ ،
 لِلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ ، وَلِلصِّدْقِ حَقِيقٌ بَأَنَّ يُسْتَمَعَ ؛ إِنَّهُ يَا قَوْمُ ،
 لَنَجِيَّتِكُمْ مُنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ : فَكَأَنَّ الْجَمَاعَةَ ارْتَابَتْ بِدِرْزَوْتِهِ ،
 وَأَبَتْ تَصْدِيقَ دِعْوَتِهِ . فَتَوَجَّسَ مَا هَجَسَ فِي أَفْكَارِهِمْ ،
 وَفَطَنَ لِمَا بَطَنَ مِنْ اسْتِنكَارِهِمْ ، وَحَازَرَ أَنْ يَفْرُطَ إِلَيْهِ ذِمٌّ ، أَوْ
 يَلْحَقَهُ وَهْمٌ ، فَقَرَأَ ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : يَا رِوَاةَ
 الْقَرِيضِ ، وَأَسَاةَ الْقَوْلِ الْمَرِيضِ ، إِنَّ خُلَاصَةَ الْجَوْهَرِ نَظَرٌ بِالسَّبْكِ ،
 وَيَدَ الْحَقِّ تَصَدُّعٌ رَدَاءَ الشَّكِّ ، وَقَدْ قِيلَ فِيمَا غَبَرَ مِنَ الزَّمَانِ : عِنْدَ
 الْاِمْتِحَانِ يُبَكِّرُ الْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ ، وَهَا أَنَا قَدْ عَرَّضْتُ خَبِيَّتِي ^(١)
 لِلَاخْتِبَارِ ، وَعَرَّضْتُ حَقِيقتِي عَلَى الْاِعْتِبَارِ .

قوله : «استعاده» ، أى قال : أعده على . استعلاه : طلب أن يكتبه . ايم الله :
 يمين يحلف به . نجيتكم : محذتكم - يعنى نفسه . ارتابت : شكّت والرتيب : الشك .
 بعزوته : بنسبته ، أى بنسبته إلى نفسه . دعوته : ادعاؤه أنه من قوله . والدعوة
 بكسر الدال فى النسب ، وبتحتها فى الطعام . فتوجس : أى أحسّ وسمع .
 هجس : وقع وخطر . فطن : شعر . فطن : خفي ، يريد أنه فهم منهم أنهم لم

(١) متن اللغات : • جيتى •

يصدّ قوه في أنّ الشعر له ، وأنكروا أن يقول مثله . حاذر : خاف . . يفرط : يسبق . القريض : الشعر . أساة : أطباء ، واحدهم آسٍ . القول المريض : الضعيف من قبل راويه . خلاصة : ما خلص منه . وجواهر الأرض ، مثل الحديد والنحاس وغيرهما ، فإذا عرض الجوهر على النار ، فما كان منه خالصاً زاد صفاءً وجودةً ، وما لم يكن خالصاً فضحّته النار وأظهرت عيبه . السبك : الاختبار بالنار . تصدع : تشق . غير : مضى هنا ، ويستعمل كثيراً بمعنى « بقي » وهو من الأضداد ؛ يقال : غير الشيء غبوراً إذا بقي ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾^(١) ، أي الباقيين . الامتحان : الاختبار والبحث ، وهذا المثل من أمثال الفرس ، ولهذا أبعد مدته حيث قال : غير من الزمان . خبّيتي : مكتومي ، وما خبّأته من علمي ، وأصل « خبّيتي » الهمز ، فقلبت همزته ياءً وأدغمت فيها الياء ، كما قلت في « خاسية » . وتقول : عرضت الشيء على البيع وعرضته للبيع ، إن أتيت بعلی خففت الرأء ، وإن أتيت باللام شدّدتها . والحقيية : وعاء يجعله الرّاكب خلفه ، والاعتبار والاختبار واحد .

* * *

فابتدر أحد من حضر ، وقال : أعرفُ بيتاً لم يُنسج على منواله ،
ولا سمحت قريحةً مثاله ، فإن آثرت اختلاب القلوب ، فانظّم
على هذا الأسلوب :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت

وزداً وعصت على العناب بالبرد

* * *

قوله : «ابتدر»، أى سبق بالكلام وبأدر به . والمِنوال : خشبة الحائك ؛ يريد أن البيت رفيع الصنعة فى الشعر لم يُصنع بيت مثله ، لأن الثوب أنواع ، وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب . سمحت : جادت . قريحه : ذهن . آثرت : فضلت . اختلاب القلوب : إمامتها إليك بتصديقك واخذاعك بما تبديه ، وهو من الخلب وهو من غشاء القلب . وعن أبى عبيدة وغيره قال ثعلب : الخلب : الذى بين الزيادة والسكيد^(١) ، يقال : خلبنى حب فلان ، أى وصل حبه إلى خلبى ، وفلان خلب نساء ، أى تخلبه النساء ، وخلاّب : يخب الناس ، أى يذهب بقلوبهم ، وخبّ جمعه خلبة ، وكلّه من الخلب ، قال أعرابى :

مَنْ كَانَ لَمْ يَدْرِمَا حُبُّ جُمِعَتْ لَهُ أَوْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدِ
فَالْحُبُّ أَوْلَهُ رَوْعٌ وَآخِرُهُ مِثْلُ الْحَرَارَةِ بَيْنَ الْخَلْبِ وَالسَّكِيدِ
[انظم : قل شعرا منظوما . والأسلوب : الطريقة]^(٢) .

لولؤأ : درأ . النرجس : نوار أصفر فى نوره انكسار وفتور لا يكاد يرى ، له ورقة قائمة ، تشبه به العينان إذا كان فى نظرها فتور .

[ذكر النرجس وما قاله الشعراء فى تشبيه العيون به]

وقد تبادى إنكار أدباء وقتناتشبيه العين بهذا النوار الأصفر المعروف عندنا بالنرجس ، فأكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لأجل صفرته ، وإن ذكرته لأحد قال : وأى صفرة فى العين إلا أن يكون بصاحبها علة اليرقان ! ويستهمجن موضع التشبيه جداً .

وقد سألت عنه بعض أشياخى فى صغرى ، وأنا أقرأ عليه كتاب «الجلل» وكان أديباً شاعراً ، فأنكر وقوع التشبيه بهذا النور الأصفر ، وقال لى : النرجس عندهم

(١) من ج ٢ .

(٢) فى اللسان : الخلب ، بالكسر : حجاب الكيد ، وقيل : هو حجاب بين القلب والسكيد

بالمشرق نُورٌ يشبه نُورَ الفول . وأكثرَ مَنْ لقيتهُ يستبعد التشبيه بهذا الأصفر ، لأجل لونه ، وذلك لقلّة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها ، والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى ، وعلى المعنى دون الصورة ، وعليهما جميعاً؛ وهو أكمل وجوه التشبيه . وانظر أقسام التشبيه في الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره بإذن الله تعالى .

وتشبيهه العيون بالسيوف والسهام ، إنما المراد به المضاء والقطع ، ولا يلتفت في ذلك إلى اللون ، وكذلك تشبيهه العيون بالنرجس الأصفر إذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكّن في التشبيه ، ألا ترى ابن المعتز التفت إلى الفتور وحده حين قال :

وَسَنَانٌ قَدْ خَدَعَ النُّعَاسُ جَهْوَنَهُ فُحْكِي بِمَقْلَتِهِ ذَبُولَ النَّرْجِسِ ^(١)

والنرجس الذي يشبه به أهل المشرق العيون ، هو نبات له قضبان خضر في رءوسها أقماع ، يخرج منها نُورٌ ينبسط منه على الأقماع ورق أبيض ، في وسط البياض دائرة قائمة من ورق صغير . هذه الصفة التي تقع في أشعارهم إذا ذكروا النرجس ، وبذلك وصفه كسرى أنوشروان ، فقال : النرجس ياقوت أصفر ، بين دُرٍّ أبيض على زمرد أخضر ، أخذه بعضهم نقال فيه :

وياقوتة صفراء في رأس دُرَّةٍ مركبة في قائم من زبرجد
كأن بهي الدرِّ عقد نظامها فريد أنيق قد أطاف بعسجد

وأشده أبو عَوْن الكاتب في كتاب التشبيه له ، فقال : من جيد ما قيل في النرجس ما أشده البرّ رحمه الله تعالى :

(١) ديوانه ١ : ٦٨ .

تَرْجِسَةٌ لَاحِظِي طَرَفُهَا تَشْبَهُ دِينَارًا عَلَى دِرْهَمٍ^(١)
 وقال عبید الله بن عبد الله فيه :

ترنو بأبصارها إليك كما
 مثل اليواقيت قد نظمن على
 كأنها والعيون ترممها
 دراهمٌ وسَطَهَا دَنَائِرُ
 وقال أبو نواس :

لدى نرجسٍ غضُّ القَطَافِ كأنه
 إذا ما منحناه العيونَ عيون^(٢)
 مخالفة في شكلهنَّ وصفرة
 مكانَ سوادِ والبياضِ جفون^(٣)
 أجاد التشبيه ، وكشف بذكر المخالفة قناع الشبهة ، وبين مواقع التشبيه
 غاية البيان .

وقال أبو عبد الملك بن فرج في كتاب الحاسِّ والحسوس ، له : وأحسن بيت
 أتشدنيه أبو جعفر البغدادي رحمه الله :

مدَاهِنُ دَرِّ بَيْنِ أَوْراقِ فِضَّةٍ عَلَى تَيْسِ شَبْرٍ أَخْضَرٍ كَالزَّبْرِجَدِ
 وقال أبو الفرج البغدادى :

ونرجس لم يعدُّ مُبَيِّضُهُ الـ
 تكال أحقاق لَجِينِ حَوْتِ
 كأنما يهدى الحميَّ به
 لطفًا إلى الأرواحِ أرواحا^(٤)
 من أصفرِ المسجدِ أقداحا

(١) كتاب التشبيه ١٩١ ، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٥ .

(٢) كتاب التشبيه ١٩١ ، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ ، واليعاقبة : جم يعفور ، وهر الظبي بلون التراب

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣

(٤) بئمة الدهر ١ : ٢٢٨

يعنى عن الورد إذا مارنا ويخلف الورد إذا فاحا
وقال ابن المعتز :

كأن عيون النرجس الغضّ بيننا مداهنُ درّ بينهنّ عقيق^(١)
إذا بلهنّ القطر خلت دموعه بكاء عيون كحلهنّ خلوق
وقال التاشي :

أخصّ الصفات التي تناولها من كتب
عيون بلا أوجبه لها حدق من ذهب
وقال ابن الرومي :

يانرجس الدينأ ترى أبداً للإفتراج ودائم النخب
ذهب العيون إذا مثلن لنا درّ الجفون زبرجد القصب
وهذه الصفة التي أثبتها أهل المشرق للنرجس، هي التي يصف بها أهل المغرب
البحار، قال ابن أبي عامر في جارية اسمها بهار :

حدق الحسان تقرّ لي وتفار وتظلّ في صفة البهار تحار
طلعت على قضبي عيون كأمي مثل العيون تحفها الأشفار
وأخصّ شيء بي إذا شبهتني درّ تمنطق سلكه دينار^(٢)
أهدى لنا قصب الزبرجد ساقه وحباه أنفس عطره العطار
أنا نرجس حقاً بهرت عقولهم ببديع تركيبي فقيل بهار
بيّن أن البهار عندنا، هو الذي تسميه أهل المشرق نرجساً .

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ .

(٢) كذا في ج ، و فط : « سلكه و سار » .

وقال أبو جعفر بن برد :

تأمل فقد شقَّ البهار مفاسًا كماثمه عن نوره الخضيلِ النَّدى^(١)
مداهنُ تبرُّ في أناملِ فضِّهِ على أذرعِ مخروطهِ من زبرجَدِ
وقال القسطلي^(٢) :

بهارُ يروقُ بمسكٍ ذكيٍّ وصنعٌ بديعٍ وخاقٍ عَجَبِ
غصونُ الزَّبْرِجَدِ قد أوزقتُ بها فضةً نورَتُ بالذَّهَبِ

وقال القاضي أبو الحسن بن لبَّال :

وبهارٍ يحكى كئوسَ الجُينِ حملتها أناملُ من زبرجَدِ
سابرتها الكواكبُ الزُّهرِحتى سمَّرتُ وسطها كواكبُ عَسَجَدِ
وأنشدني بعضُ أشياخنا :

انظُرْ إلى حُسْنِ البَهارِ وِغْنِجِهِ يرنوُ إليكَ بمقلتي وَسَنانِ
فكأنما هي راحةٌ من فضةٍ قد ضُمَّنتُ كأساً من العَقِيانِ
وكانَ نَشْرَ نسيمةِ غبِّ النَّدى يأتيكَ بالأنفاسِ مِنْ بَغْدانِ

والذى تسميه أهل المغرب نرجساً يسميه أهل الشرق بهاراً ، ولذلك قال
الحريرى فى العاشرة : « وورْدتى بالبهار » ، دعا فيها على الغلام بالحَمى ، وأن
ينعكس حمرة خده صفرة ، وقال حبيب فى ذلك :

إنَّ وجهَ الحَمى لوجهٌ صفيقٌ حين تسطو به نهاراً جَهَّاراً^(٣)
لم تشنُ ورْدَ وجنتيه ولكن صيرتُ ورْدَ وجنتيه بهاراً^(٤)

(١) الذخيرة ٢ : ٤٩

(٢) هو ابن دراج ، ديوانه ٣٨ .

(٣) ديوانه ٤٤١

(٤) الديوان : « لم تشن وجهه الملبح » .

وبلون النرجس يشبه أهل الأندلس المريض .

وقال أبو بكر الأبيض :

ياشاكيا صدني عن مسه ألى طال اشتياقي به ليلاً فلم أنم
تضائل الدهرُ إشفاقاً على قرٍ رقيبهِ في سماءِ المجدِ والكرمِ
لم أرضَ قلبي مكاناً إذ حلت به حتى خلطتك في سوادِئهِ برمي
أنت البهّار ولا أدري متى خلعتُ عليك أيدي الليلي نرجس السقمِ

ولابن الزقاق :

وغزالٍ ذى اعتدالٍ شفهُ بعد ما شقّ هَوَاهُ الأنفَسَا^١
جارت الحمى على وجنته فاستحال الوردُ منه نرجسًا

فثبت بما قدمناه، أنّ نرجسهم بهارنا، وأن بهارهم نرجسنا . وآكد ما يدلّ على صحته اشتراك البيت الذي أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن بُردٍ في لفظٍ واحدٍ ، أخذ ابن بُردٍ منه صفة النرجس ، فقلبه لاسم البهّار حين نظمه .

واعلم أن تشبيه العين برجسهم أّبين لتعلقهم بالصورة ، وأن تشبيهها بنرجسنا أدون لتعلقه بالمعنى، وهو مع ذلك متمكّن في باب التشبيه ، وأن اسم النرجس لا بد فيه من صفة .

وقد قال شاعر من المشرق ، وهو أحمد بن يونس الكاتب في مناقضة ابن الرومي

في تفضيله النرجس على الورد :

-(١) ديوانه ٢٩٣ .

إِنْ كُنْتَ تَنْكَرُ مَاذَكَرْنَا بَعْدَ مَا قَامَتْ عَلَيْهِ دَلَائِلُهُ وَشَوَاهِدُهُ^(١)
 نَاظِرًا إِلَى الْمَصْرُورِ لَوْنًا مِنْهُمَا وَافْطِنُ فَمَا يَصْفُرُهُ إِلَّا الْخَاسِدُ
 نلولا ما ذكرنا من أشعارهم ، لحكنا بهذا البيت ، على أن نرجسهم هو
 نرجسنا ، ومذهب ابن الرومي^(١) تفضيله على الورد ، وهو القائل :
 وَأَحْسَنُ مَا فِي الْوَجْهِ الْعِيُونَُ وَأَشْبَهُ شَيْءٍ بِهَا النَّرْجِسُ
 وَالذُّنُوسُ تَتَشَوَّقُ إِلَى رُؤْيَا نَرْجِسِهِمْ ، لَأَنَّا لَمْ نَعْلَمْ نَرْجِسَنَا غَيْرَ هَذَا الْأَصْفَرِ ،
 حَتَّى نَعْلَمَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ هُوَ النُّوَّارُ الْمَعْرُوفُ ، وَهُمْ أَيْضًا يَتَشَوَّقُونَ
 لِنَظَرِ نَرْجِسِنَا .

ويدل على ذلك حكاية القاضي الفقيه أنى الحسن بن لبّال ، قال : خرجت
 عشيةً لخارج إشبيلية أيام حدائقى وقراءتى بها ، فجلست فى وسط وادىها ، ويدي
 كتاب أنظر فيه ، وإذا رجلٌ يُحْمَلُ حِوَالِيَّ ، فإذا نظرتُ فى الكتاب يأخذ وينشد
 للأشعار التى بين أيدينا نظائر من بديع الشعر ، فذا كرته فوجدته بحرَ أدبٍ ،
 فسألته عن محوظه ، فقال : أحفظ خمسة عشر ألف بيت من الشعر ، فسألته : هل
 تنظم شيئاً؟ فأشددنى فى وصف فرس ، وزعم أنه القائل :

(١) أورد النويرى فى نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ من شعر ابن الرومى أباناً منها :

خجلتُ خدودُ الوردِ مِنْ تفضيلِهِ خجلاً تورُّدُهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ
 لم يَخجلُ الوردُ المورِّدُ لونه إِلَّا وَنَاحِلُهُ الفَضِيلَةُ عَانِدُ
 للترجسِ الفضلُ المبينُ وَإِنْ أبى أبى ، وَحَادَ عَنِ الطَّرِيقَةِ حَائِدُ
 فضلُ القضيةِ أَنْ هَذَا قَائِلُهُ زَهْرُ الرِّبْعِ ، وَأَنْ هَذَا طَارِدُ
 شتانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا موعِدُ بَتَسْلُبِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاِعِدُ

منع الحوافر أن تطين به التّرى فكأنه في جريه متعلّق
وكأنّ أربعة توافق طرفه فتكاد تسبقه إلى ما يرمى

فاستعدت بيته، وراجعت في قوله: «تأمين»، فقلت له: إنما هو «تطآن»، فلم يعرف اللفظ، وإنا تكلم بلا همز على لحن عامته، فجزّيته في غيره، فوجدت شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ، لا من جهة العلم، فسألته عن بلاده، فقال: أنا من العراق، فقلت له: فما السبب الذي جاء بك إلى الأندلس؟ فقال لي: لأرى النرجس الأصفر المذكور في أشعاركم عياناً. ودعاني إلى الإطالة في ذكر النرجس رغبةً أن أرفع عن غيري حيرة الشبهة التي أقمت فيها زماناً طويلاً، لا أجد من يرفعها عني.

[ذكر الوأواء الدمشقي وبعض شعره]

والبيت الذي اقتضى النظم على أسلوبه هو لأبي الفرج الفسّاني الدمشقي، المعروف بالوأواء، ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيّمته^(١)، فقال: أبو الفرج من حسان الدهر، وصاغة الكلام^(٢).

ومن عجائب أمره أنه كان منادياً بدار البيطّيح بدمشق ينادي على الزواك، وما زال يشعر حتى جاد شعره، ووقع له ما يروق، ويشوق ويفوق، حتى تعلق بالعيوق^(٣).

وقال الفتح بن خاقان: إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين، فلما

(١) يتيمة الدهر: ٢٣٦ وما بعدها.

(٢) اليتيمة: من حسنات الشام، وصاغة الكلام.

(٣) اليتيمة: حتى يعلو العروق، والعيوق: نجم أحر مضى وطرف الهجرة الأيمن أو الثريا لا يتقدمها.

دخلت مجلسي لقيت خلافة^(١) جاريتي ، فلم أملك أن ، قببتها ، فوجدت ما بين شفتيها هواء ، لو رقد المحموم فيه لأفاق . وهذا مستظرف من كلام الفتح ، فقال الوأواء مأمًا به^(٢) :

سَقَى اللهُ لَيْلًا طَابَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ فَأَفْنَيْتُهُ حَتَّى الصَّبَّاحِ عِنَاقًا^(٣)
بَطِيبِ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجَلَبُ الْكَرَى فَلَوْ رَقَدَ الْمَحْمُومُ فِيهِ أَفَاقًا^(٤)
وله أيضًا :

بِاللهِ رَبِّكَما عُوْجًا عَلَى سَكْنِي وَعَاتِبَاهُ ، لَعَلَّ الْعَتَبَ يَعْطِفُ^(٥)
وَعَرَضًا بِي وَقَوْلًا فِي حَدِيثِكَا مَا بَالُ عَبْدِكَ بِالْهَجْرَانِ تُنْفَعُهُ !
فَإِنْ تَبَسَّمَ قَوْلًا فِي مَلَاظِفَةٍ^(٦) مَا ضَرَّ لَوْ بُوْصَالٍ مِنْكَ تُسْعِفُهُ !
وَإِنْ بَدَأَ لِكَيْمَنْ سَيِّدِي غَضَبٌ فَعَالِطَاهُ ، وَقَوْلًا : لَيْسَ نَعْرِفُهُ
وله في النحول :

وَمَا أَبْقَى الْهَوَى وَالشُّوقُ مَنِّي سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالٍ^(٧)
خَفِيَتْ عَنِ الْعَوَازِلِ أَنْ تَرَانِي^(٨) كَأَنَّ الرُّوحَ مَنِّي فِي مُحَالٍ

(١) اليقظة : « استقبلتني فلانة — يعني جاريتي له — فلم أملك أن قببتها » .

(٢) اليقظة : « فكان هذا مما يسعسن ويستظرف من كلام الفتح » .

(٣) ديوانه ١٦٤

(٤) الديوان : « ولو رقد المحموم » ، وبعده هناك :

تَمَلَّكَنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي وَفَارَقَنِي لَمَّا أَمِنْتُ فِرَاقًا

(٥) ديوانه ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٦) الديوان : « في ملاظفة » .

(٧) ديوانه ١٨٩ .

(٨) الديوان : « عن النوايب » .

وله في الزرقة :

يَا مَنْ هُوَ الْمَاءُ فِي تَكْوِينِ خَلْقَتِهِ وَمَنْ هُوَ الْخَرُّ فِي أفعالِ مُقْلَتِهِ (١)
وَمَنْ بَرُوقَةُ سَيْفِ اللَّحْظِ طَلَّ دَمِي وَالسَّيْفُ ، مَا فَاخَرُهُ إِلَّا بَرُوقَتِهِ
عَلِمْتَ إِنْسَانَ عَيْنِي أَنْ يَعُومَ فَقَدْ جَادَتْ سَبَاحَتُهُ فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ

وله أيضاً :

تَمَلَّكَتْ يَا مَهْجَتِي مَهْجَتِي وَأَسْهَرْتُ يَا نَاظِرِي نَاظِرِي (٢)
وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولُ (٣) وَلَا هَجَسَ الْمَجْرُ فِي خَاظِرِي (٤)
فَجِدْ بِالْوَصَالِ فَدَتِكَ النَّفُوسُ فَلَسْتُ عَلَى الْمَجْرِ بِالْقَادِرِ
وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ تَطَمَّ الْقَرِيضِ فَلَقَّبَنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ

وله من قصيدة :

يُفَقِّنْ لَنَا بَرَقَ الثُّغُورِ أَدِلَّةً إِذَا مَا ضَلَلْنَا فِي ظِلَامِ الدَّوَابِّ (٥)

قال : ومن بديع تشبيهاته قوله :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ تَرْجِسٍ ... الْبَيْتِ (٦) .

(١) ديوانه ٦٥ ، وبعده :

وَمَنْ خَامَتْ عِدَارِي فِي هَوَايَ لَهُ وَمَنْ تَهَتَّكَ سِتْرِي فِي مَحَبَّتِي

(٢) ديوانه ٩٩ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) الديوان : « يا ظلوم »

(٤) الديوان : « ولا خطر الهجر » .

(٥) من قصيدة مدح بها سيف الدولة ، وأولها :

قَفُّوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَاثِ لِنَبْدِلَ مَذْخُورِ الدُّمُوعِ السُّوَابِ

(٦) ديوانه ٨٤ .

ثم قال : هذا البيت ضمنه خمسة تشبيهات بغير أداة التشبيه ، وذكر المتنبي منها أربعة فأجاد ، وهي ما ضمنها قوله رحمه الله :

بَدَتْ قَرَأً ، وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ ، وَفَاحَتْ عُنْبَرًا ، وَرُنْتُ غَزَا لَأَ (١)

وللفقيه أبي محمد بن حزم خمسة تشبيهات في بيت واحد ، ولا يقدر أحد على أكثر منه ، إذ لا يحتمل العروض ولا أبنية الأسماء أكثر من ذلك ، قال :

خَلَوْتُ بِهَا وَالكَأْسُ ثَالِثَةٌ لَنَا وَجُنْحُ ظَلَامِ اللَّيْلِ قَدْ مَدَّ وَاتَّاجَ (٢)
فَتَاةٌ عَدِمْتُ الْعَيْشَ إِلَّا بِقَرِيهَا وَهَلْ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ وَيُنْحَكَ مِنْ حَرَجٍ !
كَأَنِّي وَهِيَ وَالكَأْسُ وَالْحَمْرُ وَالذُّجَى تَرَى وَحَيًّا وَالذَّرَّ وَالْتَبْرَ وَالسَّبْجَ
وقبل بيت الوأواء :

إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ لِلنَّاظِرِينَ وَلَمْ تَقْرُبْ عَلَى أَحَدٍ
قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظُهَا : مَا إِنْ أَرَى لِقَتِيلِ الْحَبِّ مِنْ قَوْدٍ (٣)
فَأَمَطَتْ لَوْ لَوْأُ مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتْ وَرِزْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبِرْدِ
ثم استمرت وقالت وهي ضاحكة :

قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ فَعَلُ الظَّنْبِيِّ بِالْأَسَدِ ! (٤)

وأول القصيدة :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى صَدْرِي يَدًا لِيَدٍ وَصَحَّتْ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلَمَاءُ كَبِدِي (٥)

(١) ديوانه ٣ : ٢٢٤ .

(٢) الديوان : ٥ كم ذا أما .

(٣) سقط هذا البيت من رواية الديوان ، وموضعه هناك :

كأنما بين غابات الجفون لها أسد الحمام مقيات على الرصد

(٥) لم يرد هذا البيت في الديوان .

(٨ - شرح مقامات الحريري ٩)

وقال أيضاً :

أَتَانِي زَائِرًا مَن كَانَ يُبَدِّي لِي الْمَجْرَ الطَّوِيلَ وَلَا يَزُورُ^(١)
 فَقَالَ النَّاسُ لِمَا أَبْصَرُوهُ
 لِيَهْنِكَ زَارَكَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ
 عَلَى خَدِّي لَهُ دُرٌّ نَثِيرُ
 وَلَوْ نَصَبُوا رَحًا بِإِزَاءِ عَيْنِي
 لَكَانَتْ مِنْ مَدَامِعِهَا تَدُورُ^(٢)

* * *

فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، حَتَّى أَنْشَدَ
 فَأَغْرَبَ :

سَأَلْتُهَا حِينَ زَارَتْ نَضُو بُرْقِعِهَا أَلَا
 قَمَانِي وَإِيدَاعَ سَمْعِي أَطِيبَ الْخَبْرِ
 فَزَحْزَحَتْ شَفَقًا غَشَى سَنَا قَمْرٍ
 وَسَأَقَطَتْ لَوْلُؤًا مِنْ خَاتَمِ عَطْرِ

* * *

قوله: «لمح البصر» ، يعني نظر العين إلى الشيء بسرعة ثم تغيب عنه بسرعة ،
 وأصل البصر الإدراك بالعين . أغرب : أتى بغريب . نضو : كشف . التاني :
 الأحمر . إيداع سمعي : إعطاء أذني ، كأنه جعله ودیعة عنده . زحزحت : أزلت .
 الشفق : حمرة الشمس بعد الغروب . غشى : غطى . سنا : ضوء . عطر : فواح
 طيب للتنفس . وبيت الحريري في صنعة البديع فائق ، وإن لم يأت بعد تشبيهات
 بيت أبي النرج ، وبيانه أن أبا الفرج يصف امرأة باكية ، فيقول : إنها نثرت
 دموعها على مَنْ قتلت من عشاقها ، فسقطت على خدّها فبلّته ، وبمضت

(٢) الديوان : « من تحدره » .

(١) ديوانه ١١٠ .

على أصابعها المصبوغة بالحِنَّاءِ، فجعل البيت كَلِّه استعارة ، قال : « فأمطرت لؤلؤاً » ، وهو يريد : بكت دمعاً ، وذكر نرجساً وورداً ، وهو يريد عيناً وخدّاً ، وذكر عُنَاباً وبردّاً ، وهو يريد أنامل وأسنانا ، فضمّن تحت ألفاظه هذه للمعاني ، وزاد فائدة التشبيه ؛ وهذا يفعله أهلُ القدرة على الشعر ، فقابل الحريريّ هذا بقوله : « نزعحت شفقاً » ، وهو يرى نقاباً أحمر ، وذَكَر « سناقر » وهو يريد ضوء وجهها ، وذَكَر لؤلؤاً من خاتم ، وهو يريد كلاماً من فم . والبيت الثاني في مقابلة بيت أبي الفرج ، والأول توطئة له ، وهو يصف امرأة زارته متنقبة فسألها ، أن تكشف عن وجهها وتحديثه ، فأزالت نقابها ، وأسمعت كلاماً حسناً من فم عطر .

[مما ورد من تشبيه الأشياء باللؤلؤ]

واللؤلؤ تشبّه به الأسنان في مثل قوله :

* كأنما يبسم عن لؤلؤ رطب *

وقوله :

* يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد *

ويشبه به الكلام في مثل قول البحتريّ :

* ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقطه ^(١) *

وقول الحريريّ :

* وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر *

ويشبه به الدمع ، كقول الواواء : « فأمطرت لؤلؤاً » ، وهو كثير .

ومن أحسنه قول الشاعر :

ولما وقفنا للوداعِ ودَمْعُها ودَمْعِي مُبْشِرَانِ الصَّبَابَةِ والوجدَا
بكت لؤلؤا رطباً فاضت مدامعي عَقِيقاً ، وصار الكَلِّ في نحرها عِقْدَا

وقال ابن عبد ربه :

وكأنما غاص الأسي بجفونها حتى أتاك بلؤلؤ منشور

(١) ديوانه ١٢٣٠ ، صدره :

* فمن لؤلؤٍ تجلوه عند انبسامها *

فأخذه الرمادى فحسّنه فقال :

ولم أرَ أحلى من تبسم أعينٍ غداة اللوى عن لؤلؤ كان كامنًا
قال : فوقعت استعارة التبسم للعين موقعاً لطيفاً ، وإنما هو للشر بسبب
توسط اللؤلؤ . والحدّاق يتحيلون في أخذ المعاني بترك القافية والوزن ، كقول
ابن شهيد :

ولما فشا من دمعنا بعض سيرنا إلى كاشحينا والقلوب كواهم
أمرنا بإمساك اللُموع جُفوننا ليشجى بما يطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامتٍ فنظّمه بين الحاجر ناظم
وراق الهوى منّا عيونٌ كريمة تلّحن حتى ما تروق المبايم

[من قولهم في الامتحان]

وقال ابن شهيد في الامتحان فأحسن :

ونبتت أقواماً تجيش صدورهم على وأنى منهم فارغ الصدر
أصاخوا إلى قولي نأسمت صمهم وغاصوا على سري فأعيامهم أمرى
فقال فريق: ليس ذا الشعرُ شعره وقال فريق كئبنُ الله ما ندرى
فمن شاء فليخبر فإنى لحاضر ولاشئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر في هذا الامتحان ونسبة شعره فيه إلى الانتحال ، إلى قصة أبي بكر
ابن بَقِيٍّ^(١) حين استهدى بعض إخوانه أقالما ، فبعث إليه بثلاث من القصب ،
وكتب معها :

خُذها إليك أبا بكر الملاء قصباً كأنما صاغها الصّواغ من ورقه
يُرْهمي بها الطرس حسناً ما نثرت به مسك المداد على الكافور من ورقه

(١) هو أبو بكر بن بَقِيٍّ ، ذكره أبو الفتح بن خافان في القلائد ٣٢٢ ضمن من ذكرهم
من الأدياب .

فأجابه أبو بكر بن بَقَّ فقال :

أرسلت نحوى ثلاثاً من قنأ سلبٍ ميادة تطعن القِرطاسَ في وَرْقِهِ
فالخطُّ ينكرها والخطُّ يعرفها والرق يخدمها بالرق في عُنُقِهِ
ففسده عليها بعض من سمعها ، ونسبه إلى الانتحال ، فقال أبو بكر يخاطب
صاحبه الأول :

وجاهلٍ نسب الدعوى إلى كلبى لكأ رماه بمثل التَّيْلِ في حَدَقِهِ
فقلت من حنني لكأ تعرّض لي : من ذا الذي أخرج اليزبوع من نَفَقِهِ !
ما ذم شعري وإيّم الله لي قسمٌ إلا امرؤ ليست الأشعارُ من طُرُقِهِ
الشعر يشهد أنّي في كواكبه بل الصّباح الذي ينشق في أَفُقِهِ

[بديهة السّلامى]

وخرج السّلامى^(١) إلى الموصل وهو صبيّ حين راهق البلوغ، فوجد بها أبا عثمان الخالديّ وأبا الفرج البغّاء وأبا الحسن التّلعفريّ وشيوخ الشعراء ، فلما رأوه عجّبوا منه ، وآتهموه في شعره ، فقال الخالديّ : أنا أ كفيكم أمره . فاتخذ دعوة ، وجمع الشعراء والسّلامى معهم ، فلما توسّطوا الشراب ، أخذ في التفتيش عن قدرٍ بضاعته ، ثم لم يلبثوا أن جاء مطرٌ شديد وثليج وبرد عمّ الأرض كثرة ، فألقى أبو عثمان الخالديّ نارنجاً بين أيديهم على ذلك البرد ، وقال : يا أصحابنا ، هل لكم في أن نصف ذلك ؟ فقال السّلامى ارتجالاً :

لله درّ الخالديّ الأوحّد النّدب الخطير
أهدى ماء المزنِ عنـد جموده نار السّعير
حتى إذا صدر العتا ب إليه من حنق الصدور^(٢)

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد السّلامى ، نسبة إلى مدينة السلام ، أشعر أهل العراق في عصره ، ومن ترجم لهم الثعالبي في البيعة ٣ : ٣٦٤ - ٣٩٨ ، والحبر في ترجمته في ابن خالكان ١ : ٥٢٤ .

(٢) ابن خالكان : « من حر الصدور » .

بعثت إليه بذره من خاطري أوفى الشُّرورِ
لا تمدُّوه فإنَّنا أهدى الخلود إلى الثُّغورِ
فأمسكوا عنه عند ذلك ، واعترفوا له بالفضل ، إلا التلمغري ، فإنه أقام على
قوله فيه ، حتى قال السَّلامى فيه :

يا شاعراً بشعوره لم يشعُرِ
لو كنت تعرفُ والدًا تسمو به
تاه ابنُ فائقةِ النسوقِ على الورى
وبلادةٍ في الشعرِ تعلم أنه
ما كنتَ أوَّلَ طالبٍ لم يظفرِ
لم تنتسبَ صفةً إلى تلعفرِ
بقدالِ صَفَعانٍ ونكهةِ أبحرِ
تيسُّ ولو نُصرتَ بطبعِ البُحترِ
وقال فيه :

سما التلمغري إلى وصالي
ينافى خلقه خلقي وتأبى
فصنعتي اللطيفة في لساني
فإن أشعرُ فما هو من رجالي
ونفس الكلب تكبر عن وصالي
فعالي أن تضاف إلى نعاله
وصنعتُه الخسيسة في قذالة
وإن يُضغَعُ فما أنا من رجالة

[من نوادر صاعد بن الحسن الربيعي]

وكان المنصور بن أبي عامر قد أثبت عنده الحسدة ، أن صاعداً^(١) اللغوي
متهم في كل ما يورده من حديث أو شعر ، فأدخلت عليه يوماً با كورة ورُدَّ لم
تفتح أكامها ، فقال فيها صاعد ارتجالاً :

أتتك أبا عامرٍ وردةٌ
كعدراء أبصرها مبصره
يذكرُكَ المسكُ أنفاسها
فقطتُ بأكامها رائحتها

فسرَّ بذلك المنصور . وكان ابن العريف حاضراً فحسده وقال : إن هذين

(١) هو صاعد بن الحسن بن عيسى الربيعي ، وفد على المنصور بن أبي عامر بغداد ،
وله معه أخبار و نوادر مشهورة في الأدب واللغة ، ابن خلكان ١ : ٢٢٩ .

البيتين لغيره ، [وقد أشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه ، فقال له المنصور : أرنيه ، فخرج ابن العريف ، وركب وجعل بحث ، حتى [(١) أتى مجلس ابن برد - وكان أحسن أهل وقته بديهة - فوصف له ما جرى فقال :

عشوتُ إلى قصر عَبَّاسِيَّةٍ وقد صرَّعَ التَّوْمُ حَرَّاسَهَا (٢)
أبياتاً ضمن فيها البيتين ، فكتبها ابن العريف بخط بصرى (٣) ، وصار بها إلى المنصور . فاشتد غضبه ، وقال : غداً أمتحنه ، فإن فضحه الامتحان لم يبق في موضع لي فيه سلطان . (٤) ثم أخذ طبقاً فيه ضروب من الأنوار ، وعليه جوارٍ باسمين (٥) على بركة ماء حصلواؤها الدر والجوهر . ودعاه في مجلس حافل ، وقال له : هذا طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدّم بين يديّ لك قبلي ، نصفه فقال على البديهة :
أبا عامرٍ هل غيرك جدواك واكفُ وأعجب ما يلقاه عندك واصف (٥) !

(١) من الذخيرة .
(٢) بدمه كما في الذخيرة :
فألقيتها وهي في خدرها وقد صرَّعَ السكر أناسها
فقلت : أسارٍ على هجمة ؟ فقلت : كلبى ، فرمت كاسها
ومدت يديها إلى وردة يحاكى لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر ففطت بأكامها رأسها
وقالت : خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على عفة وما خفت ناسي ولا ناسها
(٣) الذخيرة . « مصرى » .

(٤-٤) الذخيرة : « وقد أعد طبقاً فيه سقائف من ضروب النواوير ، ووضع على السقائف جوارى باسمين » .
(٥) الذخيرة :

* وهل غير من عاداك في الأرض خائف *

وبعده :

يسوق إليك الدهر كل عجيبة وأعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائعُ نَوْرٍ صاغها هامرُ الحيا
 حُلِيًّا فمها عَبَقَرٌ ورفارفُ
 ولما تنأهى الحسن فيها تقابلتُ
 عليها بأنواع الملاهى الوصائفُ
 كمثل الظباء المستكئة كُنَسًا
 تظللها بالياسمين السَّاقِفُ
 فلم ترعيني في البلاد حديقةً
 تنقلها في راحتين المناصِفُ^(١)
 والحكاية تطولها في القسم الرابع من الذخيرة.^(٢)

وخرج معه إلى أرض الزاهرة^(٣)، فمد يده إلى شيء من الترنجان يعث به،
 ورمى به إلى صاعد معترضاً بأن يصفه، فقال :

(١) بدمه في الذخيرة :

وأعجب منها أنهن نواظِرُ
 إلى بركةٍ ضُمَّتْ إليها الظرائِفُ
 حصاها اللآلى ، سابجٌ في عُبابِها
 من الرُّقش مسموم العلابِينِ راجِفُ
 ترى ما تشاء العينُ في جنباتِها
 من الوحش حتى بيتهنَّ السلاحِفُ

قال في الذخيرة بعد هذا البيت :

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة ، وكتبها المنصور بخطه ، وكان إلى ناحية سفينة فيها جارية
 تجذب بمجناف ذهب ، لم يرها صاعد ، فقال له المنصور : أجدت إلا أنك لم تصف هذه الجارية ،
 فقال :

وأعجبُ منها عادة في سفينةٍ
 مكللة تصبو إليها المهايفُ
 إذا راعها موجٌ من الماء تتقي
 بسكاتها ما أنذرته العواصفُ
 متى كانت الحسناء ربان مركب
 تصرف في يميني يديها المجاذِفُ
 فلم ترعيني في البلاد حديقةً
 تنقلها في راحتين المناصِفُ
 إلى آخر الأبيات .

(٢) الذخيرة ٤ : ٨ - ١١ .

(٣) الذخيرة : « إلى رياض زاهرة » .

لم أدرِ قبل ترنجانِ عبثتِ بهِ
من طيبه سرقَ الأترجَ نكتهُ
كأنما الحاجب المنصور علمه
من ليس يقعه عن سُوددِ كرمٍ
وله أيضاً :

بعثت إليك من خيري داري
توكّلُ بالعكوفِ على التصابي^(٣)
محزّمة كألوانِ العقيقِ^(٢)
وتصطاد الخليع من الطريقِ

* * *

فحار الحاضرون لبداهته ، واعترفوا بنزاهته . فلما آنسَ
استثناسهم بكلامه ، وانصبأبهم إلى شعبِ إكرامه ، أطرقَ كطرفه
العين ، ثم قال : ودونكم بيتين آخرين ، وأنشد :
وأقبلت يومَ جدّ البين في حبللٍ
سودٍ تعضُّ بنانَ النّادِمِ الحِصرِ
فلاحَ ليلٌ على صُبْحِ أفلهمَا
غُصْنٌ وضرستِ البلورُ بالذّررِ
فحيأئذٍ استسنى القومُ قيمتهُ ، واستفزروا ديمتهُ ، وأنجلوا
عشرتهُ ، وجملوا قشّراته .

* * *

(٢) الذخيرة ٤ : ٤٨ .

(١) الذخيرة ٤ : ١٢ .

(٣) الذخيرة : «بالزوف عن التصابي» .

قوله: «لبداهته»، أى لارتجاله وإنشاده من غير فكرة، ويقال: بدّه بدّهاً وبديهة وبدّاهة، إذا لجأه. وبدّه فى كلامه: إذا لم يتفكّر فيه، وفلان حسن البديهة والبداهة، أى الارتجال..

[مما قيل فى البديهة الحاضرة]

والتقول من غير تفكّر وهو عندهم مما يمدح به، وإن كانت الإصابة غالباً فى الروية وإطالة الفكرة، كما قال عبدالله بن وهب الراسبي للخوارج حين عقدوا له: دَعُوا الرأى حتى يَحْتَمِر، فلا خير فى الرأى الفطير، والتقول القصير.

وقال المنصور لكتابه: لا تبرم أمراً حتى تفكّر، فإن فكرة العاقل مرآته تزيه حسنه من قبيحه.

وقال أيضاً: الحكمة نور الفكرة، والصواب فرع الروية، والتدبير فرع الهمة.

قال ابن الرومي:

نارُ الرويةِ نارٌ جدّة منضجةٍ وللبديهةِ نارٌ ذاتُ تلويحٍ^(١)
وقد يفضّأها قومٌ لعاجاها لكنّه عاجل يمضى مع الريح

وقال أشجع فى جعفر بن يحيى:

يريدُ الملوكُ مدى جعفرٍ ولا يصنعون كما يصنع^(٢)
وليس بأوسعهم فى الفنى ولكنّ معروفه أوسعُ
بداهته مثل تفكيره متى تلقه فهو مستجع^(٣)

وقال فيه:

بديهته وفكرته سواء إذا التبتت على الناسِ الأمورُ

(١) بدائم البدائه ٦

(٢) من قصيدة له فى الأغاني ١٧: ٣٧.

(٣) الأغاني: «بديهته.... متى رمته».

وقال إبراهيم بن العباس الصوليّ في الفضل بن سهل :

يقضى الأمور على بديهته وتريه فكرته عواقبه
فيظلّ يُوردها ويصدرها فلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوماً بعض دواوينه، فرأى غلاماً جميل الصورة، على أذنه قلمٌ فقال: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك، والمتقلب في نعمتك، والمؤمل بمخدمتك؛ الحسن بن رجاء خادمك. فقال للمأمون: أحسنت يا غلام، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول. ثم أمر أن تُرفع مرتبته في الديوان.

* * *

قوله: «بزاهته» أي برفعته وبعده من التهمة بسرقة الشعر. آنس: أبصر. استثناسهم: أنسهم وتركهم الإنكار. طرفة: نظرة، قد طرف طرفاً، إذا حرك جفنيه بعد النظر. دونكم: إغراء، ومعناه خذوا حذرکم واسمعوا. جدّ: تحقق. البين: الفراق. بنان: أصابع. الحصر: المنقطع عن الكلام عيياً. ليل: أراد به نقاباً أسود. صبح: وجه. أقالهما: رفعهما. غصن: قدّ. ضرّست البلور: الأصابع. الدرر: الأسنان.

[نقد شعر الحريريّ]

والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يزيدهم استثناساً بأنه غير مدع في الشعر، ودلّ على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما، وهو قد أخرج معنى زائداً في البيت ولم يصرح به لما عليه في ذلك من التقصير عن درجة غيره، وذلك أنه لما لم يستوفِ مقابلة بيت أبي الفرج مرةً بيئته المتقدمين، استوفاهما في هذا البيت الثاني، لأنه قابل «أمطرت» بساقطت، واللؤلؤ باللؤلؤ، والنجس بالنجس، وهما العين والنم، وحرمة بالحد بسنا القمر، وبقى عليه زائد من قول أبي الفرج: «وعضت على العناب بالبرد»، فقابله في هذا البيت بقوله: «وضرّست

البلور بالدرر ، وجعلها تعضّ على أصابعها وهي بيض ، لانه يصف امرأة شعرت
بفراق أحبابها ، فتركت الزينة واستعمال الحنّاء ، فلتا حان وقت فراقهم ، لبست
ثياب الحزن ، وأقبلت تودّعهم تأنّفاً وتندماً على فراقهم ، ووصف الأصابع
باللّين والصبغ ، وذلك مذكور في العاشرة ، وجعلها لابسة السواد ، لأنّ أهل
المشرق يلبسونه لحزنهم ، وأهل الأندلس يلبسون البياض لحزنهم ، قال الشاعر :

ألا يا أهل أندلسٍ فظنتمْ بلطفكم إلى أمرٍ عجيبِ
لبستمْ في ما تمكم بياضاً وجتمّ منه في زِيّ غريبِ
صدقتم فالبياضُ لباسُ حزنٍ ولاحزنٌ أشدُّ من المشيبِ

وأشدُّ أبو عثمان الأشنادانيّ في أبيات المعاني له :

أرعتُ مراتع مدرّاهها على عجلٍ صنوين إن أفردا لم يرعيّا أبداً
واستبدلتُ من رياض الحزن موقّةً ثوبَ الأمير الذي في مُلكه قعداً

عني بمراتع مدرّاهها شعّرها ، وبصنوين مقصّاً حلقته به ، وبرياض الحزن
ثياباً ملوّنة ، وبثوب الأمير ثوباً أسود ، لأن ملوك بني العباس لباسهم السواد .

وعارض ابن لبّال^(١) الحريريّ في أبياته فقال :

ودّعتهُا ومدماعي تنهلّ بالدمع الطليقِ
فيككتُ فأذرتُ أدمعاً في صفحة الخلد الأنيقِ
ومضتُ تعضّ بناتها بين التلّيف والشهيقِ
ورأيت مبيض اللّج بين يعضّ محرّ العقيقِ

وكما عارض بيت الحريريّ عارض قول البحترىّ المتقدم :

(١) ابن لبّال ، واسمه على ابن أحمد بن علي ، من قضاة الأندلس وشعرائها وأدبائها ؛ وله

كتاب في شرح المقامات . الغرب ١ : ٣٠٣

يا بآبى ظبىؑ إِذا مارنا
أثخن قلبى وفؤادى جراح
يفترّ عن طلعٍ وعن جوهرٍ
وفضةٌ أو حَبَبٍ أو أُلُحاحٍ
فزاد عليه بوصفين .

من أقوالهم فى الفراق

ومما يناظر ما تقدّم من البكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف :

وكأنما أثر الدموع بخدّها
طلّ تساقط فوق وَرْدٍ يانِعِ
عَدَبَ الفراقُ لنا قبيلَ وداعِنَا
ثم اجترعناه كَسْمٍ ناقِعِ
وقال ابن الرومى :

لو كنتَ يومَ الوداعِ شاهدنَا
وهنَّ يُطفئن غلّةَ الوجدِ
لم ترَ إِلَّا دموعَ باكيةٍ
تسفع من مُقلّةٍ على خَدِ
كأنّ تلكَ الدموعَ قطارُ ندَى
يقطر من نرجسٍ على وَرْدِ

وقال النّاشى :

بكيتُ الفراقَ وقد راعِنى
بكاءَ الحبيبِ لبعْدِ الديارِ
كأنّ الدموعَ على خدّها
بقية طلٍّ على جُلنارِ

وقال أبو نواس :

تقولُ غداةَ البينِ إحدى نساءهم
لى الكيدِ الحَرى فيسرُ ولكَ الصبرُ (١)
وفد غلبتها عبرةٌ فدموعها
على خدّها جَمْرٌ وفى نحرها صفرُ

يقول: لون خدها أحمر، فتشككت الدمعة به جزأً، ولون نحرها أصفر عاجي
كما قال ذو الرمة :

كأنها فضةٌ قد مسَّها ذهبٌ فصارَ فيها للون الدمعَ صُفْرَتُهُ
وقيل للعباس بن محمد: ما لونُ الماء؟ فقال: لونُ إنائه.

ولما ذكر الحريريّ الحلل السود على الجارية، تذكّرت ما قال أبو عثمان
الناجم^(١) في جارية رأى عليها ثوباً أزرق:

ما تعدت قبولُ حينَ جلتَ زيباً شبيهاً بوجهها ذي الضياءِ
لبست أزرقاً فجاءتُ بوجهٍ يشبه البدرَ في أديمِ السماءِ

ولأبي حفص بن برد في غلام بدا له في ثوب لازوردي، فقال:

لما بدا في لازور دى الحرير وقد بهر^(٢)
كبرت من فرط الجما لٍ وقلتُ ما هذا بشرُ
فأجابني لا تنكرفُ ثوبَ السماءِ على القمَرِ

وقال ابن المعتز في غلام عليه ديباج بنفسجي:

وبنفسجي الثوبقت لٍ محبه من حاله^(٣)
الآن صرت البدر إذ ألبست ثوب جماله

قوله: «استسنى»، أي استعظم، وقد سنو الرجل، وسنا: شرف وعظم. ديمته:
كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع، أو يريد بها فطنته التي تمدده بما شاء من

(١) هو سعد بن الحسن بن شداد المعروف بالناجم الشاعر الأديب، صاحب ابن الرومي
ورواية شعره. معجم الأديباء ١١ : ١٩ .

(٢) الذخيرة ٢ : ٣٧

(٣) برد البيان في ديوان المطبوع، وهما في الذخيرة ٢ : ٣٧، مع رواية مخالفة

الشعر، وأصل الديمة المطر الدائم . واستغزروها : استكثروها ووجدوها غزيرة .
أجلوا عشرته، أى أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل . جملوا قشرته ، أى حسنوها ،
من لفظ الجمال ، أو يكون معناه: جملوا من جملة الحساب وأجملته ، أى جمعته ،
فكأنهم جمعوا له شيئاً وكسوه . وقشرته : ثوبه ، لأنه قدم أن هيئته كانت رثة ،
فاحتاجوا أن يكسوه .

قال المخبر بهذه الحكاية : فَلَمَّا رَأَيْتُ تَلَّهْبَ جَذْوَتِهِ ، وَتَأَلَّقَ
جَلْوَتِهِ ، أَمَمْتُ النَّظَرَ فِي تَوَشُّمِهِ ، وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ فِي مَيْسَمِهِ ،
فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ ، وَقَدْ أَمَرَ لَيْلَهُ الدَّجُوجِيُّ ، فَهَنَّتْ نَفْسِي
عَمُورِهِ ، وَابْتَدَرْتُ اسْتِلامَ يَدِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي أَحَالَ صِفَتَكَ ،
حَتَّى جَهَلْتُ مَمْرَفَتَكَ ، وَأَيُّ شَيْءٍ شَيَّبَ لِحْيَتَكَ ، حَتَّى أَنْكَرْتُ
حِلْيَتَكَ ! فَأَنْشَأُ يَقُول :

وَقَعُ الشَّوَابِيبِ شَيْبٌ	وَالدَّهْرُ بِالنَّاسِ قُلَّبٌ
إِنْ دَانَ يَوْمًا لِشَخْصٍ	فِي غَدٍ يَتَغَلَّبُ
فَلَا تَثِقْ بِوَمِيضٍ	مِنْ بَرَقِهِ فَهُوَ خَلْبٌ
وَاصْبِرْ إِذَا هُوَ أَضْرَى	بِكَ الْخُطُوبِ وَأَبُّ
فَا عَلَى التَّبْرِ عَارٌ	فِي النَّارِ حِينَ يُقَلَّبُ

ثم نهض مفارقاً موضعه ، ومستصبحاً القلوب معه .

تأهب جذوته : اشتعال جمرته و اتقادها ؛ وأراد حدة ذهنه ، والجذوة : النار في طرف العود . تألق : لمان . جلوته : ما جلاه وكشفه من وجهه ، وتقول : جلوت العروس جلوة ، إذا أزلت نقابها ، وأظهرت وجهها ، والجلوة بالكسرة : هيئة جلوه حين يجلى ، وأراد بتألق جلوته بريق وجهه . أمعنت : بالغت وأدمت النظر ، وأصله من أمعن في الأرض إذا أبعده الذهاب فيها . توسمه : نظر سماته ، وهي علامته التي بُرِف بها ، ويريد أنه أدام النظر في نعوته . سرتحت الطرف : أرسلت العين بالنظر ، وأصل الطرف تحرك العين عند النظر ، تقول : طرفت العين طرفاً . والعين : الجارحة ، والبصر : ما تدركه بنظرها ، ثم تُسميت العين طرفاً لذلك . وميسمه : علامته . أقر : ابيض ، نصار مثل لون القمر . الدجوجى : الشديد السواد ، وأراد نبات شعره الأسود .

قوله : « بمورده » ، أى بتدومه وإتيانه ، تقول : وَرَدَ علينا فلان ، إذا قدم عليك من بلد آخر ، والمورد : مصدر وَرَدَ ، وهو بمعنى الورد ، لأنه قدّم أنه غاب عنه مدة لا يعرف له موضعاً ، ولا يجد عنه مخبراً ؛ حيث قال : « واستتر عني حيناً » ، فلما رآه بببلده بالبصرة فرح بتدومه وهناً نفسه على ذلك .

استلام : تبجل اليد . ابن الأنباري : استلم الحجر ، معناه أخذه ومسه بيده ، واستلم ، افتعل ، من المسألة . يريد أخذ الحجر وضمه إليه ، أو يكون استفعل ، من اللأمة وهي السلاح ، يريد أنه حصّن نفسه بمسّ الحجر من العذاب ، لأن السلاح إنما يابس ليمنع به ويتحصّن . أحال : غير . حليتك : صنتك ، ولذلك احتاج أن يعمن النظر لمّا تغيرت صفاته التي كان يعرفه بها من الفتوة والشبيبة ، فلما رآه قد شاب شعره ، وتغيرت صفاته لم يعرفه إلا بعد طول تأمل . وقال الحلواني القيرواني :

ولربّ باكيةٍ رأت في مِلَّتِي وَخَزَ المِشِبِ تَأَلَّقَتْ ضَحِكَاتِهِ

قالت : أغصنًا قد علاه فلا أرى زهر الرّياض ونورت ورقاته
فأجبتُها: قارعتُ في جنبِ الهوى صرف الزّمان، وهذه نكباته
ولا بن الجدّ :

نكرتُ محوّلِي وهومن فرط الأسي لفراق إخوان على كرام
وتعجبتُ للشّيب لا تتعجّبي هذا غبار وقائع الأيام
قوله : «فأنشأ يقول» أي ابتداء ، وأنشدوا :

أنشأت. تطلب ما تغيّر ر قد تناشبت الأظافر

أي ابتدأت تطلب . الشوائب ، أصله ما يقع في الماء الصافي من الأتداء فيكدره ، فأراد أن أنكاد الدهر شيئته . وقُلّب : كثير التقلّب ، فيحوّل من حال إلى حال . دان : طاع وانقاد . يتقلّب : يتحوّل عن الطاعة . وميض : لمع خفيّ . خُلب : خداع ، لا ماء فيه ، وأراد : لا تنق بالدهر ، إذا ما كسبت فيه شيئًا من المال فإنه يحوّل عنك ولا يترك لك منه شيئًا . أضرى : أغرى وألصقها بك ، وأصل «أضرى» من ضراوة الكلب ، تقول ضري الكلب بالصيد ؛ إذا تعلم الصيد ، وأضرّيته أنا بمعنى عرّضته للصيد . والخطوب : الأمور الشداد . وألب : حشد ، أي اصبر للشدائد إذا أضرها الدهر بك وحشدها ، فما عليك في ذلك عيب ، كما أن الذهب يُسبك بالنار وهو مع ذلك عزيز القدر . والتبر : الذهب قبل سبكه ، وانظر هذا المعنى عند قوله في السابعة والأربعين :

وطالما أصلي الياقوت جمر غصبي ثم انظف الجمر والياقوت ياقوت

(٩ - شرح مقامات الحريري ١)

وزاد الآخر في المعنى فقال :

إني أنا الذهبُ المحمى ومخبره يزيد في السبك للدينار ديناراً

وأشدوا :

اضبر على نوب الزما
فرح وحزن تارة
ن فكذا مضت الدهور
لا الحزن دام ولا الشروز

المقامة الثالثة وهي الدنيارية

رَوَى الحارثُ بن همامٍ قال : نَظَمَني وأخذانا لي نادٍ ، لمَ يَنخبُ
فيهِ منادٍ ، ولا كِتاباً قدحُ زنادٍ ، ولا ذَكَتُ نارُ عِنادٍ ؛ فَبِينا نَحْنُ
نتجاذبُ أطرافَ الأناشيدِ ، وتتواردُ طرفُ الأسانيدِ ، إذ وقف بنا
شخصٌ عليه سَمَلٌ ، وفي مِشيتِهِ قَزَلٌ .

نَظَمَني ، أي جمعني . أخذانا ؛ أي أصحابا . نادٍ : مجلس . منادٍ : متكلم .
كبا : شحّ ولم يبدِ ناراً . قدح : ضرب . زناد : حديدة النار ، وزناد العرب
من خشب ، وأكثر ما يكون من المرخ والعقار ؛ وإنما هو أن يؤخذ عود
قدر شبر ، فيثقب في وسطه ثقب لا ينفذ ، ويؤخذ عود آخر قدر ذراع ، فيجد
طرفه ، ويُجعل ذلك في الثقب ، وقد وضعه رجلٌ بين رجليه ، فيديره ويفتلّه ،
فيبدي النار ، فالأعلى زَند والسفلى زَندة ، والزناد جمع زند . قوله : « ذَكَتُ » ، أي
اشتعلت . عناد : خلاف ، يريد أن هؤلاء الأصحاب لحسن أديهم ومناظرتهم
ليس بينهم خلاف ، وهم علماء لا يسقط من كلامهم شيء ، وليس فيهم جاهل ،
فيكون كلامه قليل الإصابة . والأناشيد : ما يتناشدونه من الأشعار بينهم ، كأن
واحدنا أنشودة . وتجاذب أطرافها ، يريد المشاركة في إنشادها ، أي إذا أنشد
أحدٌهم شعراً ليُغرب به شاركوه في إنشاده لحفظهم الأشعار ، فكانهم تجاذبوه كما
يُتجاذب بأطراف الثوب . والأسانيد : الأخبار المسندة إلى أهلها . وأصل التوارد ،
مزاحمة الإبل على شرب الماء ، فجعل مشاركتهم في ضبط غرائب الأخبار

كتوارد الإبل على الماء، والطَّرف: الغرائب، والطَّرفة: الشيء العجيب من كل شيء، الذي لا يوجد له نظير. سَمَل: ثوب خلق، وأكثر ما تقول العرب: ثوب أسمال وأخلاق، فيوصف بالجمع لأنه قطع متفرقة. وسَمَل: قليل، وفي تبدل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب المتبدل الذي لا يبالي بما لبس». قزل: عرج.

* * *

فقال: يا أخير الذخائر، وبشائر العشاير، عموا صباحاً، وأنعموا اضطباحاً، وانظروا إلى من كان ذا ندى وندى، وجدة وجداء، وعقارٍ وقرى، ومقارٍ وقرى، فما زال به قطوب الخطوب، وحرُوب الكروب، وشررُ شرِّ الحُسود، وانتياب الثوبِ الشود، حتى صَفرتِ الرَّاحةُ، وقرعتِ السَّاحةُ، وغار المنبع، ونبا المربع، وأقوى المجمع، وأفض المضعج، واستحالت الحبال، وأعول العيال، وختلت المرابط، ورحم الغابط، وأودى الناطق والصائم، ورثى لنا الحاسدُ والشَّامِتُ.

* * *

قوله: «يا أخير الذخائر»، الأخير: جمع أخير، كما يقال: أكبر وأكبر، والمستعمل خير وشر، ولا يقال: أخير ولا أشر إلا شاذاً، وإن كان هو الأصل، لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الأصل، لأنه يرد الشيء إلى أصله وقال رؤبه:

* بلال خيرُ النَّاسِ وابنُ الأَخِيرِ *

فنطق بالمستعمل لشهرته ، وبأصله وهو قليل ، فإذا تعجبوا من ذلك قالوا :
 ما أخيرَ فلاناً ، وما أشرَ فلاناً . والذخائر : جمع ذخيرة ؛ وهي الشيء النفيس الغالي
 يصونه الإنسان ويعتدّه لزمانه . البشائر . جمع بشارة ، وقد بشرت الرجل بشارة
 إذا أدخلت عليه السرور . والعشائر : جمع عشيرة ، وهي قرابة الرجل من قبيلته ،
 يقول : أنتم أرفع الذخائر ، وخيرها ، وأنتم يستبشرون لقيمكم برويتكم ، وبتيامن
 بلقائكم ، ويعلم أنكم تصلونه وتكرمونه ؛ ليستمظفهم بهذا الكلام . عموا
 صباحا : دعاء لهم بالنعمة في الصباح ، أى جعلكم الله تنعمون فى صباحكم .
 وعموا : أمرٌ من وعم يعم ، وهى فى معنى نعيم ينعم . وأنعموا اصطباحا ، أى طاب
 شربكم فى الصّباح وتنعمتم به ، والاصطباح : أن يُصبحوا وهم يشربون . ندى :
 مجلس اجتماع ، أى هو شريف يُقعد ويجتمع عنده . ندى : كرم . جدى : عطية .
 العقار : المال الذى لا ينتقل كالنخل والدور والأرضين . قرى : جمع قرية .
 مقار : جفان يُقرى فيها الأضياف ، أى يطعمون فيها . والقرى : طعام الضيف .
 قطوب . عبوس . الخطوب : الشدائد . الحروب : القتال . الكروب : الهموم ،
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : «مما أعلم أنه لا يقوله مكروب إلا فرّج الله عنه ، كلمة
 أخى يونس : ﴿ فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت ... ﴾ الآية .»

ومن كلام ابن المعتز : الحوادث الحضة مكسبة لحظوظ جزيلة ، وثواب مدخر ،
 وتطهير من ذنب ، وتنبيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومرور على مقارعة
 الدهر ، وإذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة .

غيره : لولا حوادث الأيام ﷻ لم يعرف صبر الكرام ، ولا جزع

الشم.

وقال أبو تمام :

والحادثاتُ وإن أصابك بُوسُها فهو الذي أتباك كيف نعيمها^(١)

الحسود : التمتعى إهلاك مالك ، وإذا رأى لك خيراً تمنى إزالته ، يريد أن الحسود أتبع ماله بالعين حتى أهلكه ، وقلمًا يُوجد الذى يرمى بالعين لإحسودا . انقياب : نزول وقصود . الثوب : النوازل . قوله ، «صفرت» ، أى خلت من الدراهم الراحة : باطن الكف . قرعت : خلت من المال وصارت قرعاء . والساحة : فناء الدار ، والساحة عند العرب : الرحبة التى تُحلق بها البيوت ، وأراد أنها خلت من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك . غار المنبع : جفَّ الماء النابع ، والمنبع : موضع النبع . المربع : المنزل فى الربيع . ونبا : بأهله : وجد نبوة ، أى ارتقاغا غير وطىء فلم تمكن الإقامة فيه . أقوى : خلا . الجمع : موضع الاجتماع . أقض : حَسُن وصار فيه القَضُض ، وهى الحجارة . والمضجع : موضع رقاذه ، وأخذه من قول أبي ذؤيب :

أم ما جنبك لا يلائمُ مَضْجَعًا إِلَّا أَقْضَ عَلَيْهِ ذَاكَ الْمَضْجَعُ^(٢)

وكى بهذه الألفاظ عن تغير الأحوال وذهاب اللال .

وساق الكلام مساق حكايات الأعراب ؛ منها أن أعرابياً وقف بقوم ، فقال : أشكو إليكم أيها الملال زماناً أناخ على بكل كله بعد نعمة من البال ، وثروة من اللال ، وغبطة من الحال ، أخصماني جديدها بنبل مصائبه ، عن قسي نوائبه ، فاترك لى راغية أجتدى ضرعها ، ولا تاغية أرتجى نفعها ، فهل فيكم من معين على صرفه ، أو مُعَدِّ على حتفه !

(١) ديوانه ٣١٠

(٢) ديوان الهدلين ٢ .

وقد ذكرنا منها جملة في الثالثة والثلاثين . وحكى أبو عليّ في نوادره حكاية عن أبي زيد الغنويّ على لسان أعرابيّ يشبه كلام الحريريّ هنا في سياقه وكثير من الألفاظ ، فيقول : إنّ المنبع الذي كنا نعيش به نحن وأموالنا قد ذهب ، فهل كنا بذها به . والمربع : وهو موضع الخِصْب ، صار نبوة لاينبت شيئاً ، فلم تجد الإبل ما ترعاه فهلكت ، وإذا هلك المال هلك صاحبه ، والمجالس التي كنا نجتمع فيها ، هلك أهلها فخلّت ، ومضجعنا الذي كان موطاً بالفُرَش أفضّ فامتنع من الإضجاع عليه .

قوله : «استجالت ، تغيرت» . وحالُ الرجلِ : ما هو عليه من خير أو شرّ أو غنى أو فقر ، والحال أيضاً : المال . أعول : بكى ، وعيال الرجل : من يفتقر إليه في مؤنته ونفقته ، واحدهم عيّل . الرابط : المواضع التي تربط فيها الخيل وتُخبَس . الغابط : الذي يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شيء . أودى : هلك . الناطق : المال من الحيوان مثل الإبل والبقر والغنم ، وكلّ ما يُتملّك من ذى روح ؛ سميت بذلك لأصواتها ، والناطق كل حيوان له صوت . والصامت : الذهب والفضة والمتاع . رثى : بكى . وأشفق الشامت : الذي يُسرّ بمصيبتك ، ومنه تسميت العاطس ، وهو إدخال السرور عليه بالدعاء ، وقد شمت به شماتاً وشماتة ، فهو شامت إذا سرّ ببلاء ينزل به . والحاسد ، هو الحسود .

[فصل في الحسد وما قيل فيه]

والحسد أوّل ذنب عصى الله به في السماء والأرض ، أما في السماء فحسد إبليس آدم ، وأما في الأرض فحسد قاييل هايل .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضَلَّانَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالْإِنْسِ﴾^(١): إنهما قاييل وإبليس، فالحسد حمل إبليس على الكفر، وحمل قاييل على قتل أخيه .

وقال علي رضي الله عنه: لا راحة لحسود، ولا أخ لملول، ولا محب لسِيء الخلق.

وقال رجل لخالد بن صفوان: إني أحيبك، قال: وما يمنعك، ولست لك بجارٍ ولا أخٍ ولا ابن عمٍ! يريد أن الحسد موكل بالأدنين .
الحسن البصرى: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلومٍ من حاسد بنفسٍ دائمٍ، وحزن لازم، وغيره لا تنفذ .

معاوية: كل الناس أقدر على أن أرضيهم إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها .

الميرد: حدثنا الزبدي، قال: يقال: ستة لا تحطهم الكتابة: فقير حديث عهد بِنِعْيٍ، ومُكْتَبٌ يخاف على ماله التلف، والحسود، والحقود، وطالب مرتبة فوق قدره، وخليط أهل الأدب وليس منهم .

قال الأصمعي: اجتمع ثلاثة حساد، فقال أحدهم لصاحبه: ما بلغ من حسدك؟ قال: ما شتهيت أن يفعل بمسلم خير قط، فقال الثاني: أنت رجل صالح، ولكني ما شتهيت أن يفعل بي خير قط، فقال الثالث: ما في الأرض خير منكما، ولكني ما شتهيت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط .

قال: وأنشد الشاعر:

كلّ العداوة قد تُرَجِي مودَّتِهَا إِلَّا عداوة مَنْ عاداك مِنْ حَمَلِ

وقال حبيب :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ
لَمْ يَلَا شَتَالَةَ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ
طُوبَىٰ أَتَّاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ^(١)
مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبَ عَرَفِ الْعُودِ

وقال القاضي ابن عمر :

نَهَانِي حِلْمِي فَمَا أَظْلَمُ
وَلَا بَدَّ مِنْ حَاسِدٍ قَلْبُهُ
وَعَزَّ مَكَانِي فَمَا أَظْلَمُ
بَنُورِ مَا ثَرِنَا مُظْلَمُ
رَحِمْتَ حَسُودِي عَلَىٰ أَنَّهُ
يَعَذِّبُ بِي ثُمَّ لَا يُرْحَمُ
أَتَانَا الْحَسُودَ وَلَسْنَا كَمَا
يَقُولُ وَلَسْنَا كَمَا يَعْلَمُ

وقال البجلي :

إِنِّي لِأَرْحَمَ حَاسِدِي لَقَرَطًا مَا
نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ فِي فَعْيُونِهِمْ
ضَمَّتْ صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ
فِي جَنَّةِ وَقُلُوبِهِمْ فِي نَارِ
لَا ذَنْبَ لِي قَد رُمْتُ كَسْمَ فَوَاضِلِي
فَكَأَنَّمَا بَرَقَتْهَا بِنَهَارِ

قوله: «رثي لنا الحاسد والشامت»: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارحموا
ثلاثاً: غنى قوم افتقر، وعزيز قوم ذل، وفقية ياب بها الجهال».

قال الشافعي: خمسة مرحومون: عزيز ذل، وغنى فل، وحبیب مل، وفصیح
كل، وفقية ضل.

وقال الشافعي: ومن حديث واثلة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«لأنظهر الشماتة بأخيك، فبإعاقبه الله وبتأنيك»، وأخذته الحريري من قول الآخر:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ
وَمَغْرَمٌ تُوَقَّدُ أَحْشَاوَهُ
وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانَهَا بَاهَتْ
بِالنَّارِ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ
رَقَّ فَمَا فِي جِسْمِهِ مَفْصَلٌ
إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ

(١) ديوانه ٨٥

يرثي له الشامتُ مما بهِ يويحَ من يرثي له الشامتُ !

* * *

وآل بنا الدهرُ الموقِعُ ، والفقرُ المذقِعُ ، إلى أنِ احتذينا الوجي ،
واغتذينا الشجا ، واستبطننا الجوى ، وطوينا الأخشاءَ على الطوى ،
واكتحلنا السهادَ ، واستوطننا الوهادَ ، واستوطننا القتادَ ، وتناسينا
الأقتادَ ، واستططننا الحينَ المجتاحَ ، واستبطننا اليومَ المتاحَ ، فهل
من حرّ آسٍ ، أو سَمِحِ مواسٍ ! فوالذي استخرَجني من قَيْلَةٍ ،
لقد أمسيتُ أختًا غَيْلَةٍ ، لا أملكُ بيتَ لَيْلَةٍ .

قال الحارث بن همام : فأويتُ لمفأقرِهِ ، ولويتُ إلى استنباطِ
فقرِهِ ، فأبرزتُ ديناراً ، وقلتُ له اختباراً : إن مدحته نظماً ، فهو
لكَ حتماً ، فابري مینشدُ في الحالِ ، من غيرِ انتحالِ .

* * *

قوله : « آل بنا » أى رجع بنا ، وقد آل بثيل ويثول ، أى رجع . الموقِعُ :
المهلك ، من أوقع به ، ويحتمل أن يريد بالموقع الذى يحمله على الوقوع ، ورجل موقِع
إذا اشتكى ألم رجليه . المذقِعُ : الملتصق بالدقماء ، أى التراب ، أى لم يترك للإنسان
شيئاً يبسطه غير التراب . احتذينا : اتعلمنا . الوجي : توجع باطن القدمين من الحفا ،
يريد أنه لبس مكان النعال الحفا حتى توجعت قدماءه . الشجى : ما يعرض في
الخلق ، وكفى بهذا عن سوء الحال ، لأن الشجى ليس بغذاء إنما هو مقلقة وتعيب .
ولكن بالغ في وصف سوء حاله ، فقال : إنه يتنعل مالا يتنعل ، ويعتدى ما ليس .

بغذاء ، أى ليس ثمَّ انتعال ولا غذاء . استبطنا ، أى جعلناه فى بطوننا . الجوى : فساد الجوف . والأحشاء : مافى الجوف وماحشى به . الطوى : الجوع ، وقد طوى يَطْوَى ؛ لأن الأحشاء إذا امتلأت من الطعام انتشرت ، وإذا فرغت منه انطوى بعضها على بعض . والشهاد : امتناع النوم ، من قول الشاعر :

ما لعيني كُجِلت بالشَّهادِ ولجني نابياً عنَّ وِسَادِي

استوطننا : سكننا واتخذناه وطناً . الوهاد : ما انخفض من الأرض . استوطنانا : وجدناه وطيباً . القتاد : شجر له شوك شديد يستعمل عندنا حمض الأمير . الأقتاد : خشب الرِّحال ، يريد أنهم نسوا ركوب المطايا لبعدهم بها ورجعوا الآن يمشون . على الشوك فيجدونه وطيباً . الحين : الموت . المحتاح : من لفظ الجوائح ، يريد به المستأصل للأموال . استبطنا : وجدناه بلىء الحياء . المتاح . المقدَّر ، يريد أن يوم موتهم تمناه لشدة ما قاسوا ، وأبطأ عليهم . آس : طيب يطب علة الفقر والجمع الأساة . سمح : كريم . المواسى : المعين . وذكر عاصم فى شرح قوله : « يواسى فى كريهته أخاه » ، أن معناه ، جعله أسوة نفسه ، فواسى من الأسوة ، كأنه يشاركه فى ماله . ويقال : آسيته ، والأصل الهمز .

المفضل : معنى فلان يواسى فلانا ، يشاركه ، والمواساة المشاركة ، وآساه : شاركه فيما هو فيه .

مؤرَّج : ما يواسيه ، أى ما يصيبه بخير أصلاً .

غيره : معناه يعوضه من مودته وقرابته شيئاً ، من الأوس وهو العوض .

قال الشاعر :

فلا رَمَيْتَكَ مِشَقَّصًا أَوْسًا أَوْيسُ مِنَ الْهَبَالَةِ^(١)

(١) اللسان- هبل ، ونسبه إلى أسماء بن قارحة؛ وفيه أن الهبالة اسم ناقة أسماء بن قارحة .
ورواية اللسان : « لأحشأنك » .

والهبالة: اسم ناقة، أى أرميك بسهم يكون عَوْضًا عن الناقة. وَكَانَ أَصْلُهُ
يؤاوسه، فقدموا السين وهى لام الفعل، وأخروا الواو وهى عينه، فصار «يؤاوسه»
فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، فهو من المقلوب، وإن جعلته من أسوتُ
الجرح، إذا أصاحته فلا قلب فيه.

قوله: «فوالذى استخرجنى من قبيلة»، قبيلة هى أمّ الأوس والخزرج، وهى بنت
الأرقم النسائية، وانتسابه لها كانتسابه قبل إلى أقيال غسان. أخت عَيْلَة: صاحب
فقر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾^(١)، أى فقراً، وقال صلى الله عليه وسلم: «أعوذ
بك من التسوسة والغفلة والعيلة والمسكنة». بيت ليلة: قوت بيت عليه ليلة.

أويت: أشفتت وحننت. مفاقره: جمع فقر على غير قياس - ومثله مذا كير
الرجل جمع ذَكَر: محاسنه ومساويه. لويت: انعطفت. استنباط: استخراج.
الفقر فى النثر: فواصله، وهى مثل القوافى فى النظم، والفقر: ما تقدّم فى المقامة من
الكلام المفقر. أبرزت: أطهرت. حمًا: واجبًا، يريد أنه قصد إلى أن يحقّق
ما تقدّم من الفصاحة فى فقره إن كانت له أو انتحلها، فقال ليختبره: امتدح هذا
الدينار بشعر. فانبهرى، أى اعترض وتقدّم. انتحال: ادّعاء منه فى شعر غيره،
يقال: انتحل كذا، أى ألزمه نفسه، وجعله كالملك، من النحلة، وهى الهبة
والعطية.

أَكْرَمَ بِهِ أَصْفَرَ رَأَتْ صُفْرَتَهُ
مَأْتُورَةً سَمَمَتُهُ وَشَهْرَتُهُ
وَفَارَنْتَ نَجْحَ الْمَسَاعِي خَطْرَتُهُ
كَأَنَّمَا مِنَ الْقُلُوبِ نَقْرَتُهُ
جَوَابَ آفَاقِ تَرَامَتِ سَفْرَتَهُ
قَدْ أودِعْتَ سِرَّ الْغِنَى أَسْرَتَهُ
وَحُبِّبْتَ إِلَى الْأَنَامِ غُرَّتَهُ
بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوْنُهُ حُرَّتُهُ

(١) سورة التوبة ٢٨،

وَإِنْ تَفَانَتْ أَوْ تَوَانَتْ عِزَّتُهُ يَا حَبِذَا نُضَارُهُ وَتُقْرَتُهُ
 وَحَبِذَا مَغْنَمَاتُهُ وَنُصْرَتُهُ كَمْ أَمْرٍ بِهِ اسْتَنْبَتِ إِمْرَتُهُ
 وَمُتَرَفٍ لَوْلَاهُ دَامَتْ حَمْرَتُهُ وَجَيْشٍ هَمَّ هَزَمْتُهُ كَرَّتُهُ
 وَبَدْرٍ تَمَّ أَنْزَلْتُهُ بَدْرَتُهُ وَمُسْتَشِيطٍ تَتَلَطَّى جَهْرَتُهُ
 أَسْرًا بِنَجْوَاهُ فَلَانَتْ شِرَّتُهُ وَكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمْتُهُ أَسْرَتُهُ
 أَنْقَذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسْرَتُهُ وَحَقُّ مَوْلَى أْبْدَعْتُهُ فِطْرَتُهُ
 * لَوْلَا التُّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ *

قوله: «اكرِّم به»، معناه ما أكرمه . راق . أعجبت . جواب آفاق :
 قطاع بلاد . ترامت سفرته : بعدت غيبته، وسمى السفر سفراً ، لأنه يسفر عن
 أخلاق الرجال ، أى يكشفها ويوضحها ، أخذ من قولهم : سقرت المرأة عن
 وجهها ، إذا كشفته وأظهرته ، ويقال لامكسة : مسفرة ، لأنها تسفر التراب
 عن الموضع ، وسفر بيته ، كنسه . ماثورة : محدث بها . سمعته : ذكره المسموع .
 أودعت : ضمنت . أسرته : خطوط وجهه ، أراد نقشه ، وأن بين أسطاره سر
 الفنى ، فمن ملكه ملك الفنى . فارنت : ساوت : النجح : ضد الخيبة . المساعى :
 المشى فى طلب الحوائج . الأنام : الخلق . غرته : وجهه ؛ قيل لأبى الزناد : مالك
 تحب الدراهم وهى تدنيك من الدنيا ! قال : إنها وإن أدنتنى من الدنيا ، فقد
 صانتنى عنها . والنقرة : القطعة المسبوكة من الذهب والفضة ، قبل أن يطبع منها
 الدراهم والدنانير ، وأراد : كأنما قطعت نقرته من قلوب الناس لشدة حبهم
 فيه . والنقرة ، إنما تستعمل من الفضة ، واستعملها فى الذهب لقرب ما بينهما ،
 وأخذه من قول البحترى :

فكَلَّ قلبٍ إليه منصرفٌ كأنَّه من جميعها خُلِقًا (١)
أو من قول ابن الرومي :

به أمست الأهواء يجمعها هوى كأن نفوس الناس في حبه نفسُ
أو من قول المتنبي :

في خَطِّه من كلِّ قلبٍ شهوةٌ حتى كأنَّ مداده الأهواء (٢)

يصول : يقهر ويفلب ، وصال الشجاع على قرّنه ، والفحل على إبله ، والحمار على أُنْته صَوْلًا ، إذا قهر وعلا وصاح بها . الصرّة : الخرقّة تصرّف فيها الدراهم . حوته : ضَمَّتْه ، يريد أن مَنْ مَلِك الدينار صال به على زمانه . تَفَانَتْ : هَلَكَتْ . تَوَانَتْ : أَبْطَأَتْ وضعفت عن نصرته . عِترته : قرابته الأَدْنُون . نضاره : ذهبه . نصرته : حسنه . مغناته : منابه ، يقال فلان يغني مغناتك ، أى ينوب منابك ، ويقوم مقامك ، يريد أنه ينوب عن الإنسان في المضايق وينصره . استتبت : تمت واستقامت ، والمستتب : الطريق البين ، قال الشاعر :

* على مستتب كالحجرة تعمل *

إمرته : ولايته . مُتَرَف : منعم . حسرته : تفجعه ، وحزنه . كرتته : رجعته ، وبدرتم : القمر ليلة الكمال ؛ ويريد به شخصاً يشبه البدر في حسنه ورفعته ، فإذا جمعت في طلبه الدينار أنزلته عن مرتبته وتملكته ، والبُدرة : عشرة آلاف درهم . مستشيط : غضبان : تتلظى : تتأهب . جمرته : شدة غيظه . أسر : أخفى . نجواه : حديثه سرّاً . شيرته : حدّته وغضبه ، يقول : كم من غضبان شديداً الفيظ ، مثل

(١) فلحق ديوانه ٢٦١٥ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٠ ، والأهواء : جمع هوى ، مقصور ، وهو المحبة .

حاكم يَصُولُ بِصَاحِبِ جَنَايَةٍ وَيَهْدِيهِ ، فَإِذَا رُشِيَ بِالْدِينَارِ وَبُعِثَ إِلَيْهِ سِرًّا أُرْزِلَ غَضَبُهُ ، وَسَكَنَتْ حِدَّتُهُ . أَسْلَمْتَهُ ، تَرَكَتَهُ . أَسْرَتَهُ : قَوْمَهُ . مَسْرَتَهُ : فَرَحَهُ . أُبْدَعْتَهُ : أَوْ جَدْتَهُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ . فِطْرَتَهُ : خَلْقَتَهُ . التَّقَى : الْخَوْفُ . جَلَّتْ : عَظُمَتْ .

* * *

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، بَعْدَ مَا أَنْشَدَهُ ، وَقَالَ : أَنْجَزَ حُرْمًا وَعَدَّ ،
وَسَحَّ خَالًا إِذَا رَعَدَ . فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ : خُذْهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ
عَلَيْهِ ، فَوَضَعَهُ فِي فِيهِ ، وَقَالَ : بَارِكِ اللَّهُمَّ فِيهِ ، ثُمَّ شَمَّرَ لِلانْتِئَاءِ ،
بَعْدَ تَوْفِيَةِ الشَّنَاءِ .

* * *

[قصة المثل : أنجز حرماً ما وعد]

قوله : «أنجز حرماً ما وعد»، هذا مثل ، قاله الحارث آكل المرار - وهو جدّ امرئ القيس - لصخر بن نهشل بن دارم ، وذلك أن الحارث قال : يا صخر ، هل أدلك على غنيمة على أن لي خمسها؟ قال نعم ، فدلّه على قوم من العرب ، فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا ، فحملهم صخر على أن يعطوا الحارث الخمس ، فأبوا ؛ وكان طريقهم على شجعات - وهي ثنية متضايقة - فلما دنوا منها صار إليهم صخر حتى قعد على رأسها ، ومنعهم الجواز أو يعطوا الحارث الخمس ، فقال حمزة اليربوعي : والله لا نعطيه من غنيمتنا شيئاً ؛ ومضى في الثنية ، فحمل عليه صخر فقتله . فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ، ففي ذلك يقول نهشل بن حرّى بن منجز ابن نهشل بن دارم :

وَنَحْنُ مَنَعْنَا الْجَيْشَ أَنْ يَتَأَوَّبُوا
عَلَى شَجَعَاتِ وَالْجِيَادِ بَنَى تَجْرِي
حَبْسَانَهُمْ حَتَّى أَقْرَوَا لِحَكْمِنَا
وَأَدَّى أَثْقَالَ الْخَمِيسِ إِلَى صِخْرِ

فمعنى «أنجز حرثاً ما وعد»^(١) أحضر وهياً. وقد نجز الشيء إذا حضر، ولفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، أراد لينجز حرثاً ما وعد.

* * *

سَحَّ: صبَّ وأمطار. خال: سحاب يحيل لك أن المطر فيه. رعد: صوت؛ يقول لابن همام: إن السحاب إذا سمع الرعد سحَّ بالمطر، وأنت قد أسمعني ذكر الدينار، ووعدتني به، فأنجز لي وعدى.

نبذت: رميت. مأسوف: محزون. بارك: أى ضع البركة فيه، وقولهم: تبارك الله، أى تقدس وتطهر، وقيل: هو «تفاعل» من البركة، أى البركة تنال بذكر اسمك. الانشاء: الرجوع. توفية الثناء: كمال الشكر والمدح.

[مما قيل في وصف الدينار]

ومما قيل في وصف الدينار ومدحه:

ومُقَسَّمِ الوجناتِ يبرُقُ وجهه بادٍ على وجناته عبَّادُ
جُبيلِ الأنامِ على حَبَّةِ حسنه فكأنه ربُّ وهم عبَّادُ
وفي مقاماتِ البديعِ في وصفه .

ياحسَنها فاقعةٌ صفراءُ مشرقةٌ منقوشةٌ قوراءُ^(٢)
يكادُ أن يقطرَ منها الماءُ قد أثمرتها همَّةٌ عليه
يادًا الذي بغيته الثناءُ ما ينقضى بقدرِكَ الإطرَاءُ

* امض على الله لك الجزاء *

* * *

(١) جهرة الأمثال ١ : ٣٠ ، فصل المقال ٧٩ ، الفاخر ٦١ .

(٢) مقامات البديع ٩٢ ، وفيها : « مشوقة » بدل « مشرقة » .

[فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه]

وإذ قد فرغت من شرح ألفاظه في إنجاز الوعد في المثل ، وما اتصل به ، فلنذكر مذاهبهم في ذلك .

فأكثرهم على إنجاز الوعد ، وقد ذكر فيما هو مستقبل :

* وبيع آجلاً منك بالعاجلِ *

وقال : وإذا خُيِّرتَ بين ذرّة منقودة ، وذرّة موعودة فَمِلْ إلى النقد .
وقال جرير :

إِنِّي لأرْجُو مِنْكَ خَيْراً عَاجِلاً وَالنَّفْسُ مَوْلَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ (١)

قال آخر :

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَيْرَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ وَلَكِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ عِنْدِي الْمَعْجَلُ

وقال آخر :

أَتَى زَائِراً مِنْ غَيْرِ وَعَدِي وَقَالَ لِي : أَجَلُّكَ عَنِ تَعْذِيبِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ

وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والإنجاز مهلة ؛ ومنه أن منصور بن زياد كَلَّمَ يحيى بن خالد في حاجة رجل ، فقال له : عدّ معني قضاءها ، فقال منصور بن زياد : وما يدعوك إلى العِدَّة مع القدرة ! فقال : هذا قول من لا يعرف موقع الصنائع من القلوب ، إن الحاجة إذا لم يتقدّمها وعد يُنتظر به نجحها ، لم تتحدث النفس بسرورها ؛ إن الوعد مطعم والإنجاز طعام ، وليس من فاجأه طعام كمن وجد رآحمته وتطعمه ثم طعمه ، فدع الحاجة تحتّم بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولفظ محلّ .

(١) ديوانه ٤٩٥ ، من قصيدة له في مدح عمر بن عبد العزيز .

(١٠ - شرح مقامات الحريري ١)

قال ابن الكلبي لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لاتصنع إليّ معروفاً حتى تعدني به ، فإنه لم يأتني منك سبب على غير وعد إلا هان عليّ قدره ، وقلّ مني شكره ، فقال له : لِمَ قلت ذلك ، وقد قال سيّد قومك أبو مسلم الخولانيّ : إن أنجح المعروف في القلوب ، وأبرده على الأكباد معروف غير منتظر بوعد لا يكدره مَطل .

ووعده المهديّ^(١) عيسى بن دأب جارية ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيريّ [قول مضرّس الأسديّ]^(٢) :

ولا تياسن من صالح أن تناله وإن كان قدماً بين أيدي تبادره
فقال : يُدفع لعبد الله جارية أخرى ، فقال الزبيريّ :
وأنجز خير الناس من قبل وعده أراحك من مَطلٍ ومن طول كده
فقال له عيسى بن دأب : ما صنعت شيئاً ! هلاً قلت :
حلاوة الفضل بوعدٍ ينجزُ لا خير في العرف كنهبٍ يُنهزُ
فقال المهديّ :

الوعدُ أحسنُ ما يكو ن إذا تقدّمه ضمانُ
وقال بعض البلغاء : دع الوعد يركض ثلاثاً ، فإن كثير العطاء قبل الوعد قليل ، وجليله حقير .

وقال يحيى بن خالد : من لم يبت مسروراً بوعد ، لم يجد للصنيفة مطعماً وفيه بقول أبو قابوس النصرانيّ :

رأيتُ يحيى أتمّ الله نعمته عليه يأتى الذي لم يأتِهِ أحدُ
ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعدُّ

(٢) من معجم الأدباء

(١) ط : « المستهدى » تحريف .

(٣) الخبير في معجم الأدباء ١٦ : ١٥٤

وقال الحارثي :

هو ما رَوْضَةٌ دَارِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ منمنمةٌ زهراء ذات ثري صعدِ
يأحسنَ من حُرِّ تَضَمَّنَ حَاجَةً لحرِّ ، فأوفى بالنجاح مع الوعدِ

وقال ابن رشيقي :

أحسنتَ في تأخيرها مِنَّةً لو لم تؤخِّرْ لم تكن كامِلَةً (١)
وكيف لا يحسنُ تأخيرها بعد يقيني أنها حاصِلَةٌ!
وجنَّة الفردوس يدعى بها آجلة للمرء ، لا عاجلُهُ

وقال رجل لأبي عمرو بن العلاء: وعدتني بأمر فلم تنجزه! فقال أبو عمرو: من أولى منّا بالعتب؟ أنا وإلا أنت! قال: أنا؛ قال أبو عمرو: لا والله بل أنا، قال: وكيف؟ قال: لأنني وعدتك وعداً فأنت تفرح بالوعد، فبيت ليلتك جذلان مسروراً وبت أنا بهم الإنجاز، فبت ليلتي منكراً منغموماً بما عاق الدهر من بلوغ الإرادة فيه، فلقمتني مدلاً ولقمتك مستهيباً.

واعتذر بعض الرؤساء لأبي عليّ البصريّ من تأخر وعد، فقال: في شكر ما تقدّم من إحسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه.

فنشأت لي من فكاها نِسْوَةٌ غَرَامٍ ، سهّلت عليّ ائتلاف
اغترام ، فجردت ديناراً آخرَ وقلتُ له: هل لك في أن تدممه ، ثم
تضممه ؟ فأنشد مرّ تجلاً ، وشداً عاجلاً :

° ° °

(١) العمدة ٢ : ١٢٨ ، ١٢٩ .

قوله : «فتشأت»، أى ظهرت وبدت. فكاهة: مزاح. نشوة غرام: سكرة شوق، والغرام: الحبّ المعبّد للقلب. ائتفاف: استقبال. اغترام: غرْم. ثم ذكر أن يذمه ثم يضمّه، وقد نظمهما الزاهد بن عمران فى قوله :

إِنَّ الْمُوْنَةَ وَالْحَسَابَ كِلَاهِمَا قَرْنَا بِهَذَا الدَّرْهِمِ الْمَذْمُومِ
كَلِفِ الْأَنْامِ بِذَمِّهِ وَبِضْمِّهِ فَتَعَجَّبُوا لِمَذْمُومٍ مِثْلِ مِثْمُومِ

وقال ابن شرف فى الدينار والدرهم :

أَلَا رَبِّ شَيْءٍ فِيهِ مِنْ أَحْرَفِ اسْمِهِ نَوَاهٍ لَنَا عَنْهُ وَزَجْرٌ وَإِنْدَارُ
فُتِنًا بِدِينَارٍ وَهَمْنًا بِدَرْهِمٍ وَآخِرُ ذَا هَمٍّ ، وَآخِرُ ذَا نَارُ

وقال ابن رشيق :

صَحَّفْتُ دَالِيْنَ مِنْ دِيْنِهِ اِرِّ يَلُوْحُ وَدَرْهِمُ
فَقَالَ لِي ذَلِكُمْ «ذِي نَارٍ» وَذَا قَالُ : «ذَرْهُمُ»

وابن رشيق وابن شرف أديبا القَيْرَوان، يَجْمَعُهُمَا الْبَلَدُ وَالزَّمَانُ ، وكانا مرّة يتصاحبان ، ومرّة يتباغضان .

وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرهم :

صَدِيقُ الْمَرْءِ كَالدِّينَارِ طَبْعًا وَكَيْفَ يَفَارِقُ الْمَرْءَ الطَّبَاعًا !
تَرَاهُ إِذَا أَقَامَ يَقِيْمُ جَاهًا وَإِنْ فَارَقْتَهُ أَجْدَى انْتِنَاعًا
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ كُشَاجِمٍ :

وَمَرِيْدٍ مِّنْ أَبَاهُ وَمُهَيِّنٍ مِنْ أَجَلِّهِ (١)
فَهُوَ كَالدِّينَارِ لَا يُكْرَهُ -رِمٌ إِلَّا مِنْ أَذْلِهِ

وقال آخر :

النارُ آخر دينارٍ نطقتَ به والهَمُّ آخر هذا الدرهم الجارى
والمرء ما لم يفد من غيره ورعاً مقسم القلب بين الهَمِّ والنارِ

قوله : «مرتجلاً» ، أى من غير تفكير . شدا : ابتداء الفناء وطرب بنشيد

* * *

تَبَّأَ لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَازِقٍ أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَأَلْمُنَافِقِ
يَبْدُو بِوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرَّامِقِ زِينَةَ مَعْشُوقٍ وَلَوْنِ عَاشِقِ
وَحُبُّهُ عِنْدَ ذَوِي الْحَقَائِقِ يَدْعُو إِلَىٰ أَرْتِكَابِ سُخْطِ الْخَالِقِ
لَوْلَاهُ لَمْ تُقْطَعْ يَمِينُ سَارِقِ وَلَا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ مِنْ فَاسِقِ
وَلَا اشْمَازٌ بِاخِلٍّ مِنْ طَارِقِ وَلَا شَكَا الْمَطُولِ مَطْلَ الْعَائِقِ
وَلَا اسْتَعِيدَ مِنْ حَسُودِ رَاشِقِ وَشَرُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخَلَائِقِ
أَنْ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ فِي الْمَضَائِقِ إِلَّا إِذَا فَرَّ فِرَارَ الْآبِقِ
وَاهَا لَيْنٌ يَفْضِدُهُ مِنْ حَالِقِ وَمَنْ إِذَا نَجَّاهُ نَجْوَى الْوَامِقِ
قَالَ لَهُ قَوْلَ الْحَقِّ الصَّادِقِ : لَا رَأَىٰ فِي وَصْلِكَ لِي فَفَارِقِ

* * *

تَبَّأَ : أى خسراً . مُمَازِقٍ : لا يهتفو وده لصاحبه ، وقد مذق وده ، إذا لم يخلصه ، ومذق اللبن : خلطه بالماء ، والمذيق : الخلوط . أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ ، قال

أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شرّ الناسِ دو الوجهين، يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه».

ووقع هذا في نثر البديع، قال في مخاطبة أبي الفتح عيسى^(١): أظننا تريد؟ قلت: إى والله، قال: أخصّب رائدك، ولاضلّ قائدك، فمتى عزمتم؟ قلت: غداة غدٍ، فقال:

صباحُ الله لا صباحُ انطلاقٍ وطيرُ الوصل لا طيرُ القراقِ
وقال السَّعد لا يعدوك دأباً يصاحبكم إلى يومِ التَّلاقِ^(٢)

فأين تريد؟ قلت: الوطن، قال: بُلغتَ الوطن، وقضيتَ الوطر، فمتى العود؟ قلت: القابل، فقال: طويتَ الرِّيط^(٣)، وثنيتَ الخيط، فأين أنت من الكرم؟ قلت: بحيثُ أردت، فقال: إذا رجعتَ الله سالماً من هذا الطريق؛ فاستصحب لي عدوًّا في ثياب صديق، من نجار الضُّفَر، يدعو إلى الكفر، ويرقص على الطُّفَر، كدائرة العين، يحطُّ ثِقَلُ الدُّنْ، وينافق بوجهين. فعملت - أنه يلتمس ديناراً، فقلت: ذلك لك نقداً، ومثله وعداً، فأنشأ يقول:

رأيتُك بما خطبتُ أعلَى لا زلتَ للمكرُماتِ أهلاً
صَلَبْتُ عوداً، ودمتُ فرداً^(٤) وطبتُ فرعاً وطبتُ أصلاً
يا واحدَ الدهرِ والمعالَى لا لقيَ الدهرُ منك تُكلاً

قوله: «عدوًّا في ثياب صديق» من قول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفتُ له عن عدوِّ في ثياب صديق^(٥)

قوله: «الرامق» أى الناظر، ورمقت الشيء رمقاً أتبعته النظر إليه. وزينته

(١) عيسى بن هشام صاحب البديع الهمداني في المقامات ص ٢٢، ٢٣

(٢) هذا البيت ساقط من المقامات (٣) الريط: جمع ريطه، ومى الملاوة

(٤) المقامات: «جودا»

(٥) ديوانه ١٩٢.

المعشوق التي في الدينار : نقشه وتزيينه ، ولون العاشق : صفرته ، فالناظر في الدينار يرى في الظاهر زينته فيهبواه ، فيقع على ما وقع عليه باطن العاشق من العذاب والغرام ، ويدلّ على ذلك صفرته الظاهرة عليه . . وقال ابن ظفر : زينة المعشوق غرور مدعاة إلى التهور في الغرام ، ولون العاشق وهو الأصفر دليل على ما أسرّ من شاغف الكاف ، فالعافل ينظر من الدينار مثل زينة المعشوق مجردة عن عاقبتها ، فيصيده الهوى ، والعافل ينظر منه إلى لون العاشق ، فيستدلّ على باطن الجوى . ذوى الحقائق ، يعنى أهل الرشد والعلم ، والذين ينظرون إلى ما في الدنيا بعين الحقيقة .

ثم لولا حب الدنيا ما سرق السارق ، فيستوجب قطع يده ، أو بعض أعضائه ، واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب . ومن مَنَح السَّرقة أن الجاحظ حكى أن رجلين كان أحدهما أيمن ، والآخر أعسر ، فكان الأيمن يفخر على الأعسر ، فأخذا في سرقة ، فقطعت أيمنهما ، فكان الأعسر يعمل بيساره أعماله كلها ، والأيمن لا يستطيع أن يعمل بيساره شيئاً ، ففخر الأعسرُ عليه بذلك ، فقال له الأيمن : ما علمت أن للأعسر فضيلة إلا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه .

الفاسق : الخارج عن الطاعة إلى ركوب المعصية أو عن الإيمان إلى الكفر ، أُخِذَ من نَسَقَت الرطبة ، إذا خرجت من قشرها . وقال قوم : الفاسق الجائر ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (١) ، أى جار ، عنه قال رؤبة :

يهوئين في نجدٍ وغورٍ غائراً فواسقاً عن قصدها جوائراً (٢)

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) الفائق ، اللسان - فسق

اشمَارًا: انقبض . باخل : شحيح ، وبخيل أ كثر من باخل . طارق : قاصد
 بئيل . المَطْل : تأخير الحق الواجب ، وأصله من مَطَل القين الحديدَ في النار، إذا
 مدّه وطوّله . العائق : الحابس ، وقد عاقبه عن الشيء إذا حبسه . راشق : عائن ،
 وأصله الراعى ، فجعله للذى يضيّب الناس بعينه . واستُعِيد : قرى عليه المعوذتان ،
 وهما: «قل أعوذ برب الفلق» ، و«قل أعوذ برب الناس» . الخلائق : الطبائع ، واحدها
 خَلِيقَة . الآبق : الهارب ، وأبق العبد يَأْبِقُ إباقًا : زال عن مولاه . وفي معنى
 فراق الدينار قول الأخطل :

ومعشوق يرقص كلَّ يوم ترى في وجهه أبدأً كلاماً^(١)
 إذا فارقتَه أجداك خيراً ولا يجدى عليك إذا أقاماً
 وهذا من قول الحسن البصرى ، وقد رأى رجلاً يقبّ درهماً ، فقال له :
 أتحمب درهمك هذا ؟ قال : نعم ، قال : فإنه ليس لك حتى يخرج من يدك .
 واهاً : تعجّب ، معناه ما أعجب من يقذفه . حالق : جبل أملس مُنيف .
 ناجاه : حدّثه سرّاً . الوامق : الحبّ ، وقد ومق يَمِيق مِمَّةً . الحقّ : القائل الحقّ .

فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَغْزَرَ وَبَلَّكَ ا فَقَالَ: وَالشَّرْطُ أَمْلَكُ ،
 فَفَتَحْتُهُ بِالذِّينَارِ الثَّانِي ، وَقُلْتُ لَهُ: عَوِّذُهُمَا بِالْمَثَانِي ، فَأَلْقَاهُ
 فِي فَمِهِ ، وَقَرَنَهُ بِتَوْنِهِ ، وَأَنْكَفَأَ بِحَمْدِ مَعْدَاهُ ، وَيَمْدَحُ
 النَّادِي وَنَدَاهُ .

قوله : «ما أغزر وبلّك» ، أى ما أ كثر بلاغتك . وأملك : ألزم وأحقّ ،
 يريد أن شرطك الذى شرطت من إعطائى ديناراً آخر إن ذممته ، فقد ألزمتك

(١) لم أجدها في ديوانه .

بذئى له. والشرط أملك مثل^(١) ، وأول من قاله الأفعى الجرهمى ، وكان حكيماً للعرب ، فتحاكم إليه خصمان ، فاشتراط أحدهما وأراد ألا يلتزمه ، فقال الأفعى : الشرط أملك ، وتقديره الشرط أملك لأمرك منك .

نفحته : رميته . عودهما : رقاها . والمثنى : أم القرآن ، سميت بذلك لأنها تنشى في الصلاة ، واحتصتها لأنه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار ، فكأنه قال : اقرأ الحمد لله رب العالمين ، شكراً لله عليهما وتعويذاً لهما .

وهذا كما قال ابن رشيق في غلام جميل :

معتدل القامة والقدّ مورّد الوجنة والحدّ
لو وضع الوردُ على خده ما عرف الحدّ من الوردِ
قل للذى يعجب من حُسنه اقرأ عليه سورة الحمدِ

وله في مثله :

شكوت بالحبّ إلى ظالمى فقال لى مستهزئاً : ما هو !
قلت : غرام ثابت ، قال لى : اقرأ عليه « قل هو الله »

وقال أبو عبيد : المثنى في كتاب الله ثلاثة أشياء : القرآن ، سمّاه الله المثنى في قوله تعالى : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي ﴾ ، وسبى الفاتحة « مثنى » في قوله : ﴿ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي ﴾ وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم . « إن المثنى من السور ما دون المثين » ، كأنها جعلت مبادئ ، والتي تليها مثنى .

قوله : « بتوءمه » ، أى بأخيه ، يعنى الدينار الأول . انكفاً : انقلب ووتى ، معناه بكوره وسيره في الغدوّ . النادى ونداه : المجلس وكرم أهله .

(١) للبدان ١ : ٣٦٧

[فصل في مدح الشيء وذمه]

ونريد أن نأتي بفصل في مدح الشيء وذمه على حكم ما مدح الحريري
الدينار وذمه ، ونبين مذهب العرب وأهل الأدب في ذلك ، فقد ألف ابن رشيق
فيه كتاباً جابت في هذا الكتاب عيونهم .

قال أبو عثمان الجاحظ: العربي يعاف الشيء ويهجو به غيره ، فإن ابتلي به فخر
به ، ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به غيره ، فأنهم هذا ؛ فإن الناس
يفلطون على العرب ، ويزعمون أنهم يمدحون بالشيء الذي يهجون به ، وهذا
باطل ؛ ليس شيء إلا وله وجهان ، فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين ، وإذا
ذموا ذكروا أقبح الوجهين .

قال ابن رشيق : وأكثر ما تجرى هذه المادح والمذام على جهة المناقصة ،
لا على جهة المناصفة ، ومن باب المسامحة لا من باب المشاحنة ، وإلا فالشيء
لا يوافق ضده ، فيكون الحسن قبيحاً في حالة واحدة ، والمدح ذماً لمعنى واحد ،
لكن لكل شيء - كما ذكر الجاحظ - مساوئ ومحاسن ؛ كما فعل عمرو بن الأهتم
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهده الزبير بن بدر على
ما ادعاه من الشرف في قومه ، قال عمرو : أجل يارسول الله ، إنه مانع حوزته ،
مطاع في أُنديته ، شديد العارضة . فقال الزبير : أما والله لقد علم أكثر مما
قال ؛ ولكن حسدني شرفي ، فقال عمرو : أما وقد قال ما قال ، فوالله ما علمته
إلا ضيق الطعن زمر المروءة^(١) ، لئيم الخال ، حديث الغنى . فرأى الكراهة
في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاختلف قوله ، فقال : يارسول
الله ، رضيتُ فقلت أحسن ما علمت ، وغضبتُ فقلت أقبح ما علمت ؛ وما كذبت
في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان
لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة^(٢) .

وكتب يزيد بن معاوية في صدر كتابه إلى عبيد الله بن زياد - وقد ولّاه
محاربة الحسين بن عليّ رضي الله عنهما - وكان قبل ذلك يسمى الرأي عليه : أما

(١) زمر المروءة: قلبها ، وفي ط: «زمن» تحريف . (٢) جبهة الأمثال ١ : ١٣ .

بعد ، فإن السبوب يوماً ممدوح ، وإن الممدوح يوماً مسبوب .
ويروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيئاً قط ، فمر يوماً بكلب ميمت ،
فقال أصحابه : ما أنتن ريمه ! فقال عيسى عليه الصلاة والسلام : ما أحسن
بياض أسنانه !

وقالت للحضين بن منذر امرأة : كيف سدت وأنت دميم بخيل ! فقال :
لأني شديد الرأي ، شديد الإقدام .

وقال مسleme بن عبد الملك لأخيه هشام : كيف تطمع في الخلافة وأنت
بخيل ، وأنت جبان ! فقال : لأني حلیم ، وأنا عفيف ؛ فسلم لعائبه ما ادعاه من
من مساوئه ، وذكر من محاسنه ما لم ينزع فيه .

صعد خالد بن عبد الله القسري منبر مكة يوم الجمعة ، وهو أمير الوليد بن
عبد الملك بن مروان ، فأثنى على الحجاج خيراً ، فلما كانت الجمعة الثانية وقد
مات الوليد ، ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه ، وإظهار
البراءة منه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان يظهر
من طاعة الله عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلاً ، وكان الله قد
علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتة ابتلاه بالشجود
لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه منهم ، فلعنوه . وإن الحجاج كان يظهر من طاعة
أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله
وغشه على ما خفي عنا ؛ فلما أراد فضيحتة أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين .
فالعنوه لعنه الله . ثم نزل .

ومر غيلان بن خرشة الصبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي
يشق البصرة ، فقال عبد الله : ما أصح هذا الثمر لأهل هذا المصر ! فقال غيلان :
أجل والله أيها الأمير ؛ يتعلم العوم في صبيانهم ، ويكون لسقايمهم ولسيل مياهم ،
ويأتيهم بمرتهم ؛ ثم عاد ابن عامر فسأير زيادا عليه ، فقال زياد : ما أضر هذا

التهر لأهل هذا المصر! فقال: أجل والله أيها الأمير، تيز منه دورهم، ويفرق فيه صبيناهم، ويكثر لأجله بعوضهم.

ومدح الجاحظ العروض، فقال: هو ميزان الشعر ومعياره، به يعرف الصحيح من السقيم، والعايل من السليم، وعليه مدار القريض والشعر، وبه يسلم من الأود والكسر. ثم ذمه فقال: هو علم مولد، وأدب مستبرد، ومذهب مرفوض، تستنكره العقول، مستنفلن فعول، من غيره فائدة ولا محصول.

وكان العباس بن علي عم المنصور يأخذ الكأس بيده، ثم يقول: أما النفس فتسمحين، وأما الهم فتطردين، أفتراك مني تفلتين! ثم يشربها.

وشكا أبو العنقاء حاله إلى عبد الله بن سليمان، فقال: أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر! قال: كتبت إلى رجل قد حصر من همته طول الفقر، وذل الأسر، ومعاناة محن الدهر، فأخفت في طلبتي. قال: أنت اخترته، قال: وما علي أعز الله الأمير في ذلك! قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً وما كان منهم رشيد، واختار رسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتداً، واختار على رضي الله عنه أبا موسى حكماً، فحك عليه.

قال الحارث بن همام: فناجاني قلبي بأنه أبو زيد، وأن تمازجه لكيد. فاستعدته وقلت له: قد عرفت بوشيك، فاستقم في مشيك. فقال: إن كنت ابن همام، فحييت يا كرام، وحييت بين كرام. فقلت: أنا الحارث، فكيف حالك والحوادث؟ فقال: أتقلب في الخالين: بؤس ورخاء، وأتقلب مع الريمحين: زعزع ورخاء. فقلت: كيف ادعيت القرى، وما مثلك من هزل! فاستسر بشره الذي كان تجلي، ثم أنشد حين ولى:

تَمَارَجْتُ لَا رَغْبَةَ فِي الْعَرَجِ وَلَكِنْ لَأَقْرَعَ بَابَ الْفَرَجِ
وَأَلْقَى حَبْلِي عَلَى غَارِبِي وَأَسْلُكُ مَسْلِكَ مَنْ قَدْ مَرَجَ
فَإِنْ لَا مَنِي الْقَوْمُ قُلْتُ اعْذِرُوا فَلَيْسَ عَلَى أَعْرَجٍ مِنْ حَرَجِ

قوله: «فاستعدته»، أي قلت له أعد عليّ. عرفت بوشيك، أي عرفت بحسن كلامك وتزيينه. استقم: استعدّل وأزِلْ عوجك. حَيْت: طال بقاؤك، والتحية البقاء: حَيْت: عشت. والحوادث: ما يحدث من الخير والشر. بؤس: شدة العيش. رخاء: لينه وسعته. زعزع: ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه. والزعزعة: تحريك الشيء إذا أردت قلعه. رخاء: ريح ليّنة سريعة، من الإرخاء في السّير، وهو عدوٌّ فوق التقريب، وناقاة مرخاء: سريعة. القزّال: أسوأ المرّج، وقد قزل قزلاً.

وهزل هزلاً: ترك الجدّ في قول أو فعل، يقول: كيف تحيّلت بالمرّج ومثلك لا يهزّل ولا يقع في هذه النقيصة! فهو يهزأ به، فغضب عند ذلك. استسرّ بشره: زال عنه سماحه وطلاقة وجهه. تجلّى: ظهر. ولّى: ذهب.

قوله: «أقرع»، أي أضرب. الفرج: كشف الهمم. ألقى حبلِي على غارِبِي: أي أسرح وأمشي حيث أحببت، والعرب تطلق هذا اللفظ، فتقول للمرأة: حبلُك على غارِبِك، أي أنت مسيّبة فتوجّهي حيث شئت لا مانع لك ولا حابس، والغارب: ما انحدر من السّنام، والحبل هو الذي يُعقل به البعير، فإذا سرّحوه حلّوا عقالَه وألقوه على غارِبِه، قال ابنُ الأنباريّ: أصله أن يلتقي على حبل الناقاة على غارِبِها فتفرع، ولا ترعى إذا لم تره على الأرض.

أسلك مسلك، أي أدخل مدخل، والمسلك: الطريق. مرّج: خلط الجدّ بالهزل. حرج: إثم والله تعالى أعلم

المفامه الرابعه وهى الرمياطيه

أخبرَ الحارثُ بنُ همامٍ قال : ظَعَنْتُ إلى دِمِياطِ ، صَامَ هِيَاطِ
 ومِيَاطِ ؛ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَرْمُوقُ الرَّخَاءِ . مَوْمُوقُ الإِخَاءِ ، أَسْحَبُ
 مَطَارِفِ الثَّرَاءِ ، وَأَجْتَلِي مَعَارِفَ السَّرَاءِ . فَرَأَقْتُ صَحْبًا قَدْ شَقُّوا
 عَصَا الشَّقَاقِ ، وَازْتَضَعُوا أَفَاقِ الوِفاقِ ؛ حَتَّى لَاحُوا كَأَسْنَانِ
 المُسْطِ في الاستواءِ ، وَكَالنَّفْسِ الواحِدَةِ في الشَّامِ الأَهْوَاءِ . وَكُنَّا مَعَ
 ذَلِكَ نَسِيرُ النِّجَاءِ ، وَلَا نَرَحُلُ إِلَّا كُلَّ هُوجَاءِ ، وَإِذَا نَزَلْنَا مِنْزَلًا ،
 أَوْ وَرَدْنَا مِنْهَلًا ، اخْتَلَسْنَا اللَّبَثَ ، وَلَمْ نُطِلِ المُكْثَ . فَعَنَّ لَنَا
 إِعْمَالِ الرُّكَّابِ ، فِي آيَلَةٍ فِتْيَةِ الشَّبَابِ ، غُدَافِيَةِ الإِهَابِ . فَأَمْرِينَا
 إِلَى أَنْ نَضَا اللَّيْلُ شَبَابَهُ ، وَسَلَّتِ الصَّبِيحُ خِضَابَهُ .

قوله : « ظعنت » ، أى رحلت ، والظعن ضد الإقامة .

دمياط : بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخًا ، وهى على ساحل البحر الملح ،
 وإلى دمياط ينتهى ماء النيل ، فيفترق منها فيخرج بعضه إلى بحيرة تَنيس ،
 وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ، ويخرج بعضه إلى البحر ، وبها
 تعمل الشروب ، وقد ذكرنا ذلك عند تَنيس .

قوله : « هياط » : صياح ، وتهايط التوم : اجتمعوا ودبروا أمرهم . مياط :
 دفاع ، أى كان عام هُرج وخِلاف . مرموق : منظور إليه . الرخاء : سعة المال .
 موموق : محبوب . أسحب : أجر . مطارف : ثياب لها أعلام فى أطرافها .

أجتلى : أنظر . معارف : وجوه . السراء : الفنى والسرور . راققت : صحبت فى السفر . والصَّحْب : الأصحاب . الشَّقاق : الخلاف ، ومعنى شقوا عصاه ، أزالوه وطرحوه ، والعرب تقول : شق فلان العصا ، إذا ترك الطاعة وخرج مبايناً ، قال أبو عبيد : العصا تُضرب مثلاً للاجتماع ، وانشقاقها يُضرب مثلاً للافتراق الذى لا اجتماع بعده . أفوايق : جمع أفواق ، وأفواق جمع فُواق ، وهو ما بين الحلبتين . والوفاق : ترك الخلاف ، وقد وافقته موافقةً ووفاقاً .

قوله : « لاحوا » ، أى ظهروا . والعرب تضرب المثل بأسنان المُشط ، وهو يقع على كل استواء فى أى حال كان ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الناس كأسنان المُشط ، وإنما يتفاضلون بالعافية » ، فإن أرادوا الاستواء فى الشرِّ قالوا : سواسية كأسنان الحمار ، وقال كثير يهجو بنى ضمرة :

فسائل بقومى كل أجردَ سامحٍ وسل غنارُ بنى بضمرة أو سَخلاً^(١)
سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي كِبَرَةٍ منهم على ناشئ فضلًا

التمام : اجتماع واتفاق . الأهواء : جمع هوى ، وهو ما تحبُّه وتميل إليه النفس ، فأراد أن أغراضهم متفقة . النَّجاء : السير السريع . نرحل : نشد عليها الرَّحْل ونشخص بها . هوجاء : ناقة سريعة ، كأنَّ بها هوجاً وهو الحمق ، لسرعة مشيها . وردنا منهالاً : أتينا ماءً نَنزل عليه ، والنهْل : المشرب الأول ، والعَال والثانى ؛ وذلك أن الإبل تَرِدُ الماء فتشرب منه ، ثم تخرج ترعى ساعة وتستريح ، وتسمى تلك الاستراحة فى الرعى التَّمرئة ، ثم ترد مرةً أخرى فتشرب الماء ، فالشرب الأول نَهْل ، والثانى عَلَل . والنهْل : موضع النهل . والورود : قصد الماء .

اختلسنا : استرقنا . اللبث : الإقامة . ومثله المُكث ، أى لا يستقرون بموضع ينزلون فيه إلا قليلاً . والرُّكاب : الإبل ؛ وإعمالها : استعمالها . فَبَتِيَّةُ الشباب : صغيرة السن ، وأراد أنها طويلة سوطاً لا قمر فيها ، لأن شعر الشباب أسود ،

(١) ديوانه ٢ : ١٩ ، عن الشريشى : و «رُبِّي» لغة فـ : «رُبِّي» .

ويريد أنها أول الشهر ، فهي كالفتية ، والليلة أول الشهر سوداء . غداقية : منسوبة إلى الغداف ، وهو الغراب لسواده ، والإهاب : الجلد ، وأراد لونها . أسرينا : مشينا بالليل ، ويقال : سرى وأسرى . نضاً الليل شبابه ، أى أزال ظلامه ، ونضاً ثوبه : جرّده عنه ، ومثله : سلّت خضابه ، وأراد أن الصبح بيض الظلام بضوئه ، وسلّت الشيء سلّتها : أزاله عمّا علق به ، والمرأة خضابها كذلك ، وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة .

[مما قيل في سواد الليل]

وينظر في سراه مع صحبه في سواد الليل إلى قول ابن شهاب :
 وَفُتُوْا أَسْرَوْا وَقَدْ عَكفَ اللَّيْلُ وَأَقْمَى مُعْدَدِيفَ الْأَطْنَابِ
 وَكَأَنَّ النُّجُومَ لَمَّا هَدَتْهُمْ أَشْرَقَتْ كَالْعَيُونِ مِنْ أَهْدَابِ
 يَنْفَرُونَ جَوْزَ كُلِّ فَلَاحٍ جُنْحَ لَيْلٍ جَوْزَ أَوْهٍ مِنْ رِكَابِ
 عَنْ ذِكْرِي لِمَدْحِهِمْ فَتَنَاءَوْا مِنْ حَدِيثِي فِي عَرْضِ أَمْرِ حِجَابِ
 هَمَّةٌ فِي السَّمَاءِ تَسْحَبُ ذَيْلًا مِنْ ذِيولِ الْعُمَلَا وَجَدَّ الرَّكَّابِ
 ومما جاء في سُرى الليل قول عبد الصّمد بن المعدّل ، وهو من حسن الاستعارة :

أقولُ وجنحُ الدُّجى مُلبِدُ ولّيل في كلِّ فنجِّ يدُ^(١)
 ونحن ضجيعان في مسجدٍ فله ما ضمن المسجدُ !
 فيا ليلة الوصل لا تبعدى^(٢) كما ليلة الهجر لا تبعدُ^(٣)
 ويا غد إن كنت لي راحماً فلا تدنُ من ليلتي يا غدُ

(١) ديوان المعاني ٤٣ . ونسبها إلى ابن أبي فتن .

(٢) ديوان المعاني : « لا تنفدى » (٣) ديوان المعاني : « لا تنفد »

وقال ابن المعتز :

ياربَّ ليلِ حالكِ الجلبابِ ملتحفٍ خافيتي غرابِ

وما أحسن قول ابن شهيد في وصف الليل :

وبتنا نراعي اللّيل لم نطوي بردهُ ولم يحن شيبُ الصبح من فرعه وخطأ

تراه كملك الزنج من فرط كبره إذا رام شيئاً في تأخره أبطأ

مطلا على الآفاق والبدرُ تاجه وقد علّق الجوزاء في أذنه قرطاً

وقال حبيب :

إليك هتكنا جُنح ليلٍ كأنه قد اكتحلت منه البلاد بإمد^(١)

وقال ذو الرمة :

ودويّة مثل السماء اعتسفتها وقد صبغ الليلُ الحصى بسواد^(٢)

وقال أيضاً :

وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعة والشخص في العين واحد^(٣)

أحمّ غدافي ، وأبيض صارم وأعيس مهري ، وأروع ماجد^(٤)

(١) ديوانه ١٠٣ .

(٢) ديوانه ١٣٩ ، واعتسفتها : سرت فيها على غير هداية .

(٣) ديوانه ١٢٩ ، وروايته : « دليل كأتناء الرويزي جبهه » . والرويزي : طيلسان ، شبه الليل في سواده به . وجبهه : قطعهه .

(٤) هذا البيت تفسير للأريمة في البيت السابق : أحمّ : أسود ، ومثله غدافي . وفي الديوان : « علاقي » ، منسوب إلى علاف حتى من العرب يعملون الرجال . والأبيض : سيف صارم قاطع ، والأعيس : الأبيض ، يعني بغيره . وأشعث ، يعني نفسه . والمهري من الإبل : منسوب إلى مهرة ، حي من عرب اليمن .

(١١ شرح مقامات الحريري ١)

وقال البحرى :

يا خليلي بالهواجر من مَعْنِ بن عوفٍ وُبَحْتَرِ بن عَتُودِ (١)
اطلبنا ثالثا سواى ، فإني رابعُ العيس والدجى والبيدِ

وقال السّلامى :

إليك طوى عَرَضَ البسيطة عاجلاً قطارُ المطايا أن يلوح لها القَصْرُ (٢)
وكنت وعزى في الظلامِ وصارى ثلاثة أشباح كما اجتمع النَّسْرُ
وبشّرت آمالي بملكٍ هو الورى ، ودارى هى الدنيا ، ويومٍ هو الدهرُ

فالبيت الأوّل والثانى نحو بيت البحرى ، والبيت الثالث نحو بيت ذى الرّمة
فى التقسيم ، وبمثل هذا الكلام يمتدح الملوك وإلا فلا . ولما مدح عضد الدّولة
بلغه به من المكانة الغاية التصوى ، وفنّ بشعره ، حتى كان يقول : إذا رأيتُ
السّلامى فى مجلسى ، ظننت أن عطارداً نزل من السماء . وسندكر من شعره
ما يحسن .

* * *

فحين مللنا السرى ، وملنا إلى الكرى ، صادفنا أرضاً
مُخضلة الرُّبَا ، مُعتلة الصِّبَا ، فتخيرناها منأخا للعيس ، ومحطاً
للتعريس ، فأمّا حملها الخليطُ ، وهدأ بها الأريطُ والقَطيطُ ، سمعتُ
صبيتاً من الرِّجالِ ، يقولُ لسَميره فى الرِّحالِ : كيف حُكِمَ مُميرِتك ،
مع جيلك وجيرِتك ؟

* * *

(١) ديوانه ٦٣٣ ، وفيه « ياندىمى بالسواجير من ودين معن » والسواجير : نهر فى أعمال
منبج بسوريا

(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٣٧٠

قوله: «السرى»، أى السير بالليل . الكرى: النوم . مخضلة: مبتلة بالندى .
 الرثبا: السكدى ، واحدها ربوة . معتلة الصبا ، أى لينة الريح . مناخاً: منزلاً .
 العيس: الإبل يخالط بياضها حمرة . محطاً: منزلاً تحطُّ به الأحمال . التعريس :
 النزول بالليل فى آخره، وهذا التخير الذى ذكر لهذه الأرض ، منتزَع من حديث
 ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كانت
 أرض مخصبة فتقصّدوا فى السير وأعطوا الركاب حقها ، فإن الله رفيق يحب الرفق ،
 وإذا كانت مجدبةً فألجأوا عليها ، وعليكم بالدلجة ، فإن الأرض تطوى بالليل ،
 وإياكم والتعريس على ظهر الطريق ، فإنه مأوى الحيات ومدارج السباع .»
 الخليط : الأصحاب . هدأ : سكن . الأطيظ : أصوات الإبل ، والغطيظ :
 أصوات الناس التيام . صيتاً : جهير الصوت . سميره : رفيقه الذى يسمر معه
 بالحدث . الرّحال : منازل المسافرين ، سميت رحالاً باسم الرّحال التى توضع فيها ،
 والرّحل : اسم لما يحمله البعير من حملة وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل . سيرتك :
 عادتك . جيلك : أهل عصرك . جيرتك : جيرانك .

* * *

فقال: أرعى الجارَ ، ولو جارَ ، وأبذل الوصالَ ، لعمن صالَ ،
 وأحتمل الخليطَ ، ولو أبدى التخليطَ ، وأود الحميمَ ، ولو جرّ عني
 الحميمَ ، وأفضل الشقيقَ ، على الشقيقِ ، وأفي للعشيرِ ، وإن لم
 يكافئ بالعشيرِ ، وأسثقل الجزيلَ ، للنزيلِ ، وأعمّر الزميلَ ، بالجميلِ .
 أنزل سميرى ، منزلة أميرى ، وأحل أنبىى ، محلّ رئيسى ، وأودع
 مّارفى ، عوارفى ، وأولى مرافقى ، مرافقى ، وأبىن مقالى ، للقالى ،
 وأديم تسالى ، عن السالى ، وأرضى من الوفاء ، بالفاء ، وأقنع

(١) السكدى : جمع كدية ؛ ومى الأرض الغايظة .

مِنَ الْجُزْءِ ، بِأَقَلِّ الْأَجْزَاءِ ، وَلَا أَتَطَلَّمُ ، حِينَ أَظْلَمُ ، وَلَا أُتَقَمُّ ،
وَلَوْ لَدَغَنِي الْأَرْقَمُ .

قوله : « أرعى » ، أى أحفظ . جار : تعدى ومال عن الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يُوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . أبذل : أعطى . صال : صاح نحوفاً . الخليط : الصاحب ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد ، ووسمى بذلك لاختلاط الأمر بين الصاحبين . الحميم الأول : الصديق الخالص ، والثانى الماء الحار . الشفيق : الحب . الشقيق : الأخ من الأب ، كأنه شق معك ظهر أبيك ومن الأم كأنه شق معك بطن أمك . أفى للعشير : أعامل الصاحب بالوفاء . يكافى بالعشير : يجازى بالعشر من فعلى ، والمكافأة المواساة . أستقل ، أراد قليلاً . الجزيل : الكثير . النزيل : الضيف ، والنزل ما يعد للضيف من طعام وغيره . أغمر : أعطى . الزميل : الرديف . الجميل : الأفعال الجميلة . أميرى : الحاكم على . الأنيس : الذى يؤنس بحديثه ، وفلان رئيس قومه : أفضاهم وأعزهم . أودع : أعطى وديعة . معارفى : من يعرفنى . عورافى : هباتى ؛ واحداها عارفة ، وهى اليد من النعمة . أولى مُرافقى : أعطى مصاحبى فى السفر ، ومنه الرقعة لاتفاق بعضهم ببعض ، جمع مرفقة وهى المعونة وما يُرتفق به . القالى : المبعض ، وقليت الرجل قلى ، أبغضته . تسالى : كثرة سؤالى . السالى : الناسى للمودة والتارك لها ، وسلوت عن الشئ أسلو سلواً وسلوة ، إذا تركته . اللفاء : النقصان . وقال أبو على فى الإيضاح : اللفاء ما دون الحق ، قال أبو زيد الطائى واسمه حرمة رحمة الله :

فما أنا بالضعيف فتظلموه ولا حظى اللفاء ولا الخسيس (١)

(١) اللسان - لفاً . وروايته : « فإنا بالضعيف فتزدربى » .

أقنع : أَرْضَى، والقناعة الرضا باليسير . والجزاء : المكافأة ، وجزأته بما صنع
مثل كفايته ، والأجزاء : الأنصباء تقسم على جماعة ، واحدها جزء ، وأقلها أنقصها .
أتظلم : أشتكى من الظلم . لا أنقم : لا أنتقم . تقول : نعتت منه نعمة ، أى
عاقبته ، فعناه : لا أعاقب صاحبي ، ولو بلغ في الإضرار منى الغاية ، وتقول
أيضاً : نعتت الشئ وأنعمه نعمة ونقوماً : إذا أنكرته ، فعناه على هذا :
لا أنكر على صاحبي ولو بلغ في الأذى ، ويقال في الإنكار أيضاً ، نقم ينقم .

* * *

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَيَا بَنِيَّ ! إِنَّمَا يُضِنُّ بِالضَّئِينِ ، وَيُنَافِسُ
فِي الثَّمِينِ ؛ لَكِنِ أَنَا لَا آتِي ، غَيْرَ الْمُسَوَاتِي ، وَلَا أَسِيمُ الْعَمَاتِي ، بِمَرَاعَاتِي ،
وَلَا أَصَافِي ، مَنِ يَا بَنِيَّ إِنصَافِي ، وَلَا أُوَاحِي ، مَنِ يُبْلَغُنِي الْأَوَاحِي ،
وَلَا أَمَالِي ، مَنِ يُحَيِّبُ أَمَالِي ، وَلَا أَبَالِي ، بِمَنْ صَرَمَ حِبَالِي ،
وَلَا أَدَارِي ، مَنِ جَهَلَ مِقْدَارِي ، وَلَا أُعْطِي زِمَامِي ، مَنِ يُخْفِرُ
ذِمَامِي ، وَلَا أَبْذُلُ وِدَادِي ، لِأَضْدَادِي ، وَلَا أَدْعُ إِعَادِي ، لِلْمُعَادِي ،
وَلَا أُغْرِسُ الْأَيَادِي ، فِي أَرْضِ الْأَعَادِي ، وَلَا أَسْمَحُ بِمُوَاسَاتِي ، لِمَنْ
يَفْرَحُ بِمَسَا آتِي ، وَلَا أَرَى التَّفَاتِي ، إِلَى مَنْ يَشْمَتُ بِوَفَاتِي ، وَلَا
أَخْصُ بِجِبَابِي ، إِلَّا أَحْيَائِي ، وَلَا أَسْتَطِبُّ لِدَائِي ، غَيْرَ أُوْدَائِي ، وَلَا
أُمَلِّكُ خَلَّتِي ، مَنِ لَا يَسُدُّ خَلَّتِي ، وَلَا أَصْنِي نِيَّتِي ، لِمَنْ يَتِمَّنِي
مِنِّي ، وَلَا أَخْلِصُ دُعَائِي ، لِمَنْ لَا يُفْهِمُ وَعَائِي ، وَلَا أَفْرِغُ ثَنَائِي ،
عَلَى مَنْ يُفْرِغُ إِنَائِي .

• • •

قوله: «ويك» معناه التعجب، كأنه قال: ما أعجبك! أو عجبالك. وقيل: أراد «ويلك»، فحذف اللام. إنما يضمن بالضمين^(١)، هذا مثل؟، أوّل من قاله الأغلب العجلى، وفسره أبو عبيد^(٢) فقال: معناه: تمسك بإخاء من تمسك بإخائك، وبيانه أن الضمين البخیل، ويضمن: يبخل، فيقول: إنما تمسك وأتعاق بصاحب تمسك بنى وعرف حتى، فأنا أبخل به على غيرى أن يشركنى في صحبتته كما يبخل بنى هو على غيره، وقيل: الضمين فى المثل هو الشيء المضمون به لنفاسته، فمعناه إنما يُبخل بالشيء النفيس الرفيع. المواتى: المساعد الموافق. العاقى المتكبر الصعب الخلاق. والمراعاة: المحافظة للود. أسم: جعلها سمة، أى علامة. أصافى: أخلص له ودّى. يآبى: يمنع. إنصافى، أى إعطائى الحق من نفسه. أوأخى: أصير له أخاً وأتخذُه صديقاً. يلقى: يترك وي طرح. الأواخى: أسباب الود، واحداها أخیة، وأصل الأخیة عروة من حبل تشدّ فى وتدلّ أو على حجر تحت الأرض، وتبقى العروة على الأرض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها. أمالى: أعاون، وأصلها الهمة، تقول: مالا تُته على الأمر أمالته، إذا عاونته وساعدته، ومنه: والله ما قتلت عثمان ولا مالات فى قتله، فخفف الهمة ليوافق أمالى، وهو جمع أمل، وهو الرجاء. صرم حبالى: قطع أسباب وصالى، وهم يكونون بالحبل عن الود، لأن الود يربط القلوب ويؤلفها كالحبل فيما يربط. قوله: «أدارى»، أسوس وأحسن صحبتته. والزمام: حبل من جلود يربط فى حلقة فى أنف البعير. يخفر ذمامى: ينقض عهدى، أى لا أقادمن لاعهده. ودادى: حُبّى، وهو من واده وهو الذى لا يكون إلا من اثنين فوضعه موضع ودّى، ويقال أيضاً: فى الحلب حباب، مثل وداد، قال الشاعر:

* أداء عراني من حبابك أم سحر *

(١) جهرة الأمثال ١ : ٤٩

(٢) اللسان، ونسبه إلى أبى عطاء وصدره:

* فوالله ما أدرى وإني لصادق *

أضدادي : أعدائي المناقضين لأفعالي . إيعادي : تهديدي وتخويفي .
 الأيادي : التعم ، وواسيته : مواساةً : جعلته أسوة نفسي في مالي فقاسمته فيه .
 مساآتي : أحزاني وما يسوءني . التفاتي : نظري وانعطافي إلى جهته . يشمت :
 يسرّ : وذاتي : موتى . أخصّ : أفرد . حبائي : عطائي . أحبائي : جمع حبيب .
 أستطبّ : أطلب طيبه . خلّتي : صداقتي . يسدّ خلّتي : يصلح فكري . أخلص :
 أبعده خالصاً . يُنعم : يملأ . أفرغ ثنائى : أصبّ مدحى وأكسوه ، أو يكون
 أفرغه ، أبلغ آخره .

* * *

وَمَنْ حَكِمَ بَانَ أَبْدُلَ وَتَخَزَنَ ، وَأَلَيْنَ وَتَخَشُنَ ، وَأَذُوبَ
 وَتَجْمَدَ ، وَأَذْكَو وَتَخْمَدَ ! لا وَاللَّهِ ، بَلْ تَتَوَازَنُ فِي الْمَقَالِ ، وَزَنَ
 الْمُثْقَالِ ، وَتَتَحَاذَى فِي الْفَعَالِ . حَذُو النَّعَالِ ، حَتَّى نَأْمَنَ التَّعَابِنَ ،
 وَنُكْفَى التَّضَاغُنَ ؛ وَإِلَّا فَلِمَ أَعْلَمُكَ وَتُعَلِّمُنِي ، وَأُقَلِّكَ وَتَسْتَقِلُّنِي ،
 وَأَجْتَرِحُ لَكَ وَتَجْرِحُنِي ، وَأَسْرَحُ إِلَيْكَ وَتُسْرِحُنِي . وَكَيْفَ يُجْتَلَبُ
 إِنْصَافٌ بِضَيْمٍ ، وَأَتَى تُشْرِقُ نَفْسُهُ مَعَ غَيْمٍ ! وَمَتَى أَصْحَبَ وَدٌّ
 بِمَسْفٍ ، وَأَيُّ حُرِّ رَضِيَ بِخَطَّةِ خَسْفٍ ! وَلِلَّهِ أَبُوكَ حَيْثُ يَقُولُ :

o o o

قوله : «تخزن» ، أى تجبس . أذكو : أضيء ، يقال : خمدت النار ، إذا
 سكن لهبها ، وذكت : انقادت . والمثقال : الصنجة التى يوزن بها ، سميت بذلك
 لأنها ثقيل ما يوزن بها فى الكفة الثانية . تتحاذى : تتشابه . والنعال : بفتح
 الفاء : اسم للفعل الحسن أو القبيح ، ولا يقال بكسرهما إلا فى مصدر ناعل ، قال ابن
 الأعرابى : الفعال : فعل الواحد من الخير والشر ، والفعل بالكسر : الفعل بين
 الاثنين . حذو : متشابهة ، والعرب تقول فى الشئين يشتهبان : هما حذو النعل

بالنعل، أى كل واحد من النعلين تقطع على قلب أختها، ومنه قول الهذلي:
وتأمل السبب الذى أخذوكم فانظروا بمثل حذائه فاحذوني^(١)

التغابن: الغبن. نكفى: نمنع. التضامن: العداوة، وتضامن الرجلان:
اعتقد كل واحد منهما لصاحبه ضعفاً وهو الحقد. أعلك: أسقيك عللاً، أى مرة
بعد أخرى. تعلقى: تمرضى. أفلك: أرفعك. تستقلنى: تحقرنى. أجترح:
اكتسب. أشرح: أرى عليك، وأجلب عليك الرزق بالعداء والعشى.
تسرحنى: تهملى. ضميم: ذل. أئى: كيف. تشرق: تضىء، من أشرقت،
وتشرق تطلع، من شرقت. غيم: سحب. أصحاب: ألقاد. بعسف: يجور،
وأصل العسف ركوب الأمر بغير تدبير. والخطبة: المنزللة والمرتبة، والخسف:
الإذلال والنقصان، ومنه خسف الأرض، والخساف: المهزول، ويقال: باتوا على
الخسف، أى جيباً ليس لهم شيء يتقوتون به والخسف للداية: أن تبيت
بغير علف.

* * *

جَزَيْتُ مَنْ أَعْلَقَ بِي وَدَّهْ جَزَاءَ مَنْ يَبْنِي عَلَى أَسْهْ
وَكَلْتُ لِلخَيْلِ كَمَا كَالِ لِي عَلَى وَفَاءِ الْكَيْلِ أَوْ بَخْسِهِ
وَلَمْ أَخْسِرْهُ وَشَرُّ الْوَرَى مَنْ يَوْمُهُ أَخْسَرُ مِنْ أَمْسِهِ
وَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنَى فَمَا لَهُ إِلَّا جَنَى غَزْسِهِ
لَا أَبْتغِي الْغَبْنَ، وَلَا أَنْتَنِي بِصَفْقَةِ الْمُتَبُونَ فِي حِسِّهِ
وَلَسْتُ بِالْمُوجِبِ حَقًّا لِمَنْ لَا يُوجِبُ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِهِ
وَرُبَّ مَذَاقِ الْهُوى خَالِنِي أَصْدُقُهُ الْوَدَّ عَلَى لَبْسِهِ

(١) ليدر بن عامر، ديوان الهذليين ٣ : ٣٦٠

وَمَا دَرَى مِنْ جَهْلِهِ أَنِّي أَقْضِي غَرِيمِي الدَّيْنَ مِنْ حِنْسِهِ
فَأَهْجُرُ مَنْ اسْتَفْبَاكَ هَجْرَ الْقَلِي وَهَبَهُ كَأَمَّا لِحُودٍ فِي رَمْسِهِ
وَالْبَسَ لِمَنْ فِي وَصْلِهِ لُبْسَةً لِبَاسَ مَنْ يُرْغَبُ عَنْ أَنْسِهِ
وَلَا تُرْجُ الْوَدَّ مِمَّنْ يَرَى أَنَّكَ مُحْتَاجٌ إِلَى فَلْسِهِ

* * *

قوله: «أعلق»، بمعنى ألق، أى ألق. أسه: أصل بنائه؛ يقول: من علق يتلقى وده، جعلت ذلك الود أساً بقاى، وبنيت عليه ودى، فإن أسس فى قلبى وداً سلماً بنيت له عليه مثله، وإن غشنى فى ودّ غششته، والهاء فى «أسه» ترجع إلى «من» أى من نصحنى فى صحبته نصحته. والخلل: الصاحب. بحسه: نقسه. أخسر: أقتص. الورى: الخلق من الناس. الجنى: ما يجنى من الثمرة. أبتغى الغبن: أطلب الخداع: أثنى: أرجع، وصفقة المغبون: بيعة الخدوع. حسه: نهمة، والحسن: صوت حركة الحى. والصفقة: فى الأصل مصدر، يقال: صفق صفقاً إذا ضرب بإحدهما على الأخرى، وكانت صفقة البيع عند العرب أن يضرب المشتري بيده على يد البائع، فإن رضى البيع قبض على يد المشتري وانعدت البيع، وإن لم يرض أرسل يده، ثم صاروا يقولون، رضى الصفقة، إذا رضى البيع، ثم سُمى عقد البيع صفقة. مذاق: خلط غير مخلص. الهوى: الحب. وخالى: حسبنى. كبسه: تخليطه وتليسه. غريمى: صاحب دينى. من جنسه: من نوع ما أعطانى. استفباك: استفحك. القلى: البفض. هبه: احسبه. الملحود: المدفون. رمسه: قبره، ويمصر إلى بيته قول ابن الرومى:

مَنْ تَصَدَّى لِأَخِيهِ بِالغَىٰ فَهُوَ أَخُوهُ

فإن احتاج إليه راء منه ما يسوهُ
يُكرَم المثرى فإن أمَلَقَ أقصاه بُنُوهُ
أنت ما استغنيتَ عن صا حبك الدهرَ أخُوهُ
فإن احتجتَ إليه ساعةً مجَّكَ فُوهُ

ووجد على حجر مكتوباً :

كلّ من أحوجك الدهر إليه وتعرّضت له هُنتَ عليه

وهذان الذهبان اللذان ذكرهما الحريريّ مبنيان على آيتين ، من كتاب
الله تعالى ؛ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولُوا بِمِثْلِ مَا عُوِقْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ
مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاخير في صحبة مَنْ لا يرى لك من الحق ،
مثل الذي ترى له » .

[مذاهب الشعراء في العفو أو الانتصاف]

وللشعراء القدماء والحديثين في المذهبين شعر كثير ، قال المقفع الكندي في
المذهب الأول :

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلِفٌ جَدًّا (١)
أَرَاهُمْ إِلَى نَصْرِي بِطَاءٍ وَإِنْ هُمْ دَعَوْنِي إِلَى نَصْرِي أَتَيْتَهُمْ شَدًّا
وَإِنْ أَكَلُوا لِحْيِي وَفَرَّتْ لِحْوَةٌ هُمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتَ لَهُمْ مَجْدًا

(١) حاسة أبي تمام ٣ : ١٧١ - بشرح التبريزي

وإن ضَيَعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غَيْبَهُمْ وإن هُمُ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتَ لَهُمْ رُشْدًا
وإن زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسِي تَمَرْتُ بِرِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمَرْتُ بِهِمْ سَعْدًا
لَهُمْ جَلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَع لِي غَيْبِي وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلِفْهُمْ رِذْدًا
وَلَا أَحْمَلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ يَسُودُ الْقَوْمَ مِنْ يَحْمِلُ الْحِقْدًا

وقال معن بن أوس المزني في المذهب الثاني :

إذا أنت لم تُنصِفْ أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل^(١)
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تَضِيعَهُ إذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحَلُ
وكنتُ إذا ما صاحبُ رامَ ظَنَّتِي وبدلَّ سوءاً بالذي كُنْتُ أَفْعَلُ
قلبت له ظهر المِجَنِّ نلم أدم على ذلك إلا ريثما أتحمول^(٢)

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

أميل مع الذمام إلى ابن عمي وآخذ للصدیق من الشقيين^(٣)
وإن ألفتيني حُرًّا مُطَاعًا فإنك واجدي عبد الصدیق
أفترق بين معروفي وبينی وأجمع بين مالي والحقوق
وكنت إذا الصدیقُ أراد غيظي وأشرقني على شريقي بريتي
غفرتُ ذنوبه، وصفححت عنه مخاذة أن أعيش بلا صدیق

وكلف إبراهيم بن العباس بعض إخوانه مقاطعة صدیق فقال له :

إني متى أحمل بحقدك لا أضرب به سواك^(٤)

(١) حاسة أبي تمام - بشرح التبريزي ٣ ١٣٢

(٢) ديوانه ١٥٤

(٣) ديوانه ١٤٦

ومتى أطعْتُكَ في أخيكَ أطعتُ فيكَ غداً أخاكِ
حتَّى أرى مستقِماً يومى لداً ، وغداً لذاكاً

وقال أبو الفتح البُستى في المذهب الثاني:

فإن تزرني أزرُ وإمّا تَقِفْ بيابى أقف بيابكُ
والله لا كنتَ في حسابى إلاّ إذا كنتُ في حسابكُ

أين هذا من قول البُستى أيضاً وقد خالفه فيه خلافاً شديداً ، ولا نازعه
أحد فيه ، ولا سبقه إليه إذ يقول :

وإني لأختصُّ بعضَ الرجالِ وإن كانَ قدماً ثقيلاً عَماماً^(١)
فإنَّ الجُبَيْنَ على أنه وخيمٌ ثقيلٌ يشمى الطَّعاماً

ولابن شرف :

بع من جفاك ولا تبخل بسلعتِهِ واطلب به بدلاً إن رام تبديلاً
وهو كثير ، وبما ذكرت يستدل على الباب .

* * *

قال الحارثُ بنُ همامٍ : فَمَما وَعَميتُ ما دارَ بينهما ، تَقَتُ إلى أنْ
أعرِفَ عَينَها ، فَمَما لاحَ ابنُ ذُكوانٍ ، وألحَفَ الجَوَّ الضَّيَّاءُ ، غَدوتُ
قَبْلَ اسْتِقالِ الرِّكابِ ، ولا اغْتِداءَ العُرابِ ، وَجَمَلتُ اسْتَقْرِي
صَوْبَ الصَّوتِ اللَّيلى ، وَأَتوسَّمُ الوُجوهَ بالنَّظَرِ الجَلِي ، إلى أنْ

(١) العمام : الفليظ الحاق

لَمَحْتُ أَبَا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَحَادَثَانِ ، وَعَلَيْهِمَا بُرْدَانِ رَمَّانِ ، فَعَلِمْتُ
أَنَّهُمَا نَجِيًّا لَيْلَتِي ، وَصَاحِبًا رِوَايَتِي .

* * *

قوله : «وعيت» ، أى حفظت . تفت ، أى اشتقت . عنيهما : شخصيهما .
لاح : ظهر . ابن ذُكَاء : هو الصبح ، وذُكَاء هى الشمس ، ويقال للصبح : ابن
ذُكَاء لأنه من ضوءها . ألحف : غطى . الجوّ : الهواء بين السماء والأرض ،
أراد أن الصبح غطى نواحي السماء بضوئه .

[ما ورد في الصبح من الشعر]

ومن حسن التشبيه في ضوء الصبح قول ذى الرمة :

وقد لاح للسرائى الذى كَمَل السرى على أخريات الليل فَتَقُّ مشرر^(١)
كلون الحصان الأبيض البطن قائماً تمايل عنه الجُلّ واللون أشقر

شبه اختلاط الضوء بالظلمة بالفرس الأشقر الأبيض البطن .

وقال ابن المعتز :

وساقٍ يجعل المنديل منه مكان حائل السيف الطوال
غدا والصبحُ تحت الليل بادٍ كطُرْفٍ أشقرٍ ملقى الجلال

وقال يوسف الرمادى :

وليلة أنس قد غمرنا ظلامها بأوجهٍ راحٍ تستنير فتشرفُ
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنما تحمّل لقمان ، وأقبل يوسفُ

قوله : «غدت» ، أى بكرت واستقلال : ارتفاع وقيام . والركاب : الا.

واحدتها ، راحلة . ولا اغتداء الغراب ، أى ولا مثل اغتدائه ؛ فخذف « مثل » المنصوبة بلا ، وأقام « اغتداء » مقامها لأن « لا » لا تنصب المعارف ، وأراد أن اغتدأى كان قبل أن يقتدى الغراب ، والغراب أكثر الطير بكوراً ، وهذا وما شابهه في هذا الكتاب مثل قوله : « ولا كيد فرعون موسى » ، « ولا انهلال السحب » ، « ولا عمرو بن عبيد » ، إذا طلبت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من المشبه به ، ولم يأت هذا إلا عن العرب ، تقول العرب : « فتى ولا كمالك » ، فيريدون مال كمالاً أفضل من الفتى ، ومثله « مرعى ولا كالسعدان » أى أن المرعى أفضل في طيبه ، ولكن السعدان أفضل منه ، ومثله : « ماء ولا كصداء » ، فصداء أفضل من ذلك الماء على طيبه ، فهذا مذهب العرب في ذكر « لا » بين المشبهين .

وأما قول الحريري : « غدوت ولا اغتداء الغراب » ، فيريد أن غدوى أبكر من اغتداء الغراب ، وكذلك « ولا انهلال السحب » ، وهو يريد أن جودهم فوق جود السحاب ، لأن كلام العرب : فلان أبكر من الغراب ، وأجود من السحاب ، ولا يقولون السحاب أجود من فلان ، ولا الغراب أبكر من فلان ، ولا فائدة في ذلك ، فإذا حققت لفظة « ولا » في تشبيه الحريري على ما يجب لها في كلام العرب انقلب المعنى ، وإنما اللفظ من كلام عامة العراق ، فاستعملها لأنها عندهم متعارفة وليست بعربية ، ومثل هذا قد جوزه المولدون في أشعارهم ، وجاء منه في مقامات البديع كثير . ويستعمل أهل فاس في مغربنا لفظة « ولا » في تشبيهاتهم كثيراً جداً على حد استعمال الحريري لها ، ولا يستعملها أهل الأندلس .

وقال الفنجديهي : الرفع في قوله : « ولا اغتداء الغراب » ، أكثر مبالغة في التشبيه من النصب .

قوله : « أستقرى » ، أى أتبع . صوب : جهة وناحية . الليلى : الذى سمي بالليل . أتوسم ، أتعرف وأنظر سمتها . الجلى : البين . لحت : رأيت . برُدان زئمان :

يوبان خَلْقَان . نَجِيًّا لِيَاتِي ، أَى الْمُتَحَدِّثَانِ فِيهَا ، وَجَعَاهُمَا مُتَحَدِّثِينَ مَعَ اللَّيْلَةِ مَجَازًا
لَمَّا أَوْقَعَا الْحَدِيثَ فِيهَا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(١) وَلَا يُمْكِرَانِ إِنَّمَا
يُمْكِرُ فِيهِمَا ، فَدَسَبَ ذَلِكَ الْمَكْرَ إِلَيْهِمَا . صَاحِبَا رِوَايَتِي . أَى الذَّانِ أَرَوَى عَنْهُمَا
هَذِهِ الْقِصَّةَ .

* * *

فَقَصَدْتُهُمَا قَصْدَ كَلْفٍ بِدَمَائِهِمَا ، رَاثٍ لِرَثَائِهِمَا ، وَأَبْحَثُهُمَا
التَّحْوُلَ إِلَى رَحْلِي ، وَالنَّحْكَمَ فِي كُثْرِي وَقُلِّي ، وَطَفَقْتُ أُسَيْرُ بَيْنَ
السَّيَّارَةِ فَضْلَهُمَا ، وَأَهْرُزُ الْأَعْوَادِ الْمُثْمِرَةَ لَهُمَا ، إِلَى أَنْ غُمِرَا
بِالنُّحْلَانِ ، وَاتَّخِذَا مِنَ الْخُلَّانِ . وَكُنَّا بِمُعْرَسٍ نَنْبَتُ مِنْهُ بُدْيَانُ
الْقَرْيِ ، وَنَتَنَوَّرُ نِيرَانَ الْقَرْيِ .

فَلَمَّا رَأَى أَبُو زَيْدٍ امْتِلَاءَ كَيْسِهِ ، وَأَنْجِلَاءَ بُوسِهِ ، قَالَ لِي :
إِنَّ بَدَنِي قَدْ انْسَخَ ، وَدَرَنِي قَدْ رَسَخَ ، أَفْتَأْذَنُ لِي فِي قَصْدِ
قَرْيَةٍ لِاسْتِحْمٍ ؟ وَأَقْضِيَ هَذَا الْمَهْمَ ؟ فَقُلْتُ : إِذَا شِئْتَ
فَالسَّرْعَةَ السَّرْعَةَ ، وَالرَّجْعَةَ الرَّجْعَةَ ، فَقَالَ : سَتَجِدُّ مَطْلَعِي عَلَيْكَ ،
أَسْرَعُ مِنْ أَرْتِدَادِ طَرْفِكَ إِلَيْكَ .

* * *

كَلْفٍ : مَحَبَّةٌ . دَمَائِهِمَا : سَهولتهما ، وَالذَّمَاءَةُ سَهولةُ الْأَرْضِ ، وَكُلُّ مَا
بُوطِئَتْهُ وَسَهِّلَتْهُ وَأَذَلَّتْهُ بِيَدِكَ فَهُوَ دَمِيثٌ . رَاثٍ : بِالْكَافِ مَشْفِقٌ . وَرَثَائِهِمَا : سَوْءُ

(١) سُورَةُ سَبَأٍ ٣٣ .

حالمها . أبجته : جعلته له مباحاً . كُثْرِي وُقْلِي : أى كثير مالى وقليله . طفقت : أخذت . أسير : أمشى . السيارة : القوم الذين يسرون فى الأسنار . أهز الأعواد ، استعارة ، وأراد أنه يستعطف لها أصحاب الأموال فيواسونهم ، فكنى عنهم بالأعواد ، وقد كرّر هذا المعنى نظاماً حين قال :

قصده والشيخ يبنى جنى عودٍ له ما زال مهزُوزاً^(١)

وقال الشاعر فى مثله :

إلّا يَكُنْ ورقٍ غصّاً أراح به الـمعتفين إني لئن العود
أراد إن لا أكن كثير المال إني كريم . والورق : المال غير الصامت ، وأراح به : أهتزّ به ، من الأريحية . وراح الشجر : أتى بورق فى آخر الصيف لأصل له ، ويقال لها الخلفة . قوله : « غمراً » ، أى أعطيا . النحلان : العطايا . الخِلان : الأصحاب . وقوله : « وكنا بمعرّس » ، المعرّس موضع النزول آخر الليل . تنتور : ننظر النيران . القرى : طعام الضيف . كيسه : وعاء دراهمه ، والكيس : خريطة تسع خمسمائة درهم والبدرّة تسع عشرة آلاف درهم ، قال حبيب :
من بعد ما صارت هنيذة صرمةً والبدرّة النجلاء صارت كيساً^(٢)

قوله : « انجلاء بوسه » ، انكشاف فقره . درّني : وسخى . ورسخ الشيء فى الأرض رسوخاً : غاب فيها ، ورسخ العالم فى العلم : دخل فيه . استحتم : أدخل الحمام ، واستحتم الرجل : اغتسل بالحميم ؛ وهو الماء الحارّ . أفضى : أقطع وأزيل ، وقضيت الشيء : صنعته . المهمّ : أراد به فرض الصلاة ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنّ أهمّ أموركم عندى الصلاة ، فمن ضيّعها فهو لما سواها أضيع . وقيل :

(١) فى المقامه الأربعين صفحه ٤٤٨ (طبعة الحسينية) .

(٢) ديوانه ١٧٧ ، والهنيذة : اسم المائة من الإبل . والصرمة : ما بين الدهرة إلى هضعة عشر . والنجلاء : الصرمة .

للمهم: الوسخ لأن الأمر المهم ، هو الذى فى القلب منه همّ وشغل ، وقد ذكر أن الذى أوجب عليه قصد الحمام هو ما عليه من الوسخ ، فيكون قوله : « وأفضى هذا المهم » من قوله تعالى : ﴿ تَمَّ لِيَقْضُوا تَفْسَهُمْ ﴾^(١) ، وقد أهمنى الشيء فهو مهم ، وهذا القول أوفق بمراده .

[نبذة ما قيل فى الحمام شعرا ونثرا]

وللزاهد بن عمران رحمه الله وقد استبطأ فى دخول الحمام :

يا صاح عهدي بالحمام قد بعداً	فلا تلمني فيه إن طلبت مدى
قارعت فيه العدا فى معرك الجب	دحض تزل به الأقدام قد بعداً
عداً أترن برأسى حين تُرن به	توقدا وأعدت جلده جليداً
فظلت مستأصلاً بالقتل أجمعها	فلم أدع والداً منها ولا ولداً
ثم انثيت معافى ناعماً جديلاً	مظفراً أستزيد الواحد الصمداً

ورأى نفسه ممتدداً بين يدي الحكاك ، قال :

أغترت إن مُدّ فى العُمري	وأرجى المتاب إلى قابلي
وأغفلُ والموت لي طالبُ	حيث كذب النضى القاتل
كأنى بي هكذا ميتاً ^(١)	تَحَكَّمُ فى يدِ الفاسل

وله أيضاً :

شكرت للدهر حسن ما صنعنا	طريد مجدي تحيتي رفعا
يا حُسن حماننا وقد غرُبت	شمس الضحى فيه بعد ما ممتعا
أيقن أن الهلال راكبه	فضاء للناضرين واتسعا
فأنعم أبا عامر بنعمته	وإعجب لأمرين فيه قد جمعا

(٢) كأن بي

(١) الحج ٢٩ : ١١٢

(١٢) - شرح مقامات الحريري : ١٦

نيرانه من زنادِكُمْ قُدِّحَتْ وماؤه من بَنانِكُمْ نبعاً
ولبعضهم في حَمَامٍ كانت مضاوئُه من زجاجِ أحمر ، وفي سماءه حرّة وبياض :
تَحَيَّرْتُ مِنْ طيبِ حَمَامِنَا فَخَيَّلَ لِي أَنْ فِيهِ الفَلَقُ
فمن حرّة فوقنا وابيضاض نلَدَّ الحبيب إذا ماعَرَقُ
رأى الدهر ماسدً من حُسْنِهِ فَسَدَّ كُؤُوسِ سَقْفِهِ بِالشَّقِّ

ودخل الحمام أبو جعفر التُّطَيْلِيّ وأبو بكر بن بَقِّ رحمهما الله تعالى ، فقال
أبو جعفر :

يا حُسْنَ حَمَامِنَا وبهجتِه مرأى من السَّحَرِ كلّه حَسَنُ
ماءٍ ونازٍ جِواها كَنَفُ كالقلب فيه السُّرُور والحزَنُ

ونظر فيه إلى غلام وسيم ، فقال :

هل استمالك مَيَّال القِوَامِ وَقَدَّ سالت عليه من الحَمَامِ أُنْدَاهُ
كالفضن بأشْرَ حرّ النار من كَثَبِ فظلّ يقطر من أعطافه الماء

وقال آخر :

حَمَامِنَا فِيهِ فصل القِيظِ محتدِمٌ وفيه للبرد سرٌّ غير ذِي ضررِ
ضدّانِ ينعم جسم المرء بينهما كالفضن ينعم بين الشمس والمطرِ

وقال ابن رشيّق : ومما قلته على عقب وداع :

ولم أدخِلِ الحَمَامِ ساعةَ بينهم لأجلِ نعيمٍ ، قد رضيت بِبُوسِي (١)
ولكن لتجرى عَبرتي مطمئنَةً فأبكي ، ولا يدري بذلك جليسي

(١) طراز المجالس ١٢٢ .

وقال آخر :

وحَمَّامٍ كَانَ النَّارَ فِيهِ مسقرةً بنيرانِ الجحيمِ
دخلت أنا ومن أهواه فيه فعاد لنا كجنتِ النعيمِ

وقال آخر في ذم حمام :

وحَمَّامٍ سُوءٍ وَخِيمِ الْهَوَا قليل المياه كثير الزحَامِ
فما للقيام به من قعودٍ ولا للقعود به من قيامِ
حنياته عطفات القسيِّ وقطراته صائبات السَّهَامِ

وقال آخر في تعجيل الخروج منه :

خذ من الحمام واخرج قبل أن يأخذ منكَا
حدِّثْ عَنْهُ وَإِلَّا حدث الحمام عنكَا

وقال ابن رشيق :

ومُرَّتْهُنَّ لَدَى الْحَمَّامِ أَضْحَى وحالاه لأصحاب السَّعِيرِ
إِذَا سَمَوْا الْعَذَابَ أَوْ اسْتَعَاثُوا أغاثوهم بباب الزمهريرِ
كَذَلِكَ حَالُهُ حَرًّا وَبَرْدًا بيت الحوض أو بيت الطهورِ
وَطَالَ بِهِ انْتِظَارُ مُوَاعِدِهِ فقد زاد الشقى على النَّظِيرِ
وَلَهُ أَيْضًا :

سَأَشْكُرُ لِلْحَمَّامِ بَدْءًا وَعُودَةً أيادى بيضا ما لمن ثمينُ
جَلَاكَ عَلَى عَيْنِي عُرْيَانَ حَاسِرًا فرحت بتطليقي وأنت قين^(١)
وَطَهَّرَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ بِيَارِدٍ وسُخْنٍ نَقَرَ الْجَفْنَ وَهُوَ سَخِينُ

(١) ط : « ثمين » . وما أنبته من ا ، ب .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الحَمَامُ يذَكُرُ جِهْمَ ، وَيَنْقَى الدَّرَنَ ..
وقال على رضى الله عنه : بئس البيت الحَمَامُ ! تُكشَفُ فيه العورات ، وترتفع
فيه الأصوات ، ولا يُقرأ فيه آية من كتاب الله تعالى .
ودخله بعضُ الأمراء مع الرقاشى فقال له : امدحْه ، فقال : يُذهب القِشَافَةَ ،
ويعقب النظافة ، وَيُقَشُّ^(١) الثُّخْمَةَ ، وَيطِيبُ النِّعْمَةَ ، فقال : ذمّه ، فقال : يهتِكُ
الأستار ، ويؤلّف الأقدار ، ويذهب بالوقار .

قوله : « إذا شئت فالسرعة السرعة » ، يقول : إذا شئت أن تقصد الحَمَامَ
فالزم السرعة ، وعجل الرجعة ، وكررها تأكيذاً ، والنعل الناصب لهما يلزم
إضماره مع التكرير ، فإذا أفردت جاز إظهار النعل ، ونظيرهما قول العرب :
الطريق ، الطريق ، والأسد الأسد وقال الشاعر :

* خلّ الطريق ابنُ يبنى المنارُ لَهُ *

فلما سقط التكرير ساغ له إظهار النعل . مطّلعى : مصدر بمعنى طلوعى .
أهل الحجاز يفتحون لامه فى المصدر وغيرهم يكسرها . ارتداد طرفك ، أى
رجوع نظرك .

ثُمَّ اسْتَنَّ اسْتِنَانِ الْجَوَادِ فِي الْمَضَامِ ، وَقَالَ لَابْنِهِ : بَدَارِ بَدَارِ !
وَلَمْ نَحَلْ أَنَّهُ غَرٌّ ، وَطَلَبَ التَّمَرَّ . فَلَمِشْنَا نَرَقِبُهُ رِقْبَةَ الْأَعْيَادِ ،
وَنَسْتَطْلِعُهُ بِالطَّلَائِحِ وَالرُّوَادِ ، إِلَى أَنْ هَرِمَ النَّهَارُ ، وَكَادَ جُرْفُ
النَّهَارِ يَنْهَارُ . فَلَمَّا طَالَ أَمَدُ الْإِنْتِظَارِ ، وَوَلَّحَتِ الشَّمْسُ فِي
الْأَطْمَارِ ، قُلْتُ لِأَصْحَابِي : قَدْ تَنَاهَيْتَا فِي الْمُهَلَّةِ ، وَتَعَادَيْتَا فِي

(١) يقال : فسر الوطْبُ ، أى أخرج ما فيه من الريح

لِلرَّحْلَةِ ، إِلَى أَنْ أَضَعْنَا الزَّمَانَ ، وَبَانَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَانَ ،
فَتَأَهُبُوا لِلظَّنِّ ، وَلَا تَلُؤُوا عَلَى خَضْرَاءِ الدَّمَنِ .

° ° °

استنَّ استنَّ الجواد : جرى كما يجرى الفرس ، وإنما يقال : استنَّ في كلامه
إذا جرى في غير طريق بتحريف ، ومنه قولهم : استنَّت الفِصال حتى القرعى ^(١) ،
يريدون جرت الفِصال وهي تلعب ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « فاستنَّت
شرفاً أو شرفين » . وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها في جهة :

بمستنة كاستنات الخرو ف وقد قطع الحبل بالبرود ^(٢)

أراد المهر ، ويقال له : خروف وفوف ، وقد فسر « استننت الفِصال » بأن معناه
أحسن رعيها ، حتى كأنه صقلها . والجواد : الفرس الكريم . المضمار : الطلق تجرى
فيه الخليل ، سمي مضماراً لأن الخليل تضر فيه ، وذلك أن العرب كانت تستن
الخليل فتستخرجها إلى المضمار ، فتجريها طلقاً قدر ما تحتمل ، ثم تزيد ما يوماً
آخر في الجرمي على ذلك ، ثم لا تزال تزيد ما في الطلق كل يوم ، حتى تجرى بها
الأميال ، فيسيل عرق الخليل بذلك الجرمي ، ويشد لها بذلك التضمير
قال زهير :

تُضَمَّرُ بِالْأَصَائِلِ كُلِّ يَوْمٍ تُسَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا الْقُرُونُ ^(٣)

القرن : دُفِعَ العرق ، واحدها قرن .

وقوله : « بدار بدار » ، أي سبقاً سبقاً ، وهو معدول عن بدر ، فيقول لابنه :

(١) مثل ، يصرِب للرجل يفعل ما ليس له أهل . جمهرة الأمثال ١ : ١٠٨

(٢) اللسان - خرف ، ونسبه إلى رجل من بني الحارث .

(٣) ديوانه ١٨٧

أبدر بالجري ، واسبق إلى الحمام . لم تحل : لم تحسب . غر : خدع . نرقبه ، أى
ننظر من أين يحيى ويروى : « نرقبه رقية أهلة الأعياد » .

وما أحسن قول ابن الزقاق فى هذه الرقبة :

وشهرٍ أدرنا لارتقاب هلاله جفوناً إلى نحو السماء موائلًا^(١)
إلى أن بدا أحوى الدامع أحوراً يجر لأذيال الشباب غائلًا
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً بمن قد حوى طيب السمول شائلًا
أتطلبك الأبصار فى الجو ناقصاً وأنت كذا تمشى على الأرض كاملاً
وله فى معناه :

لله شهرٌ ما نظرتُ هلاله إلا كنونٍ أو كعطة لام^(٢)
حتى تبدى لى أغنٌ مهفهفٌ بضياته ينجابُ كل ظلامٍ
فطفقت أهتف بالأنام ضلتمُ وغلظتمُ فى عدة الأيام
ما جاءنا شهرٌ لأول ليلة مذ كانت الدنيا بيدر تمام

نستطاعه ، أى نلتمس طلوعه . الطلائع : الباحثون عليه . والرواد : الطالبون
له ، وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو ، والراصدون فى الطرقات ، الواحد
طلية ، وأصل الرواد الطالبون للرعى . هريم : شاخ ، ومعناه قارب أن يتم .
ينهار : ينهدم . والجروف : ما يأكله الوادى ، استعاره للنهار . لاحت : ظهرت .
والأطوار : الثياب الخلقة ، أراد أن ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغير وبلى عند
الغروب ، وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات فى الشتاء وغروب الشمس .

ومما يستغرب من ذلك قول العلوى الأصبهاني :

ومجلسٍ شربٍ جثته مطرباً عشياً وعين الشمس فى الأفق تنعسُ

(١) ديوانه ٢٣٨

(٢) ديوانه ٢٥٨ .

وقال ابن الرومي :

كأن جنوح الشمس ثم غروبها
تخاص عَيْنَ بَيْنَ أَجْفَانِهَا الْكُرَى
وقال أيضاً :

إذا رتعت شمس الأصيل ونفقت
وودعت الدنيا لتفضي نحبها
ولا حظت الأنوار وهي مريضة
كما لاحظت عواده عين مدنف
على الأفق الغربي ورساً مُدْعَزَعاً (٢)
وشوّل باقي عمرها فتشعشعاً (٣)
وقد وضعت خدّاً على الأرض أضرعاً
توجّع من أوصابه ما توجّعاً

أخبرني ابن منصور ، قال : خرجتُ بخارج فاس عشية مع فتى وراق ، فنظر
إلى صفرة الشمس واستنشق برد النسيم ، وأنشدني مرتجلاً :

انظر إلى الشمس في الأصيل
ورقاً هذا النسيم حتى
كأنها وجنتنا على ليل
كأنما يشتكي نحولي

وقال ابن الزقاق :

وعشية لبست ملاء شقيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما
لو أستطيع شربتها كلفاً بها
وقال ابن سراج :

والشمس تنفض زعفرانا بالربا
وتبثّ مشكتهما على الفيضان

(١) ديوان الماتى ٣٦١

(٢) ديوان الماتى ١ : ٣٦١ ، ومذعلاًهما : مفرقة .

(٣) شوّل باقي عمرها ، أى لم يبق منه إلا القليل .

(٤) ديوانه ٣٠٦ وفيه : « لبست رداء شقيق »

وما أحسن قول الرصافي في معناه :

وعشى أنسٍ للسُرور وقد بدأ من دون قرص الشمس ما يتوقع^(١)
سقطت ولم تملك يمينك ردّها فوددت يا موسى لو أنك يوشعُ

وقال ابن الرومي في طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة :

تريك بياض غرّتها ووجهها كقرن الشمس أغسق ثم زالاً
أصاب خصاصةً فبدا كليلاً كلاً وانفل سائرُه انقللاً

قوله : « بدا كليلاً » إشارة إلى أنه عندما بدا غاب بسرعة ، وأذكر « كلاً »
في المقامة التاسعة والثلاثين .

وقال ابن المعتز في نحوه :

تطلّ الشمسُ ترمقنا بلحظٍ مريضٍ مدنفٍ من خلفٍ سنترٍ^(٢)
تحاول فتقّ غيمٍ وهو يابئٍ^(٣) كعنينٍ يريدُ نكاحَ بكرٍ

قوله : « تناهينا » ، أي بلغنا النهاية . والمهلة : التراخي ، يقول : قد تراخينا في
انتظاره حتى بلغنا الغاية في ذلك . « تمادينا في الرحلة » ، هذا على حذف مضاف للعلم
به ، تقديره : تمادينا في ترك الرحلة وانتظارها ، ومثل هذا الحذف جائز في النظم
والنثر وأنشد أبو علي :

أنا النذيرُ لكم مني مجاهرةً كي لا ألامَ على نهبي وإنذارِي

أي على تركي النهي والإنذار ، وقال آخر :

وأهلك مهرَ أبيك الدّوا ليس له من طعامٍ نصيبِ

(١) ديوانه ١٠٤ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) ديوان المعاني ١ : ٣٦٠ ، وفيه : « بلحظ خفي » .

(٣) ط : « فتح غيم » ، وما أثبتته من ديوان المعاني .

أى فقد الدواء ، وجاء في القرآن ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾^(١) أى أهل القرية ، و﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾^(٢) ، أى من أهل قريتك ، ومثل هذا كثير في القرآن والكلام الفصيح ، بما لا يتم المعنى إلا بتقديره ؛ فالذى غا ط الحريى فقال : لو ت مدت بهم الرحلة لكانوا فى سير متصل ، قد جهل الكلام التصيح فأراد : طالت بنا هذه السفره . وتمادى الشىء فهو متما د ، إذا طال فيه المدى ، وهو الغاية البعيدة . يقول : تأخرنا عن السفر اليوم لتمادينا فى انتظاره ، فطالت علينا السفره لعطلة السفر ، حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نسا فر فيه . والزمان : اليوم . بان : تبين . مان : كذب ؛ يقال منه : مان يمين مئينا ، وأما مانهُ يُمونه مؤنًا ، فقام بمؤنته . قوله : « فتأهبوا » ، استعدوا . الظن : الرحيل . ولا تلؤوا : تعرجوا . خضراء الدمن : عشب المزابل ، هى حسنة المنظر سيئة الخبر ، وإذا يبست لم ينتع بعدوها لخوره وضعفه ، فشبها أبا زيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحتِه ، وسوء باطنه فى كذبه وإخلاف وعده ، حتى عطّلهم عن سفرهم نهاراً فى انتظاره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن ، ف قيل له : وما خضراء الدمن ؟ فقال : « الجارية الحسناء فى المنبت السوء » .

* * *

وَنَهَضْتُ لِأَحْدِجِ رَاحِلَتِي ، وَأَتَحَمَّلَ لِرِخْلَتِي ، فَوَجَدْتُ
أَبَا زَيْدٍ قَدْ كَتَبَ ، عَلَى الْقَتَبِ :

يَا مَنْ غَدَايَ سَاعِدًا وَمُسَاعِدًا دُونَ الْبَشَرِ
لَا تَحْسِبَنَّ أُنَى نَأْيُهُ كَ عَنْ مَلَالٍ أَوْ أَشْرِ
لَكِنِّي مُذْ لَمْ أَزَلْ مِمَّنْ إِذَا طَعِمَ انْتَشَرَ

(١) - سورة يوسف ٨٢ .

(٢) - سورة محمد ١٣

قال: فَأَقْرَأْتُ الْجَمَاعَةَ الْقَتَبَ ، لِيَعْدِرَهُ مَنْ كَانَ عَتَبَ
فَأَعْجِبُوا بِخُرَافَتِهِ ، وَتَعَوَّذُوا مِنْ آفَتِهِ .
ثُمَّ إِنَّا ظَعَنَّا ، وَلَمْ نَذِرْ مِنْ اعْتِاضِ عَنَّا .

قوله: «أحدج»: أى اجعل عليها الحدج ، وهو مركب من مراكب النساء ،
وأراد أرحل الناقة . وراحلته : ناقته . أتحمّل لرحلتي ، أو قرحملى للرحيل ،
يقال : تحمّل القوم ، إذا عبّوا أحماهم وارتحلوا . والقَتَبُ: خشب الرّحْل . قوله :
«ساعد» ، أى ذراعايستعين به . مساعدا : موافقا . نأيتك : بعدت عنك . أشرّ:
بطر وعدم شكرٍ ، يقال : أشرّ الرجل يَأشِرُ أَشْرًا ، إذا بطر ، قال الأخطل
يذكر بنى أمية :

أَعْطَاكُمْ اللَّهُ جَدًّا تَنْصُرُونَ بِهِ لَأَجْدَ إِلاصْفِيرٌ بَعْدُ مُحْتَمَرٌ (١)
لَمْ يَأشِرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشِرُوا
قوله : «مذ لم أزل» ، أى مذنبت ووجدت . انتشر : ذهب . عتب : لام
وسخط فعله . خرافته : حديثه اللئيمى .

[حديث خرافة]

وحديث خُرافة (٢) مثلٌ سائر على ألسنة الناس في القديم والحديث ، يضرّب
لكلّ حديث لا حقيقة له . ووقع في أمثال المفضل بسند يصل إلى عائشة رضی الله
عنها ، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : حدثني حديث خُرافة ، فقال : رحم الله
خرافة ، كان رجلاً صالحاً ، فأخبرني أنه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة نفر من الجن

(١) ديوانه ١٠٤ ، وفيه : « أعطاهم الله » .

(٢) انظر الميداني ١ : ١٣١ ، الفاخر ١٦٨ ، اللسان ١٠ : ٢١٤ .

فسبوه ، فقال أحدهم : نعوذ عنه ، وقال آخر فقتله ، وقال آخر : نستعبده ، فبينما هم يتشاورون في أمره ، إذ ورد عليهم رجل ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ، قال : وما أتم ؟ قالوا : نفر من الجن ، أسرنا هذا فنحن نأتمر في أمره . فقال : إن حدثتكم حديثاً عجيباً ، أشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : إني كنتُ ذا نعمةٍ فرأيت ، وركبني دَيْنٌ ، فخرجت هارباً ، فأصابني عطش شديد ، فسرت إلى بئر فنزلت لأشرب ، فصاح بي صَاحٌ من البئر : مه ! فخرجت منها ولم أشرب ، فغلبني العطش ، فعدت ، فصاح بي ، ثم عدت الثالثة فشربت ، ولم ألثفت إليه . فقال : اللهم إن كان رجلاً فحوِّله امرأة ، وإن كان امرأة فحوِّلها رجلاً ، فإذا أنا امرأة ، فأتيت مدينة قنزوجة جنى رجل ، فولدت منه ولدين ، ثم عدت إلى بلدي ، فمررت بالبئر التي شربت منها ، فنزلت فصاح بي كما صاح في الأول ، فشربت ولم ألثفت له ، فدعا كالأول ، فعدتُ رجلاً كما كنت . فأتيت بلدي ، قنزوجة امرأة ، فولدت منها ولدين ، فلي ابنان من ظهري وابنان من بطني . فقالوا : إن هذا عجيب ، أنت شريكنا ، فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم ثور يطير فلما جاوزهم ، إذا رجل بيده خشبة ، وهو يحفر في إثره ، فوقف عليهم فسلم ، فردوا ، وسألهم ، فردوا عليه مثل ردِّهم على صاحبهم ؛ فقال : إن حدثتكم بحديث أعجب من هذا أشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : كان لي عم ، وكان موسراً ، وكانت له ابنة جميلة ، وكنا سبعة إخوة ، وكان لعمي عجلٌ يربيه ، فانفلت ، فقال : أيتكم يردّه فابنتي له ؛ فأخذت خشبتي هذه ، واتزرت ، ثم حفزت في إثره وأنا غلام ، وقد سبنت ، فلا أنا ألحقه ولا هو يكل ؛ فقالوا : إن هذا لعجب ، اتعد فأنت شريكنا . فبينما هم يتشاورون ، إذ ورد عليهم رجل على فرس أتي . وخلفه غلام على فرس ذكر ، فسلم كما سلم صاحبه فردوا عليه كردِّهم على صاحبه . فسألهم فأخبروه الخبر ، فقال لهم : إن حدثتكم بحديث أغرب من هذا ، أشركونني فيه ؟ فقالوا نعم ، قال : كانت لي أمٌ خبيثة . ثم قال للفرس الأثبي الذي تحته : أ كذالك هو

فقالت : برأسها نعم — قال : وكنت أتهمها بهذا العبد — وأشار إلى الفرس ،
الذى تحت غلامه : أهكذا ؟ فقال برأسه : نعم — فوجهت بغلامي هذا الراكب
ذات يوم في بعض حاجاتي ، فحبسته عندها فأغفى ، فأرى في منامه كأنها صاحت
صنيحة ، فإذا هي بجرذٍ قد خرج ، فقالت : اسجد ، فسجد ، ثم قالت : اكرب
فكرب^(١) ، ثم قالت : ادرس فدرس ، ثم دعت برحاً فطحننت قدح سويقي ،
فأتت به الغلام ، فقالت له : أنت به مولاك ، فأتاني به ، فاحتلت عليهما حتى سقيتهما
القدح ، فإذا هي فرس أتي ، وإذا هو فرس ذكر ، قال : أ كذلك ؟ قالت الفرس
الأتي برأسها : نعم ، وقال الفرس الذكر برأسه : نعم ، فقالوا إن هذا أعجب
شيء سمعناه ، أنت شريكنا . فأجمع رأيهم فأعتقوا خرافة فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره بهذا الحديث ، فما جاء من الأحاديث المحاللة نُسب إلى خرافة
صاحب الحديث .

* * *

قوله : « آفته » أى ضرره . ظعننا : رحلنا . اعتاض : استبدل .

(١) الفاخر : « احمد نخصد » .

المقامة الخامسة وهي الكوفة

حكى الحارث بن همام قال : سمّرتُ بالكوفة في ليلةٍ أُدِيمُها ذو
 لَوْنين ، وقَمَرُها كَتَمَويدٍ مِن لَجين ، مَعَ رُفْقَةٍ غُذُوا بِلَبانِ البِيانِ ،
 وَسَحَبُوا عَلَي سَحبانَ ذيلِ النُّسيانِ ، ما فيهِمُ إِلا مَن يُحفظُ عَنْهُ
 وَلَا يُتَحَفَّظُ مِنْهُ ، وَيَعيلُ الرِّفيقُ إِليه ، وَلَا يَعيلُ عَنْهُ ، فاستَهوانا
 السَّمْرُ ، إِلى أَن غَرَبَ القَمَرُ ، وَغَلَبَ السَّهْرُ . فَلَمَّا رَوَّقَ
 اللَّيْلُ البَهِيمُ ، وَلَمْ يَبقَ إِلاَّ التَّهَوِيمُ ، سَمِعنا مِنَ البابِ
 نَبأَةَ مُسْتَنبِحِ ، ثُمَّ تَلَّها صَكَّةُ مُسْتَفْتِحِ ، فقلنا : مَنِ المَلِمْ ،
 فِي اللَّيْلِ المُدَلِّمِ ؟ فقال :

[الكوفة]

سمّرتُ بالكوفة . الكوفة بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون
 فرسخاً ، وسمّيت كوفة لاستدارتها ، أخذت من الكوفان ، وهي الرملة الشديدة
 البياض ، وقيل : سمّيت كوفة لاجتماع الناس فيها ، من قولهم : تكوَّف الرمل .
 تكوَّفنا ، إذا ركب بعضه بعضاً ، وقيل : سمّيت كوفة ، لأنها قُطعت من البلاد ،
 من قولهم : أعطيت فلاناً كيفةً ، أى قطعةً ، وكفت أ كيف كينا : قُطعت .
 والكوفة « فُعلة » منه ، قُلبت الياء واواً للضمّة التي قبلها .

وهي مدينة العراق الكبرى ، والبصُرُ الأعظم وقبة الإسلام ، ودار هجرة
 المسلمين ، وأوّل مدينة اختطّها المسلمون بالعراق .

وذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير^(١) في رحلته حاجًا، أنه دخل الكوفة في أوّل محرّم سنة تسع وتسعين وخمسمائة، فقال: هي مدينة كبيرة، قد استولى الخراب على أكثرها، فالعالم منها أقلّ من الخراب، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة الجاورة لها، وهي لا تزال تضرّ بها، وكفالك بتعاقب الأيام والليالي ما حقًا ومنينياً! وبنّاؤها بالأجرّ خاصّة، ولا سور لها. والجامع العتيق آخرها ممّا يلي شرق البلد، ولا عمارة تتّصل به من جهة الشرق. وهو جامع كبير، في الجانب القبليّ منه خمس أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطتان متّسعتان، وهي على أعمدة من السوّاريّ المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة، مفرّغة بالرصاص، ولا قسّى عليها، وهي في نهاية من الطول متّصلة بستمف المسجد، فتجار العيون في تفاوت ارتفاعها، فما رئي في الأرض مسجد أعلى سقفاً منه، ولا أطول أعمدة، ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت يزاء الخراب عن يمين مستقبل القبلة، يقال إنه كان مُصلىّ الخليل إبراهيم عليه السلام، وعليه ستر أسود صونّاه، ومنه يخرج الخطيب لابسا ثياب السواد للخطبة، والناس يزدحمون على هذا البيت للصلاة فيه، وبمقربة هذا البيت عن يمين القبلة محراب محلق عليه بأعواد الساج، كأذه مسجد صغير مرتفع عن صحن البلاط، هو محراب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه ضربه الشقيّ عبدالرحمن بن مُلجّم، فالناس يصلّون فيه باكين داعين، وفي الزواية من البلاط القبليّ المتّصل بأخر البلاط الغربيّ شبه مسجد صغير محلق عليه أيضا بأعواد الساج، وهو مفارّ الثنّور الذي كان آية نوح عليه السلام، ويتصل بالجدار القبليّ فضاء، يقال إنه كان منشأ السنيينة.

ومع هذا الفضاء دار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه - تلقينا هذه الآثار

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسيّ البنيّ الرحالة، قام برحلته الأولى إلى المغرب من غرناطة سنة ٥٧٨، وعاد إلى وطنه سنة ٥٨١، ووصف مشاهدته في كتابه المعروف برحلة ابن جبير.

عن أشياخ - البلد وفي الجهة الشرقية بيت قبر مسleme بن عقيل ، وفي جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض كبار ، وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشهير المنسوب لعلي بن أبي طالب حيث بركت ناقته ، وهو محمول عليها ميتاً ، وفيه قبره ، والله تعالى أعلم بصحة ذلك . والفُرات في الجانب الشرقي على قدر نصف فرسخ ، والجانب الشرقي كله حدائق نخل ماتمة تمتد سوادها امتداد البصر (١) .

* * *

قوله : « سمرت » أي ذهب نومي . الأديم : الجلد ، وأراد أن لون الليلة فيه سواد وبياض ، لأن قرها ناقص ، ولذلك جعله . كتعويذ من الجُبن ؛ وهو خرز فضة ، يُستعمل مستديراً استدارة القمر ، وبعض الدائرة ، فارغ فيربط في الدائرة خيط ، فيعلق في أعناق الصبيان .

[مما ورد في الهلال من الشعر]

وقال فيه السكرادي :

م فففيه هم قد أمضه	قَم سَلَّ هَمِّي بالدا
كأنه تعويذ فضة	أَوْ ما ترى قر السما
ق تخاله في الخلد عَضَه	فإذا ألمَّ به الحما

وعلى معنى البيت الآخر ، قال إسماعيل القاضي يصف الهلال :

واخش صرف النوايب	اسقني قبل صاحبي
حُ خلال الغياهب	فالهلال الذي يلو

(١) رحلة ابن جبير ١٨٩ ، ١٩٠ .

مثل فتح اللجين صيب - غ لصيد الكواكب

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب :

لما رأيت الهلال منطوياً في غرة النجر قارن الزهرة
شبهته والعيان يشهد لي بصولجان أوفى لضرب كره

وقال القاضي أبو الحسن بن لبّال :

انظر إلى الهلال إذ لاح بهي المنظر
كزورق من فضة وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز :

أهلاً ببطيرٍ قد أنار هلاله وانظراً إليه كزورقٍ من فضة
فألان فاغدُ إلى المدام وبكرٍ (١)
قد أتقلته حمولة من عنبر

وله أيضاً :

أهلاً وسهلاً بالناي والعود قد انتضت دولة الصيام وقد
وشرب كأسٍ بكفٍ مقدود بشر مرأى الهلال بالعيد
يتلو الثرياً كفاغبرٍ شره يفتح فاه لأكلٍ عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر ، فأحسن حيث يقول :

وجاءني في قميص الليل مستتراً يستعجل الخطو من خوفٍ ومن حذرٍ
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر

(١) ديوانه ١١٦ . ديوان المغان ١ : ٣٤٠

وأخذه من قول الأعرابي :

كأنَّ ابن مُزنتها جانحًا فسيط لى الأفق من خنصر^(١)

ابن مزنتها : الهلال . الفسيط : قلامة الظفر .

قوله : «غذوا» : أى ربّوا به وجعل غذاءهم ؛ واللّبان اللّادميات ، واللبن اللّادميات وغيرهن . سحبوا : جرّوا . سحبان : فصيح العرب ، وانظره فى السادسة عشرة . ذيل النسان : طرفه ، يريد أنهم بفصاحتهم أنسوا ذكر سحبان ، فكأنهم جرّوا عليه ثوب النسيان حتى غطّوه ، فلم يذكره أحدمن هؤلاء ، وأصل ذلك أن يُسحب ذيل الثوب على أثر ليخفى ، كقول امرئ القيس :

* تعقّ بذيل الدرّع إن جئتُ موثلي *

وكقوله :

خرجتُ بها تمشى نجرًا وراءنا على أثر بناذيلٍ مرطٍ مرحلٍ^(٢)

قوله : «يُحفظ عنه» ، أى هم علماء يروون العلم فيحفظ عنهم . يُتَحَفَّظُ ، يُتَحَدَّرُ ، وأخذ هذا من قول سليمان بن عبد الملك : قد أكلتُ الطيب ، ولبست اللين ، وركبت الفاره ، وتبطنت العذراء ، فلم يبق لى من لذتى إلا صديق أطرح فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ . فهذا الذى طلبه سليمان وجده الحريرى فى أصحابه ، وأصل التحفظ الاجتهاد فى حفظ الشئ وقلة الغفلة فى الأمور ، كأنه على حذر ، وأنشد ثعلب :

إني لأبفض عاشقًا متحفظًا لم تهمه أعينٌ وقلوبُ

(١) اللسان - فسط ، ونسبه إلى عمرو بن قبيصة وهو أيضا فى ديوان العاقى ١ : ٣٣٩

(٢) ديوانه ١٤

(١٣- شرح مقامات الحريرى ١)

قوله: «يميل الرفيق إليه»، تقول: ملت إلى فلان، إذا أحببته وتقربت منه، وملت عنه، إذا كرهته وبعُدت عنه. والرفيق: الصاحب يُرتفق به في السفر. قوله: «استهوانا»، هوى بنا وشغلنا. والسمر: الحديث يُسمر عليه. وذكر الحريري أن أصل السمر ظل القمر، والسمر: الحديث، ومنه أخذ السمر، وغالب أحوال السمر أنهم يتحدثون في ظل القمر - وذكر هذا في تفسير الربعة والأربعين - وهو الأصل، ثم لتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سمرًا، على أي حال اتفق. روق: ضرب رواقه، والرواق: الثوب يُستظل به من الشمس، يريد أن الليل ضرب عليهم من ظلامه رواقًا فأنحجب عنهم به القمر. والبهيم: الخالص السواد، والبهيم الخالص من كل لون. والتهويم: النوم بالليل، والتغويز: النوم في القائلة، وقد هوم الرجل، إذا أسقط النعاس رأسه فانتبه بسقوطه فرفعه، فحقيقته سجود الرأس من النعاس، قال ذو الرمة في ذلك:

وأشعث مثل السيف قد لآح جسمه وجيف المهاري والهموم الأبعاد^(١)
سقاء النعاس كأس سكر فرأسه^(٢) لدين الكرى في آخر الليل ساجد

ويقال: خفق رأسه فهو خافق، قال ذو الرمة:

وخافق الرأس فوق الرّحل قلت له زرع بالزمام وجوز الليل مرّ كوم^(٣)
وقال الرصافي^(٤) فأحسن:

ومجدّين للشرى قد تعاطوا غفوات الكرى بغير كئوس
جَنَحُوا وانحنوا على العيس حتى خلتهم يلمون أيدي العيس
نبدوا الغمض وهو حلوا إلى أن وجدوه سُلافةً في الروس

(١) ديوانه ١٣٠.

(٢) الديوان: «سقاء الكرى كأس النعاس وما درى».

(٣) ديوانه ٥٧٩. وزع بالزمام، أي اعطف الناقة بالزمام.

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافي، والأبيات في ديوانه ١٠٣.

قوله : « نَبَاة » ، أى صوت . مُسْتَنْبِح : يَحْكِي نُبَاح الكلاب ، وكان الرجل إذا تَلَف بالليل بالصحراء ولم يدر أين يتوجّه ، حاكى بصوته نُبَاح الكلب ، فإن كان قريباً من العمران نَبَحَتْ لُنْبَاحه كلاب الحَيّ ، فسمع أصواتها ، فقصد الحَيّ . تَسْمَى العرب مَنْ يَفْعَل هذا المُسْتَنْبِح . وأنشد أبو عليّ في نوادره :

ومستنجح بات الصدى يستنجهُ فتاهَ وجوز الليل مضطرب الكيسر^(١)
رفعت له ناراً ثقبوا زنادها تليح إلى السارى : هلم إلى قدري
وقال حسان بن مائل :

ومستنجح في جُنج ليلٍ دعوتُه بمشوبة في رأس صمدٍ مقابل
فقلت له أقبل ، فإنك راشدٌ وإن على النار الندى وابن مائل
وقد أنشد أبو تمام في حماسه في باب الأضياف في المستنجح ما فيه كفاية ؛

قلينظر هنالك

قوله : « تلها » ، أى تبعها . صكة : دفعة . مستفتح : طالب فتح الباب .
الممّ : الزائر : المدهمّ : الشديد السواد ، من الدهمة ، ولامه زائدة .

يا أهلَ ذا المَغْنَى وَقِيَّتِمُ شَرًّا ولا لَقِيَّتِمُ سَابِغِيَّتِمُ ضُرًّا
قَدْ دَفَعَ اللَّيْلُ الَّذِي اكْفَهَرَا إلى ذَرَاكُمُ شَمِنًا مُغْبَرَا
أخَا سِفَارٍ طَالَ وَاسْبَطَرَا حَتَّى انْتَنَى مُحَقَّقَوْنَا مُصْفَرَا
مِثْلَ هِلَالِ الْأَفْقِ حِينَ افْتَرَا وَقَدْ عَرَا فِنَاءَكُمُ مُعْتَرَا
وَأَمَّكُمْ دُونَ الْأَنَامِ طُرَا يَبْنِي قَرَى مِنْكُمْ وَمُسْتَقَرَا

(١) أمالي القالي ١ : ٢١٠ ، ونسب أبو عبيد البكري في اللآلى هذا الشعر إلى رجل من بني الحارث بن كعب . وجوز الأيل : وسطه ، وكسر البيت : جانبه .

فَدُونِكُمْ صَيْفًا فَنُوعًا حُرًّا يَرْضَى بِمَا أَحَلَّوْا وَمَا أَمَرَّا
وَيَنْتَنِي عَنْكُمْ يَنْتَ الْبِرَّا

* * *

المعنى: المنزل. ووقيتم: كوقيتم، وإنما دعاهم بهذا، لأن في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يوشك قلوب الناس أن تملأ شراً حتى يجرى الشرّ فضلاً بين الناس فلا يجد قلباً يدخله». ا كفهراً: تراكم ظلامه وكثر. ذراًكم: منزل لكم وكنتم، وكل ما استترت به من ریح أو مطر أو شمس فهو ذراً. شعناً: متغير الشعر، والشعث: ترك غسل الرأس حتى يتغير. مغيراً: عليه الفبار، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً وسخت ثيابه، فقال: «أما وجد هذا ما ينقي به ثيابه!». ورأى رجلاً شعث الرأس، فقال: «أما وجد هذا ما يسكن به شعره!». أحياناً سفار: صاحب أسفار، أي ملازم لها. اسبطار: امتد وطال سفره. انثنى: رجوع عاد. محقوقاً: منحنيًا. الأذق: ناحية السماء. افتتر: انفتحت أطرافه ولم يتقارب، كأنه فرّ هذا من هذا، ومنه فررت الدابة، وافتتر: ضحك، وشبهه انحنأوه من السفر بدائرة التمر الناقص، وأكثر ما يوقعون هذا التشبيه على الانحناء من الكبر، قال الشاعر:

تقوس بعد مرّ العمر ظهري وداستني الليالي أيّ دوسٍ
فأمشى والمصا تهوى أمامي كأن قوامها وترّ لقوسي
وقال ابن لبّال:

قوس ظهري الشيب والكبر والدهر ياعمرو كله غير
كأنتي والمصا تدبّ معي قوسها وهي في يدي وترّ

قوله : « عَرَا » : قصد . فناءكم ، وفناء الدار : ما أحاط بها من الأرض فحتمته . معتزاً : قاصداً الطلب معروفكم ، أممكم : قصدكم . طُرَا : أجمع . يبنى قِرَى : يطلب طعاماً . احولى : اشتدت حلاوته . يثث : يفشى وينشر . البر : الإحسان .

* * *

قال الحارثُ بن همامٍ : فلما خَلَبْنَا بِمُدْوِيَةِ نُطْقِهِ ، وَعَلِمْنَا ما وراءَ بَرْقِهِ ، ابْتَدَرْنَا فَتَحَ البَابِ ، وَتَلَقَيْنَاهُ بِالترْحَابِ ، وَقُلْنَا لِلغُلَامِ : هَيَّا هَيَّا ، وَهَلُمَّ ما تَهَيَّيَا .

فقال الضيف : وَالَّذِي أَحَنَّنِي ذَارِكُمْ ، لَا تَلَمَّظْتُ بِقِرَاكُمْ ، أَوْ تَضَمُّوْا لِي أَلَّا تَتَّخِذُونِي كَلًّا ! وَلَا تَجَسَّمُوا لِأَجْلِي أَكَلًّا ؛ فُرْبًا أَكَلَّةَ هَاضَتِ الأَكَلِ ، وَحَرَمْتُهُ ما كَلَّ ، وَشَرُّ الأَعْضَائِفِ مَنْ سَامَ التَّكْلِيفِ ، وَأَذَى المُضِيفِ ، خُصُوصًا أَدَى يَغْتَلِقُ بالأَجْسَامِ ، وَيُفْضِي إِلَى الأَسْتِقَامِ ، وَمَا قِيلَ فِي المَثَلِ الَّذِي سَارَ سَائِرُهُ : « خَيْرُ العِشَاءِ سِوَا فِرِّهِ » ، إِلَّا لِيَجْعَلَ التَّعْشِي ، وَيُجْتَنَبَ أَكْلُ اللَّيْلِ الَّذِي يُعْشِي ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَقْدَ نَارُ الجُوعِ ، وَتَحُولَ دُونَ المُجُوعِ .

* * *

قوله : « خَلَبْنَا » ، أى خدعنا . علمنا ما وراءَ برقه ، يريد أن ما أبدى لهم من الكلام الفصيح دهم على ما عنده من العلم ، كما أن البرق إذا ظهر ولع علم ما وراءه من المطر . ابتدرونا : استبقنا ، الترحاب : من قولهم . مرحبا مرحبا . هيا هيا ، أى سق سق . هلم ما تهيأ ، أى أحضر ما تيسر . لا تلمظت بقراكم : لا تذوقت بطعامكم ،

وأصل التلمّظ تتبع اللسان ما بقي من الطعام في الفم بعد الأكل . كغلا : ثقيلاً ،
وفلان كلٌّ على أهله ، إذا لم يكفهم مؤنة نفسه ، والكل : الإعياء ، وجمعه كلول ،
وعلى فلان كلٌّ كثير ، قال النابغة الجعديّ :

رأيتم بني سعدٍ كلولاً كثيرةً شهيدٌ بذاك ابنا حماد بن أحمر^(١) .

تجشّموا : تكافوا . أ كلا : طعاما ، والأكلة : الغداء والعشاء ، والأصل
في هذا أنّ الأكل بالفتح ، مصدر أكل ، وبالضمّ ما أكل ، والأكلة بالفتح :
المرة الواحدة ، وبالضمّ اللقمة ، وبالكسر هيئة الأكل . هاضت : أضعفت ،
وأدخلت عليه هيضةً ، وهي القيء والإسهال ، وأصل المثل : رب أكلة تمنع
أكلات ؛ وقال ابن هرمة :

ورُبّت أكلةً منعت أخاها بلذة ساعةٍ أكلاتٍ دهرٍ
وكمٍ من طالبٍ يُشفي بشيء وفيه هلاكه لو كان يدري

والماكل : جمع ما أكلة أو ما أكل ، وهي الأكل ، وهي أيضاً ما يؤكل .
سامّ التكليف ، أي عرّض مضيفه إلى تكلف ما يشقّ عليه . والأذى : الضرر ،
والمضيف : صاحب المنزل . يفضي : يُتول . سار سائرته : انتشر التحدّث به
ومشى في الناس . خير العشاء سوافره ؛ بواكره ، أي ما أكل منه بضوء النهار ،
واحدها سافرة ، والسافرة : المرأة التي سَفرت نقابها عن وجهها ، أي كشفتها ؛
فكان اللقمة إذا أبصرتها عند أكلها قد سَفرت الظلام عن نفسها ، وتُجمع على
سوافر على هذا المعنى ، حكى أبو بكر بن شعبان النحويّ ، قال : دخلت على
محمد اليزيديّ وهو يتغدّى ، فقال : يا أبا بكر ، خير الغداء بواكره ، فخير العشاء .
ماذا ؟ فقلت : لا أدري ، فقال : دخلت على حسين بن الخادم ، وهو يتغدّى فقال ::

(١) ديوانه : ٥٦

يا أبا سليمان ، خير الغداء بواكره ، نخير العشاء ماذا ؟ فقلت : لا أدري ، فقال : كنت بحضرة الرشيد وهو يتغدى ، فدخل الأصمعي ، فقال : يا أصمعي ، خير الغداء بواكره ، نخير العشاء ماذا ؟ فقال : بواصره ، يعني ما يبصر من الطعام قبل الظلام . وحكى أبو يعقوب في الغداء التأخير . فقال : قال الحكيم - وقيل هو لعلّ ابن أبي طالب رضى الله عنه - من سرّه البقاء ولا بقاء . فليبكر الغداء ، وليبكر العشاء ، وليخفف الرداء - يريد ثقل الدين .

التمشي : أكل العشاء ، وهو ما يؤكل بالعشي . يُعشى : يورث العشاء ، وهو سواد البصر ليلا ، قال ابن دريد :

وأرى العشاء في العين أكثر ما يكون من العشاء^(١)

أراد من تأخير العشاء ، لأن أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر من غيره ، وقال كشاجم :

ونديم مخالف لا يشاء الذي أشأ^(٢)
هو في الصحو لي أخ وعدو إذا انتشى
اقترحت العشاء يو ما عليه فأدهشاً
ساعة ثم قال لي : العشاء يورث العشاء

كأن هذا التطبّب أحذه كشاجم من قول [ضيف] صاحب بن عباد ، قال صاحب : ما أفجمني أحد كأبي الحسن البديهي ، فإنه كان عندي ، فقدمت إليه فأكبه ، فأمن في الشمس ، فقلت : الشمس يلطخ المعدة ، فقال : لا يعجبني المضيف

(١) ديوانه ٣٠ . والعشاء المقصور داء في العين ، والمدود الأكل عشياً .

(٢) ديوانه ١٠٦ .

إِذَا تَطَّبَّ ، فَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَقْلَهَا .

وورد النهي عن ترك العشاء في حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَدَعُوا الْعِشَاءَ ، وَلَوْ بَكَفَ مِنْ حَشَفٍ ^(١) ، وَإِنْ تَرَكَهُ مَهْرَمَةً ^(٢) . »

وقوله : « تحول دون الهجوع » ، أى تمنع من النوم ، وجاء في الحديث النهي عن التكلف ، قال سفيان : ذهبت أنا وصاحبى لى إلى سلمان ، فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفت لكم ، ثم جاء بخبز وماء ، فقال صاحبى : لو كان فى ملحنا صاعتر ! فبعث سلمان مطهرته ^(٢) ، فأرهنها ^(٣) ، فجاء بصعتر ، فلما أكلنا قال صاحبى : الحمد لله الذى أقتننا بما رزقنا ، فقال سلمان : لو قنعت لم تكن مطهرتى مرهونة ! وجاء فى حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الإدام الخلل » ، وكفى بالمرء إثماً أن يسخط ما قرَّب إليه . الهجوع ، أى النوم .

* * *

قال : فَكَأَنَّهُ أَطَّلَعَ عَلَى إِرَادَتِنَا ، فَرَمَى عَن قَوْمِي عَقِيدَتِنَا ،
لَا جَرَمَ أَنَا أَنْسَأَهُ بِالْإِزَامِ الشَّرْطِ ، وَأَثْنَيْنَا عَلَى خَلْقِهِ السَّبْطِ .
وَلَمَّا أَحْضَرَ الْغُلَامُ مَارَاجَ ، وَأَذْكَى بَيْنَنَا السَّرَاجَ ، تَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا
هُوَ أَبُو زَيْدٍ ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : لِيَهْنِكُمُ الضَّيْفُ الْوَارِدُ ، بَلِ الْمَغْنَمُ
الْبَارِدُ ! فَإِنْ يَكُنْ أَفَلَّ قَمَرُ الشُّعْرَى فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ الشُّعْرِ ،
أَوْ اسْتَسْرَّ بَدْرُ النَّثْرِ فَقَدْ تَبَلَّجَ بَدْرُ النَّثْرِ . فَسَرَتْ مُحِيَّا الْمَسْرَةَ
فِيهِمْ ، وَطَارَتْ السَّنَةُ عَنْ مَا فِيهِمْ ، وَرَفَضُوا الدَّعَةَ الَّتِي كَانُوا نَوَوْهَا ،

(١) الحشف : ردىء التمر . (٢) المطهرة : إناء يطهر به .

(٣) أرهنها : جعلها رهناً .

وَنَابُوا إِلَى نَشْرِ الْفِكَاهَةِ بِنْدِ مَا طَوَّوْهَا ؛ وَأَبُو زَيْدٍ مُكَبُّ عَلَى
إِعْمَالِ يَدَيْهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَعَ مَا لَدَيْهِ ، قُلْتُ لَهُ : أَطْرَفْنَا بَغْرِيَّةً مِنْ
غَرَائِبِ أَسْمَارِكَ ، أَوْ عَجِيبَةٍ مِنْ عَجَائِبِ أَسْفَارِكَ . .

قوله : «عقيدتنا» ؛ أى ما انعقدت عليه نياتنا، ويقال : رميت عن القوس ،
ولا يقال : رميت بها ، إلا أن ترميها من يدك . لا جرم ، بمعنى حقا . ولا بد
ولا محالة . السَّبَطُ : السهل . راج : تيسر . أذكى : أوقد . السَّرَاجُ : المصباح .
تأملته : نظرت . ليهنكم ، أى ليسرّكم . الوارد : القاصد . المغم البارد : الهنى الذى
يُغْنِمُ دون قتال ولا تعب . أفل : غاب . الشعرى : كوكب معروف ، وهما
شعريان : العبور والغميصاء ، سمّوها عبورا لأنهم يزعمون أنها عبرت الحجرّة ،
وسموا الأخرى الغميصاء لأنها بكت على أخيها حتى غمضت عينها . أى خفيت .
استدرّ : غاب وخفى . الثثرة : ثلاثة أنجم مجتمعة . تبلّج : ظهر وأضاء . النثر :
ضد النظم ، يقول : إن غاب قمر السماء الذى يتحدث بضوئه ، فهذا أبو زيد قمر
الفصاحة قد طاع ، فجدّدوا حديثكم ودعوا النوم .

سرت : مشت . حميا المسرّة : شدة السرور ، والحميا : حدة الخمر وتسمى الخمر
الحميا . السنّة : أخفّ من النوم . ما قيمهم : عيونهم ، والمائق : طرف العين من جهة
 الأنف . رفضوا : تركوا . الفكاهة : الحديث المظرف ، وأصلها المزاح ، ومنه قولهم :
لا تمازحن صبيا ولا تفا كهنّ أمة ، قال ابن الأنباري : المعنى : لا تمازحن ، إلا أنه
استسمح إعادة اللفظ فأتى بلفظ فى مثل معناه ، مخالف للفظه . وتفا كهنّ ، مشتق
من الفكاهة ، وهى المزاح ، وقال طرّانة :

وإنّ امرأ لم يُعْفُ يوماً فكاهةً لمن لم يُرِدْ سواها بها لجهول^(١)

ووصف أبو العيناء ابن أبي دؤاد ، فقال: له هزل يؤتم به، وجدُّ يتقدم الجِدَّ،
 وبين ذلك فكاهة تستملح ، ودعا به تستظرف . ومزح ، مصادره ثلاثة : مزح
 ومُزَاح وممازحة . اليزيدي: المزاح ، بالكسر لا غير . أبو عمرو: ما ذكره اليزيدي
 مصدر ما زحت مِزاحاً وممازحة .

قوله : «مكبت» ، أى مائل الرأس . إعمال يديه : استعمالها بالأكل . واسترفع :
 أمر برفعه ، ويروى «استفرغ» ، أى أتم . أطرفنا ، أى حدثنا بطريقة ، وهى الحديث
 المستملح ، والطرفة عند العرب : الشيء المحدث الذى لم يكن عرف ، وجاء فلان
 بطرفة وشيء طريف . وهو مشتق من الطريف والطارف ، وهما المال المستحدث
 الذى جمعه الرجل واكتسبه . والتالد : ما ورثه عن الآباء ، قال الشاعر :

وأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ لغيرى وكان المال بالأمس ماليا
 أسمارك : جمع سمر ، وهو الحديث يُسمر عليه .

فقال : لَقَدْ بَلَوْتُ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَمْ يَرَهُ الرَّامُونَ ، وَلَا رَوَاهُ
 الرَّاؤُونَ ؛ وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِهَا مَا قَايَنَتْهُ اللَّيْلَةُ قُبَيْلَ انْتِيَابِكُمْ ، وَمَصِيرِي
 إِلَى بَابِكُمْ ؛ فَاسْتَخْبَرْنَا عَنْ طُرْفَةِ مَرَاه ، فِي مَسْرَحِ مَسْرَاه ، فَقَالَ :
 إِنَّ مَرَامِي الْعُرْبَةَ ، لَفَطَّتْنِي إِلَى هَذِهِ التُّرْبَةِ ، وَأَنَا ذُو مَجَاعَةٍ وَبُوسَى ،
 وَجَرَابِ كَفُودِ أُمِّ مُوسَى . فَتَهَضَّتْ حِينَ سَجَا الدُّجَى ، عَلَى مَا بِي مِنْ
 الْوَجَى ، لِأَرْتَادِ مُضِيْفًا ، أَوْ اقْتَادِ رَغِيْفًا ، فَسَأَقْنِي حَادِي السَّعْبِ ،
 وَالْقَضَاءِ الْمَسْكُونِي أَبَا الْعَجَبِ ، إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِ ، فَقَلْتُ
 عَلَى بَدَارِ :

قوله: «مالم يره اراءون»، أى الناظرون إليه، وقوله: «ولارواه الراوون» أى حفظه الحافظون. عابته: شاهدته ورأبته بعيني. انتيابكم: قصدكم. مصيرى: رجوعى، مرآه: رؤيته. مسرح: حيث يسرح ويمشى. مسراه: سيره بالليل. مراى: قواذف التربة: البلدة. محاعة: جوع. بؤسى: ضرر. جراب: وعاء الزاد. كفؤاد أم موسى، أى فارغاً لقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ نُؤَادٌ أُمُّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ (١).

[قصة موسى عليه السلام قبل مبعثه]

وسمى موسى لأنهم وجدوه بين ماء وشجر، وهو بالقبطية هو الماء، وشجرة الشجر، فعربت فجعلت الشين سيناً. وهو موسى بن عمران بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ولم تنزل بنو إسرائيل من عهد يوسف عليه السلام تحت أيدى الفراعنة، وهم على بقايا من دين إبراهيم عليه السلام المشروع له وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام، حتى كان فرعون الذى بعث موسى عليه السلام إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتز على الله منه ولا أطول عمراً. وكان شديد الغاظة سبباً للملكة. واسمه الربيع بن مصعب، وكان اتخذ بنى إسرائيل حولاً، فصنّف منهم يبنون، وصنّف يجرثون، ومن لا عمل له وظف عليه الجزية، فرأى فى منامه أن ناراً أقبلت من المقدس، فأحرق القبط وتركت بنى إسرائيل، فسأل عن رؤياه، فقيل له: يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر، فأمر بقتل كل مولود يولد فى بنى إسرائيل. فجمع القوابل وعهد إليهن بذلك، فذبح الولدان وعذب الحبالى، حتى يطرحن ما فى بطونهن، حتى كاد يفتنهم، فقيل له: إنهم حوأك، وإنك إن تفتنهم ينقطع النسل. فأمر بقتل العلماء عاماً ويستحون عاماً، فولد هارون فى السنة التى يستحيون فيها. وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها.

فلما وضعته أمه حزنّت لسانه، فأولحنى الله إليها: أن أرضعيه، فإذا خفت

عليه فألقيه في اليمّ - وهو النيل - ولا تخافي ولا تحزني. فعمات تابوتا وجعلته فيه ، وألقته في اليمّ ، وقالت لأخته: قصّيه ، أى اقتنى أثره ، فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون ، فخرج جواري فرعون يفتسلن ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية امرأة فرعون ، وهى بنت مزاحم ، إسرائيلية ، فكشفت عنه التابوت ، فرأته . فرحمته وأخذته ، وأخبرت به فرعون ، فأراد أن يذبحه ، وخشى أن يكون المولود الذى حُدّر منه ، فلم تزل به آسية حتى تركه لها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (١) ، فاللام من ﴿ لِيَكُونَ ﴾ للعاقبة ، ولم يكن لفرعون ولد ، فاتّخذ له ولدا ، فارتادوا له المرضعات ، فلم يقبل ثدى واحدة منهن ، ولما غاب أمره عن أمه ، كاد قلبها يطير وجداً عليه ، فبعثت أخته تأمها تلتمس رضاعه ، فلما رأت أسفهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة - وذلك قوله تعالى . ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ - قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟ فقالوا لها : دلينا على ذلك ، فذهبت فجاءت بأمه .

فلما رأته كادت لشدة حبّها فيه ، ونرحها به أن تقول : هو ابني ، وتفتضح ، فعصمها الله من ذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾ ، فأعطته ثديها ، فأخذ يرضعه . فربّته فى قصر فرعون ، فلما تحرّك عرضته آسية على فرعون ، فلما أخذه مدموسى يده إلى لحيته فنتفها ، فقال فرعون : علىّ بالذباحين ، فإنما هو هذا ! فقالت آسية : قُرّة عين لي ولك ، لا تقتلوه فإنه صبيّ لا يعقل ، ودعت له بحمر وياقوت لتختبره ، فطرح جبريل عليه السلام يده فى النار وأخذ قطعة منها ، فوضعها موسى عليه السلام فى فيه ، فأحرقته . فتركه فرعون ، فكبر فى حجره . فلما ترعرع تبناه ، فكلن يركب مراكبه ويلبس ملابسه ، ويدعى ابن فرعون .

(٢) سورة القصص ١٢ .

(١) سورة القصص ٨ .

(٣) سورة القصص ١٠ .

ثم إن موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب ، فركب أثره ، فأدركه ببلد منف ، فدخلها وقد أحلّيت لفرعون وليس في طرقها أحد ، فرأى إسرائيليا مع قبطيّ يقتتلان ، ناستفاته الإسرائيليّ ، فوكز القبطيّ قفضي عليه ، فكان من قصته معهما ما قص الله تعالى في كتابه ، حتى خرج خائفا يترقب إلى مدين .
وأما رجوعه منها إلى فرعون بأنه رسول الله إلى أن غرق فرعون في البحر وجنوده ، فذاكور في الثامنة عشرة .

* * *

قوله : « نهضت » ، أى مشيت . سجا الدجى : سكن بالظلام وغطى كل شيء . الوجى : الحفا . أرتاد : أطلب . مضيقاً : منزلاً ، وأضافه : أنزله . وضافه : نزل به فهو ضيقه ، أى النازل به . أقتاد : أقود . حادى السنب : سائق الجوع .

* * *

حَيْتُمْ يَا أَهْلَ هَذَا الْمَنْزِلِ وَعَشْتُمْ فِي خَفْضِ عَيْشِ خَضِلِ
مَا عِنْدَكُمْ لَابْنِ سَبِيلِ مُرْمِلِ نِضْوِ سُرَى خَابِطِ لَيْلِ أَيْلِ
جَوَى الْحَنْثَى عَلَى الطَّوَى مُشْتَمِلِ مَا ذَاقَ مُذِيَوْمَانِ طَعْمَ الْمَاكِلِ
وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَوْنِ وَقَدْ دَجَا جُنْحُ الظَّلَامِ الْمَسْبِلِ
وَهُوَ مِنَ الْخَيْرَةِ فِي تَمَلُّلِ قَهْلِ بِهَذَا الرَّبْعِ عَذْبُ الْمَنْهَلِ
يَقُولُ لِي : أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ وَأَبْشِرْ بِبَشْرِ وَقَرَى مَعْجَلِ !

* * *

حَيْتُمْ : طابت حياتكم ، والتحية البقاء . خفض : لين وخفض عيشه خفضاً ، إذا أخصب . خضل : ناعم ، وخضل : الشيء يخضل خضلاً : ابتل . ابن سبيل : خاطر طريق ، وهو الغريب ، وسُمي الغريب ابن السبيل لأنه إذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يعرف له نسب إلا السبيل الذي جاء منه . ومرميل : لا زاد له ، وأرمل القوم : فني زادم

ومن أبيات اللغز في ابن السبيل :

ونحنُ ابنُ مَنْ لا يَنْكِرُ النَّاسُ نَضْلَهُ وليس له في الناس من طالبٍ وثرا
نإنَّ تَحَنُّوا فِينَا أبانا فَحَقَّنَا رَعَيْنَهُمْ وَإِلَّا أَوْقَدَتْ نَارَكُمْ شَرًّا

أى سيئتم في كل مكان ، كما قال الآخر :

وأنت الذي شَيَّبْتَنِي قَبْلَ شَيْبَتِي وأوقدت لي نارا بكل مكان

ومنها أيضاً :

وأحيانا يكون كبير سنٍ وأحيانا يكون من الشباب
ومنسوب إلى مَنْ لم يلد كذاك الله أنزل في الكتاب

قوله : «نضو سُرَى» ، أى هزبل من مشى اللَّيْل في الأَسْنار . و . ابط ليل :
الذي يمشى فيه على غير هداية . أَلَيْل : شديد السواد . جوى الحشى : فاسد
الجوف من الجوع ، وهو الطوى . مشتمل : منضم ، أى قد انضم جوفه على
الجوع ، ففسدت أحشائه . موئل : ماجأ ، من وألت إلى كذا ، أى لجأت . دجا :
ألبس . جنح : سواد : المسبل . المتألق . تملل : تقلب وتوجع . والربيع : المنزل ،
والمهبل : موضع الماء .

ويقال : ألقى عَصاه ، إذا ترك السَّير وأقام ، وروى الأصمعي عن بعض البصريين
أنه قال : سُميت العصا عَصاً لأن اليد والأصابع تشتمل عايبها ، وهو من قول العرب :
عصوتُ القومَ إذا جمعتهم على خير أو شرٍّ ، ويقال : عُصِيَ بالسيفُ بعصى إذا
خُرب به كما يضرب بالعصا . بشر : طلاقة وجه .

قَالَ: فَبَرَزَ إِلَى جَوْذَرَ، عَلَيْهِ شَوْذَرٌ، وَقَالَ: **وَحُزْمَةُ الشَّيْخِ الَّذِي سَنَّ الْقِرَى** وَأَسَّسَ الْحَجُوجَ فِي أُمَّ الْقِرَى
مَا عِنْدَنَا لِطَارِقٍ إِذَا عَرَى سِوَى الْحَدِيثِ وَالْمُنَاحِ فِي الذَّرَا
*** فَمَا تَرَى فِي مَا ذَكَرْتُ مَا تَرَى ***

برز: خرج. جوذر: ظبي، وأصله ولد الغزالة. الشوذر: ثوب قصير.

[إبراهيم عليه السلام]

والشيخ الذي سَنَّ الْقِرَى، هو إبراهيم عليه السلام، واختصه بلقب الشيخ لأنه أَوَّل مَنْ شَابَ، ولما رأى الشيب، قال: يارب، ما هذا؟ فأوحى الله إليه، يا إبراهيم، هذا وقار، فقال: يارب زدني وقاراً. وشاب وهو ابن مائة وخمسين سنة، وذلك أنه لما ولدت سارة إسحاق، قال الكنعانيون: ألا تعجبون لهذا الشيخ والعجوز وجداً غلاماً، فبنيناها! فصور الله إسحاق على صورة إبراهيم عليهما السلام، فلم يفصل بينهما، فوشم الله إبراهيم بالشيب.

قوله: «سن»: ابتدأ، وجعله سنة، وهو أول من ضَيَّفَ الضيف، وأطعم المساكين، وقصَّ شاربته، وقلم أظافره واستحدَّ واستاك، وفرَّق شعره، ومضمض نواستنثر، واستنجد بالماء. وأسَّسَ الحجوج، أي بنى أساس البيت الحرام. وأُمَّ الْقِرَى: مكة. والطارق: الآتي بالليل. والمناح: موضع البروك. بقري: يصيف الكرى: النوم برى أعظمه، أي أزال اللحم عنها. انبرى: اعترض.

[مما قيل في القري والأضياف]

وقال حبيب في أن أول من قري الضيف إبراهيم عليه السلام:

للجودِ سهمٌ في المكارمِ والتقى **لَا رَبَّ لِمَكْدِي وَلَا لِمَسْهُومٍ** (١)

(١) ديوانه ٣٠٠، والمكدي: الفقير، والمسهوم: الضامر.

وبيان ذلك أن أول من قرى وحبا خليل الله إبراهيم
وقال أبو بحر صفوان بن إدريس في فتى اسمه إبراهيم، وأبدع ما شاء
حيث قال :

أَسْمَىٰ مِنْ سَنِّ الْقِرَىٰ رَفَقًا بِنِ
أَنَا ضَيْفٌ حَسَنِكَ فَاصْطَنِعْنِي إِيَّاهُ
لَمَّا نَظَرْتُ نَجْمَ خَيْلَانَ بَدَتْ
أَفْنَيْتَ جِسْمِ الصَّبِّ شَوْقًا مِثْلَهَا
يَا زَهْرَةَ سَكَنْتُ فَوَادِي غَضَّةً
حَتَّىٰ كَأَنَّ الْحَبَّ قَالَ لِأَضْلَعِي :
يَفْنَىٰ عَلَيْكَ صَبَابَةٌ وَغَرَامَا
ضَيْفُ الْهَوَىٰ يَسْتَوْجِبُ الْإِكْرَامَا
فِي صَحْنِ وَجْنَتِكَ اسْتَفْدَتْ مُقَامَا
أَفْنَىٰ سَمِيئِكَ قَبْلَكَ الْأَصْنَامَا
إِنِّي تَبَوَّأْتُ اللَّهَيْبَ كَمَا مَا
يَا نَارُ كُنْ بَرْدًا لَهُ وَسَلَامَا

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار :

أَبَا قَاسِمٍ وَالْهَوَىٰ جَنَّبَهُ
تَقَحَّحْتُ جَاحِمَ نَارِ الْحَشَىٰ
أَكُنْتُ الْخَلِيلَ وَكُنْتُ الْكَلِيمَ
وَأِنِّي مِنْ حَرِّهَا لَمْ أَفِئ
وَخَضْتُ بِحَارِ سَوَادِ الْحَدَقِ
أَمَنْتُ الْجَوَىٰ وَأَمَنْتُ الْقَرَقَ!

انظر إلى الأضياف الاربعة والأربعين .

فَقُلْتُ : مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلِ قَفْرِ ، وَمَنْزِلِ حِلْفِ قَفْرِ ! وَلَيْكِنْ
يَافْتَى ، مَا اسْمُكَ ، فَقَدْ فَتَنَنِي قَهْمُكَ ؟ فَقَالَ : اسْمِي زَيْدٌ ، وَمَنْشِي قَيْدٌ ،
وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْمَدْرَةَ أَمْسٍ ، مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبْسٍ .

قوله: « بمنزل قفر »؛ كأن هذا المنزل هو الذى وصفه الآخر حيث يقول :

ليس إغلاقى لبابى أن لي فيه ما أخشى عليه السرّاقاً
إنما أغلقتة كى لا يرى سوء حالى من يمرّ الطرّاقاً
منزل أوطنه الفقرُ فلو يدخل السارق فيه سرّاقاً

[نبذ وحكايات فى البؤس والحрман]

إنما أخذ الحريرى هذا المعنى من قصة يزيد المدنى ، وكان من أهل المالح ، فاستضافه أعرابى ، فقال : ما عندنا إلا الأسودان ، فقال الأعرابى : خير كثير ، فقال : لملك تظنهما التمر والماء ! والله ما هما إلا الليل والحرة ، فلم يكن ليزيد دارٌ إلا الحرة - وهى أرض سوداء فيها حجارة سود ، وهى مقبرة المدينة - والقبور المخصّصة تكون بالليل موحشة ، فما ظنك بقبور سود فى أرض سوداء فى ظلمة الليل ! كيف حال من يكون هذا قرأه ! فبهذا البلاء أعرض يزيد عن ضيافة الأعرابى .

ونحو هذا من أقوال المازحين قول أبى الشمقمق - ويروى عن وهب عابد قرطبة :

برزتُ من المنازل والقباب ذلم يمسرُ على أحدٍ حجابى
فنزلى النضاء وسقفُ بيتى سماء الله أو قطعُ السحابِ
وإنى لم أجد مصراع بيتِ يكون من السحاب إلى الترابِ
ولانشق الثرى عن عودنحت أو مل أن أشدّ به ثيابى
ولاخفت الإباق على عبيدى ولاخفتُ الهلاك على دوابى
وفى ذا راحةٍ وفراغٍ بال فدأب الدهر ذا أبدأً ودابى

(١٤ - شرح مقامات الحريرى ١)

وقال آخر :

ولما التمتُ الرزقُ فانبجذَ حبلهُ
خطبتُ إلى الإعدامِ إحدى بناتِهِ (١)
فأولدتُها الحُرْفَ الشَّقِيَّ - فماله
فلوتت في البيداء والليل مسبلٌ
ولو خفت شرًّا فاستترت بظله (٢)
ولو جادَ إنسانٌ عليّ بدرهم
ولو يُمطرُ الناسُ الدنانيرَ لم يكن
وإن يقترب ذنباً ببرقة مذنبٌ
وإن أر خيراً في الأنامِ فنازحٌ
أمامي من الحِزْمَانِ جيشَ عَرْمَرُمُ

وقال آخر :

لو ركبتُ البحارَ صارت أجابا
ولو أنى وضعت ياقوتة حم
ولو أنى وردت عذبا فراتا

وقال آخر :

لو وردت البحارُ أطلب ماء
أو مسستُ العودَ النضيرَ بكفى
أورمى باسمي النجومُ الدَّراري
ولو أنى بعث القناديلَ يوماً
جفَّ قبل الورودِ ماء البحارِ
لندوى بعد بهجةٍ واخضرارِ
لا نزوى ضوءها عن الأَبصارِ
أدغمَ الليلَ في ضياءِ النهارِ

(١) ط «من الإعدام»، وما أثبتته من ا، ب، و.

(٢) ط : «بظلمة» .

وقال شواش :

كسدت شواشينا وقلّ معاشنا فسعودنا مقرونة بنحوس
فكأنما قُطعت رءوس الناس أو خُلِقوا لشقوتنا بغير رهوس
قيل لأبي الشمقمق : أبشِرْ فإننا روينا في الحديث : « العارون في الدنيا هم
الكاسون يوم القيامة » ، فأنشأ يقول :

أنا في حالٍ تعالى الله ربي أي حالٍ

ليس لي شيء إذا قيلَ لِمَنْ ذا؟ قلتَ ذَا لي

فأراضى الله فرشي والسّموات ظلالي

ولقد أفلستُ حتّى حلّ أكلّي لعمالي

من رأى شيئاً محالاً فأنا عين المحال

لو بَقِيَ في الناسُ خُرٌّ لم أكن في مثلِ حالِي

قوله : « منزل » ، أي مضيف . حلف : صاحب . منشئ : موضعى الذى
نشأت فيه .

[ذكر مدينة فيد]

وفيد بلد مشهور ، في نصف المسافة التى بين مكة وبغداد ، وفيها عين ماء ،
وينزلها عمال طريق مكة وأهلها من طيء ، وهم في سفح جبلهم المعروف بسلى ،
وقد ذكرها زهير في قوله :

ثم استمرّوا وقالوا إن مشربكم ماء بشرق سلى فئيد أوركك^(١)

قال الزجاجي : سميت بنيد بن حام ، وهو أول من نزلها ، قال : ويقول
أهل العراق : هي من قولهم : فاد الرجل يفيد فئيداً إذا مات ، أو من قولهم : استناد
فائدة ، وقلما يقولون : أفاد نائدة ، والفئد أيضاً نور الزعفران . قال شيخنا ابن جبير^(٢)

(١) ديوانه ١٦٧ ، وركك : اسم ما يبيعه ، وفي ط : « ركل » تحريف .

(٢) ط : « جرير » ، تصحيف .

رضى الله عنه : إنه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضخوة يوم السبت الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحاج ، وصَبَّحُوا فَيَدًا يَوْمَ الأَحَدِ فِي اليَوْمِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ خُرُوجِهِمْ . ثُمَّ وَصَفَهَا قَتَالَ : هِيَ مِصْرٌ كَبِيرٌ ، مَنفَرَجٌ فِي بَسِيطٍ مِنَ الأَرْضِ ، يَمْتَدُّ حَوْلَهُ رَكْبُضٌ ، يَطِيفُ بِهِ سَوْرٌ عَتِيقٌ . وَهُوَ مَعْمُورٌ بِسُكَّانٍ مِنَ الأَعْرَابِ يَتَعَيْشُونَ ^(١) مِنَ الحِجَّاجِ فِي التَّجَارَاتِ وَالمَبَايَعَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَرَاقِقِ ، وَفِيهَا يَتْرُكُ الحِجَّاجُ بَعْضُ أَزْوَاجِهِمْ إِعْدَادًا لِلرِّمَالِ ^(٢) مِنَ الزَّادِ عِنْدَ انصِرَافِهِمْ يَتْرُكُونَهَا عِنْدَ مَعَارِنِهِمْ بِهَا ، فَإِذَا رَجَعُوا أَخَذُوا أَزْوَاجَهُمْ ، وَوَهَبُوا لِمَنْ أَوْدَعَهَا عِنْدَهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

وهي نصف الطريق من بغداد إلى مكة أو أقلّ يسيرًا ، ومنها إلى الكوفة اثنا عشر يوما في طريق سهلة . ودخلها أمير الحاج على تعبئة وأهبة إرهابا للمجتمعين بهامن الأعراب لثلاّ بداخهم الطمع في الحاج ، لكتهم لا يجدون إليهم سبيلا والحمد لله . والمياه كثيرة في آبارها ، تمدّها عيون تحت الأرض ، وامتلأت أيدي الحجاج التادمين من أغنام العرب بالمبايعة ، فلم يبق خيمة ولا ظلاله إلا وإلى جانبها كبش أو كبشان ، بحسب الوجد ، فعمّ جميع الحلة الغنم واللبن والسمن والعسل ، نأكلوا واحتملوا ، وكان ذلك اليوم عيداً للركب .

قال : وبهذه الحلة العراقية ، وما انضاف إليها من الخراسانية والموصليّة وسائر جهات الآفاق ينزل من صحبة أمير الحاج جمعٌ لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، يفصّ بهم البسيط الأفيح ، ويضيق بهم المهمة الضحح ، فترى الأرض تميد بهم مَيِّدًا ، وتموج بجمعهم موجًا ، فتصير بهم بحرًا طامحًا القباب ، ماؤه السراب ، وسفينه الركاب ، وشراعه الظلال المرفوعة والقباب ، ويسير سير السحاب ، متداخلا بعضها على بعض ، فتعاين تزاكما في البراح المنفسح يهولُ ويُرُوعُ ، واصطكا كما

(١) رحلة ابن جبير : « يتعشون » .

(٢) أرمل القوم : نقد زادم .

لمبيع التجارات فيه ، فبعضها ببعض متروك ؛ فمن لم يشاهد هذا السفر العراقي لم يشاهد عجباً يتحدث به ، ويتحف السامع بفرائبه ، والقدرة والقوة لله وحده . وحسبك أن النازل في منزل من هذه المحلة متى خرج لبعض حاجاته ، ولم يكن له دلالة على موضعه ضلّ وتاف ، وعاد منشوداً بحملة الضوال ، وربما اضطر به الحال إلى الوصول لضرب الأمير ورفع المسألة إليه ، فيأمر أحد النشدين بما أعدّ لذلك ، فيردفه خلفه على جبل ، ويطوف به المحلة منادياً باسم جماله وبلده ، إلى أن يؤديه إلى رفقته .

وعجائب هذه المحلة كثيرة ، ولأهلها من اليسار ما يفنيهم على ما هم بسبيله .^(١)

وما ذكرنا أمر هذه المحلة إلا لئلا يستدلّ على أن فيها بلداً في غاية القوة والعمارة ، حيث أمدّ هذا الجمع الكثير والجم الغنير بما تقدم من أنواع الأرزاق ، وإن قبائل طيء متوفرة بحيث تطلع إلى الغارة على مثل هذه المحلة . والملك لله وحده مني الجميع بعد كمال العدة .

قوله : «وردت» ، أي أتيت . المدرة : البلاد . عبس : قبيلة .

فَقُلْتُ لَهُ: زِدْنِي إِيْضَاً ، عَشْتِ وَنُعِشْتِ ، فَقَالَ: أَخْبَرْتَنِي أُمِّي بَرَّةٌ ، وَهِيَ كَأَسْمَاءَ بَرَّةَ ؛ أَنَّهَا نَكَحَتْ قَامَ الْغَارَةِ بِمَاوَانَ ، رَجُلًا مِنْ سَرَاةِ سُرُوحِ أَوْعَسَانَ ، فَلَمَّا آتَسَ مِنْهَا الْإِمْقَالَ - وَكَانَ بَاقِعَةً فِيهَا يُقَالُ - ظَعَنَ عَنْهَا سِرًّا ، وَهَلَمَّ جَرًّا ، فَمَا يُعْرَفُ: أَحَىُّ هُوَ فَيَتَوَقَّعُ ، أَمْ أُوْدِعَ اللَّحْدَ الْبَلْمَقَ .

قال أبو زيد : فَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ الْعَلَامَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي ، وَصَدَّقَنِي

(١) انظر رحلة ابن جبير ١٨٣ ، ١٨٤ .

عن التَّمْرِفِ إِلَيْهِ صَفَرُ يَدِي، فَفَصَلْتُ عَنْهُ بِكَبِدٍ مَرْضُوضَةٍ، وَدُمُوعٍ
مُفَضُّوَصَةٍ. قَهْلٌ سَمِعْتُمْ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ، بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا الْعُجَابِ!
فَقَلْنَا: لَا وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَقَالَ: أَثْبَتُوهَا فِي عِبَابِ
الْإِتْفَاقِ، وَخَلِّدُوهَا بِطُورِ الْأُورَاقِ، فَمَا سِيرٌ مِثْلَهَا فِي الْآفَاقِ -
فَأَحْضَرْنَا لِدَوَاةٍ وَأَسَاوِدَهَا، وَرَقَشْنَا الْحِكَايَةَ عَلَى مَا سَرَدَهَا.

إيضاحاً: بياناً. نُفِشت: جُبرت. وبرة الأول اسمها والثاني صفتها، يريد
أنها مكرمة كثيرة البر. نكحت: تزوجت. عام الفارة، أي عام أغار عليهم
عدوهم. ماوان: بلدة. سارة: سادة. آنس: أبصر. والإتقال: الأمتلاء
بالولد. باقعة: داهية، ويقال: إنه الذي جال بقاع الأرض وعرف خيرها
وشرها.

قال ابن الأنباري رحمه الله: فلان باقعة، أي داهية حذر محتمل حاذق، والباقعة
عند العرب: الطائر الحذر المحتمل الذي يشرب الماء من المباح (١)، ولا يرد
المشارع والمياه المحصورة خوفاً من أن يُحتمل عليه فيصطاد، ثم شبه به كل حذر
محتمل. هلم جرأ، معناه إلى الآن، قال ابن الأنباري: هلم جرأ، سيروا على
هينتكم، أي تثبتوا على سيركم، ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها، أخذ
من الجر في السوق، وهو أن تترك الغنم والبقر ترمي في السير، وينتصب «جرأ»
في قول الكوفيين على المصدر، لأن في «هلم» معنى «جر»، وفي قول البصريين:
هو مصدر في موضع الحال تقديره «هلم جارين» أي مستنبتين، قياساً على: جاء عبد الله
مشياً، وأقبل ركضاً، وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وركض.
وقال بعضهم: ينصب على التمييز. يتوقع: ينتظر. أودع: أدخل. اللحد التلقع:

(١) المباح: الأمكنة بستی منها الماء.

اللحد الخالي . صدقني : أمالتي . التعرف : أن يعرفه أنه أبوه . صفر يدي : فراغها من الدراهم . فصلت : زلت . مرضوضة : مدقوقة مكسورة . مفضوضة : مفترقة . أولى الألباب : أهل العقول . العُجاب : مبالغة في العجب .
 خلدوها ، أى أثبتوها . الآفاق : البلدان وجهات الأرض جميعها .
 أسودها : أقلامها . رقتنا : كتبنا . على ما سردها ، أى كما حكاها
 وتكلم بها .



ثم استبتنناه عن مُرتاه ، في استنضمام إفتاه ، فقال : إذا ثقل
 رُذني ، خفّ عليّ أن أكفلَ ابني ؛ فقلنا : إن كان يكفيك نِصابُ
 منَ المالِ ، أَلغناه لك في الحال ؛ فقال : وكيف لا يُقنِعني نِصابُ ،
 وهل يحقِّرُ قدره إلا مُصابُ !

قال الراوى : فالترم منه كلُّ منّا قسطاً ، وكتب له به قِطاً ،
 فسكرَ عند ذلك الصنّع ، واستنفد في الثناء الوُسع ، حتى إننا استطلنا
 القول ، واستقلنا الطول . ثم إنه نشرَ من وشي السمرِ ، ما أزرى
 بالحبرِ ، إلى أن أظلَّ التنويرُ ، وجشَرَ الصبحُ المُنيرُ ، فقَضيناها
 ليلةً غابت شوائبها ، إلى أن شابَت ذوائبها ، وكمَل سَعودها ،
 إلى أن انفطرَ عودها .



استَبَطَّنَاهُ : سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه . مُرْتَاهَ : رأيه وغرضه . رُدْتَنِي : كَتَمِي . أ كفل : أضمّ . نصاب : عشرون ديناراً . ألقناه : جمعناه . يتعنى : يكفيني . مصاب : مجنون . قوله : «قسطا» ، أى نصيباً . قِطًّا : كتاباً . الصنع : الفعل الجميل . استنفذ : استتمّ . الوسع : الطاقة ، ووُسِعَ الرجل قدر ما يجد من مال أو كلام أو غير ذلك ، وهو من السعة ، أى أثنى غاية ما يمكنه من الثناء . استطلنا : استكثرنا ووجدناه كثيراً طويلاً ، والطول : الإتمام والفضل ، أى رأينا ما أنعمنا به عليه قليلاً . والوشى : ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير . والحبر : ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة ، والحبر تصنع باليمن ، فشبّه حسن حديثه بالوشى ، وخصّ الحبر لحسن فنونه . وقال ابن الزقاق - وكأنه وصف الليلة والعجاب الذى سأمهم به أبو زيد ، وزاد عليه الشجاعة :

لله ليلتنا أتى استجدى بها فلق الصّباح لِسُدْفَةٍ الإِظْلَامِ^(١)
 طرأت علىّ مع النجوم بأنجم من فتيةٍ بيضِ الوجوه كِرَامِ
 إن حوربوا فزِعوا إلى بيضِ الظُّبَا أو خوطبوا فزِعُوا إلى الأَقْلَامِ
 فترى البلاغة إن نظرت إليهمُ والبأس بين يراعةٍ وحُسامِ

جسر : طلع . قضيناها : أتمناها . شوائبها : ما ينكدها ويكدرها .
 الذوائب : الشعر الطويل الأسود ، وأراد به ظلام الليل ، وجعل فيه بياض
 الصبح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر ، قال ابن دريد :

إِنَّمَا تَرَى رَأْيِي حَاكِي لَوْنُهُ طُرَّةَ صَبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدَّجَى^(٢)

(١) ديوانه ٢٩٨ .

(٢) من المقصورة ص ١١٧

انفطر : انشقّ وطلع . عودها : بياض صبحها ، ويقال : انفطر القضيب ،
إذا بدأ نبات ورقه ، وقال امرؤ القيس :

* كخرعوبة البانة المنفطر^(١) *

* * *

وَلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ الْغَزَالَةِ ، طَمَرَ طُمُورَ الْغَزَالَةِ ، وَقَالَ : انْهَضْ بِنَا
لِنَقْبِضِ الصَّلَاتِ ، وَنَسْتَنْضِ الْإِحَالَاتِ ، فَقَدِ اسْتَطَارَتْ صُدُوعُ
كَبِدِي ، مِنْ الْحَنِينِ إِلَى وِلْدِي . فَوَصَلْتُ جَنَاحَهُ ، حَتَّى سَدَّيْتُ
نَجَاحَهُ ؛ فَحِينَ أَحْرَزَ الْعَيْنَ فِي صُرَّتِهِ ، بَرَقَتْ أَسَارِيرُ مَسْرَتِهِ ،
وَقَالَ لِي : جُزَيْتَ خَيْرًا عَنْ خُطَا قَدَمَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيْفَتِي
عَلَيْكَ ! فَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ لِأَشَاهِدَ وَلَدَكَ النُّجِيبَ ،
وَأَنَا فَتْنَهُ لِكِي يَجِيبُ .

* * *

قرن الغزاة : شعاعها وحاجبها ، والغزاة من أسماء الشمس ، وأسمائها
كثيرة؛ ذكرها يعقوب وغيره ، وذكر منها عشرة خمسة بالهاء ، وهي : الغزاة ،
والجارية ، والجنونة ، ومهاة ، والإلاهة . وخمسة بغير الهاء وهي : الشمس ،
والسراج ، والضَّحَّ ، وذُكَاء ، وبوح^(٢) .

طمر : وثب . الغزاة : الظبية . انهض أي قم . الصَّلَات : العطايا . نستنض :
نستحضر . والنَّاض : المال الحاضر . والإحالات : الديون التي وعدوه بها .
استطارت : توسعت وانتشرت . صدوع : شقوق . والحنين : الشوق والرحمة .
وصلت جناحه ، أي مشيت معه ويدي في يده ، وجناح الرجل : يده . سدَّيت :

(١) ديوانه ٥٧ ، وصدرة :

* بَرَهْرَهَةٌ رُوْدَةٌ رَخْصَةٌ *

(٢) مبادئ اللغة العربية ٣ ، وذكر من أسمائها أيضا براح والشرق .

يسرت . نجاحه : قضاء حاجته . أحرز العين : حصل المال . وصرته : خرقة -
دراهمه . برقت : لعت . أسارير : طرق الوجه ، ومنه الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « نخرج تبرق أسارير وجهه » ، ويقال لها الأسرّة ؛ ويقال
لخطوط الكف : الأسرّة ، وقد جمعها التهامي في لفظ واحد في قوله :

بُدى أَمِرَّةَ وَجْهِهِ وَبِمِئِنِهِ فِي سَاعَةِ الإِيسَارِ وَالإِيسَارِ

مسرته : سروره ، أراد : انطلق وجهه سروراً بالللال . خطأ : مشى -
والنجيب : الجتيد العقل الكريم الأصل . قوله : « أنانته » ، أى أكله .

فَنظَرَ إِلَى نَظْرَةِ الخَادِعِ إِلَى المَخْدُوعِ وَضَحِكَ حَتَّى تَفْرَغَتْ
مُقَدَّاهُ بِالدُّمُوعِ ، وَأَنشَدَ :

يَا مَنْ تَظَنَّى السَّرَابَ مَاءً لَمَّا رَوَيْتُ الَّذِي رَوَيْتُ
مَا خِلْتُ أَنْ يَسْتَسِرَّ مَكْرِي وَأَنْ يُخِيلَ الَّذِي عَنَيْتُ
وَاللَّهِ مَا بَرَّةٌ بِعُرْبِي وَلَا لِي ابْنٌ بِهِ اكْتَنَيْتُ
وَإِنَّمَا لِي فَنُونٌ سِحْرٍ أَبَدَعْتُ فِيهَا وَمَا اقْتَدَيْتُ
لَمْ يَخْكِبْهَا الأَضْمِي فَيَا حَكِي ، وَلَا حَاكِبَا الكَمَيْتُ
تَخَذْتُهَا وَضَلَّةً إِلَى مَا تَجْنِيهِ كَفَى مَتَى اشْتَهَيْتُ
وَلَوْ تَعَايَيْتُهَا لَحَالَتْ حَالِي ، وَلَمْ أَحْوِ مَاحَوَيْتُ

فَمَهْدِ الْمُنْذَرِ أَوْ فَسَامِحِ إِنْ كُنْتَ أَجْرَمْتَ أَوْ جَنَيْتَ
ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَنِي وَمَضَى ، وَأَوْدَعَ قَلْبِي جَمْرَ الْغَضَى .

تفرغرت : امتلأت . تظنى : حسب . حلت : حسبت . يستسر : يخفي .
مكرى : خداعى . يُخِيل : يلبس ويشبهه . عُرِى : زوجتى . فنون : أنواع .
أبدعت فيها : أحدثتها ولم أقتد بغيرى فيها . يحكها : يحدث بها . حاكها :
نسجها وقال مثابها . الأصمى : مذكور فى المقامة الأربعين .

[ذكر الكميت وبعض أخباره وشعره]

وأما الكميت الشاعر ، فهو ابن زيد الأسدى ، وهو شاعر مجيد مكثر
جداً ، وديوان شعره مستعمل مشهور ؛ ولما قال قصائده الهاشميات قصداً البصرة ،
فأتى الفرزدق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، فقال : ومن أنت ؟ فانتسب له ،
قال : صدقت ، وما حاجتك ؟ قال : أنت شيخ مضر وشاعرها ، وأحببت أن
أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك
أمرتني بستره ، قال : يا ابن أخى ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، فقل راشداً ،
فأنشده :

طربتُ وماشوقاً إلى البيضِ أطربُ ولاعباً مِنِّي وذو الشَّيبِ يلعبُ !

قال : بلى ، فالعب ، فأنشده :

ولم يُلَهِنِي دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ولم يطرَبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ

قال : ما يطرَبُ بك إذا ؟ فقال :

• لا أنا تمن يزجرُ الطيرُ همهُ أصاحُ غرابٍ أم تعرَضُ نعلُ

قال : أنت تَمَنُّ؟ ويحك ! وإلى من تسمو؟ قال :
ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيَّةً أمرَ صحيحِ القرنِ أمَ مَرَّ أعْضَبُ
قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، قال :

ولكنْ إلى أهلِ الفضائلِ والنهْيِ وخيرِ بني حواءِ والخيرِ يُطلبُ
قال : فَمَنْ هم ويحك ! فقال :

إلى النَّفَرِ البيضِ الذينَ محبِّبهمُ إلى الله فيما نابني أتقرَّبُ

فقال : أرِحني ويحك ! مَنْ هؤلاء ؟ فقال :

بني هاشمٍ رهطِ النَّبِيِّ نِإِنِّي ولهمُ أرضى مراراً وأعْضَبُ

فقال : لله درك يا بُنَيَّ ! فقد أصبتَ وأحسنتَ ، إذ عدلتَ عن الزَّعَافِ
والأوباشِ ، إذ لا يُصردُ ^(١) سهُمُك ، ولا يثلبُ قولك . ثم مَرَّ فيها ، فقال : أظهر
وأشهر ، فانت أشعر من مضى ، وأشعر من بقي ^(٢) .

فحينئذ قدم المدينة ، فأتى عبد الله بن الحسين ، فأنشده ، فقال : يا أبا المستهل ،
إن لي ضيعةً أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها ، وقد أشهدت لك بها
شهوداً ، فقال : بأبي أنت وأمي ! كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ،
ولا والله ما قلتُ فيكم شيئاً إلا لله ، وما كنت لأخذ في شيء جعلته لله ثمناً .
فلما أبى عليه أخذ مئزره ، فدفعه إلى أربعة غلمان ، فجعل يدور به دور بني هاشم ،
ويقول : هذا الكميت ، قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ،
وعرَّض دمه لبني أمية ، فأثيبوه بما قدرتم . فاجتمع له من حلى النساء ومن الدنانير
والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم ، فجاء بها إلى الكميت ، وقال : يا أبا المستهل

(١) أمرد السهم : أخطأ . (٢) انظر الاغانى ١٥ : ١٢٠ ، ١٢١ .

أتيناك بجهد المقلّ، ونحن في دولة عدوّنا ، فاستعن بهذا على دهرك ، فقال :
 بأبي أنت وأمي ، قد أكثرتم وأظنتم ، وما أردت بمدحى إياكم إلا الله ،
 فاردده إلى أهله . فجهد به بكل حيلة ، فأبى ، فقال : أما إذا أبيت أن تقبل ، فإن
 رأيت أن تقول شعراً تغضب به بين النزاريّة واليمينيّة لعل فتنةً تحدث ، فنخرج
 بين أضغانها ، فقال قصيدته التي أولها :

ألا حُيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا وهل بَأْسُ بقولِ مسأَمِينَا! (١)

فعرّض فيها ، وصاح باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم؛ مثل قوله :

لنا قمر السماء وكلّ نجمٍ تُشير إليه أيدي المهتدينا (٢)
 وماضرت هجان بنى نزارٍ هو أُنحُ من فحول الأعمجينا
 وما حملوا الحمير على عناقٍ مضرةً فيلّفوا مُنلفينا

ومشت في العرب ، فافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار ، وثارَت
 العصبية في البادية والحاضرة ، وتحزّب الناس ، فتعصّب مروان بن محمد لقومه من
 نزار على اليمن ، فانحرفت عنه إلى الدعوة العباسية وكان الكميّ سبب ذلك .
 وكان لامتداحه بنى هاشم وتعريضه ببني أمية ، يطابه خلفاء بني أمية ،
 فهرب منهم عشرين سنة ، جدّ هشام بن عبد الملك في طلبه ولم يجده ، ولم يستقرّ
 للكميّ قرار من خوفه . وكان لسلمة بن عبد الملك حاجة عند هشام يقضيها
 له ، لا يردّه فيها ، ففرج مسأمة لبعض صيوده ، فأتاه الناس يسألون عليه ، وأتاه
 الكميّ - ومسأمة لا يعرفه - فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

قِفْ بالديارِ وقوف زائرٍ وتأيِّ إنك غير صاغرٍ (٣)

(١) ورد الشطر الثاني محرماً في الأصول للصواب ما أثبتته مر الفاجر ٣

(٢) والحزانة ١ : ٨٦ .

(٣) ط : « وتأن » ، وصوابه من اللسان - أبي

حتى انتهى إلى قوله :

يامسلم بن أبي الوليد —————
 عَظَمْتَ حِبَالِي مِنْ حَبَا —————
 فَالآن صرتُ إلى أميِّ —————
 والآن كنتُ به الصيدُ —————
 سدِ لَيْتِ إِنْ شئتَ نَاشِرُ
 لِكَ ذمَّةِ الجَارِ المَجَاوِزِ
 نةِ والأُمُورِ لَهَا مَصَايِرِ
 ب كَهتَدِ بِالأَمْسِ جَاوِزِ

فقال مسلمة: سبحان الله! من هذا الذي أقبل من أخريات الناس^(١) ثم بدأنا بالسلام، ثم قال: أما بعد ثم الشعر؟ قيل: الكميت، فأعجب بفصاحته، فسأله عما كان فيه من طول غيبته، فذكر له سخط هشام عليه، فضمن له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام، وهشام لا يعرفه، فقال الكميت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال هشام: نعم الحمد لله، من هذا؟ قال الكميت: مبتدئ الحمد ومبتدعه، الذي خصّ بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنته. أحمدَه حمد من علم يقيناً، وأبصر مستبيناً، وأشهد بما شهد به لنفسه، قائماً بالقسط وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده العربي ورسوله النبي الأُمِّي، الذي أرسله والناس في هَبَوَاتٍ^(٢) حيرة ومُدْهَمَاتٍ ظلمة، عند استمرار أئمة الضلالة. فبلغ عن الله ما أمر به، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم. ثم إنني يا أمير المؤمنين تهت في حيرة، وحزت في سكرة، وأهاب بي داعيها، فأجابها غاويها، فاقطوطيت^(٣) في الضلالة حائداً عن الحق، قائلاً بغير الصدق، فهذا مقام المائذ بك، ومنطلق النائب، ومبصر الهدى بعد طول العمى. يا أمير المؤمنين، كم من عائرٍ أفلتمُ عثرته، ومجتزم عفوتهم عن جرمه! فقال هشام - وقد علم أنه الكميت: من سن^(٤) لك هذه الغواية، وأهاب بك

(١) في اللقد: «من هذا الهندي الجلحاب، الذي أقبل...»، والهندي: الرجل من الهند والجلحاب: الشيخ الكبير.

(٢) الهبوات: الغبرات.

(٣) اقطوطى: قارب في مشيه إسرائها.

(٤) ب: «من أين».

في العماية؟ قال: الذي أخرج آدم من الجنة فنسى ولم يجد له عزماً، وأنت يا أمير المؤمنين، أضاء الله بك الظلمة الداخلة بعد العموس فيها قبصرت، وحقن بك دماء قوم أشرب خوفك قلوبهم؛ فهم يبكون لما يعلمون من حزمك وعزمك وبصيرتك، وعز بأسك. وثبات جأشك. وأنت مستغن برأيك عن رأى ذوى الألباب؛ برأى أريب، وحلم مصيب. فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء، وأتم عليه النعماء، ودفع به الأعداء.

فرضى عنه وأمر له بمال كثير^(١).
فهذه منزلة الكمية من الشعر والخطابة خلافاً لمن يقول: القافية جلبته في المقامات؛ وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه.

* * *

قوله: «حاكها»، أى نسجها. يريد أن الكمية بمن يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه، فلذلك قال: «حاكها». وسأل بعض الخلفاء جريراً عن النابغة وزهير، فقال: ينيّران الشعر ويُسديّانه، والعلماء بالشعر يسمون صنّاع الشعر عبيد الشعر، مثل زهير وابنه كعب والحطيئة وعدى بن الرقاع والكميت.

قوله: «تخذتها»، أى اتخذتها، يقال: اتخذ يتخذ بمنزلة اتخذ يتخذ، وخُفّف عنه، حذفوا ألف الوصل من اتخذ، والتاء الأولى الساكنة، التى هى فاء الفعل، فبقى اتخذ، ومثله تقي يتقى واتقى يتقى، حذف ألفه وتاؤه الأولى، وليس يطرّد هذا التخفيف، وإنما جاء فى اتخذ واتقى واتجه واتسع، فقالوا: تقي وتخذ وتجه وتسع وصلة أى موصلة. تعافيتها: تكارها، وهى تفاعلت من عفت الشيء أعافه عيافاً، أى كرهته. حالت: تغيرت. أحو: أجمع. مهّد: أقبل وسهّل. أجمرت: أذنبت لنفسى، جنيت: أذنبت لغيرى، أراد: إن كان عذرى يديناً فأقبله، وإن كنت ظالماً فتجاوز واسمح. أودع: ضمن وجعل فيه. الغضى: شجر جره يثبت فى النار.

(١) العقد ٧: ١٨٣ - ١٨٥، مع تصرف وحذف

المِفَاهِمُ السَّادِسَةُ وَهِيَ الْمِرَاعِيَّةُ

وتعرف بالخيفاء

روى الحارثُ بن همامٍ قال : حَضَرْتُ دِيْوَانَ النَّظْرِ بِالْمِرَاعَةِ ،
وَقَدْ جَرَى بِهِ ذِكْرُ الْبَلَاغَةِ ؛ فَأَجْمَعَ مَنْ حَضَرَ مِنْ فُرْسَانَ الْبِرَاعَةِ ،
وَأَرَبَابِ الْبِرَاعَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ يُنْقَحُ الْإِنْشَاءَ ، وَتَصَرَّفُ
فِيهِ كَيْفَ شَاءَ ، وَلَا خَلْفَ ، بَعْدَ السَّلْفِ ، مَنْ يَبْتَدِعُ طَرِيقَةَ غَرَاءَ ،
أَوْ يَفْتَرِعُ رِسَالَةَ عَذْرَاءَ ، وَأَنَّ الْمُفْلِقَ مِنْ كُتَّابِ هَذَا الْأَوَانِ ،
الْمَتَمَكِّنُ مِنْ أَرْمِهِ الْبَيَانَ ، كَالْعِيَالِ عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَلَوْ مَلَكَ فَصَاحَةَ
سَحْبَانَ وَائِلَ .

ديوان النظر ، أى مجلس المناظرة . المِراغة : بـلـدة من
كُور أذربيجان . البراعة : القلم قبل أن يبرى ويسوى ، فإذا بُرِيَ وَسُوِيَ قِيلَ
له قلم ، وبقى عليه الاسم الأول وهو البراعة ، والبراع : القصب . أرباب البراعة :
أصحاب أصالة الرأى . والبارع : الأصيل الجيد الرأى ، ويقال : برع يبرع بروعاً
وبراعة ، إذا فاق فى السؤدد . وينقح : يحسن ويخلص . الإنشاء . الكتابة . خلف :
بقي . السلف : المتقدمون ، وسلفوا : ذهبوا وتقدموا . يبتدع : يحدث . طريقة : حالة
موصوفة ، وطريقة فلان كذا ، أى حالته التى هو عليها . غراء : واضحة مشهورة .
لم يقل أحد مثلها . وغرّة الشيء : أوله . يفترع : يفتض . عذراء : بكر . سُميت
عذراء لصعوبة جماعها ، وتمذّر الشيء : تصعب ، وافتراع البكر : إدامؤها وإزالة
ما تصعب منها ، وكلّ ما أدميته فقد فرعته وافترعته ، فمعنى يفترع رسالة عذراء

أى يأتى برسالة قد تصعب طريقها على غيره ، فاقدر هو على سلوك طريقها
والإتيان بها . المفلق : النصيح المعرب الذى يأتى بالفلق ؛ وهو الشيء العجيب .
الأوان : الوقت . العيال : مَنْ يَتَّكِلُ فى مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه ، وعال
الرجل عيلة إذا افتقر ، وعُلتُه عولاً : قمت بمؤنته ، فيريد أن كُتِّبَ هذا الزمان
عيال على من تقدّمهم حيث افتقروا إلى الأخذ من كلامهم .
وقد وعدنا أن نذكر سبحانه فيما يأتى إن شاء الله تعالى .

* * *

وكان بالجلس كهلٌ جالسٌ فى الحاشية ، عند مواقف الحاشية ،
فكان كلما شطّ القوم فى شوطهم ، ونَثَرُوا العجوةَ والنَّجوةَ من نَوَاطِئِهِمْ ،
يَنْبِيءٌ نَخَازِرُ طَرَفِهِ ، وَتَشَامِخُ أَنْفِهِ ، أَنَّهُ مُخَرَّبِقٌ لِيَنْبَاعٍ ، وَمُجَرَّمٌ
سَيِّمَةٌ الْبَاعِ ، وَنَابِضٌ يَبْرِى النَّبَالَ ، وَرَابِضٌ يَبْنِى النَّضَالَ . فَلَمَّا
نُثِلَتِ الكِنَانِىنُ ، وَفَاءَتِ السَّكَاىِنُ ، وَرَكَدَتِ الزَّعَازِعُ ، وَكَفَّ
الْمَنَازِعُ ، وَسَكَنَتِ الزَّمَاجرُ ، وَسَكَّتِ الْمَرْجُورُ وَالزَّاجِرُ ، أَقْبَلَ
عَلَى الْجَمَاعَةِ ، وَقَالَ :

* * *

الكهل : التام الخلق ، بين الشاب والشيخ . الحاشية : طرف المجلس .
والحاشية الثانى . الأتباع وخدمة القوم ، وأصلها رُذَالُ المَالِ وصغاره ، قال
يعقوب : الحاشية والحواشى والحشو : صغار الإبل ، وأنشد :

* جَلَّتْهَا وَالْأَخْرَ الحَوَاشِيَا *

لَ : جَرَى . شَوَطَهُمْ : طَلَّقَهُمْ . نَثَرُوا : أَلْقَوْا عَلَيْهَا . العجوة : التمرة
(١٥ - شرح مقامات الحريرى ١)

الطبية . والنجوة : الرديئة ، هكذا كان ينسرها شيخنا أبو بكر بن أزر عن ابن جهور ، وما وجدت في كتاب لفة أن النجوة اسم للتمر الرديئة ، وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث في كل كتاب فيه ذكر النخل والتمر ، فأخبرني أنه ما وجد لها ذكراً ، وأظنها لفة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء ، لا أنها لفة عربية ، فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده ، لأن البصرة أكثر بلاد الله نخلاً ، فيسمون كل نوع من التمر باسم ، والتمر تكثر أنواعه عندهم . ورأيت أكثر أهل سجلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ، ورأيت بها نوعاً من التمر زعموا أنه لا يطيب أبداً ، وإنما حاله أن ينكش على نواه ، فلا تجد إلا جلدًا يابساً على النواة ، فيعلقونه المِعز ، فيحتمل أن يكون مثل هذا في نخل البصرة يسمى نجوة ، ويقابل بالمجوة التي هي أشرف التمر وأطيبه . وأما من فسر النجوة هنا بالمرتفع من الأرض ، فلا معنى له . الفنجديهي : النجوة ، قيل : لأنها لفاظة التمر إذا سقطت لا يبالي بها ، فإن صحّت روايتها فكانها سميت بالنجوة التي هي العذرة . نوطهم : وعاء تمرهم ، قال أبو حنيفة : النوطة : الجلة الصغيرة من جلال التمر ، والجلة : الوعاء الذي يكتفيه التمر ، وكل وعاء له علاقة فهو نوطة ، والجمع نوط ، وقد ناظه بنوطه ، إذا علته ، فأراد : ألقوا الكلمة الجيدة والرديئة من كلامهم . ينبيء : يخبر . تخازر طرفه : كسر عينيه بالنظر ، وتخازر : نظر بمؤخر عينيه ، وهو نظر المنكر للشيء . تشامخ : ارتفاع ، وهو فعل المستحقر للشيء . مخربق : متهيئ . لينباع : لينهض ، وفسره أبو عبيد في الأمثال . فقال : المخربق : المطرق الساكت ، لينباع . ليثب إذا أصاب فرصة ، قال : ومعناه أنه سكت لداهية يريد بها ، وقيل : المخربق : الساكت على السوء . لينباع : ليظهر الذي في ظنه من الشر . مجرمز : منقبض ، وهو كقول النابغة :

وقلت يا قوم إن الليث منقبضٌ
على برائنه للوثبة الضاري^(١)

(١) ديوانه ٤٢ والضاري من وصف الليث ، وروى : « لوثبة الضاري » .

فأخذه ابن الرومي فقال :

سَكَنَ سَكُونًا كَانَ رَهْنًا بُوْثِيَةً غِمَّاسَ كَذَاكَ اللَّيْثِ لِلْوَيْثِ بَلِيدٌ^(١)

نابض : رام ، ويقال : أنبض القوس ، إذا جذب وترها ثم أطلقه ليختبر شدتها . ونبض العرق : تحرك ، فيكون : « نابض » على النسب ، أو على حذف الزائد . الننجديهى : أورد أبو الحسين بن فارس اللغوى في كتابه المجمل أن نبض لغة في أنبض ، وهما بمعنى واحد ، قال الشاعر :

ذَابَ أَبَاهَا مَقْسِمٌ بِيَمِينِهِ لَئِن نَبَضْتُ كَتَيْ فَاِنِّي لِنَابِضٌ

فصح بهذا قوله . رابض : لاطىء بالأرض ، وربضت الشاة : اضطجعت . يعنى التضال ، أى يطلب المرأمة ، وأراد أنه يريد أن يلقي عليهم المسائل ليجاذبوه . قوله : « نُثِلْتُ » ، أى نفضت وصب ما فيها . الكنائن : الجعاب ، وهى أوعية السهام . فاعت : رجعت . السكان : جمع سكينه ، وهى الوقار ، يريد : أتم أهل المجلس كلامهم فسكتوا . ركدت : سكنت . الزعازع : الرياح الشديدة المنزللة ، واحدها زعزع . كف المنازع : أمسك المخالف ، يريد انقطع كلامه .

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ، وَجُرْتُمْ عَنِ الْقَمْدِ جِدًّا ، وَعَظْمَتُمْ
الْعِظَامَ الرُّفَاتَ ، وَافْتَتَّمْ فِي الْمَيْلِ إِلَى مَنْ فَاتَ ، وَعَمَصْتُمْ
جَيْلَكُمْ الَّذِينَ فِيهِمْ لَكُمْ اللَّدَاتُ ، وَمَعَهُمْ انْعَقَدَتِ الْمَوَدَاتُ .
أَنْسَيْتُمْ يَاجِبَاهِ إِذَةَ النَّقْدِ ، وَهَوَّابِدَةَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ ، مَا أَبْرَزْتَهُ

(١) بليد ، أى يجثم على الأرض .

طَوَارِفُ الْقَرَائِحِ ، وَبَرَزَ فِيهِ الْجَذَعُ عَلَى الْقَارِحِ ، مِنْ الْعِبَارَاتِ
 الْمَهْدَبَةِ ، وَالِاسْتِعَارَاتِ الْمُسْتَعْدَبَةِ ، وَالرَّمَايِلِ الْمَوْشَحَةِ ، وَالْأَسَاجِيعِ
 الْمُسْتَمْلَحَةِ ! وَهَلْ لِلْقُدَمَاءِ إِذَا أَنْعَمَ النَّظَرُ ، مَنْ حَضَرَ ، غَيْرُ الْمَعَانِي
 الْمَطْرُوقَةِ الْمَوَارِدِ ، الْمَعْقُولَةِ الشَّوَارِدِ ، الْمَأْتُورَةِ عَنْهُمْ لِتَقَادُمِ
 الْمَوَالِدِ ، لِاتِّقَادِمِ الصَّادِرِ عَلَى الْوَارِدِ ! وَإِنِّي لِأَعْرِفُ الْآنَ مِنْ إِذَا
 أَنْشَأَ ، وَشَى ، وَإِذَا عَجَبَ ، حَبَّرَ ، وَإِنْ أَسْهَبَ ، أَذْهَبَ ، وَإِذَا أَوْجَزَ ،
 أَعْجَزَ ، وَإِنْ بَدَّهَ ، شَدَّهَ ، وَمَتَى اخْتَرَعَ ، خَرَعَ .

* * *

إِذَا : أَمْرًا فَظِيحًا مَنكَرًا . جُرْتَمَ عَنِ الْقَصْدِ : خَرَجْتُمْ عَنِ الْاسْتِقَامَةِ . جَدًّا :
 كَثِيرًا . الرِّفَاتُ : الْبَالِيَةُ . انْتَمَّ : فَعَلْتُمْ مَا لَا يَجِبُ وَتَجَاوَزْتُمْ فِيهِ ، وَيُقَالُ : انْتَمَتِ
 الرَّجُلُ « افْتَعَلَ » مِنَ الْفَوَاتِ ، وَفَاتٌ : ذَهَبَ وَعَدِمَ . غَمَصْتُمْ : حَقَرْتُمْ وَغَطَيْتُمْ .
 جَيْلَكُمْ : أَهْلُ عَصْرِكُمْ . اللَّدَاتُ : جَمْعُ لِدَّةٍ ، وَهُوَ الَّذِي وَلَدَ مَعَكَ . جِهَابُذَةٌ :
 حَدَاقٌ ؛ الْوَاحِدُ جِهَيْذٌ . النُّقْدُ : مَعْرِفَةُ الْكَلَامِ ، نَقْدُهُ : مَيَّزَهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ مَيَّزَ الدَّرَاهِمَ
 الْجَيِّدَةَ مِنَ الرَّدِيئَةِ . مَوَابِذَةٌ : حِكَاةٌ ، وَالْمَوْبِذُ : الْكَثِيرُ الْجَاهُ مِنَ الْفُرْسِ ، مِثْلُ
 الْوَزِيرِ وَالْقَائِدِ . أَبْرَزْتَهُ : أَظْهَرْتَهُ . طَوَارِفٌ ، جَدِيدَاتٌ وَغَرِيبَاتٌ . الْقَرَائِحُ :
 الْأَذْهَانُ . بَرَزَ : غَلَبَ . الْجَذَعُ مِنْ الْخَيْلِ ابْنُ سَنْتَيْنِ . الْقَارِحُ : ابْنُ خَمْسٍ ،
 أَيْ غَلَبَ فِيهِ الْحَدِيثُ الْعَصْرَ الْقَدِيمَ . عِبَارَاتٌ : جَمْعُ عِبَارَةٍ وَهِيَ التَّفْسِيرُ ،
 وَعَبَّرْتُ عَنْ فُلَانٍ : تَكَلَّمْتُ عَنْهُ وَكُنْتُ لِسَانَهُ . الْمَهْدَبَةُ : الْخُلَاصَةُ مِنَ الْعَمِيهِ .
 الْاسْتِعَارَةُ : أَنْ تَعْبِرَ بِالْفِظِّ مَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ ، وَهِيَ مِنَ الْعَارِيَةِ . الْمَوْشَحَةُ : الْمَزِينَةُ .
 الْأَسَاجِيعُ : جَمْعُ أُسْجُوعَةٍ ، وَهِيَ الْكَلَامُ الْمَرْبُوطُ بِقَافِيَةٍ . أَنْعَمَ : بِالْفِعْلِ الْمَطْرُوقَةِ :

التي نزل عليها . المعقولة : المربوطة . الشوارد : الفارّة ، يقول : ليس للقدما . إلا المعاني التي قصدها المتأخرون ، كما قصدها المتقدمون ، وقيدتها المتأخرون بالكتاب كما قيدتها المتقدمون ، فكان تقييدها سبباً لأن مشيت في الأقطار فعرفت وحفظت . الماثورة : المحدث بها . الصادر : الخارج عن الماء ، والوارد : الداخل إليه ، وذكر هنا أن الصادر يتقدم الوارد ، وذلك أنا إذا فرضنا موضع ماء لا يمكن وروده إلا واحداً بعد واحد ، فالصادر يسبق الوارد على ما ذكره في المقامة . قال الحريري في درة الغواص : إن^(١) الخواص يقولون : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد ، ووجه الكلام أن يقال : الوارد والصادر ، لأنه مأخوذ من الوِرْد والصدر ، ولما كان الوِرْد يقدم الصدر ، وجب أن يقدم لفظ «الوارد» على الصادر ، وهذا كما ترى ، الوارد يقدم الصدر في حق واحد ، يقال : وِرِد الماء ثم صدر عنه ، وأما في حق اثنين كما قدمنا وكما ذكر هو في هذه المقامة ، فالصادر يتقدم الوارد . وقول الناس : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد في حق اثنين ، فهم فيه على صواب ، ومحال أن يكون المثل في حق واحد ، لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه ، لأن الواو لا تعطى رتبة ، يقول : لا نتحدث بكامهم ونظمهم ونثرهم لفضلهم علينا ، لكن لسبقهم لنا . أنشأ : كتب . وشى : زين ورقم . عبر : تكلم أو فسر . حبر : حسن . أوجز : اختصر . أعجز ، أي عجز عن فعله غيره . أسهب : أطال الكلام . أذهب : جاء بالذهب ، وأصل أسهب ، حفر بئراً بعيدة القعر ، وأذهب : صادف معدن الذهب في حفير . بدّه : ارتجل ولم يتفكر . شدّه : حبر من يتعاطى منزلته . اخترع : قال ما لم يسبق إليه . خرع : شقق المعاني .

* * *

فَقَالَ لَهُ نَاطُورَةُ الدِّيوانِ ، وَعَيْنُ أَوْلِيكَ الْأَعْيَانِ : مَنْ
خَارِعُ هَذِي الصِّفَاةِ ، وَقَرِيعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ قِرْنُ

(١) درة الغواص ص ٧١ .

تَجَالِكَ ، وَقَرَيْنُ جِدَالِكَ ؛ وَإِذَا سِتَّ ذَاكَ فَرَضٌ نَجِيًّا ، وَادْعُ
مُجِيًّا ، اِتْرَى عَجِيًّا . قَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّ الْبُنَاتَ بِأَرْضِنَا
لَا يَسْتَنْسِرُ ، وَالْتَّمِيْزَ بَيْنَ الْفِضَّةِ وَالْقِضَّةِ مُتَبَسِّرٌ ، وَقَلَّ مَنْ
اسْتَهْدَفَ لِلنُّضَالِ ، فَخَلَصَ مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ ، أَوْ اسْتَشَارَ نَقَعَ
الْإِمْتِحَانَ ، فَلَمْ يَقْدَ بِالْإِمْتِهَانِ ، فَلَا تُعْرَضُ عِرْضُكَ لِلْمَفَاضِحِ ،
وَلَا تُعْرَضُ بِنِ نِصَاحَةِ النَّاصِحِ . قَالَ : كُلُّ أَمْرِيءٍ أَعْرَفُ
بِوَسْمِ قِدْحِهِ ، وَمَمِيْتَفَرَى اللَّيْلِ عَنْ صُبْحِهِ . فَتَنَاجَتْ الْجَمَاعَةُ
فِيمَا يُسَبِّرُ بِهِ قَلْبِيهِ ، وَيُعَمِّدُ فِيهِ تَقْلِيْبِيهِ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
ذُرُوهُ فِي حِصَّتِي ؛ لِأَرْمِيَهُ بِحَجَرِ قِصَّتِي ، فَإِنَّهَا عُضْلَةُ الْمُقَدِّ ،
وَمَحَكُ الْمُنْتَقَدِ . فَقَلَّدُوهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الزَّعَامَةَ ، تَقْلِيدَ الْخَوَارِجِ
أَبَا نَعَامَةَ .

قوله: «ناظورة»، أي كبير التوم ومقدمهم الذي ينظرون إليه. الديوان: دار الكتاب وموضع اجتماعهم. والديوان، الزمام يكون فيه أسماء الجند وأرزاقهم، وأصله «ديوان»، فقلبت واوّه الأولى ياء لانكسار ما قبلها، وودل عليه دواوين في جمعه، وهو اسم أعجمي عرب، والأصل في تسميته أن كسرى أمر الكتاب أن يجتمعوا له في دار، ويعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام، وأعجلهم فيه، فأخذوا في ذلك، وأطلع عليهم لينظر ما يضمنون؛ فنظر إليهم يحسبون بأسرع ما يمكن، وينسخون كذلك، فعجب من كثرة حركاتهم، فقال: أرى «ديوان» ومعناه شياطين، ثم سمي موضعهم ديواناً، ثم استعملته العرب، وجعل كل محصل

من كلام أو شعر ديواناً^(١). قارع: ضارب وكاسر. الصفاة: الصخرة للساء، استعارها للضعف من الكلام. قريع: سيد. الصفات: النعوت التي تقدم أنه يُعرف بفعلها. وقرن مجالك: صاحب كلامك الذي تجول فيه — يعني نفسه. قرين جدالك: صاحب مجادلتك، والقرن بالكسر: الذي يماثلك في شدة أو خصام أو علم، وإن لم يكن بينكما معرفة، وقرينك: صاحبك الذي لا يفارقك كأنه قرين معك. والمجال: الموضع الذي تراض فيه الخيل. رُض: سسن ولين. النجيب: الفحل الكريم من الإبل، وعنى نفسه. ادع مجيباً، يقول: سسني ثم ادعني أستجب لك. ترى هجيباً، في حسن جوابي. البغاث: صفار الطير. يستنسر: يصير نسرأ، يقول: نحن أهل علم ومعارف، فلا تجوز علينا الخاوف، والعرب تقول في أمثالها: «إن البغاث في أرضنا يستنسر»، أي يرجع الضعيف قويا أمرنا وحمايتنا له ممن يريده، وقيل في البغاث: إنه ذكر الرخم، وقيل: البغاث كل ما يصاد من الطير، والجوارح: كل ما يصيد، والرهام: ما لا يصيد ولا يصاد، كالخطاف وغيره. القضة: الحصى البيض الصغار، ويقال: جاء بالقض والقضيض بالقاف والضاد، ومعناه جاء بالكبير والصغير. و القضيض: صفار الحصى وما تكسرت منه، وقالوا: جاءوا قضيضهم بقضيضهم. أي كلهم. استهدف: صار هدفاً، وهو الغرض للسهم، النضال: المراباة. العضال: الذي لا يُبرأ منه. استثار: حرك نفع غبار. الامتحان: الاختبار. يقد: يقع في عينه القذى، وهو ما يسقط في العين، ويقول: من صار غرضاً للألسنة قل أن يسلم، ومن صار طالباً لمناظرة أهل المعارف أهين وأخف. المفاضح: الخبزيات واشتهار العيوب. وسم: علامة. قدحه: سهمه، يريد قداح الميسر، وكان كل رجل يعمل في قدحه علامة يعرف بها، قال دريد بن الصمة:

وأصفر من قداح النبع فرع به علمان من عقب وضرس^(٢)

(١) المرع للجوابلي ١٥٤، وفي عماء الغليل ٩٤ عن المرزوقي في شرح الفصح، قال: هو عربي، من دونت الكلمة إذا ضبطتها.
(٢) اللسان - ضرس

الضرس : العَضُّ بالضرس ، وسنذكر في الثالثة والأربعين قِداح العرب :
 سينفترى : سينتكشف . قوله : « تناجت » ، أى تحدثت سرّاً . يُسَبَّر : يقاس .
 قَلْبِيهِ : بئره . يَعْمَدُ : يَقْصِدُ . تَقْلِيْبُهُ : تجريبه . ذُرُوهُ : أتركوه . حِصْتِي : نصيبي .
 قِصْتِي : خبري ، وجعل لمسأله حجراً يرميه به مجازاً . عَضْلَةٌ : صعبة . العَقْدُ :
 جمع عقدة ، يريد أن عقدها صعب الحلّ . محك المنتقد : وهو حجر يقاس به جيد
 الفضة والذهب من الرديء ؛ أراد أن مسأله نهاية في الصعوبة ، والعَضْلَةُ : كل
 مسألة شديدة لا يُهْتَدَى لثَلْثِهَا ، ولا يوقف على جوابها ، من قولهم : داء عضال
 ومعضل ، إذا كان شديداً لا يُهْتَدَى لدوائه ، ولا يوقف على علاجه ، وعضات
 المرأة تعضيلاً ، نشب ولدها في بطنها ، وعضت الدجاجة بيضها كذلك ، وفلان
 عَضْلَةٌ من العضل ، أى داهية لا يُهْتَدَى لمكره . قوله : « الزعامة » ، أى
 الرياسة .

[ذكر قَطْرِيّ بن الفجاءة]

وأبونعامه هو قَطْرِيّ بن الفجاءة التميمي الخارجيّ . وكان له فرس يكنى
 بها في الحرب ، ويكنى في السلم أبا محمد . وقَطْرِيّ : منسوب إلى قَطَر ، موضع
 قريب من عُقَيْر .

وكان فارساً شجاعاً شاعراً مجيداً ، وكان رئيس الخوارج ، وسلّموا عليه
 بأمر المؤمنين عشرين سنة ، وكان خطيباً فصيحاً . وله خطبة في ذم الدنيا انتهى
 فيها من البلاغة إلى الغاية . وأولها :

أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقَتْ
 بالقليل ، وتَحَبَّبت بالعاجل ، وتَحَلَّت بالأمانى ، وتزيّنت بالفروير ،
 لاتدوم زهرتها ، ولا تؤمن فجعتها ، غرارة ضرارة ، حائلة زائلة ، نافذة بائدة ،

لا تعدو إذا هي تناهت إلى أمنيّة الرغبة فيها ، والرضا عنها ، أن تكون كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ .

ومنها :

كم وائقٍ بها قد فجعته ، وذى طمأنينة إليها قد صرعته ، وذى احتيالٍ فيها قد خدعتته . وكم من ذى أهبة فيها قد صيرته حقيراً ، وذى نخوة قد ردّته ذليلاً ، وذى تاج قد كسّته للبدن والنم ؛ سلطانها دول ، وعيشها رنق ، وعذبها أجاج ، وحلوها صبر ، مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب ؛ مع أن وراء ذلك سكرات الموت ، وهول المطلاع ، والوقوف بين يدي الحكم العدل ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ .

ومن جيد شعره في وقعة دُولاب :

لعمرك إني في الحياة لزاهدٌ	وفي العيش ما لم ألق أمّ حكيم ^(١)
من الخفريات البيض لم ير مثلها	شفاءً لدى بثٍ ولا لسقيم ^(٢)
لعمرك إني يوم ألطم وجهها	على نائبات الدهر جدّ لثيم ^(٣)
ولو شهدتني يوم دُولاب أبصرتُ	طعان ذئبي في الحرب غير ذميم ^(٤)
غداة طفت علماء بكر بن وائل	وعُجنا صدور الخليل نحو تميم ^(٤)

(١) الأغاني ٦ : ١٤٨ ، الكامل للمبرد ٣ : ٢٩٨ .

(٢) الأغاني : « لم أر مثلها » .

(٣) دُولاب ، قال في الأغاني : « هي قرية من عمل الأهواز ، بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ ، كانت بها حرب الأزارقة ومسلم بن عيسى بن كرز ، خليفة عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، وذلك في أيام ابن الزبير » .

(٤) علماء ، يريد على الماء ، وبمده في رواية المبرد :

وكان لعبيد القيس أولُ جدّه
وظلت شيوخ الأزدي في حومة الوغى
وأحلافها من يحضبٍ وسليم
تعمومٌ وظلنا في الجلاء نعومٌ

وفي البيت الثاني لإفواء .

فلم أري يوماً كان أكثر مفضلاً (١) يُمسحُ دماً من فائظٍ وكليم (٢)
 وضاربة خذاً كريماً على فتى أغرَّ نجيب الأمهات كريم
 أصيب بدولابٍ ولم تكُ موطناً له أرض دولابٍ ودير حميم (٣)
 فلو شهدتني يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كلَّ حريم
 رأيت فتيةً باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وأمَّ حكيم التي شتت بها ، كانت معه في عسكر الإباضية ، وكانت من أشجع الناس ، وأجملهم وجهاً ، وأحسنهم بدنه متمسكا . وكان قطري يجهتها ويجهلها ، وأخبر من شاهدها في تلك الحروب أنها كانت ترتجز فتقول :
 أحملُ رأساً قد سئمتُ حملةً وقد ملكتُ دهنهُ وغسلهُ

* ألا فتى يحمل عني ثقله *

والخوارج يقدونها بالآباء والأمهات ، وخطبها جماعة من أشرف الخوارج فردتهم ، وقالت :

ألا إن وجهاً حسن الله خلقه لأجدر أن يُلقَى به الحسن جامعاً
 وأكرم هذا الجرم عن أن يناله تورك فخل همه أن يجامعا

أين هذه من أم خارجة ، واسمها عمرة بنت سعد ، كان يقال : لهاخطب ، فتقول : نكح ، وضرب بها المثل فقيل : أسرع من نكاح أم خارجة (٤) .

(١) الأغاني والكمال : « مقمصا » ، وهو الطمن بالرمح .
 (٢) ط : « فائض » . تحريف ، صوابه من ا ، ب ؛ والفائظ ، من قولهم : « فائظ الرجل ، إذا مات » .
 (٣) دير حميم : موضع بالأهواز .
 (٤) الميداني ١ : ٣٤٨

وأين هي من حفيذة قطريّ مع صاحبها ، حكى الإصبهانيّ عن إسماعيل بن المهاجر قال : خرجت أنا والسيد الحميريّ سكارى ، فلقينا بنت الفجاءة بن عمرو ابن قطريّ بن النجاءة ، وكانت امرأة برزّة حسناء ، فواقفها السيد ، وأنشدها من شعره ، فأعجب كل واحد منهما صاحبه ، ثم خطبها ، فقالت : كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق ! قال : يكون كمنكاح أمّ خارجة ، قيل لها : خطب ، قالت : نكح ، فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا ، وعلى ذلك فمن أنت ؟ قال :

إن تسأليني بقرمي تسألني رجلاً في ذرّوة المجد من أجواد ذى يمن^(١)
ثمّ الولاء الذي أنجّو النجاة به من كبة النّار للهادي أبي حسن

فقالت : لا شيء أعجب من هذا ! يمانى وتميمية ، ورافضى وإباضية ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيك تسخو نفسك^(٢) ، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً ، قالت : أفليس التزويج إذا علم ، انكشفت معه الستور^(٣) ؟ قال : وأنا أعرض عليك أخرى ، قالت : وما هي ؟ قال : المتعة^(٤) التي لا يعلم بها أحد ، قالت :

(١) بعمه في رواية الأغاني :

حوّلي بها ذو كلاع في منازلها وذو رعين وهمدان وذو يزن
والأزد أزد عثمان الأكرمون إذا عدت ما أثرهم في سالف الزمان
بانث ككريمتهم عني فدارهم داري في الرحب من أوطانهم ووطني
لي منزلان : بلحج منزل وسط منها ، ولي منزل للعز في عدن

(٢) ط : « تحشد نفسك » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٣) الأغاني : « انكشف معه الستور وظهرت خفيات الأمور » .

(٤) المتعة : أن تزوج امرأة تتمتع بها أياماً ، ثم تحلّ سبيلها ؛ وذلك أن الرجل كان يشارط المرأة شرطاً على شيء بأجل معلوم ، ويطلبها شيئاً ، فيستحلها بذلك ، ثم تحلّ سبيلها من غير تزويج ولا طلاق ؛ وقد كانت مباحة في أول الإسلام ثم حرمت ؛ ولجلودي ؛ أحد كبار علماء الشيعة الإمامية كتاب أسماء : « المتعة وما جاء في تحليلها » .

تلك أخت الزنا ، قال : أعيذك بالله أن تكفرى بعد إيمانك ! قالت : وكيف ؟ قال لها : قال الله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ، قالت : أستخير الله وأقلدك ، إذ كنت صاحب قياس وتفتيش . ولما انصرفت معه ، وبات معرساً بها ؛ وبلغ أهلها من الخوارج أمرها توعدوها بالقتل ، فوجدت وقالوا : أتزوجت بكافر ! فكانت تخلف إليه مدّةً وتواصله^(١) .

وقوله : «تقليد الخوارج بأناعمة» ، لما قُتِلَ الزبير بن علي السائي على أمير الخوارج ، أداروا أمرهم ، فأراد تولية عبدة بن هلال الشكري ، فقال : ألا أدلكم على من هو خير مني لكم ؟ مَنْ يطاعن في قُبُلٍ ، ويحى عن دُبُرٍ ؛ عليكم بقطري ابن النجاء للمازني ، فبايعوه .

* * *

فَأَقْبَلَ عَلَى السَّكْبَلِ ، وَقَالَ : اعْلَمْ أَيُّ أَوْلِي ، هَذَا الْوَالِي ، وَأَرْقِحْ حَالِي ، بِالْبَيَانِ الْحَالِي . وَكُنْتُ اسْتَعِينُ عَلَى تَقْوِيمِ أَوْدِي ، فِي بَلَدِي ، بِسَعَةِ ذَاتِ يَدِي ، مَعَ قَلَّةِ عَدَدِي . فَمَا نَقُلْ حَاذِي ، وَنَفِدَ رِذَاذِي ، أُمَّمَتُهُ مِنْ أَرْجَائِي ، بِرِجَائِي ، وَدَعْوَتُهُ لِإِعَادَةِ رِوَايِي ، وَإِرْوَايِي ؛ فَهَشَّ لِلْوِفَادَةِ وَارْتَأَحَ ، وَغَدَا بِالْإِفَادَةِ وَرَأَحَ . فَلَمَّا اسْتَأَذَنَتْهُ فِي الْمَرَايِحِ ، إِلَى الْمَرَايِحِ ، عَلَى كَاهِلِ الْمَرَايِحِ ؛ قَالَ : قَدْ أَرَمَمْتُ أَلَّا أَرُودُكَ بَتَاتَا ؛ وَلَا أَجْمَعُ لَكَ شَتَاتَا ، أَوْ مُنْشِيءٍ لِي أَمَامَ ارْتِمَالِكَ ، رِسَالَةً تُودِعُهَا شَرَحَ حَالِكَ ، حُرُوفُ إِحْدَى كَلِمَتَيْهَا يَمُومُهَا النَّقْطُ ، وَحُرُوفُ الْأُخْرَى لَمْ يُمَجْمَنْ قَطُّ ، وَقَدْ اسْتَأْنَيْتُ

(١) الأغاني ٧ : ٢٦٤ . مع اختلاف في الرواية .

بَيَانِي حَوْلَا ، فَمَا أَحَارَ قَوْلًا ، وَنَبَّهْتُ فِكْرِي سِنَّةً ، فَمَا ازْدَادَ
إِلَّا سِنَّةً . وَاسْتَعْنْتُ بِقَاطِبَةِ الْكِتَابِ ، فَكَلُّ مِنْهُمْ قَطَّبَ
وَتَابَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَدَّعْتَ عَنِّ وَصَفِكَ بِالْيَقِينِ ، فَأَتِ بَآيَةَ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

فقال له : لقد استسقيت يعقوباً ، واستسقيت أنكوبا ،
وأعطيت القومس باريها ، وأسكنت الدار بانيها . ثم فكر ريثما
استجم قريحته ، واستدر لفتحته ، وقال : ألقى دواتك واقرب^(١) ،
وخذ أدانك واكتب :

قوله : « أوالى » ، أى الألام وأتخذه ولياً . أرقح : أصلح ، يقال رقق من
عيشه ، إذا أصلح منه ، قال الشاعر :

يترك ما رقق من عيشه يعبت فيه همج هامج^(٢)

الهمج : البعوض ، ثم قيل لأرذال الناس : همج . الحالى : المزين بالحلي .
أودى : عوجى . سعة : كثرة . ذات يدي ، أى مالى . عددى : عيالى . حاذى :
ظهرى ، وفلان خفيف الحاذ ، أى قليل العيال ، وأصل الحاذ مؤخر الفخذين .
نقد رذاذى : فرغ قليل مالى ، والرذاذ . المطر الضعيف . أمته : قصده . أرجأى :
جهانى وبلادى . رجأى : أملى . روائى : حسن هيئتى وحالى : إروائى : إزالة
عطشى . هس : خف ، ورجل هس بسام : طابق الوجه . للوفادة : للقدوم عليه . وارتاح :
طرب واهتز . الإفادة : تكسيب الفوائد . المراح ، بفتح الميم : المشى والانصراف .

(١) ساقطة من غمطوة المقامات .

(٢) اللسان - رقق ، ونسبة إلى المارث بن حنزة .

والمراح، بالضم: الموضع الذي ترُوح إليه الإبل وتروح منه، أو تراح إليه، أي تساق بالعشي. والمراح، بالكسر: النشاط والخفة، وقد مَرِحَ مَرِحًا، لعب، من الفرح. كاهل: ما بين فروع الكتفين، استعاره للنشاط. أزمعت: عزمت. بتاتًا: زادًا. شتاتًا: مالًا متفرقًا. تنشىء: تصنع وتكتب. أمام ارتحالك: قبل سفرك: تودّعها: تضمّنها وتجعل فيها. يعجمن: ينقطن، وأعجمت الكتاب: أزلت عنه عجمته.

قطّ: لفظه موضوعة لما مضى من الدهر. وجعل الحريريّ قول الخواصّ: «لا أكله قطّ» من أخش الخيطاً لتناقض الكلام، قال: وذلك أن العرب تستعمل لفظه «قطّ» فيما مضى من الزمان، كما تستعمل لفظه «أبدأ» فيما يستقبل، فيقولون ما كلمته أبدأ، والمعنى: ما كلمته فيما انقطع من عمري، لأنه من قططت الشيء، إذا قطمته، ومنه قطّ القلم، إذا قطع طرفه. وفيما يؤثر من شجاعة عليّ رضي الله عنه أنه كان إذا استقبل قَدَّ، وإذا استدبر قطّ، فالقدّ قطع الشيء طولاً، والقطّ قطعه عرضاً^(١). يقول: تصنع رسالة تضمّنها حالك، يكون تركيبها من كلمة يعمّ حروفها النقط، وكلمة لا ينقط منها حرف، وبهذا المعنى سُمّيت المقامة الخفيفاء، لأنّ الأخيف من الخيل: الذي إحدى عينيه زرقاء. والأخرى كحلاء. استأنيت: أمهلت وأخرت. أحر: ردّ وراجع. نهبت: أيقظت. سنّة: حولا. سنّة: نومًا. قاطبة: جماعة. قطب وجهه، إذا عبسه. صدعت: أوضحت وأظهرت، وأصل الصدع الشقّ. باليقين: بالحقّ الواضح. آية: علامة، قال ابن الأنباري رحمه الله: في قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه: قيل إنها علامة لانقطاع الكلام قبلها وبعدها، واحتجّ أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر:

* بآية ما تحبون الطعاما *

وبقول النابغة :

تَوَهَّمَتْ آيَاتِ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لَسْتَةَ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعٌ^(١)
 الثانى: سُمِّيت الآية لأنها جماعة حروف ، قال أبو عمرو: خرج القوم بأيّتهم،
 أى بجماعتهم .

الثالث: سُمِّيت آية لأنها عجب من المعجائب ، فالآية العجب .

قوله : « استسعت » : طلبت سعيه أى جريه . واليعبُوب: الفرس السريع .
 استسقت: استمطرت وطلبت سُمّياه . والأسكُوب : المطر الكثير . باريها :
 صانعها ، وكل هذه أمثال ، ويريد : أنا أهل لكل ما طلبت .

[الخطيئة وسعيد بن العاص]

وأول من قال: أعط القوس باريها^(٢) الخطيئة ، وذلك أنه دخل على سعيد
 ابن العاص وهو يقري الناس ، فأكل أكلًا جافيًا ، وخرح الناس ، فأقام ، وأتاه
 الحاجب ليُخرجه فامتنع ، وقال : أترغب بهم عن مجالستي ! إنى بنفسى عنهم
 لأرغب ! فقال له سعيد : دَعَهُ . ثم تذاكروا الشعر والشعراء ، فقال لهم الخطيئة:
 والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ، ولو أعطيتم القوس باريها ، وقستم
 على ما تريدون ، فقال له سعيد : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذى يقول :

لا أعدُّ الإقتار عُدْمًا ولكن فقدُ من قد رزئته الإعدامُ

إلى آخر القصيدة . قال : فمن قائلها ؟ قال : أبو دواد الإيادى ، قال : ثم
 من ؟ قال : والله لحسبك بى رهبة أو رغبة ؛ أنا إذا رفعت إحدى رجلتى على
 الأخرى ، وعويت فى إثر القوافى كما يعوى الفصيل الصادى إثر أمه ؛ قال :

(١) ديوانه ٥٠ .

(٢) الميدانى ٢ : ١٩ ، وجمهرة الأمثال ١ : ٧٦ .

[من أنت ؟ قال :]^(١) الحُلَيْمِيَّة ، قال : حَيَّاكَ اللهُ يَا بَامَلِيكَةَ ، أَلَا أَعَلَمْتُنَا بِمَكَانِكَ ، ولم تحملنا على الجهل بك ، فنضيع حَقَّكَ ونبخسك قسَطَكَ ! وأذناه ووصله^(٢) .
وقال الشاعر :

يا باري القوسِ برِّيا ليس يُحْسِنُهُ لا تنظلم القوس واعط القوسَ باريها
ريث : مقدار وبطاء . استجَمَّ : استكثر . قريحته : طبيعته ، والقريححة في الأصل أوّل ماء البئر النابع ، واستجَمَّها : تركها حتى تسكثر . استدرّ : استنزل . دَرَّها وهو لبسها . واللقحة : الناقة ذات اللبن ؛ يريد : أقام قليلا يفكر ويختار ما يقول : ومثل هذه الحالة ذكرُوا أن صديقا لكلثوم العتّابي أتاه يوما ، فقال له : اصنع لي رسالة ، فاستبدت مدة ، ثم علمت القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردةً عنك ، فقال له العتّابي : إني لما تناولتُ القلم تداعت عليّ المعاني من كلّ جهة ، فأحببت أن أترك كلّ معنى حتى يرجع إلى موضعه ، وهذا مثل قول امرئ القيس - ويقال إنه قالها وهو ابن عشر سنين :

أذودُ القوافي عني زيادا زياد غلام غويّ جوادا^(٣)
فلما كثرت وعينيه تخير منها جوادا جيادا
فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من دُرّها المستجادا

وقال عريف القوافي^(٤) :

أبيتُ بأبواب القوافي كأنما أصادى بها سربا من الوحش نزعا
عواصي إلا ما جعلت وراءها عصا مر بدّ غشي وجوها وأذرعها
إذا خفت أن تُروى على رددتها وراء التراقي خشية أن تطلعا

(١) من الأغاني (٢) الأغاني ٢ : ١٦٧ ، مع تصرف واختصار .

(٣) ديوانه : ٢٤٨ .

(٤) كذا ذكر المؤلف ، والأبيات في الصغر والشعراء ٦١٦ ، ٢٣ ، والبيان والتبيين ١٢ : ٢ .

والأغاني ١١ : ١٢٣ منسوبة لسويد بن كراع .

أَصَادِي : أَدَارِي ، وَجَعَلَ الْقَوَافِي تَتَحَمُّ عَلَيْهِ كَالْإِبِلِ ، وَهُوَ يَضْرِبُهَا بَعْضَاهُ حَتَّى يَخْتَارَ حَيَادَهَا .

[فَصَلْ فِي الدَّوَاةِ وَالْمَدَادِ وَالْقَلَمِ]

قَوْلُهُ «أَلِئِنْ» ، أَي اجْعَلْ فِيهَا لَيْقَةً ، تَقُولُ : لَيْقَتِ الدَّوَاةُ فَهِيَ مَلِيْقَةٌ ، وَأَلْقَتْهَا فَهِيَ مُأَلَقَةٌ ، وَجَمْعُ اللَّيْقَةِ لَيْقٌ . وَيُقَالُ لِلصُّوْفَةِ قَبْلُ أَنْ تُتَبَّلَ بِالْمَدَادِ : البُوْهُةُ وَالْمَوَارَةُ ، فَإِذَا بَلَّتْ بِالْمَدَادِ سُمِّيَتْ لَيْقَةً ، وَقَدْ يُقَالُ لَهَا : لَيْقَةٌ قَبْلُ أَنْ تُتَبَّلَ ، سُمِّيَتْ بِمَا تُتَوَلَّى إِلَيْهِ ، كَمَا قِيلَ لِلْكَبْشِ : ذَبِيحٌ ، وَلِلصَّيْدِ : رَمِيَّةٌ ، فَإِنْ كَانَتْ قَطَنَةً فَهِيَ الْمُطْبَةُ وَالْكَرْسُفَةُ ، وَكَرْسَفَتِ الدَّوَاةُ كَرْسُفَةً ، وَالْقَطَنُ كُلُّهُ يُقَالُ لَهُ : الْمُطْبُ وَالْكَرْسُفُ .

وَيُقَالُ لِلْمَدَادِ : نَقَسَ وَنَقَسَ ، وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ ، وَقِيلَ : الْفَتْحُ مَصْدَرٌ نَهَسْتَهَا ، جَعَلَتْ فِيهَا نِقْسًا ، وَالْحَبْرُ مِنَ الْمَدَادِ بِالْكَسْرِ لَا غَيْرَ ، وَالْحَبْرُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرُ : الْعَالِمُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : سُمِّيَ الْمَدَادُ حَبْرًا بِاسْمِ الْعَالِمِ ، كَأَنَّهُمْ أَرَادُوا مَدَادَ حَبْرٍ ، فَخَذَفُوا ، وَلَوْ كَانَ مَا قَالُوهُ صَحِيحًا لَقَالُوا لِلْمَدَادِ : حَبْرٌ بِالْفَتْحِ ، وَالْأَشْبَهُ أَنْ يُسَمَّى حَبْرًا لِأَنَّهُ يُحَسِّنُ الْكِتَابَةَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : حَبْرَتِ الشَّيْءِ إِذَا حَسَّنْتَهُ . وَيُقَالُ لِلجَمَالِ : حَبْرٌ وَسَبْرٌ ، فَمدَادُ حَبْرٍ ، كَقَوْلِكَ مَدَادَ زَيْنَةَ وَجَمَالَ ، أَوْ يَكُونُ مِنَ الْحَبْرِ وَالْحُبَارِ ، وَهُوَ الْأَثَرُ ، فَيُسَمَّى بِذَلِكَ لِتَأْثِيرِهِ فِي الْكِتَابِ . وَيُقَالُ : مَدَدَتِ الدَّوَاةُ أَمْدَهَا مَدًّا ، إِذَا جَعَلَتْ فِيهَا مِدَادًا ، فَإِنْ كَانَ فِيهَا مَدَادٌ فَزِدْتَ عَلَيْهِ قَلْتَ : أَمَدَدْتَهَا ، فَإِذَا أَمَرْتَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَدَادِ بِالْقَلَمِ قَلْتَ : اسْتَمَدَدَ ، فَإِنْ سَأَلْتَهُ أَنْ يُعْطِيَكَ عَلَى الْقَلَمِ مِدَادًا ، قَلْتَ : أَمَدِدْ لِي مِنْ دَوَاتِكَ ، وَاسْتَمَدَدْتَهُ أَنَا ؛ سَأَلْتَهُ أَنْ يَمِدَّ لِي . وَقَالَ الْخَلِيلُ : مُدَّتْنِي وَأَمَدَّتْنِي : أَعْطَانِي مِنْ مَدَادِ دَوَاتِكَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ زَادَ فِي شَيْءٍ فَهُوَ مَدَادٌ لَهُ ، وَأَمَهَتْ الدَّوَاةُ وَمَوَّهَتْهَا ؛ إِذَا جَعَلَتْ فِيهَا مَاءً ، وَالْأَمْرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمَةٌ وَمَوَّةٌ دَوَاتِكَ .

وَاسْتِشْقَاقُ الدَّوَاةِ مِنَ الدَّوَاءِ ، لِأَنَّهَا يُصْلَحُ بِهَا إِصْلَاحُ أَمْرِ الْكِتَابِ ، وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ اشْتَقَّهَا مِنْ دَوَى الرَّجْلِ يَدْوَى دَوِيًّا ، إِذَا صَارَ فِي جَوْفِهِ الدَّاءُ ، قَالَ : (١٦ - شَرْحُ مَقَامَاتِ الْمَرْيَمِيِّ)

أما الدواة فأدوى حمها جسدی وحرّف الخلط تحريف من القلم^(١)
ووزنها «فَعَلَة» تحرّكت الياء وقبها فتحة، فقلبت ألفاً، وتجمع دَوَايَاتُ ؛
كقناة وقنّوات ، ودوَى كقناة وقنّاً . ويقال : أدويت فأنا مدوٍ : اتخذت
دواة ، ويقال للذي يبيعها : دواء كحياط ، وإذا أمرت من يتخذها قلت : أدوٍ
دواةً ، ويقال لمن يحمها ويمسكها : دواء ، ويقال لها : الدواة والزقيم والنون .
ويقال : هو القلم والمزبر بالزاي والمذبر من زبرت وذبرت ، أى كتبت ، ومنع
فرض بينهما قال : زبرت بالزاي ، أى كتبت ، وذبرت ، أى قرأت . وسمى
قلماً لأنه قلم ، أى قطع وسوسى ، كما يقلم الظفر ، وكلّ عود قطع وحز رأسه وأعلم
بعلامته فهو قلم ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾^(٢) ،
وكانت سهماً فيها أسماؤهم مكتوبة . ويقال للذي يقلم به : مقلم ، وللذى يبرى
به : مبرى ، ولما سقط عن البرى والتقليم : القلامة والبراية . وقيل لأعرابي :
ما القلم ؟ ففكر ساعة ، وجعل يقلب أصابعه ، ثم قال : لا أدرى ؛ فقيل له :
توهّمه في نفسك ، قال : هو عود قلم من جوانبه كتقليم الأظفار . ويقال
لعمّقه : النكوب ، واحدها كعب ، ولما بينها الأنابيب ، واحدها أنبوب ،
ويستعملان في الرمح ، وفي كلّ عود فيه عمّد ، والعمدة التى تشينه تسمى
الأبنة وجمعها أبّن ، فإن كان في العود أو القصبة تأكل ، قيل فيه : قادح
ونقد ، ويقال لباطنه : الشحمة ، ولظاهره الليط ، فإن قشرت منه قشرة قلت :
ليّطت من القلم ليطة ، فإن أخذت شحمته بالسكين قيل : شحمته أشحمه ، فإن
أفرطت في أخذها ، قلت : بطنته تبطيناً فهو مبطن ، وحفرته فهو محفور ، فإن
تركت شحمته ، قلت : أشحمته إشحاماً . ويقال لنشائه الذى عليه : الغلاف
واللحاء والتشر ، فإذا نزعها عنه قيل : قشرتة ولحوتة وقشوته وسحوتة ،

(١) الانتصاب ٨٢ .

(٢) آل عمران ٤٤ .

ويقال في ثلاثتها بالياء ، ووسقته ونقخته ، مشدّان . ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما : السّنان والشّعيرتان ، واحدهما سنّ وشعيرة ، فإذا قطع طرفه وهيئاً للكتابة قيل : فطّطته أقطه فطّاً ، وصمته أنصمه قصماً ، والمقطّ بالكسر : ما يقطّ عليه ، وبالفتح الموضع الذي يقط من رأسه ، فإن جعلت إحدى سنّيه أطول من الأخرى قلت : قلم محرف ، وقد حرّفته تحريفاً ، فإن سويتهما قلت : قلم مبسوط ، فإن سمع له صوت عند الكتابة ، فذلك الصريف والصرير والرشيقي ويقال للقصب : البراع والأباه ، الواحد يرّاعة وأباه ، وقيل : الأباه أطراف القلم ، أي القصب ، ويقال للقطن الذي يوجد في بطنها : البَيْلَمُ والقيصف والقيسع ، واحده بَيْلَمَةٌ وقيصفة وقيسعة ، فإن كان في القصب تأكل قيل فيه : قادح ونقد ، وكذلك العود والسنّ والقرن ، فإن كان فيها عوج فذلك الدرّ^(١) .

قوله : «خذ أداتك» ، أي قلمك . وقال ابن طاهر لكاتب له : ألقِ دواتك ، وأطلِ سنّ قلمك ، وفرّق بين السطور ، وتوسط بين الحروف .
وقال ابن عبد ربه : ينبغي للكاتب أن يصلح آلته التي لا بدّ له منها ، وأداته التي لا تتمّ صناعته إلا بها ، وهي دواته ، فلينعم ربّها بإصلاحها ، ثم ليختر من أنابيب القصب أفضلها عُقْداً ، وأكثفها لحماً ، وأصلبها قشراً ، وأعدّها استواءً ، ويجعل لقرطاسه سكيناً حاداً ليكون عوناً له على برّى أعلامه ، ويبريها من ناحية نبات القصب .

واعلم أنّ محلّ التلم من الكاتب محلّ الرّمح من الفارس ، نظم أحد الشعراء فقال :

يُمسِكُ الفارسُ رُمحاً بيدِهِ وأنا أمسكُ فيها قَصَبَهُ
فكللانا فارسٌ في شأنِهِ إنما الأقلامُ رُمحُ الكُتّابِ

(١) نظر المؤلف في هذا النصل إلى ما أورده ابن السيد البطلبوسي في كتاب الاقتضاب هي شرح أدب الكتاب لابن قتيبة ص ٨٢ - ٨٧ مع تصرف واختصار .

وقال أبو الفتح البستي :

إن هزّ أقلامه يوماً ليعملها أنسك كل كمي هزّ عامله^(١)
وإن أقرّ على رقّ أنامله أقرّ بالرقّ كتاب الأنام له

رأى جعفر بن يحيى خطأ فاستحسنه ، فقال : الخطّ خيطة الحكمة ، يُنظم فيه منشورها ، وتُنصل فيه شذورها .

ومن كتاب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث : أما بعد ، فليكن قلبك محرّفاً ، لامتيناً ولا رقيقاً ، ضيق القلب . فأبره برياً مستويّاً كمنقار الحمامة ، أعطف بطنه ، ورقق شفرتيه ، وليكن قرطاسك رقيقاً مستويّ النسيج ، مخرّج السحاة^(٢) ، مستويّاً من أحد الطرفين إلى آخره ، فليست تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك ، وليكن أكثر مطك في أطراف القرطاس الذي فيه يسارك ، وأقله في الوسط ، ولا تمطّ في الطرف الآخر ، والمطّ نصف الخطّ ، ولا يقوى عايه إلا العاقل .

قال العتّابي : سألت الأصبغي في دار الرشيد : أيّ الأنايب للكتابة أصح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما نشف بالهجير مأوه ، وستره من تلويحه غشاؤه ، من الدرّية الظهور ، النيرة القشور ، الفضّية الكسور ؛ قال : فأى نوع من البرمي أصوب وأكتب ؟ فقلت له : البرية المستوية القطعة ، التي عن يمين سنّها قرنة^(٣) ، تأمن معها المجبة عند المدّة والمطة ، للهواء في شقها صفيق^(٤) ، وللريح في جوفها خريق ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العتّابي : فبقي الأصبغي شاخصاً إلى لا يجير جواباً^(٥) .

(٢) السحاة : القشرة .

(٤) المقعد : « فيق »

(١) بيتية الدهر ٤ : ٢٩١

(٣) القرنة : الطرف المائل من كل شيء

(٥) المقعد ٤ : ١٧٣

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : جودة برى القلم ، وإطالة جلفته ، وتحريف قَطَّته ، وحسن التأتى لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدّة بعد إشباع الحروف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .
وقال بعض الكتّاب : عَطَّرُوا دَفَاتِرَكُمْ بِجَيِّدِ الْخَبْرِ ، فَإِنَّ الْكُتُبَ غَوَانٍ وَالْخَبْرَ غَوَالِرٌ .

وقال بعض الكتّاب أيضاً :

وما رَوْضَ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَهَاها نَدَى الْأَسْحَارِ بِأَرْجِ بِالْعَدَاةِ
بِأَضْوَعِ أَوْ بِأَسْطَعِ مِنْ نَسِيمِ تَوْدِيهِ الْأَفَاوِهُ مِنْ دَوَاةِ
كَأَنَّ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

دعى في الكتابه ليس منها له فِكْرٌ يُعَدُّ وَلَا بَدِيهٌ^(١)
كَأَنَّ دَوَاتِهِ مِنْ رِبْقٍ فِيهِ تُلَاقٌ ، فَرِيحُهَا أَبَدًا كَرِيهٌ

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد ، وهو يستره ، فقال له :
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ عَطَّرَ الرِّجَالَ وَحَلِيَةَ الْكُتَّابِ
وَلِبَعْضِهِمْ يَهْجُو كَاتِبًا :

حَارٌّ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ
فَدَعُ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ لَطَخْتَ نَفْسَكَ بِالْمِدَادِ

وقال كُشَاجِمُ لُورِاقٍ يَدْعَى الْكِتَابَةَ :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ فِي الْكِتَابَةِ مَدْرُكٌ شَاوِيٌّ ، قَلْتِ : رَمَاحُنَا أَقْلَامٌ^(٢)
هِيَاتَ تِلْكَ صِنَاعَةَ مَمْزُوجَةٍ فِيهَا ضِيَاءٌ وَاضِحٌ وَظِلَامٌ

(١) أدب الكتاب للصولي ١٠١

(٢) ديوانه ١٦٠ وفيه : « يربق دما »

هذا الحديد سلاح أبطال الوغى وبه يَنْجِّ دماءنا الحِجَامُ
 وقال أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس ، وهو يكتب كتاباً ،
 فنقطت من القلم نقطة مفسدة ، فسحها بكمه ؛ فتمجّبت ، فقال : لا تعجب ،
 المال فرع والقلم أصل ، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع ، وبهذا السواد
 جاءت هذه الثياب ، ثم أطرق قليلاً وقال :

إذا ما الفِكرُ وُلِدَ حسن لفظٍ وأسأله الوجودُ إلى البيانِ
 ووشاه فتمنمه جوادٌ فصيحٌ في المقالِ بلا لسانِ
 ترى حلَّ البيانِ منشراتٍ تجلّي بينها صور المعانيِ

وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرّ
 القلم في يده ، فأنشد :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارماً يكاد يُصمّ السامعين صريرُها
 تساقط في القرطاس منها بدائعٌ كمثل اللآلي نظمها ونثيرُها
 تقودأبيات البيان بفتنةٍ تكشف عن وجه البلاغة نورُها
 تظلّ المنايا والمطايا شوارعاً تدور بما شئنا وتمضى أمورُها
 إذا ما خطوب الدهر أرخت ستورها تجلّت بنا عما يسرّ ستورها

وأتى رجل وكيعاً ، فقال : رجل يمت إليك بجرمة ! فقال له : وما حرمتك ؟
 قال له : كنت تكتب بمحبرتي عند الأعمش . فوثب وكيع إلى منزله ، ثم
 أخرج منه دنائير لنفقته ، وقال له : اعذرني فما أملك غيرها ، ودنمها إليه .

وقال أبو الحسن بن لبّال في محبرة أنبوس :

وخديمة للعلم في أحشائها كلّف بجمع حلاله وحرامه
 ليست رداء الليل ثم توشّحت بنجومه وتتوجّت بهلاله

وحدثني عن شيخني الفقيه أبي عبدالله بن زرقون ابنه الفقيه أبو الحسين ، قال : حدثني أبي أنه كان بسبته أيام الشبية والطلب ، في مجلس جمع من طلبة الأدب ، فتعرض لهم رجل بمحبرة صنعها ، وأراد أن يقصد بها الوالي على حسنها ، وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة ، فأطرقوا يروون ، فبادرهم أبو الطالب ابن أبي ركب فقال :

جاءتك من غررِ العلا زنجيةٌ في حلةٍ من حليةٍ تبخترُ
سوداء صفراء الحلى كأنها ليل تطرزه نجوم تزهُرُ

فاستحسنهما من حضر ، ورأوا أنه قد أربى على الغاية فيما عنه صدر ، فكتبنا للرجل في رقعة ، فبعد ما سار بها قليلا ، رجع فأبرز منها قلم صُفر مذهباً ، ورغب أن يضمّن ذكره في منظوم يضاف إلى البيتين ، فأطرقوا يروون في ذلك ، فبادرهم أبو طالب المذكور فقال :

كملت بأصفر من نجار حليتها تخفيه أحيانا ، وحينما يظهرُ
خرسان إلا حين يرضع ثديها فتراه ينطق ما يشاء ويذكرُ
وقال آخر يصف دواة وأقلاما :

قد بعثنا إليك أم المطايا والنايا زججة الأחסاب
في حشاها من غير حرب حراب وهي أمضى من نأذات الحراب

وأحسن ما قيل في القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات :
لك القلم الأعلى الذي بسنانه نصاب من المرء الكلى والمفاصل^(١)
له الجلوات اللاء لولا نجيتها كما احتفلت للمالك تلك المحافل
لعب الأفاعي القاتلات لعبه وأرى الجني اشتارته أيد عواسل^(٢)

(١) ديوانه ٢٥٧ ، وشبابة القلم : حده

(٢) الأرى : العسل .

لهديمةٌ ظلٌّ ، ولكن وقعها
فصيحٌ إن استنطقته وهو راكب
بأثاره في الشرق والغرب وإبل^(١)
وأعجمٌ إن خاطبته وهو راجلٌ
إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت

عليه شعاب الفكر وهي حوافلٌ
أطاعته أطراف القنا وتقوّضتْ
لنجواه تقويض الخيام الجحافلُ
إذا استغزر الذهن الذكي وأقبلتْ
أعاليه في القرطاس وهي أسافلُ
وقد رفدته الخنصران وسدّدتْ
ثلاث نواحيه الثلاث الأناملُ
رأيت جليلاً شأنه وهو مرهفٌ
ضنيّ ، وسميناً خطبه وهو ناحلُ

وقال أبو الفتح البستي :

إذا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم
كفى قلم الكتاب مجداً ورفعاً
وعدّوه مما يكسب المجد والكرم^(٢)
مدى الدهر أن الله أقسم بالآلَم

وقال البحرى :

تعنوله وزراء الملك خاضعةً
وعادة السيف أن يستخدم القلم^(٣)

وقال أبو العباس التنوخي :

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت

له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالوت والموت لا شيء يقابله
فذا قضى الله للأقلام مذُبريتُ
ما زال يتبع ما يجري به القلم
أن السيوف لها مذُرهفتُ خدم

(١) الطال : المطر القليل ، والوايل : المطر الكثير .

(٢) ديوانه ٢٠٤٨

(٣) الغرائف ٢٢

وناقضه أبو الطيب المتنبي فقال :
 حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ على : الحمد لل سيف ليس الحمد للقلم (١)
 اكتب بنا أبدأ بعد الكتاب به فإنما نحن للأسياف كالأخلام
 وقال الصوليّ : فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أكتب
 بلا غرر ، وأنت تقتل على خطر ، فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف إن تمّ
 مداده ، وإلا فإلى السيف معاده .

قال الصوليّ : وقال بعض اليونانيين : الدين والدنيا تحت شيتين : سيف
 وقلم ، والسيف تحت القلم .

وفي ذلك يقول جرير النميريّ :
 أتحمّرتني ولستَ لذك أهلاً وتُدني الأصغرين من الخوان
 جهاذة وكتابٌ وليسوا بفرسان الكتيبة والطعان
 ستذكرني وتعرفني إذا ما تلاقى الحلقتان من البطان
 وقال كشاجم :

هنيئاً لأصحاب السيوف بطالة تقضى بها أيامهم في التنعم
 وكم فيهم من دائم الأمر لم يرع بحرب ولم ينهد لقرن مصمم
 وكلّ ذوى الأقلام في كلّ ساعة سيوفهم ليست تجفّ من الدّم
 وقال آخر :

قوم إذا أخذوا الأقلام من قصب ثم استمدوا بها ماء المنيات
 نالوا بها من أعاديبهم وإن بعدوا

مألاً ينال بحمة المشرقيات
 وقال البحترى يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه :

(١) ديوانه ٤ : ١٥٩ ، ١٦٠ .

وإذا تآلق في العيون كلامه ألو
وإذا دجت أقلامه ثم انتحت
فاللفظ يقرب فهمه في بُعدِه
حكّم ، فسامحها خلال بنائه
فكأنها والاعم معقود لها
مخمود خلت لسانه من عضبه (١)
برقت مصايح الدجى في كُتبه
منا ، ويبعد نيله من قرُبِه
متدفق ، وقلبيها في قلبه
شخص الحبيب بدا لعين مُحبه

وقال علي بن الجهم في رقعة جاءت به بخط جارية :

ما رقعة جاءتك مثنية
نبت سوادٍ في بياض كما (٢)
سأهمة الأسطر مصروفة
يا كاتباً أسامني عتبه
وقال البحرى في ابن الزيات :

قد تصرفت في الكتابة حتى
عطّل الناس ذكرَ عبد الحميد (٣)
في نظامٍ من البلاغة ما شكّ أمرؤ أنه نظامٌ فريد
وبديع كأنه الزهر الضا
حك في رونق الربيع الجديد
ما أعيرت منه بطون القرايد
حزن مستعمل الكلام اختياراً
وتمجن ظلمة التعقيد
كالعداري غدون في الحلال الصفة
ر إذا رحن في الخطوب السود

قال المأمون لحمد بن داود: إن شاركنك في اللفظ فقد تاركناك في الخط ،
فقال: يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه أذى
عن الله تعالى رسالته ، وحفظ وحيه ، وهو أحمى لا يعرف من فنون الخط فنا ،

(١) ديوانه ١٦٤

(٢) النبت: الشيء القليل .

(٣) ديوانه ٩٦

(٤) ديوانه ٦٣٦ .

ولا يقرأ من حروفها حرفاً ، وبقي عمود ذلك في أهله ، نهم يشرفون بالشرف
الكريم في نقص الخط ، كما يشرف غيرهم بزيادته ، وإن أمير المؤمنين أخص
الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والمتقلد لتهيئه ولأمره ،
فتعلقت به المشابهة الجليلة ، وتناهت إليه الفضيلة . فقال المأمون : يا محمد ، لقد
تركنتي لا آسى على الكتابة ولو كنت أمياً .

قد ذكرنا من آلات الكتابة نثراً ونظماً ما فيه كناية وفي السادسة
والعشرين من النظم في أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردنا هنا .
وإنما أخرج الحريزي رسالته الختباء من هذه الأوصاف المنظومة في الرسائل التي
قدمناها آنفاً لما ذكره من أن جميع الكتاب قطب لإنشائها وتاب ، لما فيها من
لزوم تظ لفظة وترك أخرى ؛ وهي على ما بها من التكلف ، راقحة المعاني ،
أنيقة المباني ، ولو غيره تعادها لأظلمت معانيها ، وتداعت مبانيها ، فله هو !
لقد كان منقاداً له صعب الكلام بأيسر مرام ! وما هو في محاولة البلاغة إلا
كما قال حبيب في سليمان بن وهب :

سُرْحُ نَطْقِهِ إِذَا مَا اسْتَمَرَّتْ عقدة العنى في لسان الخطيب (١)
ومصيب شواكل الأمر فيه مشكلات مملكتن لب اللبيب
لامعنى بكل شيء ولا كل عجيب في عينه بعجيب

* * *

الكرم - ثبَّت اللهُ جَيْشَ سُوْدِك - يَزِينُ ، وَاللُّؤْمُ - غَضُّ الدَّهْرِ
جَفْنُ حَسُوْدِكِ يَشِينُ ، وَالْأَرْوَعُ يَثِيبُ ، وَالْمَعْمُورُ يَخِيبُ ، وَالْمَلْحَلُّ
يُضِيفُ ، وَالْمَالِحُ يُخِيفُ ، وَالسَّمْحُ يُغْذِي ، وَالْمَحِكُ يُقْذِي ، وَالْعَطَاءُ
يُنْجِي ، وَالْمِطَالُ يُشْجِي ، وَالذُّعَاءُ يَقِي ، وَالْمَدْحُ يُنْقِي ، وَالْحَرْثُ يَجْزِي

(١) ديوانه ٢٧ . وفي فيه : « سرح قوله » .

والإلطاء يُخزى، وإطراح ذى الحرمة غي، ومحرمة بني الآمال بغي،
وما صن إلا غبين، ولا غبن إلا صنين، ولا خزن إلا شقي، ولا
قبض راحه تقي. وما فتى، وعدك يني، وآراؤك تشني، وهلاك
يضي، وحلمك يفيض، والآؤك تُغني، وأعداؤك تُثني، وحسامك
يُفني، وسوددك ييني، ومواصلك يجتني، ومادحك يقتني، رسماحك
يغيث، وسماؤك تغيث، ودرك يفيض، وردك يفيض، ومؤمك
شيخ حكا في، ولم يبق له شيء. أمك بطن حرصه يلب، ومدحك
بنخب مهورها تجب، ومرامه يخف، وأواصره أشف، وإطراؤه
يجتذب، وملامه يجتذب، ووراءه صفف، مسهم شطف، وحصم
جنف، وعمهم قشف، وهو في دمع يجيب، ووله يذيب، وهم
تضيّف، وكمد نيّف، لما مول خيب، وإهمال شيب، وعدو نيب،
وهذو تنيب، ولم يرغ وده فيفضب، ولا خبت عوده فيقتضب،
ولا نفت صدره، فيمفض، ولا نشز وصله فيمبفض، وما يقتضي
كرمك تبد حرمة؛ فييض أمله، بتخفيف أمله، ينت حمدك بين
عالمه. بقيت لإمطة شجب، وإعطاء نشب، ومداواة شجن، ومراعاة
يفن، موصولا بخفض، وسرور غض، ما غشي ممد غني، أو خشي
وهم غبي، والسلام.

قوله: «غَضَّ الدهر جفن حسودك»، يقال: غَضَّ جفنه، أى سدَّ عينيه، دعاء عليه بالعمى، يقول: الكرم يزيّن صاحبه. واللؤم — وهو البخل — يشينه ويعيبه، ثم دعاه له بدوام السعد وثبوته، وبعمى عين الحسود حتى لا يبصر ما أُعْطِيَ الممدوح من النعم، فيأخذها بالعين. الأروع: السيد الكريم، وهو الذى قصِد، وقيل: الأروع الحديد النفس، وقيل: الذى يروءك بحاله. يُثِيب: يُجَازى قاصده. والمُعَوَّر: البادى العَوْرَة، وهو الفارس يظهر فى طعنه خلل، وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة، ومن جملة عيوبه البخل حتى يخبى قاصده، لأنه قابِلٌ به الأروع، وهو التامّ الجسيم، الجهر الصوت، قال الشاعر:

يوأخى لثيمُ النَّاسِ كلِّ ملائمٍ وينطق بالعوراءِ مَنْ كان مُعَوَّرًا

المُحْلَل: السيد الذى يُحَلُّ به الناس كثيراً. يُضَيِّف: يُنزل الأضياف ويكرمهم. والمآحل: البخيل، شَبَّه بالبلد المآحل، وهو الجدب، فكانت المآحل الذى لا يوجد عنده خير، يقال: أمحل البلد، وبلد مآحل وذو مَحَل، مثل لابن وتامر، والمآحل التمام، يقال: مَحَلَّ به إلى السلطان إذا وشى به، وهو الذى يُخَيِّف على الحقيقة، والمآحل أيضاً: المحاصم، وقد مآحلته ومآحلني. يُغْدِي: يطعم. والمَحِكُ: اللجوج، وهو مقابل السَّمَح الخلق. يُغْدِي: يجعل فى العين قَدَى، أى يضرّ قاصده ويؤله. يُنَجِّي: يخلص صاحبه من الذم، وتقدم المطال. يُنْقِي: يغسل العيب. والإلطاط: الامتناع من فعل الخير، ويقال: لَطَّ وألَطَّ، إذا ذهب، واطَّ الشئ وألَطَّه، إذا ستره. يُنْجِزى: يهين. اطرّاح: ترك. ذى الحرمة، أى صاحبها، والحرمة ما لا يحلّ تركه لـ من قصدك فقد دخل فى حرمك، فتركه ليس من الروءة. غَنَى: فساد وضلال. محرمة: منع. بنى الآمال: أهل الرجل الذين يرجون خيره ويأملونه. بَغَى: ظلم. بخل: غيبين: مخدوع فى رأيه. ضنين: بخيل، يقول: ما يضمن بماله من هو سديد

النظر ولا المصيب الرأى إما يبخل به مَنْ هـ فاسد النظر مغبون في رأيه .
 خزن: حبس ماله: قبض راحه: ضمّ كفه على ما فيها ، وهذه كناية عن المنع والبخل.
 والتقى: الذى يبقى نفسه من العذاب بعماله الصالح ، من وقيتُ نفسي أقيها ،
 واختلف في وزنه فقيل « فعول » وأصلها « وقوى » ، فأبدلوا من الواو تاء لقرب
 مخرجيهما ، ومن الواو الثانية ياء وأدغموها في الياء ، وكسروا القاف لتصحح
 الياء ، والاختيار أن يكون وزنه « فعيلاً » وأصله « تقي » ، فأدغموا الياء في الياء ،
 وللدليل على صحته جمعهم له على أتقياء ، كولى وأولياء ، ومن قال : إنه
 « فعول » قال : لما أشبه « فعيلاً » بجمع جمعه .

قوله : « ما فتىء » ، أى مازال . بئى : يصدق ويكون وقتياً . آراؤك : جمع رأى .
 تشفى : تزيل الهم عن قلب وليك ، وتبرى مرض قاصدك من فقره ، يصفه بجودة
 الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده . هلاك يضى :
 يصفه بطلاقة الوجه وإضاءته عند السؤال ، قال زهير :

تراه إذا ما جثته متملاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله^(١)
 وكما قال أبو بكر فى الطلاقة :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهايل

خلافاً لسيء الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء ، والذئب الذى إذا سئل
 انزوى وتقبض .

بغضى : يسمع . آلاؤك : نعمك . أعداؤك ثنى : يقول لكثرة المادحين
 لك والناشرين لفضلك ، لم يمكن أعداؤك وحسادك ذمك لتكذيب الناس
 بإيهم ، فصاروا يثنون عليك مع من يثنى ؛ ويحكى أن أعرابياً استضاف حتماً ،

(١) ديوانه ١٤٢ .

فلم يُنزله ، فبات جائعاً مقروراً ، فلما كان في السَّحر ركب راحلته ، وانصرف ، فتقدمه حاتم ، فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكراً ، فقال له : من كان أبا مثواك البارحة ؟ قال : حاتم ، قال : فكيف كان مبيتك عنده ؟ قال : خير مبيت ، نحر لي ناقةً فأطعمني لحماً عبيطاً ، وأسقاني الخمر ، وعلف راحلتي ، وسرت من عنده بخير حال . فقال له : أنا حاتم ، والله لا تبرحُ حتى ترى ما وصفت ، فردّه وقال له : ما حملك على الكذب ؟ فقال له الأعرابي : إنَّ الناس كلَّهم يثنون عليك بالجود ، ولو ذكرت شرّاً كنت أ كذب ، فرجعت مضطراً إلى قوهم ، إبقاء على نفسي لا عليك . وقد تقدّم قول البحترى في هذا المعنى :

أأشكو نداء بعد ما وسع الورى ومَنْ ذا يذمُّ الغيثَ إلا مُدَّمٌ (١) !

وقال حبيب :

فإن أنا لم يمدك عني صاغراً عدوك فاعلم أنني غير حامدٍ (٢)
بسبابة تنساق من غير سائقٍ وتنقاد في الآفاق من غير قائدٍ
أفادت صديقاً من عدوٍ وصيرت (٣) أقاربَ دنيا من رجالٍ أباعدٍ
ومخلفة لما تردُّ أذنَّ سامع فتصدر إلا عن يمين وشاهدٍ

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن المهيم ، يقول : يسمع عدوك إطناباً في مدحك فيمدحك صاغراً ، فكيف وليك ! فأمدحك بقصيدة تقطع الأرض ، ليست بإبل تُساق ، ولا بخيل تُقاد ، فتردّ العدو صديقاً ، والبعيد قريباً ، ولا

(١) ديوانه ١٩٨٠

(٢) ديوانه ١١٩ ، ١٢٠

(٣) ط : « وعاودت »

يسمعها أحد إلا ويخلف أنه لم يسمع مثلها ، فيشهد له بالصدق .

قوله : « وسودك يَبْنِي » ، أى يرفع لك مجداً وشرناً . حسامك يفنى ، أى سيفك يقطع ويفنى أعداءك . مواصلك يجتنى ، أى مَنْ زارك وواصلك اجتنى نعمتك ومواهبك . يقتنى ، أى يكتسب . سماؤك تقيث ، أى تأتى بالفيث وهو المطر فيستغيث الناس به من الجذب . سماحك يُقيث ، أى جودك وحسن خلقك يفرّج كُرْبَ المهموم ، وتقول : غوث الرجل ، أى قال : واغوثاه ، وأغثته أغيثه ، إذا فرّجت عنه ما يشتكى منه . درّك يفيض : عطاؤك يشمل ، أى لبُنك يملأ الإِناء ويفيض عليه ، يريد أن عطاءه يكثر لسائله . وردك يفيض ، أى منعك يذهب الرزق ، وغاض الماء : غار في الأرض ، مؤمّلك : راجيك . والنبيء : الظلّ بعد الزوال ، يريد أن عمره قد أدبر ، فشبه نفسه بالنبيء الذاهب . أمّك بظنّ ، أى قصّدك برجاء . وحرصه يُثب ، أى طمعه يتزايد فيجعله في غاية من القلق . نُخب : مختارة . مهورها : حقوقها ، يقول : مدحك بنخب في ملئه ، فوجِبَتْ حقوقها لحسنها وجودتها . ومما ينظر إلى هذه المعارضة قول الشاعر :

وخذ حمدي بجدوك ، ذَا بهذا كلانا اليوم أربحُ صيرفي
لأصبح من نوالك في رباشٍ وتصبح من مقالى في حُلِيٍّ

وقال آخر :

وحلّة كساها كالخلى في التهاية
فاستبظنت مديحاً كالأزى في نصابه
فراح في ثيابي ورُحْتُ في ثيابه

وقال ابن شهيد في ضيف له :
 وما أنفك معشوق الثواء نمذُهُ
 يبشر وترحيب وبَسَطَ لِسَانِ (١)
 إلى أن تشهَى البينَ من ذاتِ نفسه
 وحنَّ إلى الأهلين حنَّةَ حانِ
 فأتبعته ما سدَّ خَلَّةَ حالِهِ
 وأتبعني ذكراً بكلِّ مكانِ

قوله : «مرامه يخفّ» ، أى مطلبه يسهل عليك .

أواصره : جمع آصرة وهي صلة الرحم ، والأصر : الموضع الحابس ، من قولهم :
 أصرت فلاناً على الشيء أصره أصراً ، إذا حبسته عليه وعطفته ، ويقال : ماتأصرني
 على فلان آصرة ، أى ماتأجسنى عليه حابسة ، ولا تعطفني عليه عاطفة . ذكره ابن الأنباري .
 وذكر الحريري في الدرّة ، أن اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر ،
 بكسر الصاد ، ومعناه الرضع الحابس للماء عليه ، فسُمّيت أواصر ، لأنها
 تعطف على ما يجب رعايته من المودة والرحم . قال : وحكى سُبَيْدُ اللَّهِ بن عبد الله
 ابن طاهر ، قال : اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابي فتجادتا (٢) ،
 فحكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد ، وعليه ثياب زَمَّةً ،
 فكساه ثياباً جديدة من غير أن يسأله ، أو استكساه ، فخرج وهو يقول :

كساك ولم تستكسه فحِمِدَتَهُ فتي ماجد يعطى الجزيل ويأصِرُ
 وإنَّ أحقَّ الناس إن كنتَ مادحاً بمدحك من أعطاك والعرض وافِرُ

فقال ابن الأعرابي : « وناصر » بالنون ، فقال له أبو نصر : دعني ياهذا
 وياصرى وعليك بناصرك ؛ يريد : « ياصر » يعطف (٣) .

(١) الذخيرة لابن بسام : ٢٦٧

(٢) الدرّة : « فتجادبا الحديث » .

(٣) درة الفواص : ٧١

قوله: «تشفّ» ، أى تزيد وتفضل غيرها ، يقول : إن الأسباب التي توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشَّيْخُ^(١) والضعف وكثرة العيال وجودة المدح، والعهود السابقة التي بيني وبينك . إطراؤه يُجْتَذَبُ ، أى مدحه يتجاذبه الناس ويحرصون على تحصيله لجودته ، وأصل الإطراء المدح في الوجه ، فهو بمشاهدته كأنه مدح طرى ، أو ظهرت عليه طراوة . ملامه يُجْتَنَبُ : ذمّه يخاف ويبعد منه ، فيرثى عليه ، يقول : إن الذى رجاك شيخ مسنٌ فقير قصدك بيتين لأنك من أهل الكرم ، فطعمه لذلك يزيد لما ارتجى من معروفك، وأهدى إليك من مدائح عرائس وجبت عليك حقوقها ، ومرامه سهل عليك ، ولديك علق تقوم مقام القرابة ، وتزيد على ذلك ، وله مدح يرغب فيه وذم يرهب منه .

وراءه ضَفَّ ، أى خلفه كثرة عيال ، من ضفّ الطعام ضفًا إذا كثرتقوم عليه ، وضفّ العيش اشتدّ . والشظف : سوء الحال . حصمهم : عراهم وتفرشهم . جنف : ميل الدهر عليهم . قشّف : بؤس عيش . يجيب : يساعد . ولّه : همّ وحيرة . يذيب : يُذهب اللحم . تضيّف : نزل به ومال إليه . كمد : حزن قارب الموت . تيف : زاد على المهود . للممول ، أى المقصود مرجو . إهمال : تضييع وتسيب . نيب : عضّ بأسنانه . وهدوّ تغيب ، أى سكون وأمن زال عنه . يزغ : يمل . نفث صدره ، أى تكلم بشرّ ، ونفث : بزق من داء في صدره . ومنه المثل : لا بدّ للصدر أن ينفث . ينفض ، أى يضرب ويبعد . نشز : ارتفع وزال . يقتضى : يتضمّن ويلزم . نبذ : طرح . حرّمه : جمع حرمة . بيض أمله ، أى أسعد رجاءه ، وردّه أبيض بعبائك الذى يخفف ألمه ، ويزيل وجعه . ينث : ينشر . عالّه : ناسه وأهل زمانه . بقيت : عشت . وطال بقاؤك . إماطة شجب : إزالة هلاك وتنحيته . نسب : مال . شجن : حزن ، والشجن أيضاً الحاجة . مراعاة : حفظ . يفن : شيخ كبير . موصولاً ، أى

(١) الشيخ ، محرّك ، مصدر شاخ يشيخ ، مثل الشيوخة .

متصلاً . بمنفض : عيش هنىء . غضن : ناعم جديد . غشي : قُصِدَ ودخل .
معهد : موضع يعهد به جلوسه . وهم غبي : غلط جاهل .

* * *

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ إِمْلَاءِ رِسَالَتِهِ ، وَجَلَّى فِي هَيْجَاءِ الْبَلَاغَةِ عَنْ
بَسَاتِهِ ، أَرْضَتَهُ الْجَمَاعَةُ فِعْلًا وَقَوْلًا ، وَأَوْسَعَتْهُ حِفَاوَةٌ وَطَوْلًا . ثُمَّ
سُئِلَ مِنْ أَىِّ الشُّعُوبِ نَجَّارُهُ ، وَفِي أَىِّ الشَّعَابِ وَجَارُهُ ،
فَقَالَ :

غَسَّانُ أَسْرَتِي الصِّمِيمَةَ	وَسِرُّوجُ تَرْبِيَةِ الْقَدِيمَةَ
فَالَيْتُ مِثْلُ الشَّمْسِ إِشْدُ	رَاقًا وَمَنْزِلَةَ جَسِيمَةَ
وَالرَّبْعُ كَالْفِرْدُوسِ مَطْ-	سِيَّةً وَمَنْزَهَةً وَقِيمَةَ
وَاهَا لِعَيْشِ كَانَ لِي	فِيهَا وَلَدَاتِ عَمِيمَةَ
أَيَّامَ أَسْحَبُ مُطَرِّفِي	فِي رَوْضِهَا مَاضِي الْعَزِيمَةَ
أَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَا	بِ وَأَجْتَلِي النِّعَمَ الْوَسِيمَةَ
لَا أَتَقِي نُوبَ الزَّمَانِ	بِ وَلَا حَوَادِثَهُ الْمَلِيمَةَ
فَلَوْ أَنَّ كَرْبَا مُتَلِفُ	لَتَلِفْتُ مِنْ كُرْبِي الْمَقِيمَةَ
أَوْ يُفْتَدِي عَيْشُ مَضَى	لَفَدَّتُهُ مُهْجَتِي الْكَرِيمَةَ
فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى	مِنْ عَيْشِهِ عَيْشِ الْبُهِيمَةَ
تَقَادَهُ رُؤْيُ الصَّفَا	رِ إِلَى الْعَظِيمَةِ وَالْهَضِيمَةَ

وَيَرَى السَّبَّاعَ تَنَوَّشُهَا أَيْدِي الضَّبَاعِ الْمُسْتَضِيئَةِ
وَالذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَوْ لَا شَوْمُهَا لَمْ تَنْبُ شَيْئَةً
وَلَوْ اسْتَقَامَتْ كَانَتْ ۖ ۖ ۖ أَحْوَالُ فِيهَا مُسْتَقِيمَةٌ

قوله : «إملاء رسالته» ، أى إلقائها عليه ليكتبها جلي : كشف . الهيجاء :
الحرب ، وهى من الهنج وهو الحركة والاضطراب . بسالته : شجاعته . أوسعته :
كثرت له . حفاوة : إكرام . والطَّوْلُ : الإناعام . الشعوب : القبائل ، واحدها
شعب ، بفتح الشين وهو الأب الكبير . ثعلب ، الشعب : الأب الأكبر الذى يفتنون
إليه والقبيلة دونه . نجاره : أصله . الشعاب : الطرق فى الجبال . وجاره : جُجره ،
أراد بَيْتَهُ ، لأنهم سألوه من أى قبيلة هو ، وعن مسكنه فى أى موضع هو .

قوله : «غسان أسرتى» : أى هذه القبيلة أصلى وقرابتي . الصميمة : العريضة
الخالصة . تربتى . بلدتى . إشرافاً : ضياءً ونقاءً من العيب . جسيمة : عظيمة .
الفردوس : الجنة ، سُمِّيتُ بذلك لعرائشها ، والفردوس : المعرَّش من الكرم .
مطبية ، أى سروج مثل الجنة فى طيب الهواء ، وفى نزهتها وحسنها ، وفى قدرها ،
وأراد بالبيت غسان ، وبالربع سروج ، أو يريد بيته فى غسلن فى الشرف
كالشمس ، ومنزله فى سروج كالجنة فى طيبها ونزهتها ، وقد قال فى أخرى :

مَنْ رَأَاهَا قَالَ مَرَّسَى جَنَّةِ الدُّنْيَا سَرُوجُ

ومثل قوله فى البيت مثل الشمس ، قول أبى الطَّمْحَانِ القَيْنِي :

وَأَيُّ مَنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(١)

(١) الأبيات فى الكامل للبيري ١ : ٤٩

نجوم سماء كلِّما غار كوكبٌ بدأ كوكبٌ تأوى إليه كواكبُهُ
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظَّم الجزع ثاقبه^(١)
وقال حسان بن ثابت :

بيض الوحوه مضيئةٌ أحسابهم شمّ الأنوف من الطرازِ الأوَّلِ^(٢)
وزاد عليه في الإضاءة والإشراق حجّية بن المضرّب فقال :

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت لنورهم الشمس النيرة والبدرُ
وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس في علوِّ الهمة وتباعد منازلها من منازل
الكواكب ، حيث يقول :

وعزيمة بعثتها همّة زُحَلٌ من تحمّتها بمكان التّرب من زُحَلِ^(٣)
وزُحَلُ أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلةً ، وهذا من غلوِّ
المتنبّي الذي يخرج به عن الناس حتى يُعاب ، لأنه لو جعلها مع زُحَل في منزلة
واحدة ، كما جعل الحريري منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية ، وزاد على
غيره ، فلم يكتف بذلك حتى جعلها تعلو على زُحَل ، كما يعلو زُحَل على الأرض .
ومن هذا الإفراط في شعره كثير ، وأكثر النقاد يعيبون عليه ؛ وبعد هذا فمعجزاته
في الشعر زاد بها على المتقدمين والمتأخرين عند الأكثر فلا يجارى في كثير منها .
وأها : تعجباً ، كأنه قال : ما أعجب ما كان عيشي بها ! عميمة : كثيرة .
أسحب مطرني : أجرّ ثوبى العلم في طرفه إعجاباً بنفسى . أختال : أمشى الخيلاء
متكبراً . برّد الشباب : ثوب الفتوة . أجتلى : أنظر . الوسيمة : الحسان .
والتوب والحوادث : النوازل والمصائب ، كلّها بمعنى واحد ، وهى ما ينوب
بالإنسان ، أو يحدث عليه أو ينزل به ، أو يصيبه من البلاء بعد العافية . المليمة :

(١) الجزع ، بالفتح ويكسر : الحرز اللذان .

(٢) ديوانه ٣٠٨

(٣) لم أجده في ديوانه ، كما لم أجده في شعره ابن طالب التنفي الأندلسي فيما أورده ابن
بسام في الذخيرة وعلى بن سعيد في التّرب .

التي تأتي بما يلام عليه . كَرَبِي المقيمة : هومي الثابتة . مُهَجَّتِي : نفسي ، وأصلها دم القلب . تقناده : تسوقه . بُرَّة : حَلَقَةٌ من صُفْر تجعل في وتره أنف البعير ، يذلل بها . الصَّغَار : الذَّلَّة . العظيمة : داهية يُستعظم أمرها . والهضيمة : الحَقْرَة لشأنه عند الناس ، فيريد بالبهيمة البعير الذي يقاد ويذلل بالبُرَّة ، وبالعظيمة سؤاله الناس ، وبالهضيمة احتقارهم له إذا سألهم فيردونه خائباً . والمسباع هنا : الأسود . تنوشها : تناولها وتخدشها .

[الضباع وما قيل فيها]

والضباع : جمع ضَبْع ؛ وهو نوع من سباع الأرض ، وهي مضادة في الحَلَقَة لسبع الأندلس ، لأنها عظيمة الكفَل والفخذين رقيقة الصدر ، وهذا السبع أزل^(١) عظيم الصدر ، والضبع عظيم البطن ، ولذلك سمي حُضاجر بالجمع ، والحِضجر : عظيم البطن . والحِضجر : الوطب الكبير من اللبن ، ويشبه به العظيم البطن ، وهي عرجاء مثل هذا السبع ، ويضرب بحمة المثل فيقال : أحق من ضَبْع ، وأحق من أم عامر وهي كنيته . ومن حمقها أن الصائد يدخل وجارها فيقول لها : خامري أم عامر ، ومعناه الجئي إلى أقصى مفارك واستتري ، فتتقبص ، فيقول : أم عامر ليست في وجارها ، ثم يقول : أبشري أم عامر بكرم الرجال ، أبشري أم عامر بشاة هزلي ، وجرادة عظلي ، فتمد يديها ورجليها ، فيوقتها ويشد عراقبها بحبال فلا تتحرك ، ولو شاءت أن تقتله لأمكنها ، ولا يدخل عليها إلا عريانا ، وإن دخل ثوب قتلته ، ثم يخرج لأصحابه بالحبال ، وهم على فم الوجار بأسلحتهم ، فيخرجونها بالجر من قعر الوجار ويقتلونها .

ومن حمقها أنها تترك جِراءها إذا خرجت تلتمس ما تأكل ، فتجد جِراء أخرى قد خرجت أيضاً لذلك ، وتركت جِراءها فترضع أولاد غيرها ، وتترك أولادها ، فربما ضاعت جِراؤها فأكلها الذئب^(٢) . وقال الشاعر :

(١) الأزل : الخفيف الوركين .

(٢) جبهة الأمثال ١ : ٤١٦ ، الميداني ١ : ٢٣٨ .

كَمْ رُصَّةٍ أَوْلَادٍ أُخْرَى وَضِيَّتْ
 بنى بطنها، هذا الضلال عن القصد
 قال أبو زيد: والضباع لا تفترس شيئاً إماماً تأكل الجيف، وتنش القبور
 عن الموتى، وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته، وليس لها بالنهار
 كبير عمل، قال الهذلي:

تبيت الليل لا يخفى عليها حمارٌ حيث جُرَّ ولا قتيلٌ^(١)

قوله: «المستضيمة» أي المذلة. والضم: الذل؛ يضرب المثل لتلاع الزمان
 بالناس بالأسود والضباع، فقال: إن الضباع المحترقة عند الأسود تتناول
 الأسود بالضرر، وكذلك الزمان يرفع الحقير والهجين ويكثر رزقه، ويضع
 الرفيع ويقتري عليه، ويملك المحنأ والأراذل الخلط الجسام، ويجرّع النبلاء
 والأعيان غصص الخمازي وكثوس الحمام.

* * *

[نبذ في أحوال الدهر]

وهذه أحوال مشاهدة تنسب إلى الدهر لوقوعها فيه، وقد رها الباري عز وجل
 اختبار العباد، وليبصر العقلاء جريان أحكامه في خلقه، وأن الكل تحت قهره،
 وأن كل إنسان من أهل الحزم والرأي عاجز عن إدراك ما لم يقدر له؛ وقال محمد
 ابن الفضل:

هانت الدنيا على الله فأعطاها اللثاماً
 فهم فيها يعيشون ويلاحون الكراماً

(١) لساعدة بن جؤية الهذلي، ديوان الهذليين ١: ٢١٦.

وقال المعري في معنى بيت الحريري :

وَمَنْ صَحِبَ اللَّيَالِي عِلْمَتُهُ خداع الإلفِ والقيل المَحَالَا^(١)
وغيّرت اخطوب عليه حتى تربه الذرّ يحملن الجبالا

وقال يزيد المهلبي يرثي المتوكل :

علتكَ أسياف من لادونه أحدُ وليس فوقك إلا الواحد الصمد^(٢)
وأصبح الناس فوضى بمجربون به ليثاً صريعاً تندى حوله النقد^(٣)

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب :

مَنْ لَمْ يَمَازِنِ أَبَا نَصْرٍ وَقَاتَلَهُ فَمَا رَأَى ضُبْعًا فِي شِدْقِهِ سَبْعٌ^(٤)
فيم الشماتة إعلاناً بأسدٍ وغى أفنأهم الصبرُ إذ أبقاكم الجزعُ !

هكذا ينظم حرّ الكلام، ويُعتذر لموت الكرام، وتنفى عنهم شماتة اللثام. وقد أحسن الاعتذار أيضاً لأبي نصر بأغرب من هذا، وجعله قاتل نفسه، إذ لا نظير له في شجاعته فيقتله، وإنما قتله أمر الله الذي لا يغالَب، كما قال أبو الطيب:

ألا إنّما كانت وفاة محمدٍ دليلاً على أن ليس لله غالب^(٥)

وكذلك قوله :

فإن ترم عن عمرٍ تواني به المدى فخانك حتى لم يجد فيك منزعا^(٦)
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها حتى اثنتي ففقطعا

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١٢٤

(٤) ديوانه ٣٧٢

(٦) ديوانه ٣٧٤

(١) سقط الزند ٨١

(٣) النقد : جنس من الفم .

(٥) ديوانه ١ : ١٠٩

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه ، وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابك الخرمي
ومما قال فيه حبيب — وهو أشجع بيت قيل — قوله :

ونفسٌ تعاف العار حتى كأنما هو الكفرُ يوم الرُّوعُ أو دونه الكفرُ^(١)
فأثبت في مستنقع الموتِ رجله وقال لها: من تحت إحصك الحشرُ

قوله: «الذنب للأيام»، نسب الذنب إليها لوقوع المكروه فيها كما تقدم .
تنبُّ: ترتفع، شيمة: طبيعة، أى لولا شؤم الأيام لم تتغير الطباع، أى لو استقامت
هى لاستقامت أحوال الناس فيها، فكان كل إنسان يدرك منها على قدر منزلته.

* * *

[نبذ وأقوال وحكايات في ذم الزمان]

ومما قيل في ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى ، أن عبد الملك بن مروان سأل
مسلمة بن يزيد — وكان من المعمرين — فقال: أى الملوك رأيت أكمل؟ وأى
الزمان رأيت أفضل؟ فقال: أمّا الملوك فلم أر إلا حامداً أو ذاماً، وأمّا الزمان
فيرفع أقواماً ويضع أقواماً، وكلّهم يذمّ زمانه، لأنه يُبلى جديدهم، ويفرق عديدهم،
ويهرم صغيرهم، ويهلك كبيرهم .

أبو جعفر الشيباني قال: أتانا أبو ميثاس الشاعر، ونحن في جماعة، فقال:
ما أنتم فيه؟ قلنا: نذكر الزمان وفساده، قال: كلاً إن الزمان وعاء، وما ألقى
فيه من خير أو شر كان على حاله، ثم أنشأ يقول:

أرى حُللاً تُصانُ على رجالٍ وأخلاقاً تُذالُ ولا تُصانُ
يقولون الزمانُ به فسادٌ وهم فسدوا وما فسد الزمانُ

وقال آخر :

أيا دهر إن كنت عاديتنا
جعلت الشرار علينا خياراً
فها قد صنعت بنا ما كفنا كما
وأوليتنا بد وجه قفنا كما

وقال أبو العتاهية :

كفناك عن الدنيا الذميمة مخبراً
وأن رجال النفع تحت مداسيها
غني باخليها وافتقار كراميها
وأن رجال الضر فوق سناميها

وقال ابن كنفك :

يا زمانا ألبس الأح
لست عندي بزمان
ررار ذلاً ومهاناً
إنما أنت زمانه (١)

وقال ابن الرومي :

دهر علا قدر الوضيع به
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه
وغدا الشريف يحطه شرفه (٢)
سفلًا ويطفو فوقه جيفه

وكرره فقال :

قالت: علا الناس إلا أنت قلت لها:
كذلك يسفل في الميزان ما رجحها

وقال آخر :

رب يوم بكيت فيه فلماً
صرت في غيره بكيت عليه (٣)

(١) الزمان : العاهة

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٥٩

(٣) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ نهاية الأرب ٣ : ٩٨

وقال آخر :

لم أبلك من زمنٍ نكدٍ أساء به
ولا جزعتُ على مَيِّتٍ فُجِعْتُ به
ولا ذممتُ زماناً في تقلِّبه
وقال ابن أبي عيزاره :

عُتِبْتُ على سَلْمٍ فَلَمَّا قَدَّتْهُ
رَجَعْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَفْوَيْتِ غَيْرِهِ
وَأُنشِدُ الْمُبَرَّدَ :

حياة أبي العباس زيدت بقربه
ونعتب أحياناً عليه ولو قضى

قال عروة بن الزبير : الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم . أخذه أبو الطيب
قال :

وشبه الشيء منجذبٌ إليه
ولو لم يعلُ إلا ذو محلِّ
ودهرٌ ناسُهُ ناسٌ صفارٌ
وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهمُ
الطَّعامُ : السفلة .

نَمَّ إِنْ خَبِرَهُ نَمًّا إِلَى الْوَالِي ، فَمَلَّأَ فَاهُ بِاللَّالِي ، وَمَسَامَهُ أَنْ
يَنْضَوِي إِلَى أَحْسَانِهِ ، وَيَلِي دِيْوَانَ إِنْشَائِهِ ، فَأَحْسَبُهُ الْجَبَاءُ ،
وَوَلَّفَهُ عَنِ الْوَالِيَةِ الْإِبَاءُ .

(١) ديوانه ٤ : ٧١

قال الراوي : وَكُنْتُ عَرَفْتُ عُودَ شَجَرَتِهِ ، قَبْلَ إِيْنَاعِ ثَمَرَتِهِ ، وَكِدْتُ أَنْبَهُ عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ ، قَبْلَ اسْتِنَارَةِ بَدْرِهِ ، فَأَوْحَى إِلَيَّ بِإِيْمَاضِ جَفْنِهِ ، أَلَّا أُجْرِدَ عَضْبَهُ مِنْ جَفْنِهِ . فَمَّا خَرَجَ بَطِينِ الْخُرْجِ ، وَفَصَلَ فَايْزًا بِالْفُلْجِ ، شَيَّعْتُهُ قَاضِيًا حَقَّ الرَّعَايَةِ ، وَلَا حِيَالَ لَهُ عَلَى رَفْضِ الْوِلَايَةِ ، فَأَعْرَضَ مُتَبَسِّمًا ، وَأَنْشَدَ مُتَرَنِّمًا :

لِجَنُوبِ الْبِلَادِ مَعَ الْمَتْرَبَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُرْتَبَةِ
لِأَنَّ الْوِلَاةَ لَهُمْ نَبْوَةٌ وَمَعْتَبَةٌ يَا لَهَا مَعْتَبَةٌ !
وَمَا فِيهِمْ مَنْ يَرْبُّ الصَّنِيعَ وَلَا مَنْ يُسَيِّدُ مَارْتَبَةَ
فَلَا يَخْدَعَنَّكَ لُئُوعُ السَّرَابِ وَلَا تَأْتِ أَمْرًا إِذَا مَا اشْتَبَهَتْ
فَكُنْ حَالِمٌ سَرَّهُ حِلْمُهُ وَأَذْرِكُهُ الرَّوْعُ لَمَّا انْتَبَهَتْ

* * *

قوله : « نما » ، أى ارتفع ووصل . اللآلى : الدرر . سامه : كلفه .
ينضوى : ينضم . وأحشائه : خاصته . يلى ديوان إنشائه : يتولى دار كتابته ،
أى يكون هو الذى ينشئ الكتب ، وينسخها الكتاب وتنفذ إلى البلاد .
أحسبه : كفاه . الحياء : العطاء . ظلفه : منعه . الإباء : الامتناع ، وقد أبيت
من كذا ، أى امتنعت منه ؛ ويكنى به عن نزاهة النفس . عود شجرته ، يريد
أنه كان عرفه قبل أن يتكلم ، وأن يعرف نفسه . وإيناع الثمرة : إخراجها
ونضج ثمرتها . إيماض جفنه : إشارة عينه . عضبه : سيفه . جفنه : غمده ، أى

أشار على أن أستره . بطين : مملوء . أخرج : وعاء معلوم ، وهذا كقول الشاعر :

يببتون بالدهن خفاقاً عياهم^(١) ويخرجن من دارين بجر الحقايب^(٢)

وقد أخذ هذا اللفظ في مقامة أخرى فقال : حتى آل ذا عيبة خضراء
وحقبة بجراء ، أى مملوءة . وإلى هذا المعنى أشار ، نصيب في قوله :

أقول لركب قافلين رأيتهم^(٣) قفادات أو شال ومولاك قارب^(٤)
قفوا خبروني عن سليمان إنسي^(٥) لمعروفه من أهل ودان طالب^(٦)
فأجوا فأننوا بالذي أنت أهله^(٧) ولوسكتوا أننت عنك اخقائب^(٨)

ثناؤها عليه ، أن بدت للناس مملوءة من معروفه ، فأتى أبو العتاهية فزاد
المعنى بياناً بقوله :

إن المطايا تشتكك لأنها^(٩) قطعت إليك سباسباً ورمالاً^(١٠)
فإذا أتين بنا أتين مخفة^(١١) وإذا رجمن بنا رجفن ثقلاً^(١٢)

قوله : « فصل » ، أى زال وتنحى . الفلج : الظفر بما أراد . الرعاية :
حفظ الصحبة . لاحقياً : لأنما . رفض : ترك . مترنماً : مطرباً ، أى لل
خرج ممتلئ الوعاء ، ظافراً بما أراد ، لئمه على ترك خدمة الأمير التي كلفه ، فأنشد

(١) لأعشى همدان ، يهجو لصوصاً ؛ وهو من شواهد ابن عقيل ١/٤٩٨ .

(٢) البيان والبعين ١ : ٨٣ . والقارب : طالب الماء . وذات أو شال : موضع بينه

(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجسفة ؛ قال ياقوت : « وقد أكرر

نصيب من ذكرها في شعره » وأنشد الأبيات .

(٤) ديوانه ٣١٢ .

معتذراً . المتربة ، أى الفقر . المتربة : المنزلة الرفيعة . وهذا البيت ينظر إلى حكاية الأوصمى وقد رُئي راكباً حماراً فقيل له : أبعد برازين الخلفاء تركب هذا ؟ فقال متمثلاً .

ولما أبت إلا طرفاً بودها وتكديرها الشرب الذى كان صافيا
شربنا برنق من هواها مكدرٍ وليس يعاف الرنق من كان صاديا
يقول : هذا وأملك ديني ونفسي ، أحب إلى من ذلك مع ذهابهما (١) .
أطرف الشيء وتطرفه : استفاده ، وقيل : استجاده .

نبوة : ارتفاع وقلة ثبات . معتبة : سخط . يالها : تعجب ، كأنه قال :
يا عجباً لها ، ما أشدها . يرب : يصلح ويقوى . الصنيع : الفعل الجميل . يشتيد :
يرفع ويتم . رتبه : بناه وهياه . السراب : ما يظهر نصف النهار كأنه ماء ،
اشتبه : أشكل . الحالم : من يرى فى منامه رؤيا ، وقد حلم يحلم : والروع :
الفرع ، يقول : مثل المترفة بالخطه السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميراً ،
فانتبه فى أيدى أعاديه أسيراً ، أو رأى نفسه بين غزلان ورياحين فانتبه لزيور
أسود ولصغير ثعابين ، وكذلك الأمراء إن رفعوا الخديم ببعض إنعامهم كدروه
بتمجيل انتقامهم . وما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر :

إلى الله أشكو كل يومٍ وليلةٍ إذا نمت لم أعدم خواطر أو هام
فإن كان شرّاً كان لاشكّ واقماً وإن كان خيراً كان أضغاث أحلام
أخذ المعنى هذا الشاعر من قول أشعب الطاع . قال : رأيت رؤيا نصفها حق ،
ونصفها باطل ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت أرانى أحمل بدرة ؛ فن ثقلها كنت
أسلح فى ثيابي ، فانتبهت فإذا السلح ولا بدرة . قال الفنجديسى : ومن أحسن
ما سمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة المعانى ظريفة المباني ، شرفنى بإنشادها وإملائها
على السيد الأجل أبو المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بقاءه مصر لبعضهم :

(١) تاريخ بغداد ١٠ : ٤١٧ .

وزارني طيف من أهوى على وجلٍ من الوشاة وداعى الصبح قد هتفاً
فكدت أوقظ من حولي به فرحاً وكاد يهتك ستر الحب بي شغفاً
ثم انتهت وآمالى تحيبنى نيل المنى فاستحالت غبطني أسفاً

ومن ملح هذا الباب ، أن ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولى الكوفة ، قال : أيها الأمير إني رأيت رؤيا ، فأذن لي بقصتها ، فقال : قل ، فقال :

أغفيت قبل الصبح نوم مسهدٍ في ساعة ما كنت قبل أنامها^(١)
فرأيت أنك رُععتني بوليدةٍ مفنوجةٍ حسنٍ على قيامها
وببدرهٍ مُحلت إلى وبغلة شهباء ناجيةٍ يصل لجامها^(٢)

فقال له بشر : كل شيء رأيتهُ فهو عندك إلا البغلة ، فإنها دهاء ، قال : امرأتى طالق ثلاثاً إن كنت رأيتها إلا دهاء ولكني غلظت .

قال البطين الشاعر : قدمت على علي بن يحيى الأرميني ، فكتبت إليه :
رأيت في النوم أني راكب فرساً ولى غلام وفي كفي دنانيرُ
فجئت مستبشراً مستبشراً فرحاً وعند مثلك لي بالفضل تبشيرُ
فوقع في أسفل كتابي : ﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ
بِعَالَمِينَ ﴾^(٣) ، ثم أمر لي بكل ما رأيتهُ في منامي

(١) الخمر والشعر في ذيل زهر الآداب ١٠١ .

(٢) بده في زهر الآداب :

فدعوت ربّي أن يثيبك جنةً عِوضاً نصيبك بردّها وسلامها

(٣) سورة يوسف ٤٤ .

المقالة السابعة وهي البرقعيدية

حكى الحارث بن همام، قال : أزمعتُ الشُّخُوصَ مِنْ بَرَقَعِيدٍ ،
وَقَدْ شَمِتَ بَرَقَ عِيدٍ ، فَكَرِهَتْ الرِّحْلَةَ عَنِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، أَوْ أَشْهَدَ
بِهَا يَوْمَ الزَّيْنَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرَضِهِ وَنَفْلِهِ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ
وَرَجْلِهِ ، انْبَعَثَ الشَّنَّةَ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ ، وَبَرَزَتْ مَعَهُ مَنْ بَرَزَ
لِلتَّعْبِيدِ . وَحِينَ النَّامِ جَمْعُ الْمُصَلَّى وَانْتِظَمَ ، وَأَخَذَ الزَّحَامُ بِالْكَظْمِ ،
طَلَعَ شَيْخٌ فِي شَمْلَتَيْنِ ، فَحُجُوبُ الْمُقْلَتَيْنِ ، وَقَدْ انْتَضَدَ شِبْهَ الْخَلَاةِ ،
وَاسْتَقَادَ الْعَجُوزَ كَالسَّعْلَةِ ، فَوَقَفَ وَفَقَّةَ مُتَهَافِتٍ ، وَحَيًّا تَحِيَّةَ
خَافِتٍ . وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ ، أَجَالَ خَمْسَةَ فِي وَعَائِهِ ؛ فَأَبْرَزَ
مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كَتَبْنَ بِأَلْوَانِ الْأَصْبَاحِ ، فِي أَوَانِ الْفَرَاعِ ، فَنَاوَلَهُنَّ عَجُوزُهُ
الْحَيْزُبُونَ ، وَأَمَرَهَا بِأَنْ تَتَوَسَّمَ الزُّبُونَ ، فَمَنْ آنَسَتْ نَدَى
يَدَيْهِ ، أُلْقَتْ مِنْهُنَّ وَرَقَةً لَدَيْهِ ، فَأَتَا حَ لَه الْقَدْرُ الْمُتَوَبُّ ، رَقْعَةً
فِيهَا مَكْتُوبٌ ...

أزمعت الشخوص ، أى عزمت على الخروج . برقعيد : بلد بينه وبين
الموصل عشرون فرسخاً . شمت : نظرت .

ويريد يروق عيد ، مقدمات العيد التى ينظر الناس بها فى أسبابه ، سأل رجل

الجُنيْد ، لماذا سُمِّي يوم العيد ؟ فقال : لأنَّ آدم لما خرج من الجنة ، وأهبط إلى الأرض ، ثم تاب الله عليه ، فردّه إلى الجنة ، كان في ذلك اليوم ؛ فقيل له يوم عيد ، لأنه أُعيد إلى الجنة فيه ، قال ابن الأنباري رحمه الله : معنى يوم العيد ، الذي يعود فيه الفرح والسُرور . والعيد عند العرب : الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن ، وأصله « العود » لأنه من عاد يُعود ، فلما سُكِّنت الواو وكُسِّر ما قبلها قلبت ياء ، فصارت من باب ميزان وميقات ، وهما من الوزن والوقت ، وكذلك الياء إذا سكنت ، وانضمَّ ما قبلها قلبت واواً مثل مُوسر ومُوقن ، وهما من أيسر وأيقن ، ويقولون في الجمع مياسر .

المدينة : البلد ، مَنْ أخذها من مَدَن بالمكان يمدُن ، إذا أقام فيه ، فهي « فَعِيلَة » والجمع مدائن بالهمز ، والميم أصلية والياء زائدة ، ومن أخذها من دَانَ يدين ، فالميم زائدة والياء أصلية ، وهي « منفعولة » . يقال : دِنْتُ الرَّجُلَ مَلَكَته ، ودنت له أطعت ، ويقال للأمة مَدِينَة لأنها مملوكة ، قال الشاعر :

رَبت وِرباً في حَجْرها ابن مَدِينَة يَظَلُّ عَلى مَسْحَاته يَتَرَكَّلُ (١)

يعنى عبداً . يوم الزينة : يوم العيد لتزيّن الناس فيه . قوله : « أظل » ، أى قرب ودنا حتى دخلنا في ظلّه . بفرضه : يعنى زكاة الفطر . ونقله : يعنى صلاة العيد . الفنجديهيّ : فَرَضَ العيد : صدقة الفطر ، ونَقَلَ العيد مثل الصلاة والنُّسَل ولبس الجديد من الثياب .

ابن عمر رضی الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو شعير ، على كل حرّ أو عبد ، ذكر أو أنثى من المسلمين .

ابن عباس رضی الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة

(١) للاختل ، ديوانه . . تركل الشيء : دفعه برجله .

(١٨ - شرح مقامات الحريري ١)

الفطر من رمضان لجبر الصيام من الغفو والرّفث طعمة للمساكين، فمن أدّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أدّاها بعدها فهي صدقة من الصدقات .
أجلب بنخيله ورجله ، أى جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم ، ضرب به المثل لإقباله وتصميمه على الحجى . لبس : لباس ، وجاء فى لبس الجديد حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبى مهنته لجمعه ولعيده » .

جابر : كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها فى العيدين ويوم الجمعة . برزت : خرجت . التأم : التحم والتصق . المصلّى : موضع صلاة العيد . الزحام : الضيق لكثرة الناس . الكظّم : تضيق النفس من شدة الزحام . شملتين : عباءتين ، والشملة : نوع من الأكسية ، وقيل لها شملة لأن صاحبها يشتمل بها ، أى يديرها حواليه ، محجوب : مستور . المقلتين : المينين ، أراد أنه أعمى . اعتضد : علقها فى عضده . استقاد : جعلها تقوده . السعلة : أتى القول ، وذكرها يسمى الكعنكع ، وأنشدوا :

* غُولَا تَرَاعَى شَرِسًا كَعْنَكَمَا *

والقول : جنّ مسكنها الصحارى تترأى للإنسان كأنها إنسان فلا يزال يتبعها حتى يضلّ الطريق فيهلك . قوله : « متهافت » ، أى متساقط لضعفه ، وتهافت الشيء فى يدي : تتأثر . خافت : خفى الصوت ، وقد خفت الرجل ، إذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك ، وأصل خفت مات هزالاً . فرغ : أتم . أجال : مشى وصرّف . خمسة : أصابعه . فى وعائه ، بمعنى المخلاة التى اعتضدها ، وهى تعلقية يعلقها السائل فى عنقه أو ذراعه ، ويجعل فيها ما يعطى من الصدقة . أبرز : أخرج . أوان : وقت . الفراغ : قلة الشغل . ناوهنّ : أعطاهنّ . الحيزبون : المسنة القويّة الخلق . تنوّم : تنظر . الزّبون : المنخدع عن حاله « فعول » بمعنى « مفعول » ، وهو من ألقاظ أهل المشرق ، وأراد به الكثير

الصدقة ، آنت : أبصرت . ندَى : كرم . أتاح : ساق . التَدَارَ المتعوب : الملووم .

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالٍ
وَمَمْنُوا بِمِخْتَالٍ وَمِخْتَالٍ وَمُغْتَالٍ
وَخَوَّانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ نَ قَالَ لِي لِإِلَالِي
وَأَعْمَالٍ مِنَ الْعَمَّالِ لَ فِي تَضْلِيلِ أَعْمَالِي
فَكَمْ أَصْلَى بِأَذْحَالٍ وَأَنْحَالٍ وَتَرْحَالٍ
وَكَمْ أَخْطَرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطَرُ فِي بَالٍ
فَلَيْتَ الذَّهْرَ لَمَّا جَاءَ رَ أَطْفَالِي أَطْفَالِي
فَلَوْلَا أَنَّ أَشْبَالِي أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي
لَمَّا جَهَّزْتُ آمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَالِي
وَلَا جَرَّزْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَسْحَبِ إِذْلَالِي
فَمِجْرَابِي أَحْرَى بِي وَأَسْمَالِي أَسْمَى لِي
فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخَفِي فَيَفَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالٍ
وَيُطْفِي حَرَّ بِلْبَالِي بِسِرْبَالٍ وَسِرْوَالٍ !

قوله : « موقوداً » ، أى مشرفاً على الموت من شدة الأوجاع والأوجال ،
والموقودة فى القرآن^(١) : المقتولة بالخشب ، والموقد : شدة الضرب . أو جال :
مخاوف . ممنوا : مبتلى . مختال : ما كر كثير الحيلة . مختال : متكبر . مغتال :
مهلك . خوان : كثير الخيانة .

ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلما يوجد فى

(١) وهو قوله تعالى فى سورة المائدة ٣ : « والنخفة والموقودة » .

أخّر الزمان درهم من حلال، أو أخ يوثق به». قال: مبنض. إقلالي: قبرى. إعمال: جدّ وبحث، تقول: أعملت الشيء فى الشيء، إذ جعلته يعمل فيه. والعمال: عاملو كلّ شيء. تضليع: إفساد. أعمال: جمع عمل، يريد أنه مطلوب يبحث على أعماله إذا أتى بها مجموعة فتنتقض أعماله وتصير له أضلاعاً بعد اجتماعها، وذلك فساد لها. ويحتمل أن يكون التضليع من «ضلمك مع فلان». أى ميلك معه، فأعماله تميل عن طرقها فتفسد. وقيل: تضليع الأعمال: تنقيها، قال الأزهرى رحمه الله: ضلّع الدين. ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله، وفى الحديث: «أعوذ بالله من ضلّع الدّين». أصلى: أحترق. أذحال: أحقاد وعداوات. إجمال: فقر. ترّحال: سَفَر ونقلة من بلد إلى بلد. أخطر: أمشى متبخراً، وقد خطر الرجل، إذا أقبل بيديه وأدبرهما، وهى مشية الشّبان. بال: خلق. ولا أخطر فى بال: لا أمرّ على بال أحد ولا خاطره. جار: مال عن الحق ولم يعدل. أطفأ: أمات. أطفالي: أولادى، ومثله: أشبالي.

الفنجدية: يقول: ليت الدهر لما ظلم أولادى، وجار عليهم أماتنى لأتلخّص، فإنّ مقاساة الولائد سبب الوقوع فى المصائد. قال ابن عيينة: قلت لصياد: أى طائر أسرع إلى مصايدكم؟ قال: الذى يزق، يعنى الذى يطعم ولده. أغلالى: قيودى. والأعمال: جمع علّ، وهو القراد الضخم، وهو الذى يلصق بأنفاذ الدواب، وهو كثير التثبّت والالتصاق، لا يقام إلا بجهد، فيريد بالأغلال أولاده لأنهم قيوده فلا يسرح بسبيهم، وبالأغلال أنهم قد تملّقوا به يطلبون ما عنده، وقال الشاعر يصف ناقته:

* ولو ظلّ فى أوصلها العلى يرتقى *

ويقال للقراد: الطّلح والفينق والحجير والعلّ والبُرّام والقُرشوم واللبود فى بعض اللغات. جهزت: أرسلت. آل: قريب، وآل: أهل، أو يكون آل أميراً وسائساً؛ قال عمر رضى الله عنه: أَلْنَا وَأَيْلَ عَلَيْنَا، أى سُسْنَا الناس

و. ساسنا غيرنا، فيكون على هذا مقلوباً من «آيل»، كما قيل: سار في سائر .
 مسح: طريق . يقول : لولا ذلّ الأولاد ما قصدت والياً ، ولا جرت ذلي
 في طريق ذلّ ، ويقال : سحب ذيله سحباً إذا جرّه ، والمسحب : موضع جرّه
 ثوبه محرابي : مسجدي . أخرى : أحقّ بي . أسمالي . أثوابي الخلقّة . أسمى لي :
 أعزّ لي وأرفع لقدري . أنقالي : هومي أو ديوني ، أو كثرة عيالي واحدها نقل ،
 وثقل الشيء ثقلاً ضدّ خفّ ، وأثقل الرجل : كثر عياله . بلبالي : حزني ،
 والبلبال : وسواس الموم . سربال : قميص . والسروال : معروف ، وفي الحديث
 أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها ،
 فقالوا : إنها متسرولة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم اغفر للمتسرولات
 من أمّتي - ثلاثاً - بأيّها الناس اتخذوا السراويلات فإنها من أستر ثيابكم ،
 وحضوا بها نساءكم إذا خرجن » .

ومن ملّح الصاحب بن عباد أن بعض الشعراء^(١) كتب له :

أيا مَنْ عطاياه تُعطى الغني إلى راحتي مَنْ نأى أو دنا
 كسوتَ المقيمين والزائرين كسّالم يخل مثلها ممكنا
 ونحاشية الدار يمشون في ثياب من الخز إلا أنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة أن رجلاً قال له : احبني
 أيها الأمير ، فأمر له بباقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت
 أن الله خلق مركباً غير هذا لمثلتك عليه . وقد أمرنا لك من الخز بجمّة وقيص
 ودراعة وسراويل وحمّامة ومنديل ومُطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ،
 ولو علمنا لباساً غير هذا من الخز لأعطيناكه . ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة ؛
 وصبّ تلك الخلع عليه^(٢) .

وأخبار الصاحب مستظرفة كثيرة الملح .

(١) هو أبو القاسم الزعفراني .

(٢) الخبر والنمر في يتيمة الدهر ٣ : ١٧١ ، مع تصرف واختصار .

قال الحارث بن همام : فلمَّا استعرضتُ حُلَّةَ الأبياتِ ، تُقَّتْ
إلى معرفةٍ مُلحِمِها ، وراقمِ علمِها . فَنَاجَانِي الفِكرُ بِأَنَّ الوُصْلَةَ إِلَيْهِ
العَجُوزُ ، وَأَفْتَانِي بِأَنَّ حُلُوانَ المَعْرِفِ يَجُوزُ ؛ وَرَصَدْتُهَا وَمِي
تَسْتَقْرِى الصُّفُوفَ صَفًّا صَفًّا ؛ وَتَسْتَوِ كِفُّ الأَكْفِ كَفًّا كَفًّا ،
وَمَا إِنْ يَنْجَحُ لَهَا عَنَاءُ ، وَلَا يَرشَحُ عَلَيَّ يَدِهَا إِذَا ، فَلَمَّا أَكْدَى
اسْتِعْطَافُهَا ، وَكَدَّهَا مَطَافُهَا ، عَاذْتُ بِالاسْتِرْجَاعِ ، وَمَالْتُ إِلَى إِرْجَاعِ
الرَّقَاعِ ، وَأَنْسَاهَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رُقْعَتِي ، فَلَمْ تَمُجَّ إِلَى بُقْعَتِي ، وَآبَتْ
إِلَى الشَّيْخِ بِأَكْيَةِ لِلْحِرْمَانِ ، شَاكِيَةً تَحَامِلُ الزَّمَانَ ؛
فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ ، وَأُفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ ! ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينٌ

* * *

قوله : « ملحمها » ، ناسجها ، ولما جعل الشعر حُلَّةً جعل له ناسجاً وراقماً .
ناجاني : حدثني . الوصلة : الموصلة . استعرضت ، أى نظرت وعرضتها على
نفسى . تُقَّتْ : اشتقت . أفتانى ، أعلمنى . الحُلوان : أجر السكَّان ، وأراد
أجرة العراف ، وهو الذى يعرف بالتلائف الملتقطة أربابها ، فيفتكونها منه بما اتفقوا
عليه ، فذهب مالك أن من عَرَفَ اللَّقْطَةَ^(١) ، وكان من شأنه أخذ الجعل على مثل
ذلك ، فله أجرة مثله ، والشاعرى لا يوجب له حقاً ؛ سواء كان من شأنه أن يعرف

(١) اللقطة ، كهمزة : ما التقط .

باللَّقْطَةِ أو لم يكن ، تعب في ذلك أو لم يتعب ، إلا أن يشترط قبل الطلب .
 رصدها : ارتقيتها . تستقري : تتعج ؛ واقتربت الأرض واستقرتها ،
 تتبّعُها متأملاً . تستوكف : تستمطر . ينجح : ينفع ويؤثر ؛ يقال : نجحت
 الحاجة إذا انقضت ، ونجح طالبها إذا لم ينجب ، وأنجح : أشهر ؛ يقول : إن مشيها
 عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها . وقصد برشح الإناء كرم الكف ؛ يقول :
 لم يرشح لها كفٌ بعطيّة . أكدي : خاب وصعب ، ويقال : أكدي الحافر ،
 وهو أن يحفر البئر يطلب الماء ، فإذا بلغ إلى الصلابة ويئس من الماء ولم يقدر على
 الحفر قيل له : أكدي فهو مكدي ، والكُدِيّة هي الصلابة التي يتعدّر حفرها .
 استعطافها : تليينها القلوب . كدّها : أتعبها . مطافها : مشيها وطوفانها على الناس ،
 ويحسن أن ينشد هنا في حالها لأبي نُوَاس :

إذا لم يُعِنك الله فيما تربده فليس مخلوقٍ إليه سبيلُ
 وإن هو لم يرشدك في كلِّ مسلكٍ ضللتَ ، ولو أن السَّمَكُ دليلُ

غيره :

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهادهُ

عادت : تعوّذت ولاذت . الاسترجاع ؛ قولهم : إنّا لله وإنا إليه راجعون ،
 وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما قال أحدٌ عند
 المصيبة إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى ، وأخلف لي خيراً
 منها ؛ إلا استجيب له » .

إرجاع : ردّ . تعج : تميل وترجع . بقعتى : موضعي . آبت : رجعت .
 الحرمان : الخيبة والمنع . تحامل : مشتهات ، وتحاملت في الأمر : تكلفته على
 مشقة . أفوتض : أردّ .

لا حول ، أى لا حيلة ، يقال : ما له حيلة ولا حَوْل ، وما له احتيال ولا
 محْتال ، ولا تحالة ولا تحييلة ؛ كَلِمَةٌ بمعنى . ويقال : ما له محال بالفتح ، أى حَوْل ،
 ومحال بالكسر ، أى مكر . ثعلب : هو من قولهم : محِل به ؛ إذا سعى به إلى
 السلطان وعرضه للهلاك . ومحِل به القرآن : شهد عليه بالتقصير ؛ وقال الفراء :
 المحالة على ثلاثة أقسام ؛ هى الحيلة ، والتي تجعل على رأس البئر كالبكرة ، وواحدة
 محال الظهر وهى فقاره . ويقال : أخذت فى الحوالة والحوالة ، إذا قلت : لا حول
 ولا قوة إلا بالله ، وينتصب « لا حول ولا قوة » بالتبرئة ، وإن شئت
 رفعتها بالابتداء ، « وبالله » خبر « قوة » ، وحذفت خبر « لا حول » لدلالة
 الثانى عليه ، وإن شئت رفعت « حول » بالابتداء ، ونصبت « قوة » بالتبرئة ،
 وإن شئت نصبت « حولا » بالتبرئة ورفعت « قوة » بالعطف على موضع
 « لا حول » ، وإن شئت نصبت « قوة » بالتنوين عطفًا على اللفظ .

قوله : « صاف » ، أى خالص الود . مصاف : صادق فى ودة . معين : ماء
 كثير ، يريد صاحب كرم كثير . معين : يُعِين بِماله . المساوى : ضد المحاسن ،
 واحدها « سوء » على غير قياس ، وقيل لا واحد لها . بدا : ظهر . الثمين :
 النفيس الغالى الثمن ؛ يقول : إنَّ الناس قد استووا فى الأفعال السيئة ، وأراد
 قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا استووا
 هلكوا » ، ومعناه أنَّ الناس فى الغالب إنما يتساوون فى الشر ، ولا تجدهم
 كلهم فضلاء لأنَّ الخير قليل .

قال أبو العباس التُّطَلِّىّ فيما يتعلق بهذا المعنى :

والناس كالناس إلا أنَّ نَجْرَ بِهِمْ وللبصيرة حكم ليس للبصر^(١)
 كالأيك مشتهاتٌ فى منابتها وإنما يقع التفضيل بالثمر
 وقال التهامي :

وَمِنَ الرَّجَالِ مَعَالِمٌ وَمَجَاهِلٌ وَمِنَ النُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي (١)
 وَلرَبَّمَا اعْتَضَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ لَا خَيْرَ فِي يُمْنِي بِغَيْرِ يَسَارِ
 وَالنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ بِالْإِصْدَارِ

* * *

ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَنَى النَّفْسَ وَعَدِيهَا ، وَاجْمَعِي الرَّقَاعَ وَعُدِّيهَا ،
 فَقَالَتْ : لَقَدْ عَدَدْتُهَا لَمَّا اسْتَعَدَّتْهَا ، فَوَجَدْتُ يَدَ الضِّيَاعِ ،
 قَدْ غَالَتْ إِحْدَى الرَّقَاعِ ، فَقَالَ : تَعَسَّا لَكَ يَا لِكَاعِ ، أَنْحَرَمُ
 وَيَحَكِ الْقَنْصَ وَالْحِبَالَةَ ، وَالْقَبَسَ وَالذُّبَالََةَ ! إِنَّهَا لَضِغْتُ عَلَى
 إِبَالَةٍ . فَاَنْصَاعَتْ تَقْتَصُّ مَدْرَجَهَا ، وَتَنْشُدُ مَدْرَجَهَا ؛ فَلَمَّا
 دَانَتْنِي قَرَنْتُ بِالرُّقْعَةِ ، دِرْهَمًا وَقِطْعَةً ، وَقُلْتُ لَهَا : إِنْ رَغِبْتَ
 فِي الْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ - وَأَشْرَتُ إِلَى الدَّرْهَمِ - فَمُبُوحِي بِالسَّرِّ الْمُبْهِمِ .
 وَإِنْ أُيِّتَ أَنْ تَشْرَحِي ، فَخُذِي الْقِطْعَةَ وَأَسْرَحِي . فَمَالَتْ إِلَى
 اسْتِخْلَاصِ الْبَيْدْرِ التَّمِّ ، وَالْأَبْلَجِ الْهَيْمِ ، وَقَالَتْ : دَعِ جِدَالَكَ ،
 وَسَلِّ عَمَّا بَدَالَكَ ، فَاسْتَطْلَعْتُهَا طَلْعَ الشَّيْخِ وَبَلَدَتِهِ ، وَالشَّعْرِ
 وَنَاسِجِ بُرْدَتِهِ .

* * *

قوله : «عديها» ، أى طمعيها . استعدتها : رددتها . غالت : أهلكت ،
 واستعار للتضييع «بدأ» مجازاً . تعسا : هلكاً ، والتعس : الدعاء ألا تقال عثرته .
 يالكاع : يا لثيمة يا مُنْتَدَةَ ، واللكع : وسخ الفرج . واللكع : ولد الحمار .
 القنص : الصيد .

الحباله : الشبكة ، وصفة الحباله أن يُعمد لحبل من شعر مخلوط بيسير من صوف ، فذلك أقوى له ، فيعقد في أحد طرفيه عين يجرى فيها الحبل ، ويربط في الطرف الثاني خشبة ، وربما حدّدا طرفها ، ثم يأتون إلى الطريق الذي يدخل منه الصيد إلى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ، ويفتحون عليها عين الحبل ، ثم يغطونها بالتراب والزبل ، حتى تصير في طبع الأرض ، فإذا أقبل الصيد للماء ، فوضع يده أو رجله في الحفرة ، سقطت به ، وانضم على يده أو رجله الحبل ، فيثب فازعاً ويفرّ ، فتتبعه تلك الخشبة ، فكلما انتفض أقبلت عليه ، فتضربه بين يديه ورجليه وبطنه وظهره ، فتوهي أعضائه ، وربما كسرت يديه أو رجليه ، فلا يسير بها قدر ميل ، حتى يقف موقوذاً منها ، فيأتيه الإصائد فيأخذها ، وأنواع الحباله كثيرة .

قوله : « القبس » ، يريد به نور المصباح . والذبالة : الفتيلة . ضِفْتُ : حُزِمَ من حشيش صغيرة ، وأصلها جماعة القضبان ، وشبهها من النبات ، يجمعها أصل واحد ، وكلّ ما جمعت عليه كمنك من حشيش أو عيدان فانتزعته من أصله ضِفْتُ . إبالة : حُزِمَ كبيرة ، والضِفْتُ على الأبالة مثل حزمة الخطاب إذا حملها للبيع ، وجعل فوقها حُزِمة صغيرة لنفسه ؛ فالكبيرة إبالة والصغيرة ضِفْتُ ، فكأنه قال : إنها خسارة على خسارة ، ويقال لها : إبالة وأبيل وأبيلة ، وضِفْتُ على إبالة ، مثل أخذه من قول الشاعر :

في كلِّ يومٍ من ذُوَاله ضِفْتُ يزيد على إبالة^(١)

وقال آخر وذكر ناقته :

رَدَّتْ عواري غيطانِ الفلا ونجَّتْ بمثل إبالةٍ من خالصِ الشعيرِ

وهذا مثل قول حبيب :

(١) الميداني ١ : ٤١٥ . من غير نسبة واللسان - أبيل ، ونسبه إلى أسماء بن خارجة .

فكم جزع وادٍ جب ذروة غارب وبالأمس كانت أتمكته جوانبه^(١)

قوله : « انصاعت » ، أى ذهبت نافرة وانشدت مسرعة ، وكل ما نبتته ولو يته بسرعة ؛ فقد صعته صوعاً ، وكذلك إذا جمعته وفزقته ، فذهب عنك بسرعة ، وصاع الشجاع القوم فى الحرب ؛ إذا جمعهم بهيبته ثم صدمهم ، فقروا سراعاً متفرقين ، وكل نافرٍ مسرعٍ منصاع ، وقال ذو الرمة فى الخمر :

رمى فأخطأ والأقدارُ غالبيةً فانصعنَ والويلُ هجيرا والحرَبُ^(٢)

تقتص ، أى تتبع . مدرجها : طريقها التى مشت فيها لتفريق الرقاع ، ويقال : درج الشيخ والصبى درجاً ودرجاً ، إذا تقاربت خطأهما ، والمدرج : الموضع الذى درجاً فيه ، والمدرجة : قارعة الطريق . تشد : تطلب من تشدت الضالة ، ومدرجها : رقعتها ، ويقال : أدرجت الكتاب والثوب طوبتهما . القطعة : عند أهل المشرق : الواحدة من صرف يعرفونه الخندوس ، يعمدون إلى دراهم فيقطعونها قطعاً ، فهمى صرفهم ، وبها يتصدقون ، فأراد أنه قرن برقعة الشعر درهما ، وقطعة من الخندوس ، وقال لها : إن خبرتني بقائل الشعر ، نخذى الدرهم أجرة ، وإن أبيت أن تعرفيني به نخذى القطعة صدقة وانصرفى . المشوف : المصقول المجلو ، والشوف : لجلاء ، والمعلم : المنقوش ، ونقشه علامته ، وقيل : هو الذى عليه علامة الملك ، وأخذه من قول عنتره :

ولقد شربت من المدامة بعدما ركذ الهواجرُ بالمشوف المعلم^(٣)

(١) ديوانه ٤٤ . جزع الوادى : جانبه . جب : قطع . الذروة : أعلى شيء . الغارب : الكامل . أتمكته : رففته . وفى الديوان : « أمكته جوانبه »

(٢) ديوانه ١٦ ، واضطر حواشيه .

(٣) من المعلقة ٢٥٨ بشرح التبريزى .

بُوحى . تكلّمى . المبهم : المفلق للمبلس . أبيت : امتنعت . اسرحى : اذهبى .
 استخلاص : تخلص ، واستخلص الشيء ، جعله خالصاً . التم : الكامل . والأبلج :
 النقى الأبيض ، وفعله ابلج كاحمار . الهمم : الكبير الذى يهيم به من رآه ،
 وشيخ هم : مسن ، والهمم : الرقيق النحيف ، وهو من همته النار إذا أذابتها ،
 وهممت الشحم : أذبتة . استطلعت طلعها : استخبرتها خبره ، وسألها أن تطلعنى
 عليه ، وتقول : استطلعت طلع الشيء ، إذا حاولت الاطلاع عليه ، وأردت معرفة
 خبره الذى تطلع منه عليه ، وطلع بالكسر . برؤدته : ثوبه .

فَقَالَتْ : إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سَرُوجَ ، وَهُوَ الَّذِي وَشَى الشَّعْرَ
 الْمَنْسُوجَ ، ثُمَّ خَطَفَتْ الدَّرَمَ خِطْفَةَ الْبَاشِقِ ، وَمَرَقَتْ مُرُوقَ
 السَّهْمِ الرَّاشِقِ ، فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمَشَارُ إِلَى ، وَتَأَجَّجَ كَرْبِي
 لِمُصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ ، وَآثَرْتُ أَنْ أَفَاجِيهِ وَأَنَاجِيهِ ، لِأَعْجَمَ عُوْدَ قِرَاسَتِي
 فِيهِ ، وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطُّي رِقَابَ الْجَمْعِ ، أَلْمَنِئِي
 عَنْهُ فِي الشَّرْعِ ، وَعَفْتُ أَنْ يَتَأَذَّى بِي قَوْمٌ ، أَوْ يَسْرِى
 إِلَيَّ لَوْمٌ ، فَسَكَدْتُ بِمَكَانِي ، وَجَمَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيَانِي ،
 إِلَى أَنْ انْقَضَتِ الْخُطْبَةُ ، وَحَقَّتِ الْوَيْبَةُ ، فَخَفَّقْتُ إِلَيْهِ ،
 وَتَوَسَّمْتُهُ عَلَى التَّحَامِ جَفْنِيهِ ، فَاذَ الْمِعِيَّتِي الْمَعِيَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
 وَفِرَاسَتِي قِرَاسَةَ إِيَّاسٍ .

وشى : زين ورقم . خطفت : أخذت بسرعة . الباشق : من جوارح
 الطير . مرقت : خرجت بسرعة . الراشق : الذى يرشق الصيد ، أى ينشبه ،

ويكون الراضق بمعنى المرشوق ، كقوله تعالى : ﴿من ماء دافق﴾^(١) ، أى مدفوق .
قوله : «خالج» ، أى داخل وجاذب . تأجج : اشتعل . كربى : هَمَى ، والتأجج
«التفعل» من الأجيح ، وهو تصويت النار ولهبا إذا اشتعلت وعظمت .
آثرت : اخترت وفضلت ، وآثرته بكذا : فضّلته به والإيثار المصدر . أفاجيه :
أتيه فجأة وهو لا يشعر . أناجيه : أحدثه . أعجم : أجرب . فراسى : نظرى ،
وجعل لها عوداً مجازاً . تخطى رقاب الجمع : الجواز على أعناق الناس ؛ خرج
الترمذى فى النهى عن ذلك ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من
تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم » .

عفت : كرهت . يتأذى : يصيبهم أذى . يسرى : يصل . اللوم : ضد الحمد ،
وهو أن تأخذ الإنسان بلسانك ذمّاً لما فعل . سَكَدَتْ : التصقت ولزمت . قيد
عيانى : غرض نظرى ، أى قيدت نظرى فيه . انقضت : تمت . حقت الوتبة ،
أى وجبت القفزة إليه . خفت : أسرعت . توسّمته : نظرت . التحام : التصاق
وانفلاق . ألمعيتى : ذكائى وصدق ظنّى ، والألمعى ، هو الذى يظن بك الظنّ ،
ولا يخطئ ، وهو اليلمعى من اللعان ، كأنه يلع لذكائه وجودة فطنته ،
وقال أوس :

الألمعى الذى يظنّ بك الظنّ كأنّ قد رأى وقد سمعاً^(٢)

ولا يبيّن أحد الألمعى بأحسن مما يبيّنه أوس ، فإذا سئلت : ما الألمعى ؟
فأنشدت بيته تأت بالجواب الشافى .

والفِراسة ، أن تنظر الشيء فتستدلّ بظاهره على باطنه ، وبما حضر على ما
غاب ، وقيل : الألمعية أن ترى الشيء على بُمد فتعرفه وتحققه ، والفِراسة أن ترى
الرجل بين يديك فتحكّم عليه بما أضمر ، أو بما يريد أن يفعله ، فالألمعية فى البعد ،
والفِراسة فى القرب ، وكيف اختلفت الألمعية والفِراسة ، فالظنّ الصادق يجمع بينهما .

(١) سورة الطارق ٦ .

(٢) ديوانه ٥٣ .

[ذكر ابن عباس وبعض أخباره]

وابن عباس رضى الله عنه ، هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، يكنى أبا العباس .

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واختُلف في السنة التي مات فيها ، ما بين ثمان وستين في الأقل ، وأربع وسبعين في الأكثر . وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وقال : اليوم مات ربانى هذه الأمة ، وضربَ على قبره فسطاق .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن» ، وفي حديث آخر : «اللهم بارك فيه ، وانشر منه ، واجعله من عبادك الصالحين» . وفي حديث آخر : «اللهم زده علماً وفقهه» ؛ وفي حديث آخر : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» . وكلها أحاديث صحاح .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويُدِينه ويقربُه ويشاوره ، مع وفور جِلَّة الصحابة رضى الله عنهم .

وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول : ابن عباس فتى الكهول ، له لسان ستول ، وقلب عقول .

عبد الله بن عبد الله : ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة ، ولا أجَلَد رأياً ، ولا أثبت نظراً من ابن عباس .

ولقد كان عمر يمدّه للمعضلات ، مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين .

عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خيرٍ من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام والعريبة والأنساب والشعر .

عطاء : كان الناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب ، وناس يأتونه

لأيام العرب ووقائعها ، وناس يأتونه للعلم والفتى ، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاءون .

مسروق : كنتُ إذا رأيت ابنَ عباس ، قلت : أجهل الناس ؛ فإذا تكلمت قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدثت قلت : أعلم الناس .

أبو وائل : خطبنا ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو على الموسم ، فافتتح سورة ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيتُ ولا سمعتُ كلام رجلٍ مثله ، لو سمعته فارس والترك والروم لأسلمت .

طاوس : أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذكروا ابنَ عباس خالفوه ، فلم يزل يقودهم حتى ينتهوا إلى قوله .

ابن مسعود : نِعِمَّ تَرجمان القرآن ابن عباس ، ولو أدرك أسناننا معاشره منا رجل .

يزيد الأصم : خرج معاوية حاجاً ، ومعه ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم .

القاسم بن محمد : ما رأيتُ في مجلس ابن عباس باطلاً قطاً ، وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه .

وكان أصحابه يسمونه الحَبْرَ والبحر . وذكر أبو العباس في الكامل أن عمر بن أبي ربيعة أنشده قصيدته :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَبِكْرُ غَدَاةٍ غَدِيٍّ أَمْ رَائِحٌ فَهَجْرٌ

فحفظها من سمعها ، وهي ثمانون بيتاً (١) .

(١) الكامل للمبرد ٣ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وفي آخره بعد أن أورد آياتاً من القصيدة : « فقال له ابن الأزرقي — وقد كان حاضراً في المجلس : قد أنت يا ابن عباس أنفصرت إليك =

مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما : رأيتُ جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، ودعا لى بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وروى عنه أنه رأى رجلاً مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه ، فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : رأيتَه ؟ قال : نعم ، قال : ذاك جبريل ، أما إنك ستفقد بصرَكَ ؛ فعمى بعد ذلك فى آخر عمره ، وهو القائل فى ذلك - ويروى لسان رضى الله عنهما :

إن يأخذ الله من عيني نورها فى لسانى وقلبي منهما نور^(١)
 قلبٌ ذكىٌ وعقل غير ذى دخلي وفى فى صرْمٍ كالسيف مأثورُ
 نظر إليه الخطيئة فى مجلس عمر رضى الله عنهما ، فقال : مَنْ هذا الذى برع
 الناس بعلمه ، ونزل عنهم بسنه ؟ فقيل له : عبد الله بن عباس .

وقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنهما :

إذا ما ابن عباسٍ بدآ لك وجهه رأيت له فى كلِّ أحواله فصلاً^(٢)
 إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ بمنتطحات لا ترى بينها فصلاً^(٣)
 كفى وشفى ما فى النفوسِ ولم يدعْ لذي إربةٍ فى القولِ جدًّا ولا هزلاً

= أ كباد الإبل ، نسألك عن الدين فتعرض ، وبأيتك غلام من قريش فينشدك سفها فنسئمه ؛ فقال : نأله ما سمعت سفها ، فقال ابن الأزرق : أما أنشدك :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزى ، وأما بالشى فيخسرُ
 فقال : ما هيكننا قال ؛ إنما قال : « فيضحى وأما بالشى فيخسر » فقال : أوتحفظ الذى قال ؟ قال : واه ما سمعتها إلا ساعى هذه ، ولو شئت أن أرددها لرددتها ، قال : فأرددها - فأنشدها إياها كلها .

(١) ديوان حسان ١٦٤

(٢) ديوانه ٣٥٩ ، ولم يرد فيه البيت الأول .

(٣) الديوان : « بعلتطت » .

سموتَ إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا ذليلاً ولا وغلًا^(١)

ونظر إليه معاوية يوماً يتكلم معه ، فأتبعه بصره ، فقال متمثلاً :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ مصيب ولم يثن اللسان على هُجْرٍ
يصرّف بالقول اللسان إذا انتحى وينظر في أعطافه نظر الصقر

وروى أن طائراً أبيض خرج من قبره ، فتأولوه علمه خرج إلى الناس .

وقيل : دخل قبره طائر أبيض ، فقيل : هو بصره .

وقال أبو الزبير : مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف ، فجاء طائر

أبيض فدخل في نعشه حين حُل ، فما رُئى خارجاً منه .

وفضائله كثيرة مشهورة ، فلنقف منها على هذا القدر .

[ذكر إياس القاضي]

وأما إياس ، فهو أبو وائلة بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب

المزنيّ ، قاضي البصرة . وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب

إلى عدى بن أرطاة عامله على البصرة ؛ أن اجمع إياس بن معاوية المزنيّ والقاسم

ابن ربيعة الحارثيّ ، فوَلّ القضاء أنذَهما وأقعهما . فجمع بينهما ، فقال كل واحد :

إن صاحبه أنفذ وأقعه ، فقال له إياس : سل عنّي وعن القاسم فقيهيّ المصر :

الحسن وابن سيرين - وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما - فعلم القاسم أنه

إن سألهما أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عنّي ولا عنه ؛ فوالله الذي لا إله

إلا هو ؛ إن إياساً لأقعه منّي ، فإن كنت كاذباً فما عليك إلا ألا توليّي

(١) الوغل من الرجال : الضعيف الساقط .

(١٩ - شرح مقامات الحريري)

وأنا كاذب، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي. فقال له إياس: إنك جئت برجل، فوقفته على شفير جهنم، فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف، فقال له عدى: أما إنك إذ فهمتها فأنت لها؛ فاستغواه. وقال إياس رحمه الله: أرسل إلى ابن هبيرة فأتيته، فسألني فسكت، فلما أطلت قال: هيه! قلت: سل عما بدا لك، قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أتفرض الفرائض؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العرب شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العجم شيئاً؟ قلت: أنا بها أعرف، قال: إني أريد أن أستعين بك على عملي، قلت: إن في خصالاً ثلاثاً لا أصلح معها للعمل، قال: ما هي؟ قلت: أنا دميم كما ترى، وأنا عبي، وأنا حديد، قال: أما دمامتك إني لا أريد أن أحاسن بك الناس، وأما العبي فإني أراك تُعرب عن نفسك، وأما الحدة فإن السوط يقوّمك، قم. فولاني القضاء، وأعطاني عشرة آلاف درهم، فهي أول مالٍ تمولته.

ودخل عليه عدى بن أرطاة في مجلس القضاء - وعدى أمير البصرة، وكان أعرابياً الطبع - فقال: يا هناء، أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط، قال: فاسمع مني، قال: للاستماع جلست، قال: إني تزوجت امرأة، قال: بالرّفاء والبنين، قال: وشرطت لأهلها ألا أخرجها من بينهم، قال: أوف لهم بالشرط، قال: فأنا أريد الخروج، قال: في حفظ الله، قال: فاقض بيننا، قال: قد فعلت، قال: فبم تحكم؟ قال: بألا تخرجها، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وأول ما ظهر من ذكائه، أنه دخل دمشق، وهو غلام، فتحاكم مع شيخ عند قاضياها، فصال إياس بحديثه على الشيخ، فقال له القاضي: إنه شيخ كبير، فخذنص كلامك، فقال له إياس: الحق أكبر منه، فقال له القاضي:

اسكت ، فقال : وَمَنْ يَنْطِقُ بِحَجَّتِي ؟ فقال له القاضي : ما أراك تقول حقًا ، فقال إياس : لا إله إلا الله ، أحقُّ هذا أم باطل ؟ فدخل القاضي من فوره إلى عبد الملك بن مروان ، فأعلمه بما رأى من ذكائه ، فقال له عبد الملك : اخرج فاحكم بينهما ، وأخرجهُ الآن من دمشق إلى بلاده لئلاَّ يُفسد على أهل الشام .

ولما دخل عبد الملك البصرة رأى إياساً وهو صبيّ ، وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالة ، وإياس يقدمهم ، فقال عبد الملك : أفٍ لهذه العنانين ؛ أما فيهم شيخٌ يقدمهم غير هذا الحدث ! ثمّ التفت إليه ، وقال : كم سنك ؟ فقال : سنّي - أطال الله بقاء الأمير - سنُّ أسامة بن زيد بن حارثة حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم أبو بكر وعمر ؛ فقال : تقدّم بارك الله فيك ، وكان سنّه سبع عشرة سنة .

وأما ذكاؤه وفراسته ، فقد أُلّف في ذلك المدائني كتاباً سمّاه كتاب «زكّن إياس» ، والزكّن : التشبيه ، يقال : زكّن عليهم وزكّم : شبّه وخيّل ، وقيل : الزكّن : الظنّ والتفرّس . ومن زكّنه أنه اختصم إليه رجلان في قطيفتين : حمراء وخضراء ، فقال أحدهما : دخلت الحوضَ لأغتسل ووضعت قطيفتي ، ثم دخل واغتسل ، فخرج قبلي ، وأخذ قطيفتي ، فتبعته ، فزعم أنها قطيفته ، فقال : ألك يدنة ؟ قال : لا ، قال : اثنوني بمشط ، فأثني به ، فسرّح رأس هذا ، ثم هذا ، فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ، ومن رأس الآخر أخضر ، فقضى بالأخضر لصاحب الأخضر ، وبالأحمر لصاحب الأحمر .

وأتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزكّنه أهله حتى صاروا فرقتين : فرقة تزعم أنه معلم ، وأخرى تزعم أنه قاضٍ ، ثم وجهوا إليه رجلاً ، فأخبره خبرهم ، فقال : أهاب الذين ذكروا أني قاضٍ ، ورويداً أخبرك عن القوم ؛ أما الذي منّ صفته كذا فهو كذا ، وأما الذي يليه فهو كذا ، وأما ذاك الشيخ فإنه نجار ، فقال الرجل : في كلهم والله أصبت إلا في الشيخ ،

فإنه من قريش ، فقال إياس : وإن كان من قريش ! فقام الرجل إلى أصحابه ، فقال : قد جئتكم من عند أعجب الناس ، والله إن منكم من أحدٍ إلا أخبرني بصناعته إلا هذا فزعم أنه نجار ، فقال : صدق والله : إني لأنجر عيدان جواري - يعني عود الزمار .

ونظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء ، فقال : هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر ، فسئلتن فوجدن كذلك ، فسئلت من أين لك علم ذلك ؟ فقال : لما فزعتن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع لها ، فوضعت المرضع على ثديها ، والحامل على بطنها ، والبكر على فرجها .

وسمع نباح كلب لم يره ، فقال : هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر ، فنظر فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : سمعت عند نباحه دويًا ، ثم سمعت بعده صيًى يخبية ، فعلمت أنه عند بئر .

ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير ، فقال : هذا بعير أعور ، فنظروا فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأن وجدت اعتلافه من جهة واحدة .

ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل ، كما يضرب بجود حاتم وحلم الأحنف وشجاعة عمرو بن معد يكرب ، نظمهم حبيب في بيت جمع فضلهم المتفرق للعباس ابن المأمون ، فقال :

إقدامُ عمرو في سماحة حاتمٍ في حلمٍ أحنفٍ في ذكاءِ إياسٍ^(١)

وتوفي سنة ثنتين وعشرين ومائة . وأخباره كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية .

فَعَرَفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي ؛ وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ قُمْصِي ، وَأَهْبَتُ بِهِ
إِلَى قُرْصِي ، فَهَشَّ لِعَارِفَتِي وَعِرْفَانِي ، وَبِي دَعْوَةَ رُغْفَانِي ،

(١) ديوانه ١٧٤ ، وفيه : « يمدح أحمد بن المعتصم » .

وَانطَلَقَ وَيَدِي زَمَامُهُ ، وَظَلَى إِمَامُهُ ، وَالْعَجُوزُ ثَالِثَةُ الْأَثَافِي ،
 وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا اسْتَحَلَسَ وَكُنْتِي ،
 وَأَخْضَرْتُهُ عَجَالَةً مُكْنَتِي ، قَالَ لِي : يَا حَارِثُ ، أَمَعْنَا ثَالِثُ ؟
 فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا الْعَجُوزُ ، قَالَ : مَا دُونَهَا سِرٌّ مَحْجُوزٌ . ثُمَّ فَتَحَ
 لِإِخْدَى كَرِيْمَتِيهِ ، وَرَأَى بِنُوْمَتِيهِ ، فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهَهُ يَقْدَانِ ،
 كَأَنَّهُمَا الْفَرَقْدَانُ . فَأَبْتَهَجْتُ بِسَلَامَةٍ بَصْرِهِ ، وَعَجَبْتُ مِنْ
 غَرَائِبِ سَيْرِهِ ، وَلَمْ يُبْلِقْنِي قَرَارٌ ، وَلَا طَاوَعَنِي اصْطِبَارٌ ، حَتَّى
 سَأَلْتُهُ : مَا دَعَاكَ إِلَى التَّمَالِي ؛ مَعَ سَتِيرِكَ فِي الْمَعَامِي ، وَجَوْبِكَ الْمَوَامِي ،
 وَيَاغَالِكَ فِي الْمَرَامِي !

• • •

قوله : «أهبت به» ، أى دعوته ، وأصل «أهأب» دعانفسه من بئد . وقيل :
 الإهابة دعاء الإبل للشرب . والقُرْصُ : رغيص صغير سُمِّيَ قرصاً ، كأنه قرص من
 العجين ، أى قُطِعَ ، والتقريص : التقطيع . هَشٌّ : خف فرحاً . والعارفة ، يريد النعمة
 وهى المعروف . لَبَّى : أجاب وقال : لبيك ، ومصدره تلبية وهى «تفعلة» ، من
 الإلباب وهو اللزوم ، ولَبَّ بالمكان وألَبَّ به : أقام ، وأصله لَبَّبَ بثلاث باءات ،
 فأبدلوا الآخرة باء استنقالات اجتماع الأمثال ، كما قالوا : تظنيت وتمطيت ، فالياء
 فيهما بدل من مثل الحرف الذى قبلها ، ثم أتبعوه الإبدال فى المصدر وهو تلبية ،
 فإياه باء ، وقولهم : لبيك ، معناه إجابة بعد إجابة ، ولزوماً لطاعتك بعد لزوم .
 رُغْفَانٌ : جمع رغيص ، يريد أنه لما سمع يذكر الخبر ، فكان الخبر دعاه فأجابه .
 زحامة : مقوده . إمامه : هاديه . الأثافي : حجارة القدر ، وهى ثلاث ، والعرب
 تقول : رماه الله بثلاثة الأثافي - يعنون بها الجبل ، لأنهم يجعلون حجرين

ويلصقونهما بالجبل ، فيقوم الجبل مقام الحجر الثالث ، واحداً منها أُنْمِيَّةٌ بالتشديد ، وقد تُخَفَّفُ ، وقد أُنْفَيْتِ القدر وأُنْفَتْها ونَفَيْتِها ، وتسمَّى العرب أُنْفَى الحديـد المنصَّب . الرقيب : الحافظ ، يريد الله تعالى . استحلَّس وُكْمَتِي ، أى دخل بيتي ، وجلس على حِاسِه ، وهو ما يُبَسِّط تحت بسطه ؛ يقبها الأرض ، وفلان حِلْسُ بيته ، أى لازم التعمود فيه ، وفي الحديث : « كن في الفتنة حِلْسُ بيتك » ، أى لا تدخل فيها ، والحِلْسُ : كساء يلي ظهر البعير تحت البرذعة ويلزمه ، فشبَّه الذين يعرفون الشيء ويلزمونه بالحِلْس ، ومنه قولهم : لست من أحلاسها ، أى من أصحابها العارفين بها . ومنه بنو فلان أحلاس الخيل ، أى الذين يضمرونها ويلزمون ظهورها ، وأحلاس القوافي : المجيدون في نظم الشعر ، والوُكْمَةُ : الثقبه في الحائط يسكنها الطائر ، وقيل : هى الموضع من الشجرة وغيرها ، يقع عليه للمبيت ، وهى الوَكْمُ ، ووَكْنُ الطائرُ وَكْنًا ، فهو واكن إذا حضن على فرخه ، فلزم وُكْمَتَه . عَجَالَةٌ مُكْمَتِي : ما تعجَّل وأمكن من الطعام . محجوز : ممنوع ، وحجزت الشيء : حزرته ومنعته ، وحجزت بين الشئين حجزاً ، فأنا حاجز ، إذا جعلت بينهما حائلاً ، والمنعول محجوز ، ومنه الحِجَاز ؛ لأنها أرض حجزت بين نجد والسَّراة . كريمته : عينيه ، وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد أذهب الله كريمته إلا كان ثوابه عند الله الجنة » قالوا : وما كريمته ؟ قال : عيناه . رأراً : قلبهما وأدارها إدارة كثيرة . وتوهمته : كريمته ، وقوله : « مسح كريمته » ، يريد أنه حكَّهما بكفِّه ، فانتفض عنهما ما كان ألصقهما به ، حتى التحا . وقيل : رأراً : أدار العين وحدد نظرها . وتوهمته : عيناه ، وفي الغريب المصنَّف : رأراتِ المرأة بعينها ولألأت ، إذا برقت عينيها ، وأنشد ابن الأعرابي :

عجبت من الحور الكريم نجارها تُرأرىء بالعينين للرجل الحليل^(١)

الحليل : الداهية . الفرقدان : نجان مُنيران في بنات نعش . ابتهجت : فرحت .

(١) اللسان - حبل ، وروايته : « فيا عجبا للغود تندی قناعها » .

سِيرَه : عاداته . يُبْذِنِي قَرَار : يحبسني سكون وطمأنينة . التَّعَامِي : استعمال العمى .
 المعامى : الطرُقُ الجُهولة ، وقيل : القفار البعيدة التي تعمر فيها الآثار فلا يُهْتَدَى
 فيها . الموامى : القفار ، واحدها مَوْمَاءة . إِبْغَالِك : إبعادك ومبالغة دخولك .
 المرامى : المقاصد والبلاد التي ترميه إلى بلاد أُخْرَى ؛ يقول : سألته ما الذي
 دعاك إلى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق في المشقات وجَوْب البلاد
 البعيدة ، فلم تجِدْ لنفسك حيلة حتى تشبَّهت بالعميان !

* * *

فَتَظَاهَرَ بِاللُّكْنَةِ ، وَتَشَاغَلَ بِاللَّهْنَةِ ، حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ ، أَتَارَ
 إِلَى نَظَرِهِ ؛ وَأَنْشَدَ :

وَأَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى عَنِ الرَّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقاصِدِهِ
 تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمَى وَلَا غَرَّرَ أَنْ مَحْذُوقِ الْفَتَى حَذُوقِ الدِّمَةِ

ثمَّ قَالَ لِي : انْهَضْ إِلَى الْمُخْدَعِ فَانْتِنِي بِمَسْئُولِ يَرُوقُ الطَّرْفِ ،
 وَيُنْتِقِي السَّكْفِ ، وَيُنْعِمُ الْبَشْرَةَ ، وَيَمَطِّرُ السَّكْمَةَ ، وَيَشْدُ اللَّئِمَةَ ،
 وَيَقْوَى الْمَعِدَةَ ، وَلَيْكُنْ نَظِيفَ الطَّرْفِ ، أَرِيحَ الْعَرْفِ ، أَيْ
 الدَّقِّ ، نَاعِمِ السَّحْقِ ، يَحْسِبُهُ اللَّامِسُ ذُرُورًا ، وَيَخَالُهُ النَّاشِقُ كَأَفُورًا ،
 وَأَقْرُنْ بِهِ خِلَالَ تَقِيَةِ الْأَصْلِ ، مَحْبُوبَةِ الْوَصْلِ ، أُنَيْقَةَ الشَّكْلِ ، مَدْعَاةَ
 إِلَى الْأَكْلِ ؛ لَهَا نَعَافَةُ الصَّبِّ ، وَصَقَالَةُ التَّمْضِيبِ ، وَآلَةُ الْحَرْبِ ،
 وَلِدُونَةُ الْعُضْنِ الرَّطْبِ .

تظاهر : استعان . واللكنة : احتباس اللسان ؛ يريد: لنا امتلاء فيه بالطعام .

لم يقسرح لسانه بالكلام ، فوجد بذلك علة لقطع الجواب ، فكان الأكنة أبحاثه على ذلك . اللهمنا : الطعام المعجل للصيف قبل الغداء ، وكل ماتعجلته قبل إدراك الطعام لهنة ، ولهننت الضيف : علته بذلك . قضى وطره : أتم حاجته من الأكل ، والوטר : المراد ، ولا فعل له . أثار : تابع نظره وحدده . الورى : الخلق . آحائه : أغراضه ومقاصده ، والنحو كالتصديق . لاغرو : لا عجب . يحدو حدوة : أى يفعل فعله .

[ذكر العمى وما ورد فيه من الشعر]

وهذا الاعتذار عن التعامى حسن ، وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضى الله عنهما عنه . ومما يعزى للحضرمى^(١) فى ذلك :

وقالوا قد عميت فقلت كلاً
سواد العين زار سواد قلبى
فأبى اليوم أبصر من بصير
ليجتمعاً على فهم الأمور
أخذته من قول بشار :

إذا ولد المولود أعمى وجدته
عميت جنيناً والذكاء من العمى
وفاض ضياء العين للقلب فاعتدى
وشعر كنوز الروض لامت بينه
ووجدك أهدى من بصير وأحولاً^(٢)
فجئت عجيب الظن للعلم معقلاً
بقلب إذا ما ضيع الناس حصلاً
بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلاً
وقال بشار :

قالوا العمى منظره قبيح
تالله ما فى البلاد شئ
قلت بفقدي لكم يهون^(٣)
تأسى على فقده العميون

(١) الحضرمى ، بضم الحاء وسكون الصاد ، منسوب إلى عمل الحضرم أو يبعها : على ابن عبد الفى القسروانى ، صاحب قصيدة « ياليل الصب » ، وهو ابن خالة لإبراهيم بن على الحضرمى ، صاحب كتاب زهر الآداب ، والبيتان فى نكت الهميان ٧٦ .
(٢) الأبيات عدا الأولى فى الأغانى ٣ : ١٤٢ ، ونكت الهميان ٧٥ .
(٣) نكت الهميان ٧٥ .

وعكس هذا المعنى أبو العيناء حين سأله المتوكل : ما أشدُّ ما عليك في ذهاب بصرك؟ قال : ما حرِّمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك .

ومما يُستملح من هذا الباب : نشأ أعمى بين أعورين ، فإذا مشيا أو قعدا ، فحاذى عَوْرُ هذا عَوْرَ هذا نشأ بينهما أعمى .

وقال المتنبى يمدح العورَ ويذمه في بيت واحد :

أيا بن كروسي يا نصفَ أعمى وإن تفخر فيا نصفَ البصير^(١)
فإذا انضمَّ ابن كروسي إلى مثله نشأ بينهما أعمى ، قال الشاعر :
وبيننا أبدأ أعمى نؤلّفه قد يخلق الله عيانا من العورِ
وقال آخر :

ألم ترني وعمراً حين نغدو إلى الحاجات ليس لنا نظيرُ
أسايره على يميني يديه وفيما بيننا رجلٌ ضريرُ
وقال آخر في أعور وعوراء تعاشقا :

هي عوراء باليمين وهذا أعورٌ بالشمال وافق شتاً
بين شخصيهما ضريرٌ إذا ما قعدت عن شماله تنفّى
فأما قول جميل^(٢) اليشكري في صفة الذئب^(٣) :

وأعور من يمينه إن شاء مرة وإن شاء من يسراه ما كان راقداً
لقد فرزت دون العور - أوس - برتبة^(٣) وأعطيت نابا يفلق الصخر بارداً

(١) ديوانه ٢ : ١٤٤ ، قال في شرحه في مخاطب ابن كروس الأعور وكان يماديه .

(٢) كذا في الأصول ، ولمه تصحيف عن « المنخل » .

(٣) أوس اسم علم على الذئب .

فإنما وصفه بشدة الحذر ، وذكر العور على معنى الاستعارة كما قال حميد
ابن ثور :

ينامُ بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان نائم^(١)

وقال ابن المعتل :

أشهى في المقلة القبلا لا كثيراً يشبه الحولاً
واحمرار الحدة من خجلٍ إننى أستحسن الخجلاً

وقال آخر :

وأحولٍ ذى حرَّكته يملأ بيتى برَّكته

يريد أنه يرى من الشيء اثنين ، كما قال الآخر :

فقد جعلتُ أرى الشخصين أربعةً والواحد اثنين تما بورك البصرُ

لأن هذا يصف الكبير .

واعتذر القاضي أبو محمد عبد الوهاب^(٢) عن الحول فأحسن ، حيث يقول :

حمدت إلهي إذ بُليت بحبِّها وبي حَوْلٌ يفنى عن النَّظَرِ الشَّرِّ
نظرتُ إليها والرَّقيبُ يظنُّني نظرتُ إليه، فاسترحت من العُذْرِ

فجَوهُ رفع عنه ثقل مؤنة التكلف الذي ذكر الآخر حين قال :

ولما التقينا والعيونُ نواظرةٌ وليس لنا رُسلٌ سوى الطَّرفِ للطَّرفِ

(١) البيت لحميد بن ثور ، ديوانه ١٠٥ ، : « يقظان حاجم » .

(٢) هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن أحمد المالكي ، القاضي ذكره البناهي في

التربية النيابية ٤٠ - ٤٢ .

تنزهت في خديك من نظر خفي وما زلت أخفي الود ضعفاً على ضعفي
فإن غفل الواشون فزت بنظرة وإن نظروا نحوي نظرت إلى كفي
فلذلك حمد الله على الحول .

وقال الناشئ في هذا المعنى فأحسن :

يتناقضان اللفظ من جنبيهما فكأنما يتناسخان كتاباً
وإذا سَهت عينُ الرقيب تخالست كفاهما خأس السلام سلاباً

وللقاضي أبي محمد عبد الوهاب ، أنشدنا بعض أشياخنا البيت الثاني والأخير من القطعة التالية ، وكان كثيراً ما يحرضنا بها على الطلب ، ويسلينا عن الغربة :

ومحجوبة في الخدر عن كل ناظرٍ ولو برزت بالليل ماضل من يسرى
أقول لها والدمع يغب صبرها أعدي لفقدي ما استطعت من العبر
سأنق ريعان الشبية أنفاً على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الحرمان أن ليالياً تمرُّ بلا نفعٍ وتحسب من عمرى

ولم ينشدنا البيت الأول ولا الأوسط ، وهما من القطعة .

وأما كلام الحريري الذي فرغنا من شرحه ؛ فهو منقول من مقامة البديع^(١) ، يقول على لسان عيسى بن هشام : « ثم فارقهم وتبعته ، وعرفت أنه متعام لسرعة ما عرف الدينار . فلما نظمتنا خلوة ، مدت يميني إلى يسرى عضديه ، فقلت : والله لتريني سرّك ، أو لأهتك^(٢) سترك ، ففتح عن توءمته^(٣) ، وحدر لثامه عن وجهه ، فإذا والله أبو الفتح الإسكندري ، فقلت له : أنت أبو الفتح ؟ فقال :

(٢) المقامات : « لا كفن » .

(١) المقامات ٩٣ .

(٣) المقامات : « توءمتي لوز » .

أنا أبو قلمون • في كل لون أكون
 اختر من الكسب دونا • فإن دهرك دون
 زج الزمان بحمق • إن الزمان زبون
 لا تكذب بعقل • ما العقل إلا الجنون

وعتب الحريري على العمى فائق في النثر ، وشعره في الاعتذار عنه رائع في
 النظم ، وهو على انطباعه في القصد إذا أتى بالبيتين أتى بالعجب ، وهو في ذلك
 كما قيل في أبي منصور الفقيه : إذا رمى بزُجَّيه قتل .

قوله : « الخدع » ، هو بيت داخل بيت ، قال ابن الأنباري : هو الخزانة في جانب
 البيت ، وهو من خدع ، إذا توارى واستتر ، وأخدعه إخداعا : أخفاه ، فمن ضم
 ميم « مُخدع » فهو من « أخدع » ، ومن فتح فهو من « خدع » ، وخدع الصب
 في جُعره خدعاً : دخله خوفاً من صائده . التَّؤول : الأُشنان ، وهو التناوة ،
 ويقال أيضاً : الفاسول ، وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غِسل وغَسول .
 يرُوق : يعجب . والطرف : العين . ينقى : ينظف . والبشرة : ظاهر الجلد .
 والنكمة : رائحة الفم ، ونكمت الرجل أنكبه وأنكبه - والفتح أقل -
 واستنكته ، كله شممت فاه ، قال الشاعر :

نكمتُ مجالداً فشممتُ منه كريح الكلبِ ماتَ حديثَ عَهْدِ
 واللثة : اللحم على الأسنان . نظيف الظرف : نقي الوعاء . أريج العرف :
 عطر الرائحة ، والأرج : فوح الطيب وأرج المسك : فاح . فتى الدق : طرى الكسر .
 ناعم : حسن ، قد بولغ في سحقه ، يريد أنه في الحال الذي يسحق يستعمل .
 الناشق : الشام . والذرور والكافور : من أنواع الطيب ، والذرور هو

(١) السان - نكه ، وفيه : « فوجدت منه » .

المعروف بالذريعة ، والذرور أيضاً: غبار يُذَرّ في العين، وكله مأخوذ من الذرّ ، وهو التفرق ، لأن أجزاءه تفرقت عند سحقه ، وفعله ذرّ ، وأصله ذرر - والكافور مأخوذ من الكفر ، وهو التغطية ، فلشدة فَوْحِهِ وحده يستر رائحته غيره من الطيب . واللامس : الذي يمسّه بيده . الخلالة : عوید رقيق يخرج به الطعام من خلل الأسنان . أنيقة الشكل ، معجبة الهيئة ، وشكل الشيء : هيئته التي هو عليها . ومدعاة : داعية ، والماء للمبالغة . نحافة الصبّ : رقة العاشق . والمضب : السيف القاطع . آلة : عدّة وأداة ، يريد أنها محدّدة مصقولة مثل آلة الحرب . وىروى : « آلة » بالتشديد ، وهي الحربة . لدونة : لين . نحافة الصبّ : ليس هو تشبيهاً حقيقياً ، وإنما أراد أنها أخذت من العاشق نحافته ، ومن المضب صقالته ، ومن الفصن لدونته ، ولو شبه الخلالة في الرقة بالعاشق ونحوه لكان جائزاً ، وكان من التشبيه المقلوب ، وكلاهما بديع في بابه .

والخلالة التي ذكر ، أصلها نبات لشجيرة نبت في الصيف ، وتقطع له رءوس ، يكون في الواحد منها عدّة من قضبان رفاق ، فيمسك الرجل منها في يديه رأساً ، فتنى أكل طعاماً نزع منها قضيباً فتخلل به ، ويعرف هذا النبات عندنا بالبستينج ، فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذي عندهم في المشرق ، وإلا فصفته التي وصفت موجودة في البستينج من الرقة والصفاء واللين والحدة .

وجاء في الحديث النهى عن التخلل بمود الآس والرمان والقصب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقوا أفواهكم بالخلال فإنها مسكن الملكين للكاتيبين الحافظين ، وإن قلمها اللسان ، ومدادها الرقيق ، وليس عليهما شئ أشد من فضول الطعام » .

أبو أيوب : قال صلى الله عليه وسلم : « حبذا المتخللون في الرضوء والطعام » .
أبو هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : « من أكل فليتنخل ، فما تنخل فليلفظ ، ومالك بلسانه فليبتلع » .

[استطرد بذكر أشعار في التشبيه رائقة]

والخِلالة إذا بلغت من رقتها ، أن تقع بين الأسنان ، فالعاشق إذا بلغ الغاية التحول ، هو الذي يشبه بها ، كما قال في التاسعة في وصف الصبي الهزيل من الجوع : « ولى منه سُلالة ، كأنها خِلالَة » ، وأخذه من قول ديك الجن :

ارحَمَ اليوم ذلتى وخُضوعي فلقد صرت ناحلاً كالخِلالِ

وقال أبو الطيب :

رُوحٌ تَرَدَّدَ في مثل الخلالِ إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يَبِين^(١)

فذكر أن ثوبه على بدن لم يتبين للناظر . والتشبيه المقلوب عندهم شيء مستظرف ، ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة :

ورملٍ كأوراكِ العذارى قطعته وقد جَلَّته للظلماتِ الحنادِسِ^(٢)

فقلب التشبيه ، لأن العادة أن تشبه الأعمار بكثبان الرمل ، كما قال الآخر :

* مثل قضيبٍ تحته كثيبُ *

وكما قال الآخر :

وبيضٍ نصيراتِ الوجوه كأنما تَأزَّرْنَ دون الأزرِّ رملاتِ عالجٍ

وأخذه حبيب ، وجود الصنعة حيث قال :

كم أحرزت قضب المندى مصلتةً تهتز من قضبٍ تهتز من كُشبِ^(٣)

(١) ديوانه ٤ : ١٨٦

(٢) ديوانه ٣١٨

(٣) ديوانه ١١

علق قوله: «من قُضِبَ تهتز» : «أحرزت» يلج^(١) لك بديع صنعته بسرعة ، فإنه أراد: كم أحرزت قُضِبَ الهند وهي السيوف إذا أُصْلِتَتْ من أعمادها ، وهزّت من قُضِبَ ، أي قدود نساء . تهتز من كُشِبَ ، أي أكفال شبه أكداس رمال . وما أعذب وأظرف قول البحترى :

أين الغزال المستعير من النَّقَا كَفَلًا ومن نَوْرِ الأَفَاحِي مَبِيسًا^(٢)

فهذا هو الذى جرت به العادة فى التشبيه ، قلب ذو الرمة العُرف والعادة ؛ فشبهه كُشبان النَّقَا بأ كفال النساء ، وتبعه خالد الكاتب وغيره . حدث جحظة قال : حدثني خالد الكاتب ، قال : جاءني يوماً رسول إبراهيم بن المهديّ ، فسرت إليه ، فرأيت رجلاً أسود على فُرُشٍ قد غاص فيها ، فاستجلسني وقال : أنشدني من شعرك ، فأنشدته :

رأتُ منه عيني منظرين كما رأْتُ من الشمس والبدر المنير على الأرض
عشيّة حَيَّانِي بوردٍ كأنّه خدود أضيفت بعضهنّ إلى بعض
ونازعني كأساً كأنّ حبابها دموعي لما صدّ عن مُقلتي غمضي
وراحَ وفعلُ الرّاحِ فى حرّكاته كِفعلِ نسيم الرّيح فى العُصن الغصّ

فزحف حتى صار فى ثلثي الفراش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخدود بالورد ، وأنت شبهت الورد بالخدود ! فزدني ، فأنشدته :

عابتُ نفسي فى هواك فلم أجدها تقبل^(٣)
وأطعت داعيها إليّ لك ولم أطع من يعذِل
لاوالذى جعل الوجوه لحسن وجهك تمثُل
لاقلت إن الصبر عندك من التّصابي أجمل

(١) كذا فى ا ، ب ، و فى ط : « يلج » .

(٢) الأغاني ٢١ : ٣١

(٣) ديوانه ٨٠ : ١٩٥

فزحف حتى انحدر من الفراش ، ثم قال : زدني ، فأشدته :

عش فحُبِّيكَ سريعاَ قاتلي والصنى إن لم تصلني واصلِي
فأنا بين اكتابِ وِصْنِي تركاني كاتمةِ ضيبِ الذابل
فبكي العاذل لي من رحمةِ فبكاني لبكاءِ العاذلِ

فاستخفتُ طرباً ، ثم قال : يابليق^(١) ، كم معك لنفقتنا؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً ، قال : اقسما بيني وبين خالد ، فدفع إلي نصفها .

وقد سبق إلى قوله : « كأنه خدود » ، قال المفضل : دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد ، وعنده جاريةٌ مليحةٌ شاعرةٌ أديبةٌ ، قد أهديت إليه ، قال : يا مفضل ، قل في هذا الورد شيئاً تشبهه به ، فأنشأتُ أقول :

كأنه خدٌ معشوقٍ يقبله فم الحبيب وقد أبقى به خجلاً

وقالت الجارية :

كأنه لونٌ خدِي حين تدفني كف الرشيد لا أمر يوجب الفسلاً
فقال : يا مفضل قم فاخرج ، فإن هذه الماجنة قد هيَّجتنا ، قصمت وأرخت السور .

ولقد أحسن ابن الزقاق في قوله :

ورياضٍ من الشقائق أضحت تنهادي بها نسيم الرياح^(٢)
زرتها والغانم يجلد منها زهراتٍ تروق لونَ الزاج
قلت : ما ذنبها ؟ فقال مجيباً : سرقتُ حُجْرَةَ الخدودِ الملاحِ

(١) الأغاني : « يابليق » .

(٢) ديوانه ١٣٥ ، المغرب ٣٢٤ .

وقال البحرى :

في طلعة الشمس شئٌ من ملاحظتها وللقضيب نصيبٌ من تشبيها^(١)

وقال ابن المعتز :

سقتنى في ليلٍ شبيهه بشعرها شبيهةٌ خديها بغير رقيب

فأمسيتُ في ليلين: في الشعر والدجى وشمسين : من خمر وخذ حبيب

وأستطرد إلى قلب التشبيه من مبالغة التحول الذى ذكرنا ، فأقول : إذا

صار جسم العاشق من التحول يوصف بمثل قول الشاعر :

أنحلنى الحبّ فلو زجّ بى فى مُقلّة النائم لم ينتبه

قد كان لى فيما مضى خاتمٌ والآن لو شئت تمنطقت به

وبمثل قول أبى بكر بن دريد :

إن الذى أبقيت من جسمه يامتاف الصبّ ولم يشعُر^(٢)

صُباية لو أنها قطرةٌ تجول فى جفحك لم تقطُر

صار جسم الخلالة على نحافته أكبر من جسم الصبّ بأضعاف ، فينقلب

التشبيه ، وكذلك إذا بولغ فى وصف الأكفال بالعظم صغرت عندها الكتبان ،

فينقلب التشبيه .

وقد ترجم ابن جنى فى خصائصه ترجمة ، قال : هذا باب من غلبة الأصول

على الفروع ، ثم أنشد بعض ما أنشدنا ، وقرنها بمسائل من العربية حسان تشبه

الباب^(٣) .

(١) ديوانه ٢٤١ ، وفيه : « فى حمرة الورد شكل من تلبها » .

(٢) ديوانه ٦٧

(٣) المحاسن ١ : ٢٠١ - ٢٠٣

(٢٠ - شرح مقامات المريرى ١)

وللمتقدمين والمتأخرين في النحول شعر كثير، ويستحسن في ذلك قول المجنون:
فأصبحتُ من ليلَى الغداة كناظرٍ - مع الصَّبحِ في أعقابِ نجمِ مغربٍ^(١)
ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ - صدَى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ
أخذه المؤملُ فقال :

قد صرتُ من ضعفى إلى حالَةٍ تجرى لها آمانُ حُسادى
يكاد جسى من نحول الضئى - تحمله أنفاسُ عوادى
وزاد خالد الكاتب ، فجعله لا يُدرك إلا بالوهم ، فقال :
يا من تجاهلَ عما كان يعمله - عمداً وباحِ بسرِّ كان يكتُمه
غداً خليلك نضواً لاجراكَ به - لم يبق من جسمه إلا توهمه
فزاد ابن المعتز ، وجعله يخفى على الموت ، فقال :

مُسَهَّدٌ خانهُ التفريقُ في أصلِهِ - أضناه سيده ظلاماً بمرتحله^(٢)
فدقَّ حتى لو أن الدهرَ قادَ له - حنناً لما أبهرتُه مقلتا أجله
فأقدمه المتنبي واستريح منه ، فقال :

أراكِ حسبتِ السلكَ جسى فَعَقَّتِهِ - عليكِ بدُرٍّ عن لقاء الترائبِ^(٣)
ولو قلمَ ألقيتُ في شقِّ رأسِهِ - من السقمِ ماغيَّرتُ من خطِّ كاتبِ

* * *

قال : فَمَهَضْتُ فِيما أَمَرَ ، لأذراً عَنْهُ العَمَرَ ، ولمْ أَمِّ إلى أَنَّهُ

(١) البيتان في حساسة ابن الشجرى ١٥٦ بنسبتهما إلى محمد بن النيزى .
(٢) ديوانه ١ : ١٤٩ . السلك : الحيط . والترائب : حل القلادة من الصدر .

تَقْصِدَ أَنْ يَخْدَعَ، بِإِذْخَالِي الْمَخْدَعِ، وَلَا تَظَنِّتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ،
فِي اسْتِدْعَاءِ الْخِلَالَةِ وَالْعَسُولِ .

فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمُلْتَمَسِ، فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ، وَجَدْتُ
الْجَوْهَ قَدْ خَلَا، وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا، فَاسْتَشْطْتُ مِنْ مَكْرِهِ
غَضَبًا، وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا، فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي الْمَاءِ، أَوْ
عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ .

* * *

قوله: «أدراً»، أى أزيل . القمر : الودك . أم : أظن ، ويذهب وهمى .
تظنيت : حسبت ، وأبدل إحدى نونى «ظن» بياء تخفيفاً للتضعيف . سخر : هنأ .
الملتمس : المطلوب . الجوّه هنا : داخل البيت . أجفلاً : هرباً وأسرعاً . قوله :
«استشطت» : اشتد غضبى . مكره : خداعه . أوغلت : بالفت وباعدت .
قمس : غمس . عرج به : طلع به . عنان بفتح العين : سحب ، والعنانة :
السحابة ، وأعنّت السماء : صار لها عنان ، والله الموفق للصواب .

المقالة الثامنة وهي المعرّة

[معرّة النعمان]

هي بلدة بالشام ، والنعمان : اسم جبل مطلق عليها ، والمعرّة اسم البلدة ، فأضيفت إليه ، ولها سبعة أبواب ، وعلى جبل منها دَيْرُ نَعْمَانَ ، فيه قبر عمر بن عبدالعزيز ، وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها ، وداخلها قبر يوشع بن نون ، وله يوم حَفِيلٌ في كل عام ، وإلى المعرّة ينسب الشاعر المرسي . قال شيخنا ابن جبير : إنه خرج من قنّسرين يريد حِصص ، قال : فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعرّة ، وهي سواد كلها محاطة بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع النواكه ، ويتصل التفاف بساتئنها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهي من أخصب البلاد ، وأكثرها أرزاقاً ، ووراءها جبل لبنان ، وهو سامي الارتفاع ، ممتد الطول ، متصل من البحر إلى البحر ، وفي سفح الجبل حصون للملحدة الإسماعيلية ، فرقة مرّقت من الإسلام ، وادّعت الإلهية^(١) ، قيّض لهم شيطان يعرف بسنان ، خدعهم بأباطيل وخيالات ، وموّه عليهم باستعمالها ، وسجرهم ببحالها ، فاتخذوه إلهاً يعبدونه ، ويبدلون الأنفس دونه ، وحصلوا من طاعته^(٢) بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل ، فيتردى المأمور ، والله يضل من يشاء^(٣) .

أخبر الحارث بن همام قال : رأيتُ من أعاجيب الزمان ، أن

(١) بعدما في ابن جبير « في أحد الأيام » .

(٢) بعدما في ابن جبير « وامثال أمره » .

(٣) رحلة ابن جبير ٢٣٤

تَقَدَّمَ خَصْمَانِ ، إِلَى قَاضِي مَعْرَةَ النُّعْمَانِ ، أَحَدُهُمَا قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ
الْأَطْيَانِ ، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ قَضِيبُ الْبَانِ .

• • •

قوله : « الأطيان » ، أى الأكل والنكاح ، أى هوشىخ مسن ، وقيل :
الأطيان : النوم والنكاح ، وقيل : طيب النكاح ، وطيب النكحة .
أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الأطيان التمر واللبن » .
وسئل شيخ مسن من العرب عن حاه ، قال : ذهب منى الأطيان :
السَّيْرُ وَالْأَيْرُ ، وَيُقَى الْأَرْطَبَانِ : الضَّرَاطُ وَالسَّعَالُ .
والبان : شجر تشبَّه بقضبانة القُدود الناعمة .

• • •

قَالَ الشَّيْخُ : أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِي ، كَمَا أَيَّدَ بِهِ الْمُتَقَاضِي ، إِنَّهُ
كَانَتْ لِي تَمْلُوكُهُ رَشِيقَةُ الْقَدِّ ، أَسِيلَةُ الْخَدِّ ، صَبُورٌ عَلَى الْكَدِّ ،
تَحْبُ أَحْيَانًا كَالْتَّهْمِدِ ، وَتَرْقُدُ أَطْوَارًا فِي الْمَهْدِ ، وَتَجِدُ فِي تَمُوزَ
مَسَّ الْبَرْدِ ، ذَاتُ عَقْلِ وَعَيْنٍ ، وَخَدَّ وَمِيزَانٍ ، وَكَفَّ بَيْنَانٍ ، وَفَمٌ
بِلَا أَسْنَانٍ ؛ تَلْدَغُ بِلِسَانٍ نَضْنَانٍ ، وَتَرْفُلُ فِي ذَيْلِ فَضْفَاضٍ ،
وَتُجَلَى فِي سَوَادٍ وَيَيَاضٍ ، وَتُسْقَى وَلَسِكِنْ مِنْ غَيْرِ حِيَاضٍ ، نَاصِحَةٌ
خُدَعَةٌ ، خُبَاءَةٌ طُلَمَةٌ ، مَطْبُوعَةٌ عَلَى الْمَنَفَعَةِ ، وَمِطْوَاعَةٌ فِي الضِّيقِ
وَالسَّعَةِ ، إِذَا قَطَعْتَ وَصَلْتَ ، وَهَلَى فَصَلَّتْهَا عَنْكَ أَنْفَعَلْتَ ، وَطَلَمْنَا
خَدَمَتَكَ فَجَعَلْتَ ، وَرُمْنَا جَنَّتْ عَلَيْكَ فَأَلَمْتَ وَمَلَمَلْتَ ، وَإِنَّ هَذَا

الْفَقِي اسْتَعْدَمَ مِنْهَا لِنَرَضٍ ، فَأَخَذَتْهُ إِيَّاهَا بِلَا عِيُوضٍ ، عَلَى أَنْ
يَجْتَنِي نَفْعَهَا ، وَلَا يُكَلِّفُهَا إِلَّا وَسْمَهَا ، فَأَوْلَجَ فِيهَا مَتَاعَهُ ، وَأَطَالَ
بِهَا اسْتِمْتَاعَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَيَّ وَقَدْ أَفْضَاهَا ، وَبَدَلَ عَنْهَا قِيَمَةً
لَا أَرْضَاهَا .

* * *

المقاضي ، أى المتحاضرين إليه الذى يطلب من الحاكم قضاءه ، وعونه على خصمه؛
وهذا الغرض الذى ذكره ضرب من الألفاظ ، لأنه مشى كلامه فى وصف جارية
وغلام ، وقد ضمن الكلام وصف إبرة ومرود. مملوكة ، بمعنى الإبرة جطها مملوكة
لأنها مما يتمول. رشيقة القد : معتدلة القامة . أسيلة : ملساء . خد الإبرة : شق فيه
تقبها ، وأصل الخد شق مستطيل فى الأرض ، والأسالة : ملاة مع طول .

صبور على الكد ، أى صابرة على المشقة والتعب ، ونعول - بمعنى فاعل -

يتمتع من إلحاق الماء به إذا وقع صفة لمؤنث ، قال عنتره :

إِنِّي أَمْرٌ سَهْلٌ الْخَلِيقَةَ مَاجِدٌ لَا أَتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

ومنه : امرأة شكور وصبور وجوج ولحن أبو محمد خواص العراق بقولهم :

شكورة وجوجة وصبورة ، قال : إن هذه التاء إنما تدخل فى «فعل» إذا كانت
بمعنى «مفعول» ، نحو ناقة ركوبة وشاة حلوبة^(١) . قال : وذكر النحويون فى امتناع

الماء من «فعل» بمعنى «فاعل» للمؤنث عيلاً ، أجودها أن الصفات الموضوعه-

للمبالغة نقلت عن بابها لتدل على المعنى الذى تخصصت به ، فأسقط الماء من صبور

وفتاة معطار ونظائره ؛ كما ألحقت بصفة المذكور فى رجل علامة ونسابة ، ليدل-

على تحقيق المبالغة ، وتؤذن بحدوث معنى زائد فى الصفة - وامتناع الماء المذكورة

(١) قال فى درة الفواص : «لانها بمعنى ركوبة وحلوبة» .

أصل مطرد [لم يشذ منه إلا قولهم] ^(١): عدوّة، فإنهم ألقوه بصديقه، والشيء في أصول العربية [قد] يُحمَل على ضده وتقيضه، كما يُحمَل على نظيره ورسيه ^(٢).
 تَخَبَّ: ثَبَّ في الثوب بسرعة. النهد: الفرس الضخم. أطواراً: أحياناً، ومهدا: مثير الخائط الذي تمسك به إبرته. تموز: أحد الشهور، وهو يولييه.
 والبرد: أن يبردها الحداد بالبرد ليقومها ويمدّها، فالبرد هنا فعل صانمها. قال ابن ظفر: ذهب بالبرد إلى ما طبع عليه الحديد من البرد في القيظ. قوله: «ذات عقل وعنان»، أراد بالعنان الخيط لأنها ترسله في الخياطة، والعقل شدّها بالخيوط حين تمسك في الثوب. سنان: طرفها السنون، أي الحدد. كفّ بينان: الكفّ والتضريب شيثان معروفان في الخياطة، فيريد أن الخائط يقبّل التضريب بأصابعه وهي البنان ويكفّه بالإبرة. فم، يريد ثقب الإبرة. تلدغ: تضرب الإصبع. واللسان النضناض للحية، والنضنضة، قيل: هي صوت الحية، وقيل: حركة لسانها، وإنما اختلف فيها لأن الحية إذا ضيق عليها فتجت فاما وصفت وحركت لسانها، فيقال: نضنضت، وشبه طرف الإبرة بلسان الحية لكثرة حركته في الثوب؛ وما أحسن قول الشاعر في تشبيه لسان الأفعى بنور السراج:

وقندبل كأن النور منه
 أشار على الدجى بلسان أفعى
 محياً من أحب إذا تجلّى
 فشمّر ذيله فرقاً وولّى

وقال ابن الصباغ الصقلي في شمة:

يطعن صدر الدجى بعالية
 كحياة باللسان لاحسية
 صنوبري لسان كوكبها
 ما أدركت من سواد غيبيها

وللبيتين الأولين حكاية مستظرفة، حدثني بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لأمرين: لشهرتها، ولأنني وجدت البيتين مثبتين في بعض النسخ من

(١) من درة النواص

(٢) درة النواص ٦٨

القلائد لأحد رجالها ، ثم عزم على بعض الأدباء أن أذكرها ، فذكرتها على اختصار لفائدتها ؛ وذلك أن الشاعر المعروف بالبكيّ الهجاء ، دخل عليه في ليلة مطرة ذات رعد وبرق في بيت فندق دوابّ - شخص في الظلام لا يعرفه ، وعلى البكيّ بقية من سلّهامة^(١) خلّقة ، لا يواريه غيرُها ، وعلى الثاني بقية من قبيص قد أسودّ من طول البلى وكثرة الأوساخ ، حتى لا يعرف رائبته من أيّ ثوب هو ؛ وقد بلل كلّ واحدٍ منهما المطر . وهما في بلاء من الفقر والجوع والبرد ، فرقّ لهما خادم الفندق ، فدخل عليهما بقنديل ، فعندما نظر كلّ واحد منهما صاحبه تأمّى به ، ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيراً في الشقاء . فقال البكيّ لجليسه : أيّ شيء أنت ؟ فقال : شاعر ، وشوّم الأدب بلغ بي ماترى ، قال : فأجزّ ، فقال :

* * * * *
وقنديلٍ كأنّ النورَ منه *

فقال الآخر :

* * * * *
محيّا من أحبّ إذا تجلّى *

فقال البكيّ :

* * * * *
أشار على الدجى بلسانِ أفعى *

فقال الآخر :

* * * * *
فشمر ذيله فرقا ووّلى *

فقال له البكيّ - وقد أعجب به : بمن تعرّف ؟ فقال : بعنق البرة ، قال له : وأنا البكيّ ، فجعلنا يتناظران بقية ليلتهما في أيّهما أكره مانأنا ، حتى أصبحا وكانا يتلسان . فقال عنق البرة للبكيّ : هلمّ لنفترع ؛ أيّنا يقيم هنا ، وأيّنا يرتحل ؟ فإننا إن بقينا في موضعٍ واحدٍ ، أدرك الناس من شوّمننا ما يؤدّي بهم إلى الهلاك ، فاقترعا فخرجت قرعة البكيّ بالرحيل ، فارتحل ونزل بفاس ، فحلّ بأهلها من بلائه ما قد شهّر .

(١) كذا في الأصول ، ولم ألق على معناها .

قوله : « ترفل في ذيل فضفاض » ، أى تمشى في خيط طويل . تجلّى في سواد وبياض ، أى تبرز في خيط أسود لخياطة السواد ، وأبيض لخياطة البياض . تسقى : أراد سقى الحدّاد لها إذا أخرجها من النار وألقاها في الماء لتصلب . ناصحة : خائطة ، والنّصاح : الخياط ، ونصحتُ الثوب : خطته . خُدعة : مخدع الخائط كثيراً ، فتخيط وجه الثوب الأعلى ، وتترك الأسفل ، والهاء في هذه الصفات للمبالغة . خُبأة طُلعة ؛ يصف حالها من الخياطة حين تختبئ في الثوب ، ثم تطلع في يد الخائط . مطبوعة ، أى مصنوعة لينتفع بها . مطواعة في الضيق والسّعة ؛ ييد إذا دفعته في الثوب دخلت فيه ، سواء اتسع موضع دخولها أو ضاق . إذا قطعت وصلت ، يريد إذا قطعت الثوب وفصلته ألقته . فصّأتها عنك : نحيتها ، وجعلتها في مثيرها . خدمتك ، أى صرفتها فيما تحتاج من خياطة ثيابك . جَحَمَت : ألفت قطع الثوب . جنت عليك فألمت ، أى ضربتك فأوجعتك وصيّرتك ذا ألم . ماملت ، أى جعلتك متقلّباً لشدة الوجع . قوله : « استخدمنيها » ، أى طلب منى خدمتها . الفَرَض : الحاجة ، وأصل الفَرَض ما قصدته سهام الرامي ، ثم سميت الحاجة غرضاً ، لأنها قصدت بالرغبة فيها . وسماها : طاقتها وقدّر ما تحمل مما تكلف . أولوج فيها متاعه ، أى أدخل فيها خَيْطه . أفضاها : خرق عينها ، وفي المرأة خلط مسلكيها ، من أفضيت إلى الشيء ، وصلت إلى متسع ، ومنه : القوم فوضى ، أى متسعون مختلطون . بذل : أعطى .

فَمَالَ الْحَدَثُ : أَمَا الشَّيْخُ فَأَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا ، وَأَمَا الْإِفْضَاءُ
فَفَرَطَ عَنِ خَطَا ، وَقَدْ رَهَنْتُهُ ، عَنِ أَرْضِي مَا أَوْهَنْتُهُ ، تَمْلُوكًا لِي
مُتَنَاسِبَ الطَّرَفَيْنِ ، مُتَنَسِبًا إِلَى الْقَيْنِ ، تَقِيًّا مِنَ الدَّرَنِ وَالشَّيْنِ ،
مِيقَارِنُ سَمَلُهُ سَوَادَ التَّيْنِ . مِيفْشِي الْإِحْسَانَ ، وَمِيفْشِي الْإِسْتِحْسَانَ ،

وَيُعْزِي الْإِنْسَانَ ، وَيَتَحَامَى اللِّسَانَ ، إِنَّ سُودَّ جَادَ ، أَوْ وَسَمَ
 أَجَادَ ، وَإِذَا زُودَ وَهَبَ الزَّادَ ، وَمَتَى اسْتَزِيدَ زَادَ ، لَا يَسْتَقِرُّ بَعْنَى ،
 وَقَلَمًا يَنْكِحُ إِلَّا مَثْنَى ، يَسْنُو بِمَوْجُودِهِ ، وَيَسْمُو عِنْدَ جُودِهِ ،
 وَيَنْقَادُ مَعَ قَرِينَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ طِينَتِهِ ، وَيُسْتَمْتَعُ بِزِينَتِهِ ،
 وَإِنْ لَمْ يُطْمَعِ فِي لِينَتِهِ .

* * *

[القَطَا]

الْقَطَا: طائر يصيح «قَطَا قَطَا» فسُمِّي بصياحه ، وبما يُفهم من صوته ، ولذلك
 تسميه العرب الصَّدُوق ، ويقال : أنسب من قطة ، لأنها إذا صاحت عرفت ،
 وقال الشاعر :

تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبتُ ياصدقها حين تدعوها فتنسبُ
 حمراء مقبله سكاها مدبرة للماء في البحر منها نومة مجبُ
 وقال الكمي :

لا تكذب القول إن قالت قطا صدقتُ إذ كل ذى نسبة لا بدّ ينتجلُ^(١)
 وقال أبو وجزة :

مازلن ينسبن وهنأ كل صادقة باتت تبشر عزمأ غير أزواج^(٢)

(١) الحيوان ٦ : ٥٧٨ .

(٢) الحيوان ٥ : ٥٧٣ ، وروايته : « وهن ينسبن » ، والوهن : نصف الليل

يريد ، أن الحمير وَرَدَت الماء ليلاً ، فَأثارت القطا عن أفاحيصه ، فَصاحت : « قطا قطا » ؛ فذلك انتسابه وجعلها صادقة لصياحها قطا . وَالْمُرْمُ بِيضُهَا ، لِأَن فِيهِ سَوَادًا وَبِيضًا ، وَبِيضُ الْقَطَا أَفْرَادٌ ثَلَاثَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ ، قَالَ مِرْزَاةُ الْعَقِيلِي فِي الْقَطَا وَفِرَاحِهَا :
فَلَمَّا دَعْتَهُ بِالْقَطَاةِ أَجَابَهَا بِمِثْلِ الَّذِي قَالَتْ لَهُ لَمْ يَبْدَلِ^(١)
وَقَالَ الْمَعْرِيُّ :

عُرِفَتْ جُدُودُكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَالَمَا لَفْظُ الْقَطَا فَأَبَانَ عَنِ أَنْسَابِهَا^(٢)
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْقَطَا لَا تَصِيحُ إِلَّا إِذَا أَرَادَتْ الْمَاءَ ، فَإِذَا عَدِمَ الْمَاءَ ، وَسَمِعَتْ الْعَرَبُ صِيَاحَ الْقَطَا ، فَرَحُوا بِهِ وَعَرَفُوا قُرْبَ الْمَاءِ مِنْ بَعْدِهِ .
وَقِيلَ : سُمِّيَ الْقَطَا لِثِقَلِ مَشِيهِ ، يُقَالُ : قَطَا الرَّجُلُ يَقْطُو ، إِذَا ثَقُلَ مَشِيهِ .

* * *

قوله : « فرط » أى سبق . عن خطأ ، أى عن غير تعمد . رهنته : أعطيته .
رهناً ، وأرهنتك : أعطيتك ما ترهنه . والأرث : قيمة العيب ، أى دية الجرح ، مأخوذ من أرش بين القوم لأن الأرض يُختصم في قدره . أوهنته : أفسدته ، ووهن الشيء يوهن ويهين : ضعف ، وأوهنته أنا ، إذا أضعفته . مملوكا ، يعنى المرود . متناسب الطرفين ، أى هذا الطرف مثل هذا الطرف ، تكتحل بأيهما شئت . القَيْن : الحدّاد الذى صنعه . الدَرَن : وَسَخُ الْحَدِيدِ ، وَالشَّيْن : الْعَيْبُ ،
أى هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب . يقارن محله سواد العين ،
أى عند التكحل به . ينشى : يحدث ويظهر . وإحسان الكحل في العين لا ينشى . ينشىء استحسان ، أى ينشىء لناظر العين استحسان الكحل في العين .

(١) الحيوان ٥ : ٥٧٨ .

(٢) لم أجده في سقط الزند ولا في الأزوميات .

والإنسان : إنسان العين يفذه بالكحل ، والإنسان : السواد الذى فى وسط العين ، إذ أرايته رأيت فيه شخصاً ، والشخص هو الإنسان ، فسُمى السواد به . يتحامى : يبعد عنه، يريد أنه يكحل العين ولا يقرب من الفم . قوله : « سَوْدٌ » ، أى جعل فيه الكحل . جاد : أعطاه العين . وَسَمَ العين بالكحل : أجاد عمله فيها . قلما ينكح إلا مثنى ، أى ينكح عينا واحدة فى الغالب . وقد نظم هذا النثر فى الثانية والأربعين .

جوده ، أى يوجد بكحله للعين . ويسمو : يطعم للعين ، وجعل له الكحل غذاء يأخذ ويرتفع به للغير . قرينته : مكحلته . من طينته : من جنسه . زينته : تزيينه للعين . يطمع فى لينته : أى لا يطمع أن يكون الحديد ليّناً . وكلّ لفظه فسرّ بها الرود والإبرة ، لما لفظ فى ظاهرها غير ما فسرت به .

فقال لها القاضى : إِمَّا أَنْ تُبَيِّنَا ، وَإِلَّا فَبَيِّنَا ، فابْتَدَرَ

الغلامُ ، وقال :

أَعَارَنِي إِزْرَةَ لِأَرْفُو أَط
مَارًا عَفَاهَا الْبَلَى وَسَوْدَهَا
فَانْحَرَمْتُ فِي يَدِي عَلَى خَطإِ
مِنِّي لَمَّا جَذَبْتُ مِقْوَدَهَا
فَلَمْ يَرَ الشَّيْخُ أَنْ يُسَامِحَنِي
بَارِشَهَا إِذْ رَأَى تَأْوُدَهَا
بَلْ قَالَ هَاتِ أِزْرَةَ تُعَاثِلُهَا
أَوْ قِيمَةَ بَعْدَ أَنْ تُجَوِّدَهَا
وَاعْتَاقَ مِثْلِي رَهْنًا لَدَيْهِ وَنَا
هَيْكَ بِهَا سُبَّةً تَزْوُدَهَا
فَأَتَمُّنُ مَرَهَى لِرَهْنِهِ وَيَدِي
تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفُكَّ مِرْوَدَهَا
فَاسْتَبْرُ بَدَا الشَّرْحَ غَوْرَ مَسْكَتِي
وَارِثَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ تَمَوُّدَهَا

تينا : تَوْضَعًا وتَفَسَّرًا حديثكما اللهم للفرز . فبيننا : أبعدا ، أو ارتفعا .
قوله : «أرفو» أى أخيط ، ويروى «لأرفأ» يقال : رفأت الثوب أرفوه ورفوته
وأرفوه ، والرفو من أدق أنواع الخياطة ، وهو نسج الخرق في الثوب حتى يعود
كأنه لم يكن فيه خرق .

[مما قيل في رَفْو الثياب]

وقال ابن القابلة السبتي في غلام رفاء :

يارفيا قطع كل ثوبٍ ويارشا حبةً اعتمادي
عسى بخيط الوصال ترفو ماقطع المجر من وادي
وقال الحلواني في خياط :

رب خياطٍ فتنت به فتنة أوهت قوى جلدي
لاعبٌ بالخيط يفتله أتراه ظنه جسدي !
ليت أنى كنته فأرى بين ذاك الدرّ والبرد
فملت بالثوب إبرته فعل سهم الشوق في خلدي
وجرى المقرّاض في يده جرى عينيه على كبدتي

ومن مجون أبي نواس ، أنه كان يؤاكل إسماعيل بن أبي سهل ، فعرضت
له على مائدة رفاقة في جانبها خُرق قد ضمّ ، فرفعها بإحدى يديه ونقرها بالأخرى ،
فانفجرت ، وقال وهو يضحك : أخبزكم مرفوء ؟ فلما خرج قال :

خبز إسماعيل كالونسي إذا ما انشق يُرفأ
عجبا من أثر الصنمة فيه كيف يخفى
إن رفاءك هذا أطف الأمة كفا
فإذا قابل بالتنصّف من الخبزة نصفاً

أَلْطَفَ الصَّنْعَةَ حَتَّى لَا تَرَى الْمَغْرَرَ أَشْفَى
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ التَّنُورِ مَا غَادَرَ حَرْفًا

والأطوار: الثياب الخَلَقَة، واحدها طِمْر . عفاها البلى: غَيَّرَهَا القَدَم
ودرسها، وسَوَّدها بالأوساخ حتى صارت في طبع الثوب، ففتى غسلت لم تزل.

[مما قالت الشعراء في الأطوار البالية]

ومما قالت الشعراء في الأطوار البالية مما يستحسن قول الحمدوني في
طيلسان^(١) وَهَبَهُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ الْمُهَلَّبِيُّ :

يَا بْنَ حَرْبٍ أَطَلْتَ هَمِّي بِرَفْوِي طَيْلَسَانًا قَدْ كُنْتُ عَنْهُ غَفِيًّا^(١)
فَهُوَ فِي الرَّفْوِ آلُ فِرْعَوْنَ فِي الْقَرْوِ ضَ عَلَى النَّارِ بَكْرَةً وَعَشِيًّا
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

طَيْلَسَانُ لَابْنِ حَرْبٍ يَتَدَاعَى لَا مَسَاسًا
قَدْ طَوَى قَرْنًا فَقْرَانًا وَأُنَاسًا فَأُنَاسًا
لَبَسَ الْأَيَّامَ حَتَّى لَمْ تَدَعْ فِيهِ لِبَاسًا
غَابَ تَحْتَ الْحَسِّ حَتَّى لَا يُرَى إِلَّا قِيَاسًا

(١) قال الثعالبي في المضاف والمنسوب ٦٠٢ : كان محمد بن حرب أهدى إلى الحمدوني طيلسانا خلقا ، وكان الحمدوني يحفظ قول ابن حمران السلمي في طيلسان :

يَا طَيْلَسَانَ أَبِي حَمْرَانَ قَدْ بَرَمْتَ بِكَ الْحَيَاةَ فَمَا تَلْتَدُّ بِالْعُمُرِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ رَفًا يَجِدُّهُ هَيْهَاتَ يَنْفَعُ تَجْدِيدُهُ مَعَ الْكِبَرِ
إِذَا ارْتَدَاهُ لَعِيدٍ أَوْ لَجْمَتِهِ تَنْكَبُ النَّاسَ لَا يَبْلَى مِنَ النَّظَرِ

واحتذى حذوه ، واثالث عليه المعاني ، حتى قال في وصف العايلسان قرابة مائتي مقطوعة ،
ولا تخلو واحدة منها من معنى بديع

(٢) المضاف والمنسوب للثعالبي ٦٠٢ ، وفيه : « أَطَلْتَ فَرِي » .

وقال فيه أيضاً :

قل لابن حرب مقالة العاتب
أما رأيت الرفاء يُحزِنِي
أفناه جَوْرُ البِلي عليه كما
ولستُ فيما أقولُ بالكاذِبِ
برفوه طيلسانك الذَّاهِبِ
أفنى الهوى عُمرَ خالدِ الكاتبِ

وقال فيه أيضاً :

إن ابن حرب جادلي كاسياً
انظر إلى كثرة تمزيقه
رفوى له وهو رميمٌ كمن
يصدعه اللحظ بإيماضه
يُدْكرُني كثرةً تمزيقه
بطلسان هريمٍ قشعمٍ
كأنما مُزق في ماتمٍ
يبنى بناء فوق مستهدمٍ
صدع فؤاد العاشق للمقرمٍ
تفرق الناس عن الموسمٍ

وقال فيه أيضاً :

يابن حرب كسوتني طيلساناً
حال ترداده إلى الرفو حتى
فحسبنا نسج العناكب قد جئن
مل من صحبة الزمان وصدًا^(١)
لو بعثناه وحدةً لتهدى
إلى ضعف طيلسانك شداً

وقال أيضاً فيه :

يا قاتل الله ابن حرب لقد
بطلسان خلت أن البلي
أجد في رفوى له والبلي
أطال إتعابي على عمدٍ
يطلبه بالوتر والحقد
يلهو به في الهزل والجدد

(١) المضاف والمنسوب ٦٠٣

إِنَّ أَتَمَّ الرَّافِي فِي رَفْوِهِ مَضَى بِهِ التَّمْزِيقُ فِي تَجْدِ
غَنَيْتِهِ لِمَا مَضَى رَاحِلًا : تَرَكَتْنِي يَا وَاحِدِي وَوَاحِدِي

والحدوني هو إسماعيل بن إبراهيم حمدويه ، نُسب إلى جده ، وهو من أهل
مَيْسَانَ ، وكان حلو التصرف مليح الافتنان ، وهو القائل :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ فَنَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ أُذُنِي
نَلْحَظُهَا مِنْ كَسْبِ حَسْرَةٍ كَأَنَّهَا لَفْظُ بِلَا مَعْنَى

وقال ابن الرومي في طيلسانه :

وَلِي طَيْلَسَانَ نَاجِلٌ غَيْرُ أَنَّهُ ثَبُوتُ لَهْمَاتِ الرِّيَّاحِ الزَّعَازِعِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ مَتَهْتِكٌ يَخْلِي سَبِيلَ الرِّيحِ غَيْرَ مُنَازِعِ
أَرَاهُ لَضَوْءَ الشَّمْسِ بِالْعَيْنِ رُؤْيَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ لَمَسِهِ بِالأَصَابِعِ
شَكَتُ لِقَالَ اسْمِ الطَيْلَسَانَ لَضَعْفِهِ فَسَمِيَتْهُ سَاجَا فَهَلْ ذَاكَ نَافِعِي !

وقال ابن سارة في فروة :

أُودِتْ بِذَاتِ يَدِي فُرُؤَةً أُرْنَبِ كَفُؤَادِ عُرُوءَةٍ فِي الضَّنَا وَالرَّفَقَةِ
يَتَجَشَّمُ الرَّفَاهُ فِي تَرْقِيعِهَا بَعْدَ المَشَقَّةِ فِي قَرِيبِ الشُّقَّةِ
لَوْ أَنَّ مَا أَنْفَقْتُ فِي تَرْقِيعِهَا يَحْصَى لَزَادَ عَلَيَّ رِمَالِ الرَّفَقَةِ
إِن قُلْتُ : « بِاسْمِ اللَّهِ » عِنْدَ لِبَاسِهَا قَرَأْتُ عَلَيَّ « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتِ »

وله فيها أيضاً :

لِي فُرُوءَةٌ وَصَنِي لِحَامَتِي بِهَا بِأَتَيْكَ بَيْنَ مَقْرَطٍ وَمَشْتَفٍ
عَطَّلْتُ كَتَبَ أَبِي عَيْبِدٍ بِالَّذِي أَلْفَتْ فِيهَا مِنْ غَرِيبِ مُصْتَفٍ
يَسْطُو عَلَيَّ بِالنَّرَمِ فِي تَرْقِيعِهَا سَطَوَ النَّرَامَ عَلَيَّ فُؤَادِ المَدْنَفِ

فأنا وفروى خوف تمزقي لها أحكى معاويةً يجنب الأحنف
وله في طيلسانه :

وطيلسان هَرِمٍ يُحْتَمَى عليه أكلُ الخَلِّ والبَقْلِ
كَانَ كَفِيًّا إِذَا انضَمَّتَا عليه خوف الرِّيحِ في غُلِّ
ولبعض أصحابه فيه :

على منكب ابنِ عَلِيٍّ سَمَلٌ تَقَطَّمَهُ لِحَظَاتِ اللَّقْلِ
إِذَا غِيَمَ الْجَوَّ أَبْصَرْتَهُ رَهين الذَّبُولِ بِكَفِّ البَلَلِ
نِسْوَاطِ طَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ بِهِ وَصَارُوا بِهِ يَضْرِبُونَ اللَّثْلَ
وله في غِفَارَتِهِ (١) :

لأحمد بنِ عَلِيٍّ غِفَارَةٌ كَالسَّرَابِ
إِنْ هَبَّ أَدْنَى نَسِيمِ تَمْرٍ مَرَّ السَّحَابِ

والشعر في هذا الباب كثير .

قوله : « انخرمت » ، أى انكسرت . متودها : خيطها . تأودها :
انكسارها ، وأصله الاعوجاج . أعتاق مِيبلى : أحبس مِرْوَدِي . ناهيك :
كافيك ، ومعناه المبالغة ، كأنه بلغ النهاية في العيب الذي فعل . سُبَّة : عيب
يُسَبُّ بِهِ . مَرَهَى : خالية من الكحل ، وقدمه الرجل مرهاً إذا لم يتعهد
الكحل ، والمرهَى من النساء : البيضاء البينة الزرق الذي يختص الكحل في
زرقها . اسْبُر : قِس . غُور : غاية وقَدْر . ارث : ارحم وتوجع .

• • •

(١) الغفارة ، ككتابة : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة .

(٢١ - شرح مقامات الحريري ١)

فَأَقْبَلَ الْقَاضِيَ عَلَى الشَّيْخِ ، وَقَالَ : إِيه ، بِغَيْرِ تَمْوِيهِ ،

فَقَالَ :

أَقْسَمْتُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَمَنْ
لَوْ سَاعَفْتَنِي الْأَيَّامُ لَمْ يَرِنِي
وَلَا تَصَدَّيْتُ أَبْتَنِي بَدَلًا
لَكِنَّ قَوْسَ الْخَطُوبِ تَرشُقُنِي
وَخُبْرُ حَالِي كَخُبْرِ حَالَتِهِ
قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَأَنَا
لَا هُوَ يَسْتَطِيعُ فَكَّ مِرْوَدِهِ
وَلَا مَجَالِي لِضَيْقِ ذَاتِ يَدِي
فَهَذِهِ قِصَّتِي وَقِصَّتُهُ

ضَمٌّ مِنَ النَّاسِكِينَ خَيْفَ مِنِّي
مُرْتَهِنًا مِثْلَهُ الَّذِي رَهَنَا
مِنْ إِبْرَةِ غَالِبًا وَلَا ثَمْنَا
بِمُصَمِّيَاتٍ مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا
ضُرًّا وَبُؤْسًا وَعُزْبَةً وَصَنِي
نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا
لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهِنًا
فِيهِ اتَّسَاعٌ لِلْعَفْوِ حِينَ جَنِي
فَانظُرْ إِلَيْنَا وَبَيْنَنَا وَلَنَا

◦ ◦ ◦

إِيه : كلمة يُسْتَزَادُ بِهَا الْحَدِيثُ . وَالتَمْوِيهِ : الكَذِبُ ، وَهُوَ فِي الْحَدِيثِ
كَالتَمْعِيَةِ ، وَقَدْ مَوَّهَ عَلَيْهِ ، إِذَا خْتَلَّ لَهُ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى ضِدِّهِ ، وَأَصْلُ
التَمْوِيهِ الصَّعْلُ ، كَأَنَّ عَلَى أَلْفَاظِهِ المَمْوَّهَةُ صِقَالَةٌ ، وَهُوَ مِنْ لَفْظِ المَاءِ . المَشْعَرُ :
المَزْدَلْفَةُ ، وَهُوَ جَمْعٌ ، سُمِّيَ مَشْعَرًا لِأَنَّهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْحَجِّ ، وَكُلُّ عِلَامَاتِ الْحَجِّ
مَشَاعِرٌ ، وَالمَشْعَرُ وَالمَنْسَكُ : مَوْضِعُ ذَبْحِ الِهُدْيِ بِمَكَّةِ المَنْفُصَلِّ ، سُمِّيَ مَشْعَرًا ، لِأَنَّهُ
شِعْرٌ أَنَّهُ حَرَامٌ كَالْبَيْتِ . النَّاسِكِينَ : الْحَجَّاجُ الَّذِينَ يُشْعِرُونَ الِهُدْيَ وَمَا يُنَجَّرُ ،
أَنْسَكَ وَنَسَكَ مَنْسَكًا وَنَسَكًَا ، إِذَا ذَبَحَ النَّسَكَ ، وَأَصْلُهَا ذَبَاحٌ

الجاهلية ثم سُميت الأضاحي، والناسك أيضاً: الزاهد. خيف: موضع بمي. قوله: «ساعفتي»: ساعدتني. تصدّيت: تعرّضت. غالما: أهلها. الخطوب: الأمور الشداد. ترشفتي: تصيبي. بمصميات: بسهام قاتلة. بؤس: شدّة حال. ضني: ضعف ومرض. وهو أنا، أي هو مثلي في ضيق الحال. مجالي: موضع تصرّفتي. ذات يدي: مالي، وذات اليد ما يملك. العفو: الغفران. جنّي: أذنب. قصّتي: حديثي، يقول: فانظر إلينا بعين الشفقة والرحمة، وأصلح بيننا بما نتصرف به شاكرين لك، وهب لنا ما نُثني به عليك، وجعل النظر عاملاً في الجميع، لأن من وجوه النظر الإصلاح بينهم والتكرّم عليهم.

* * *

فلما وعى القاضي قصصهما، وتبين خصائصهما وتخصّصهما؛ أبرز لهما ديناراً من تحت مصلاه، وقال لهما: اقطعاً به الخصاص وافصلاه. فتلقّفه الشيخ دون الحدّ، واستخلصه على وجه الجدّ لا العبث، وقال للحدّث: نصفه لي بسهم مبرّتي، وسهمك لي عن أرض إبرّتي، ولست عن الحقّ أميل، فقم وخذ الميل. فمرا الحدّث لما حدّث اكتباب، واكفهر على سماه سحاب، وجم له القاضي، وهيج أسفه على الدينار الماضي؛ إلاّ أنّه جبر بالفتى وببلاه، بدريهمات رضح بها له، وقال لهما: اجتنبا المعاملات، وادريا المخاصات، ولا تحضرا في ملحا كمت، فما عندي كيس الغرامات.

فَهَضًا مِنْ عِنْدِهِ ، فَرِحِينَ بِرِفْدِهِ ، مُفْصِحِينَ بِحَمْدِهِ ،
وَالْقَاضِيَ مَا يَنْجُبُو ضَجْرَهُ ، مُذْبِضًا حَجْرَهُ ، وَلَا يَنْصُلُ كَمْدَهُ ،
مُذْرَسَحَ جَلْمَدَهُ .

قصصهما ، أى حديثهما ، وهو جمع قصة . خصاصتهما : فقرهما . تخصصهما :
رفعتهما واتقياهما ، وقد تخصص الرجل ، إذا اتقبض عن العامة وتشبه بالخاصة .
أبرز : أخرج . مصلاه : بساطه الذى يصلّى عليه . افصلاه : اقطعه وأزياه .
استخلصه : حازه لنفسه خالصاً . الجِدّ : التحقيق . العبث : الهزل . سهم : نصيب .
ميرتقى : إكراى الذى وصلنى به القاضى . أميل : أخرج وأعدّل عنه . عرا :
قصد ونزل به . حدث : ظهر . اكتتاب : حُزن وهم . وجَم : غضب ، والوجوم :
السكوت على غضب . هيج : حرّك . أسفه : حزنه . باله : فكره . بلباله : حزنه
ووسواسه . رضخ : كثر العطاء . اجتنبا : باعدا . المعاملات : المعاوذات
والعواري . ادركا : ادفا . كيس : وعاء الدراهم . رِفده : عطاؤه . ينجبو ضجره :
يسكن غضبه : بضّ حجره : رشحت كفه . قال الأخطل :

كَزَمَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعَطِيَّةِ مَمْسِكٌ مَا إِنْ تَبِضَّ صَفَاتُهُ بِيَلَالٍ (١)

ينصل كمده : يزول حزنه . الجلمد : الصخر الصّاب ، كنى به عن كفه ؛ وأنه

بخيل ، ويد البخيل تشبه بالحجر ، وقال جرير :

كَأَنَّمَا خَلِقَتْ كَفَاهُ مِنْ حَجَرٍ فَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالذِّهْدَى عَمَلٌ (٢)
يرى التيسم فى برّ وفى بحرٍ مخافة أن يرى فى كفه بللٌ

(١) ديوانه ١٥٩ .

(٢) لم يرد البيتان فى ديوانه

وقال ابن عبد ربه :

يَرَاةٌ غَرَنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنَا حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهِ الْكَفَّ مَقْتَبِسًا^(١)
فَصَادَفَتْ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ نَضْرِبُهُ مِنْ لُؤْمِهِ بِمِصَا مُوسَى لَمَا انْبَجَسَا
كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَذِبٍ فَكَانَ هَذَا لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسًا

أين هذه الألف من التي ذكر حجية بن المضرب، حين قال:

أَنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْمَ وَجْهَهُ فَأَيْدِيهِمْ بِيضٌ وَأَوْجُهُمْ غُرٌّ
يَصُونُونَ أَحْسَابًا وَمَجْدًا مَوْثَلًا يَبْدُلُ الْكَفَّ دُونَهَا الْمَزْنَ وَالْبَحْرُ
فَلَوْلَا مَسَّ الصَّخْرَ الْأَصْمُ أَكَنَّهُمْ أَفَاضَ يَنْبِيعَ التَّنْدِيِّ ذَلِكَ الصَّخْرُ

وقال أبو الشيص:

إِنَّ الْأَمَانَ مِنَ الزَّهْمَانِ وَرَيْبِهِ بِعَبَّ شَطَاً بِمَرْكَ النَّيَاضِ^(٢)
بِحَمْرٍ يَلُودُ الْمُتَضَوْنَ بِسَيْلِهِ قَمَّ الْجُدَاوِلُ مَتَرَعُ الْأَحْوَاضِ
لَأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُؤَمَّلِ رَاحَتَا مَلَكٍ إِلَى أَعْلَى الْمَلَانِهَاتِ
فِيَدٌ تَدْفُقُ بِالْفَنَى لَصَدِيقِهِ وَيَدٌ عَلَى الْأَعْبَادِ سَمَّ قَاضِ

وقال أبو تمام:

تَمُودٌ بَسَطَ الْكَفَّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ دَعَاهَا لَقَبِضَ لَمْ تَجِبْهُ أَنَامِلُهُ^(٣)

وقال البحتري:

قَدْ قَلَّتْ لِلغَيْثِ الرَّكَامُ وَتَلَجَّ فِي إِبْرَاقِهِ، وَأَلَحَّ فِي إِرْعَادِهِ^(٤)

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ٧٦

(٤) ديوانه ٧٠٣

(١) اللقد ٦ : ٢٩٥

(٣) ديوانه ٢٣٢

لا تعرضن لجعفرٍ متشبهاً
بندى يديه فلست من أنداده
الله شرفه ، وأعلى ذكره
ورآه غيث بلاده وعباده

وقال ابن الرومي :

مُقَبِّلُ ظهر الكف وهاب بطنها
له راحةٌ فيها الحطيمُ وزمزمُ
فظاهرها للناس ركنٌ مقبَلٌ
وباطنها عينٌ من الجود عَيْلٌ

حَتَّى إِذَا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ ، أَقْبَلَ عَلَيَّ غَاشِيَتَهُ وَقَالَ : قَدَّ
أَشْرَبَ حِسِي ، وَيَأْنِي حَدْسِي ؛ أَنَّهُمَا صَاحِبَا دَهَاءٍ ، لَأَخْصَمَا أَدْمَاءٍ ،
فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سَبْرِهِمَا ، وَاسْتَنْبَاطِ سِرِّهِمَا ! فَقَالَ لَهُ نُحْرِيْرُ
زُمْرَتِهِ ، وَشَرَارَةُ جَمْرَتِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَتِمَّ اسْتِخْرَاجُ خَبْنِهِمَا إِلَّا بِهِمَا ،
فَقَفَّاهُمَا عَوْنًا يُرْجِعُهُمَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُمَا : اصْدُقَانِي
سَنَ بَكَرِكُمَا ، وَكَكُمَا الْأَمَانُ مِنْ تَبِعَةِ مَكْرِكُمَا . فَأَحْجَمَ الْحَدِيثُ
وَاسْتَقَالَ ، وَأَدَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ :

قوله : «غشيتته» ، أي ذهاب عقله بأن يُعَمَى عليه . وغاشيته : زواره ومن
يفشى موضعه . أشرب : دُوخِلَ : حِسِي : إدراكى وفهى . نَبَأْنِي : حَدْسْنِي .
وأخبرنى . حَدْسِي : ظَنِّي ، قال الفراء رحمه الله : حَدَسْتُ أَحْدِسُ ، إِذَا قَلْتُ فِي
الشَّيْءِ بِرَأْيِكَ . غيره : حَدَسْتُ : ظَنَنْتُ ظَنًّا بَلَفْتَ مِنْهُ غَايَةَ الشَّيْءِ فِي عَدَدِهِ أَوْ

وزنه ، وأصله من قول العرب : بلغت الحدس ، أى الشيء الذى تطلب الملاقاة .
والدهاء فى الرجل : الحدق والتبصّر فى الأشياء . لاختصاص ادّعاء ، أى ليس بينهما
ادّعاء على الحقيقة فيختصمان فيها . سبّرها : اختبارها . استنباط : استخراج .
نَجْرير : حاذق . زَمْرته : جماعته ، وجعله شرارة ؛ لنفوذ ذهنه واتقاده ، ولذلك
يسمى نَجْريراً ، أى ماهراً بالأشياء كلها ، كأنه لإدراكه وفهمه بالأشياء ينحرفها بظنّه
الصادق . خبئها : خفى ما عندها . قفاهما : أتبعهما . والعون : الشرطى ، لأنه
يُعين من يتصرّف له . مثلاً : وقفاً ، يقال : مثّل الشيء ، فهو مائل ، إذا قام
وانتصب ، وإذا طوى بالأرض أو ذهب ، وهو من الأضداد . سنّ بكر كما :
حقيقة خبر كما . والبكر : الفتى من الإبل ، وسنه : مبلغ عمره ، لأنّ بالسن يُعرف كم
بلغ من العمر ، ولنظّم المثل « صدقنى سنّ بكره » ، وروى البكرى عن ابن الأعرابى
أن رجلاً سأم رجلاً بَكراً على أن يشتريه مسنّاً ، فقال البائع : هذا جمل ؛ لبكر
له ، وقال المشتري : هذا بكر ، فقال البائع : بل هو مسنّ ، فبينما هما يتنازعان
إذ نفر البكر ، فقال صاحبه : ليسكن نفاره : « هدع هدع » ، وهى كلمة من العرب
يسكن بها صغار الإبل عند نفارها ، ولا تقال للكبار ، فقال المشتري عند ذلك :
صدقنى سنّ بكرة . تبعة ؛ شُرحت فى الصدر . أحجم : تأخر فزِعاً . أقدم :
تقدم متشجعاً . استقال : طلب الإقالة .

* * *

أنا المَرْوَجِيُّ وَهَذَا وَلَدِي وَالشُّبْلُ فِي الْمُنْخَبِرِ مِثْلُ الْأَسِيدِ
وَمَا تَمَدَّتْ يَدُهُ وَلَا يَدِي فِي إِبْرَةِ يَوْمًا وَلَا فِي مِرْوَدِ
وَإِنَّمَا الدَّهْرُ الْمُسِيُّ الْمُعْتَدِي مَالَ بَنَّا حَتَّى غَدَوْنَا نَجْتَدِي
كُلَّ نَدِي الرَّاحَةِ عَذْبِ الْمُرْدِ وَكُلَّ جَمْعِ الْكَفِّ مَغْلُولِ الْيَدِ

بِكُلِّ فَنِّ وَبِكُلِّ مَقْصِدٍ بِالْحَدِّ إِنْ أَجْدَى وَإِلَّا بِالذِّدِ
لِتَجْلِبَ الرَّشْحَ إِلَى الْحَطِّ الصَّدَى وَتَهْفِدَ الْعُمَرَ بِعَيْشِ أَنْكَدِ
وَالْمَوْتُ مِنْ بَعْدِ لَنَا بِالْمَرْصَدِ إِنْ لَمْ يَفَاجِ الْيَوْمَ فَاجَى فِي غَدِ

• • •

الشَّيْبُ : ولد الأسد . المخِيرُ : التجربة والخبرة . تعَدَّتْ : ظلمت ، والمتعدى :
الظالم المجاوز الحد في الظلم . مال بنا ، أى حطنا . يجتدى : نسال الناس الجدا ، وهو
المطاء . ندى الراحة : كريم الكف . وجند الكف ، ضده ، وأراد أن يسأل كل
كريم سهل المطاء ، وكل لثيم صعبه ، وأصل الجمودة اقباض الشعر ، ثم استعيرت
تقبض الكف من اللؤم ، ومثله مغلول اليد ، أى كأن يده محبوسة بقلّ اللؤمها ،
والسائل كأنه يحاول بسطها بالجود فيجدها محبوسة بقلّ اللؤم ، وفي الكتاب
العزير : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾^(١)
فهذا نهى عن التبذير .

وقال حبيب في قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي ويذكر الجمودة ، وهى :

يَرَى الْوَعْدَ أَخْزَى الْعَارِ إِنْ هُوَ لَمْ تَكُنْ مَوَاهِبُهُ تَأْتِي مَقْدَمَةَ الْوَعْدِ^(٢)
فَلَوْ كَانَ مَا يَعْطِيهِ غَيْثًا لَأَمْرَتْ سَحَابُهُ مِنْ غَيْرِ بَرَقٍ وَلَا رَعْدِ
مِنَ الْقَوْمِ جَعْدٌ أبيضُ الْوَجْهِ وَالنَّدَى وَليْسَ بِنَانَ يُجْتَدَى مِنْهُ بِالْجَعْدِ

(١) سورة الإسراء ٢٩

(٢) ديوانه ٣٠ :

وقال البحرى :

صنعتني عن معاشرٍ لا أسمى
من جمادٍ الأكَفِّ غيرِ جمادٍ
أولهم إلا غداةً سبَّابِي (١)
وغضاب الوجوه غيرِ غضابِ
خطرُوا خطرةً الجهم وسارُوا
في نواحي الظنون سَيْرَ السَّحَابِ

وقال أيضاً في نحوه :

وخلفني الزمانُ على أناسٍ
لهم حُلٌّ حَسَنٌ فهنَّ بيضٌ
وجوهمُ وأيديهمُ حديدٌ (٢)
وأخلاقٌ قَبْحَنَ فهنَّ سُوْدُ
أناسٌ لو تأمَّتهمُ لبيدٌ
بكيَ الخلفِ الذي يشكولبيدُ

قوله « الدد » : ضد الجدة ، وهو اللهو واللعب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لست من ددرٍ ولا الدد مني » ، أى لست من باطل ولا الباطل منى أجدى : نفع . الحظ : البخت والنصيب . والصدى : العطشان ، وأراد أن حظه في الدنيا قليل ، فهو سعى له ليجلب رزقاً يكثر به حظه . ننفذ : تتم . أنكد : مشثوم وكل ما جلب شراً فهو أنكد ونكد . والمرصد : الموضع الذي ترتقب فيه من تريد أخذه ، وقد رصدته رسداً ترتقبته . يفاج : يأت على غفلة ، وأصله فاجأ بالهمز ، فسقه .

فقال له القاضى : لله درك ، فأعذب نَفَثَاتِ فَيْك ، وواها
لَكَ لَوْلَا خِدَاعُ فَيْك ، وَإِنِّي لَكَ لِمِنَ الْمُنذِرِينَ ، وَعَلَيْكَ مِنْ

(١) ديوانه ٨٦

(٢) ديوانه ٥٨١

الْحَذِرِينَ ، فَلَا تَمَّا كِرْ بِمَعْدَاهَا الْحَاكِمِينَ ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ الْمُتَحَكِّمِينَ ،
فَمَا كُلُّ مُسَيِّطَرٍ مُيْقِيلٌ ، وَلَا كُلُّ أَوَانٍ يُسْمَعُ الْقِيلَ .

فَمَا هَذِهِ الشَّيْخَ عَلَى اتِّبَاعِ مَشُورَتِهِ ، وَالْارْتِدَاعِ عَنْ تَلْبِيسِ
صُورَتِهِ . وَفَصَلَ عَنْ جَهَّتِهِ ، وَانْخَلَّتْ يَلْمَعُ مِنْ جَبَّتِهِ .

قال الحارث بن همام: فلم أرَ أعجبَ منها في تصاريِفِ الأسفارِ ،
ولا قرأتٍ مثلها في تصانيفِ الأسفارِ .

* * *

قوله: «للهِ دَرَكٌ» ، أى ما أحسن كلامك ، والدَّرُّ أصله اللبِن ، وكأنه سُمِّيَ
بحكاية صوته عند الحلب . والله ، أصله القسم ، ولا تدخل اللام في القسم إلا لأعلى
اسم الله تعالى ، والتعجّب معها لازم ، فإذا قال الذى يسمع صوت الحلب لصاحب
الناقة: لله دَرَكٌ ! فكأنه قال: والله إن دَرَكَ هذا لكثير ، ثم استعير للفصيح في
كلامه ، ولكل من أحسن فى شيء ، فكأنه قيل: ما أحسن ماجئت به! وقيل:
معناه لله اللبِن الذى شربته من أمك ، قال الفراء رحمه الله: ربما قالوا: دَرَكٌ ، ولم
يقولوا: لله دَرَكٌ ، وأنشد:

دَرَّ دَرَّ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدِ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرَّجَالِ

قوله: «نفثات» ، أى كلمات . واهأ: عجبا . والمنذر: المعلم بما يخاف . تماكر:
تخادع . سطوة: بطشة . المتحكم: الذى يتحكم بما شاء فيمثل حكمه . مسيطر:
أمير مساط . يقيل: يفقر الالة . أوان: وقت . عاهده: حاله . مشورته: أخذ
رأيه . الارتداع: الكف . تلبيس: تخليط . صورته: قصته . فصل: زال .

الخنز: الخلداع. يلمع: يضيء، يريد أنه انفصل عنه وعلى وجهه علامة الفدر، وأن يمينه التي حلف له كاذبة، وأوّل مَنْ نظم في هذا المعنى الشماخ حين قال:

أَتَنِي تَمِيمٌ قَضَاهَا بِقَضِيئِهَا تَمَسَّحَ حَوَلِي بِالْبَقِيعِ سِبَاهَا
يَقُولُونَ لِي: أَحْلَفُ وَلَسْتُ بِجَاهِفٍ أَخَادِعُهُمْ عَنْهَا لَكَيْمًا أَنَالَهَا
فَفَرَّجَتْ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحَلْفَةِ كَمَا شَقَّتْ الشَّقَاءَ عَنِّي جَلَاهَا

ومن الملح في اليمين الفاجرة، قول ابن الرومي:

وَإِنِّي لَدُو حَلْفٍ كَاذِبٍ إِذَا مَا اسْتَمَحْتُ فِي الْمَالِ ضَيْقُ
وَهَلِي مِنْ جَنَاحٍ عَلَى مَعْسَرٍ يَدَافِعُ بِاللَّهِ مَا لَا يَطِيقُ
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

إِذَا حَلْتُ عَلَى ضَيْقِ دُيُونِي وَبَاكَرَنِي التَّجَارُ وَخَوْفُونِي
دَفَعْتَهُمْ بِنِ لَوْ شَاءَ أَدَى حَقُوقَهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْذِرِينِ

وليعيل:

سَأَلُونِي الْيَمِينَ فَارْتَمْتُ عَنْهَا كَيْ يَفِرُوا بِذَلِكَ الْإِرْتِيَاعِ^(١)
ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا كَمُنْحَدَرِ السَّيْلِ تَدَلِي مِنَ الْمَكَانِ الْيَفَاعِ
وَأَنشَدَ أَبُو عَلِيٍّ:

لَا شَيْءَ يَدْفَعُ حَقَّ خَصْمٍ شَاغِبٍ إِلَّا كَلْفَ عَبِيدَةَ بْنِ سَمَيْدَعِ
يَمْضِي الْيَمِينَ عَلَى الْيَمِينَ لِجَاةٍ عَضَّ الْجُوحَ عَلَى الْجِجَامِ الْمُقْدِعِ
فَإِذَا يَذْكَرُ حَلْفَةَ أَصْفَى لَهَا وَإِذَا يَذْكَرُ بِالتَّقَى لَمْ يَسْمَعِ

قوله: «تصاريف»، أراد التصريف بالجولان في البلدان. والأسفار: الأول: جمع السفر في البلاد، والثاني: جمع سفر، وهو الكتاب، قال الفراء رحمه الله: الأسفار: الكتب العظام. والتصانيف: التأليف المنوعة، والمصنف الذي فيه أنواع شتى.

المقامة التاسعة وهي الإسكندرانية

قال الحارث بن همام : طحاني مَرَحُ الشَّبَابِ ؛ وَهَوَى
الْاِكْتِسَابِ ، إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرْغَانَةَ وَغَاثَةَ ، أَخُو ضُ النَّمَارِ ،
لِأَجْنِي النَّمَارِ ، وَأَقْتَحِمَ الْأَخْطَارَ ، لِكُنَى أَدْرِكَ الْأَوْطَارَ ،
وَكَنْتُ لَقِفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ ،
أَنَّهُ يَلْزَمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبَ ، إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبَ ، أَنْ يَسْتِمِيلَ
قَاضِيَهُ ، وَسَتَخْلِصَ مَرَاضِيَهُ ، لِيَسْتَدَّ ظَهْرَهُ عِنْدَ الْخِصَامِ ،
وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جَوْرَ الْحُكَّامِ ؛ فَاتَّخَذَتْ هَذَا الْأَدَبَ إِمَامًا ،
وَجَعَلَتْهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا ، فَأَا دَخَلْتُ مَدِينَةً ، وَلَا وُلِجْتُ عَرِينَةً ،
إِلَّا وَامْتَزَجْتُ بِحَاكِمِهَا امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ ، وَتَقَوَّيْتُ بِعِنَايَتِهِ
تَقَوَّيَ الْأَجْسَادَ بِالْأَرْوَاحِ .

* * *

طحنا بك قلبك ووجهك طحوا وطحنيا : ذهب بك ، وطحا الله الأرض
ودحاها : بسطها . ابن الأنباري : طحا قلبه في الهوى واللهو ، إذا تطاول وتمادى ، قال .
علقمة :

* طَحَا بِكَ قَلْبِي فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ *

مرح الشباب : نشاط الفتوة . جبت : قطعت ومشيت .

[ذكر فرغانة]

فرغانة : مدينة في أقصى خراسان ، وكان فيها بيتٌ يُسمَّى هيكَل الشمس ، بناه فارس الملك ، وخرَّبه المعتصم ، وبها قُتِل قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان سنة ثلاث وخمسين ، وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخاً . قال اليعقوبي : من سمرقند إلى أسروشنة خمس مراحل شرقاً ، ومن أسروشنة إلى فرغانة مرحلتان ، ومدينة فرغانة التي ينزلها الملك يقال لها كاسان ، وهي مدينة جليلة القدر ، عظيمة الأمر ، وكلُّ هذه المدن مضافة إلى عمل سمرقند . وكان أنوش . وان بنى فرغانة ، ونقل إليها من كل بيت قوماً ، وسماها أزهرخان ، أي من كل بيت .

[ذكر غانة]

وغانة : بلد من بلاد السودان ، وإليها ينتهي التجار ، والمدخل إليها من سجدلماسة ورن سجدلماسة إليها مسافة ثلاثة أشهر ، ومن غانة إلى سجدلماسة شهر ونصف ، ودون ذلك ، وسبب ذلك أن الرفاق تتجهز إليها من سجدلماسة بالأمتاع والأثقال ، فتباع في غانة بالتبر ، فمن سافر إليها بثلاثين حملاً يرجع منها بثلاثة أحمال ، أو بحملين : واحد لركوبه ، وثانٍ للماء بسبب المفازة التي في طريقها ، حدثني غير واحدٍ من تجارها أنهم يقطعون المفازة في ستة عشر يوماً ، لا يرون فيها ماء إلا على ظهور الإبل ، فأثمان أحمال الثلاثين حملاً يجتمع فيها من التبر ما يجعل في مزود واحد ، فيطوون المراحل للخفة . وغانة بلد مملكة السودان ، وانتشر الإسلام في أهلها ، وبها مدارس للعلم ، وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والأمن وكثرة المتاجر ، فيشترون بها خدماً للتسري ، ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة ، والخدم فيها قد جعل الله فيهن من

الخصال الكريمة في خلقهم وخلقهم فوق المراد، من ملامسة الأبدان، وتفتق السواد،
وحسن العينين، واعتدال الأنوف، وبياض الأسنان، وطيب الروائح.

[مما ورد من الشعر في وصف السواد والبياض]

وكان ابن الرومي وصف واحدة منهن بقوله :

تذكرك المسك والفوالى والنَّدْ ذواتُ التَّسِيمِ والعَبَقِ
ليست من العَبَسِ الأَكْفِ ولا الفُلْجِ الشَّفَاهِ الخبائثِ العَرَقِ
أَكسبها الحَبَّ أَنها صُيِّغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ القُلُوبِ والحدَقِ
فترذاك السَّوَادِ عن يَقِيٍّ من نَعْرِها كاللَّيْلِ النَّسَقِ
كأنها والمِزَاحِ يضحكها ليلُ تعرَى دُجَاهِ عن فَلَاقِ
لها حِرٌّ يستعيرُ وقَدْتَهُ من قلبِ صبِّ وصدْرِ ذِي حَنْقِ
يزداد ضيقاً على المراسِ كما تزداد ضيقاً أنشوطَةُ الوَهَقِ
غصن من الآبنوسِ رُكْبِ في مؤزَّرِ معجِبِ ومنتطِقِ
وقال الشريف الرضي :

أحْبَبُكَ يالونَ السَّوَادِ فَإِنِّي رأيتُكَ في العينينِ والقلبِ تَوْأَمًا^(١)
وما كان سهمُ العينِ لولا سَوَادُها ليبلغ حَبَّاتِ القُلُوبِ إِذَا رَمَى
إِذَا كُنْتَ تَهْوَى الطَّبِيَّ أَلَمَى فَلَائِمُ جنونِي على الطَّبِيِّ الذي كلَّهُ لَمَى
وقال ابن مسleme :

يكونُ الخِطُّ في خَدِّ قَبِيحٍ فيكسوه الملاحاةَ والجَمالاً

(١) ديوانه ٧٥٥ .

فكيف يُلامُّ مشغوفٌ على مَنْ يراها كلَّها في العينِ خالاً!
وله أيضاً :

لامِ العوازلِ في سوادِ فاحمةٍ كأنَّها في سوادِ القلبِ تمثالُ
وهامِ بائِخالِ أقوامٍ وما علِّمُوا أنّي أهيّمُ بشخصٍ كلّه خالُ
ولابنِ رباح :

وسوداءِ الأديمِ إذا تبدّتْ يرى ماءَ النعيمِ جرى عليه
رأها ناظريّ نصّباً إليها وشبههُ الشّيءُ مُنجذبٌ إليه
ولابنِ رشيق :

دعا بكِ الحنينِ فاستجيبِي يامسكُ في صبغةٍ وطيبِ^(١)
تبيهِ على البيضِ واستطيلي تيهَ شبابٍ على مشيبِ
ولا يرعكِ اسودادُ لونِ كمقلّةِ الشادينِ الرّيبِ
فإنّما الثورُ عن سوادِ في أعينِ الناسِ والقُوبِ

قال ابن رشيق : أخذته من قول الآخر ، أنشده الجاحظ :

مشبهاتُ الشّبابِ والمسكِ تفديهمُ نَفْسِي من الرّدىِ والخطوبِ
كيف يهوى الفتى اللبيبِ وصالِ البيضِ ، والبيضُ مشبهاتُ المشيبِ
وأخذ بيته الآخر من قول الآخر ، أنشده الجاحظ :

وإنّ سوادِ العينِ في العينِ نورُها وما لبياضِ العينِ نورٌ فيعلمُ
فأخذه أيضاً أبو الطيب ، فقال في كافور وأحسن :

(١) الغيث المنسجم ٢ : ١٦١ ، معاهد التنصيص ٢ : ٢٣ ، ديوان الصبابة (على هامشه
تزيين الأسواق) ٦٨ .

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانه وغلّت بياضاً خلفها وماقياً^(١)
ولابن الجهم :

وعائب للشمر من جهله مفصلٌ للبيض ذى محك^(٢)
قولوا له عني : أما تستحي ! نَـنْ يَجْمَلُ الكافور كالمسك !

والسابق لهذا المعنى أبو حفص الشطرنجي ، والناس تبع له حيث قال :
أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعدة
لا شك - إذ لونكما واحدٌ أنكما من طينةٍ واحده
على أن العباس^(٣) بن الأحنف معاصره ، قال :

أحب النساء السود من أجل تكتمهم

ومن أجلها أحببت ما كان أسوداً
فجئني بمثل المسك أطيب نكهةً وجئني بمثل الليل أطيب مرقداً
أخذ بيته الأول من قول ابن الأعرابي :

أحبُّ لحبها السودان حتى أحبَّ لحبها سودَ الكلابِ

وقال ابن الرومي في تفضيل السواد على البياض :

وبعض ما فضل السواد به والحق ذو سلم وذو نفاق
ألا يعيب السواد خلكته وقد يعاب البياض بالبهق

وهذه الأقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على

تحسين القبيح ، والأمر الجمع عليه تفضيل البياض .

(١) ديوانه ٤ : ٢٨٧

(٢) ديوانه ١٦٢ (عن الشمريني)

(٣) كذا في ب ، وفي ط ، ١ : ٥ على ابن العباس ، تصحيف ، ولم أجد الأبيات في

ديوان عباس بن الأحنف .

(٢٢ - شرح مقامات الحريري ١)

قال الجاحظ: العرب تمدح بالبياض، وتهجو بالسواد، وربما مدحوا بالسواد، ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمه، وأنشد:

لهم ديباجةٌ عُرِفَتْ قديمًا
بياضٌ في الوجوه وفي الجلودِ
وأحسن كشاجم فيما قصد إليه بقوله:

يامشيهًا في فعله لونه لم تعد ما أوجبت القسمه^(١)
خاتك من خلتك مستخرج والظلم مشتق من الظلمة^(٢)

قوله: «جيب ما بين فرغانة وغانة»، ماها هنا بمعنى الذي، كأنه قال: جيب الذي بين فرغانة التي هي أقصى المشرق، وغانة التي هي أقصى المغرب من البلاد والقفار والبحار لكسب المال، فاهى التي أوجبت ما بين البلدين ما ذكر أن يعم بالشيء؛ ولوسقطت لم يلزم العموم، وكأنه يشير بهذا التعبير إلى قول حبيب:

سلي هل عمرت القفر وهو سباسب^(٣) وغادرت ربعي من ركابي سباسبًا^(٤)
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرقٍ وشرقت حتى قد نسيت المغاربًا

قوله: «أخوض الغار»، أي أدخل المياه الغزيرة فأجوزها. أفتحم الأخطار، أي أترامى في المخاوف. والخطر: الغرر. والأوطار: الحاجات. وقال أبو عمر القسطلي^(٤) فيما يتعلق بهذا:

يقولون في طول السفار وإنما لتقبيل كف العامري سفير
وذا ذعبي أريد ماء المتكافوز آجنا إلى حيث ماء المكرمات تميز

(١) ديوانه ١٧، وفيه: «في لونه فله».

(٢) في الديوان: «فانك من خاتك».

(٣) ديوانه ١٧، والسباسب: القفار الفسيحة.

(٤) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد بن جاجان بن عيسى بن دار، المعروف بلقب القسطلي، في طبرستان أبو عمرو، جعل يذكر في بعض تراجمه؛ وقد نبه إليه الدكتور محمود مكي في حواشيه على ديوان ابن دراج ص ٢١، والأبيات في ديوانه ٢٩٨.

(١) ديوانه ٢٢٢ - ٢٢٣

ألم تلعى أن الثواء هو النوى وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن لراكبها أن الجزاء خطير
وقال النابغة الجعدي :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه

شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر^(١)

فسير في بلاد الله والتمس القنى تمش ذا يسار أو تموت فتعذراً
وقال ابن سارة :

سافر فإن القنى من بات مفتتحاً قفل المصاح بفتح من السفر
إن شئت خضرتها يا ابن الرخاء فكن

في طى عمر الفيافي نأى الحصر
ولا يصدنك عن أمر تصعبه قد ينبع الكوثر السلسال من حجر
لا بد أن يقع المطلوب في شرك ولو بنى وكوره في دائرة القمر

[باب في الحض على السفر وترك العجز]

ومما ينتظم في باب الحض على السفر وترك العجز قولهم : لا ينبغي للعاقل
أن يكون إلا في إحدى المنزلتين ، إما في الغاية من طلب الدنيا ، وإما في الغاية
من تركها ، ولا ينبغي للعاقل أن يرى إلا في أحد مكانين ، إما مع الملوك مكرماً ،
وإما مع العباد متبتلاً ، ولا يعدّ الغرم غرماً إلا إذا ساق غنماً ، ولا انعم غنماً إلا
إذا ساق غرماً ؛ ونظم هذا المعنى فقال :

ذِرِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْظَ فِيهَا وَكُنْ فِيهَا كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا^(١)
وَأَصْبِحْ وَاحِدَ الرَّجُلِينَ إِمَّا مَلِيكًا فِي الْعَشَائِرِ أَوْ أَيْلًا

الأيل : الراهب .

وفي كتاب الهند : من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب .

وفي التوراة : ابن آدم ، خُلِقْتَ مِنَ الْحَرَكَةِ إِلَى الْحَرَكَةِ ، فَتَحْرُكْ وَأَنَا مَعَكَ -

وفي بعض الكتب : امدد يدك إلى بابٍ من العمل ؛ أفتح لك باباً من

الرزق .

وقالوا : مَنْ ضَعُفَ عَنْ عَمَلِهِ أَتَكَلَّ عَلَى رِزْقٍ غَيْرِهِ -

وقال علي رضي الله عنه : الحرص مقدمة الكون .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو فد عبد القيس : ما المروءة فيكم ؟ قالوا :

العفة والحِرْفَةُ .

ورثي عكرمة وراء نهر بئح ، فقيل له : ما جاء بك هاهنا ؟ فقال : بناتي .

وقال رجل لعروف الكرخي : يا أبا محفوظ أتحرك لطلب الرزق أم أجلس ؟

قال : لا بل تحرك ، فإنه أصلح لك ، فقال : أتقول هذا ؟ قال : وما أنا قاتته

ولكن الله عز وجل أمر به ، قال لمريم عليها السلام : ﴿ وَهَزِّيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ

النَّخْلَةِ تَسَاقِطْ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا ﴾^(٢) ولو شاء لأنزله عليها .

وأنشد الثعالبي :

ألم ترَ أن الله أوحى لمريم وهزّي إليك الجذع يساقط الرطب

(١) سقط الزند ١٣٧١ .

(٢) سورة مريم ٢٥

ولو شاء أن تجنيه من غير هزّها جنته ، ولكن كل شيء له سبب
وقال موسى بن عمران عليه السلام : لا تلوموا السفر ؛ فإنّي أدركت فيه ما لم
يدركه أحد ؛ يريد أن الله كلّاه فيه .

ونظم هذا المعنى حبيب فقال :

إنّ موسى صلّى على روجه الله صلاةً كثيرةً القدس^(١)
صار نبياً وعظماً بعبّته في جدوة للصلاة والقبس^(٢)

قال المؤمنون : لا شيء ألدّ من السفر في كفاية ؛ لأنك تحمل كل يوم في محلّة
لم تحلّها ، وتعاشر قوماً لم تعاشرهم .

الثعالبي : من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار ، وبدائع
الأقطار ، ومحاسن الآثار ، ما يزيد علماً بقدرة الله ، ويدعوه إلى شكر نعمته .

وفي الأثر الصحيح : سافروا تصحّوا وتغنموا .

آخر : السفر يشدّ الأبدان ، وينشط الكسلان ، ويشهّي إلى الطعام .

آخر : ليس بينك وبين بلد نَسب ، فخير البلاد ما حملك .

قال ابن رشيّق : كتبت إلى بعض إخواني : مثل الرجل القاعد - أعزّك الله -
كمثل الماء الراكد ، إن ترك تغير ، وإن تحرّك تكدر ، ومثل المسافر كالسحاب
الماطر ، هؤلأ يدعونه رحمة ، وهؤلأ يدعونه نقمة ، فإذا اتصلت أيامه ، ثقل
مقامه ، وكثر لؤامه ، فاجمع لنفسك فرجة الغيبة ، وفرحة الأوبة ، والسلام .

وقال ابن رشيّق :

غِبْ عن بلادك وارحُ حسن مغبّةٍ إن كنت حقاً تشتكي الإقلاقاً^(٣)

(١) ديوانه ١٧٠ . والقدس : الطهارة

(٢) البنية : المطاب . الجدوة : الحرّة ، والصلاة ، التدفؤ .

(٣) نقله في التنف ٥٩

فالبدرُ لم يُجِيفْ به إِدْبَارُهُ أَلَا يَسَافِرُ يَطْلُبُ الإِقْبَالَ
وقال أبو الطَّيِّبِ :

وما بلد الإنسان غير الموافقِ ولأهله الأذنون غير الأصادقِ^(١)
وقال البحترى :

وإذا ما تذكرت لى بلادُ أو صديقُ فإِنِّى بالخيارِ^(٢)
وقال أبو الطَّيِّبِ :

إذا لم أجدُ فى بلدةٍ ما أريده فعندى لأخرى عَزْمَةٌ وِرِكَابُ
وقال إبراهيم بن العباس الصولى :

لا يمنعك خفض العيشِ فى دَعَاةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلِ وأوطانِ^(٣)
تلقى بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

أى لا يمنعك الشوقُ إلى الوطنِ فى الغربة من الاستمتاع ببلدة العيش ،
فالأرض واحدة ، والناس جنس واحد . وفى غير الحماسة :

لا يمنعك خفض العيشِ فى دَعَاةٍ من أن تبدلَ أوطاناً بأوطانِ
برفع «خفض» ، أى لا يمنعك عيشك الهنىء فى بلدك أن تجول فى البلدان ،
وترى الناس ، تستفيد النزهة والتجربة .

وقالوا : المسافر يسمع العجائب ، ويكشف التجارب ، ويحلب المكاسب .
أوحشُ أهلك إذا كان أنسك فى إيمحاشهم ، واهجر وطنك إذا نبتُ نفسك عنه .
قيل لأعشى بكر : إلى كم ذا الاغتراب ؟ أما ترضى بالدعة ! قال : لودامت
الشمس عليك يومين للتموها .

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٠ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) ديوانه ١٥١ ، ديوان المانى ١ : ٩٩٢ .

أخذه حبيب فقال :

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخلِقٌ لذيّاجتئيه فاعترِبْ تتجددِ (١)
فإني رأيتُ الشَّمسَ زِيدتْ محبَّةً إلى النَّاسِ أنْ لَيسَتْ عليهم بسرمدِ

وقال الحكماء : لا تُنال الراحة إلا بالتعب ، ولا تدرك الدعة إلا بالتصّب .

وقال حبيب :

على أني لم أحوِ وَفراً مجمَعاً ففزت به إلا بشملِ مبددِ (٢)
ولم تُعطني الأيامُ يوماً مسكناً اللدّ به إلا بنومِ مُشرّدِ

وقال ابن عبد ربه : هل يجوز في عقل ، أو يمثل في وهم ، أو يصح في قياس ، أن يُحصّد زرعٌ بغير بذر ، أو يثمر مالٌ بغير طلب ، أو تُجنى ثمرة بغير غرس ، أو يُورى زندٌ بغير قدح ! وقد يكون الإكداء مع الكد ، والخليفة مع الغيبة .

وقال الشاعر :

ومازلت أقطعُ عَرْضَ البلادِ من المشرقين إلى المغربين
وأدرع الخوفَ تحت الدُّجى وأستصحب الجُدَى والفرقدَيْن
وأطوى وأشرُّ ثوبَ الهمومِ إلى أن رجعتُ بخفي حُنَيْنِ

وقال ابن رسيق :

بُعطي الفتى فينالُ في دَعَةٍ ما لم ينل بالكُدِّ والتَّعبِ (٣)
فاطلبْ لنفسك فَضْلَ راحَتِهَا إذ لَيسَت الأشياءُ بالطلبِ
إن كان لا رزقٌ بلا سببِ فرجاء ربِّكَ أعظمُ السَّببِ

وقال محمد بن يسير :

(١) ديوانه ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) ديوانه ١٠٠ ، وفيه : « ولو كنتي لم أحو » .

(٣) نقله في التنف ١١ .

قد يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمُقِيمُ وَمَا
وَيَحْرَمُ الْمَالُ ذُو الْمُطِيَةِ وَالرَّاءِ
شَدَّ لِعُنْسٍ رَحَلًا وَلَا قَتَبًا (١)
حَلَّ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبًا
وَقَالَ آخِرُ :

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعِبْ رِوَا حُلَّهُ
إِنِّي وَعَمْرُكَ مَا أَحْصَى ذَوِي حَقِّي
وَيَحْرَمُ الرَّزْقَ بِالْأَسْفَارِ وَالتَّعَبِ
الرِّزْقَ أَعْدَى بِهِمْ مِنْ لَاصِقِ الْجَرْبِ
وَلَا آخِرُ :

أَلَا رَبَّ بَاغِي حَاجَةٍ لَا يَنْأَلُهَا
وَأَخْرَقَ تَقْضَى لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ
آخِرُ :

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ، لَأَمِنْ حُسْنِ حَيْلَتِهِ
مَامَسْتَنِي مِنْ غَنِيِّ يَوْمٍ وَلَا عَدَمٌ
وَيُصْرَفُ الرَّزْقُ عَنْ ذِي الْحَيْلَةِ الدَّاهِي
إِلَّا وَقَوْلِي فِيهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
آخِرُ :

لَوْ كَانَ بِاللَّبِّ يَزِدَادُ اللَّيْبُ غَنِيٌّ
لَكِنَّهُ الرَّزْقُ بِالتَّسْطَاسِ مِنْ حِكْمٍ
وَمِثْلُ هَذَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرٍ وَإِنَّمَا يَحْكُمُ بِالْأَغْلَبِ ، وَالتَّجَمُّعُ مَعَ الطَّلَبِ أَكْثَرُ ،
وَالْحَرَمَانُ لِلْعَاجِزِ أَصْحَبُ ، وَشَرَحَ حَبِيبُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

هَمَّ الْفَتَى فِي الْأَرْضِ أَغْصَانُ النَّبِيِّ غُرِسَتْ وَوَلَيْسَتْ كُلُّ حَبِينٍ تُورِقُ
أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ابْنَهُ وَأَرَادَ سَفْرًا ، فَقَالَ : إِنَّا نَكُ تَدْخُلُ بِلَدَا لَا تَعْرِفُهُ ،
وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهُ ، فَتَمَسَّكَ بِوَصِيَّتِي تَنْفِقُ بِهَا ؛ عَلَيْكَ بِحَسَنِ الشَّمَائِلِ ؛ فَإِنَّهَا تَدَلُّ عَلَى
الْحَرِيَّةِ ، وَنِقَاءِ الْأَطْرَافِ فَإِنَّهَا تَشْهَدُ بِالْمُلُوكِيَّةِ ، وَنِظَافَةِ الْبِرِّزَّةِ فَإِنَّهَا تَشْهَدُ بِالنِّسَاءِ فِي
النِّعْمَةِ ، وَطِيبِ الرَّائِحَةِ فَإِنَّهَا تَظْهَرُ الْمَرْوَةَ ، وَالْأَدَبَ الْجَمِيلَ فَإِنَّهُ يُكَسِبُ الْحُبَّةَ ،
وَلَيْسَ كُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ ، وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ ، وَوَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ ، وَالزَّمْ

(١) الأغانى ٥ : ٢١ ، من أبيات نسبها إلى بن عبد الله الأحمدي

«الحياء والأئفة فإياك إن استحيت من الفظاظة اجتنبت الخساسة ، وإن أنفت من الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة .

قوله : «لِفَت» ، أخذت ، واللَّفَف: أخدم ايرمى إليك بيدك . ثَقِفَت: قيدت ، ويُمدح الرجل الحازم به فيقال: فلان ثَقِفُ لَقِف . والأرِب: العاقل ، وقد أَرَب أَرابة وأَرَبًا ، صار أَرِيبًا ، والأرِب من أَرَبت العُقْدَة أَرَبًا ، شدتها . يستميل: يستنزل ويدعوه أن يميل إليه . يستخلص مرضيه ، أى يحوزها لنفسه . ومراضيه: ما يُرضى القاضى ويوافقه ، وهو جمع مَرَضَاة ، ويقال: صلة الرحم مَرَضَاة للربِّ ، أى يرضيه برّها ، يقول: العاقل إذا دخل بلدة استعطف قاضيها لنفسه ، بحسن خلقه حتى يخفّ عليه أمره . ليشْتَدّ: ليتقوى . جَوْر: ظُلم ، إمامًا: قُدوة ، زمامًا: حبلاً أقودها به . ولجت: دخلت . عرينة: بلدة ، وأصاها بيت الأسد . الراح: اسم الحجر ، وأبهم على ابن الرومى ممّ اشتق اسمها حين قال :

والله ما أدري لأية علة يدعونها في الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا أم لارتياح نديمها للرتاح!

وانظر الامتزاج الذى ذكر فى الخامسة والأربعين .

عنايته : اعتناؤه به واهتمامه .

فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية ، فى عشيّة عريّة ، وقد أخضر مال الصدقات ، ليُفضّه على ذوى الفاقات ، إذ حلّ شخصٌ عريّة ، تعتله امرأة مُصيبةٌ فقالت: أيد الله القاضى ، وأدام به التراضى ، إني امرأة من أكرم جرثومة ، وأطهر أرومة ،

وَأَشْرَفِ خُثُولَةٍ وَعَمُومَةٍ ، مِيسَمِي الصَّوْنِ ، وَشِيمَتِي الْهَوْنِ ،
 وَخُلِقِي نَعْمَ الْعَوْنِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بَوْنٌ ، وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي
 بُنَاةَ الْمَجْدِ ، وَأَرْبَابُ الْجَدِّ ، مَسْكَّتَهُمْ وَبَكَّتَهُمْ ، وَوَفَّ
 وَمُضَلَّتَهُمْ وَصَلَّتَهُمْ ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ بِحِلْفَةٍ ، أَلَّا يُصَاهِرَ
 غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ .

[ذكر الإسكندرية]

مدينة عظيمة من بلاد مصر ، بناها الإسكندر ذو القرنين ، وهو الذي
 مشى مشارق الأرض ومغاربها . قال السديّ : لما سأل أهل الكتاب النبيّ
 صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين ، قال : سأخبركم كما تجدونه مكتوباً عندكم :
 إنَّ أول أمره أنه غلام من الروم ، أُعْطِيَ مُلْكًا ، فسار حتى أتى ساحل البحر
 من أرض مصر ، فابتنى عندها مدينة يقال لها الإسكندرية .

وقال الهمذانيّ : ذو القرنين ينسب إليه التاريخ قبل الإسلام ، ومؤدبه
 أرسطاطاليس الحكيم ، وكان مُلْكُهُ الذي بلغ فيه أقصى المشرق والمغرب خمسة عشر
 عاماً ، والإسكندرية لما بناها رخمها بالرخام الأبيض جدُّرها وأرضها ، فكان
 لباسهم فيها السواد من نضوع بياض الرخام ، وإذا كانت ليلة مقمرة يُدْخِلُ
 الخياط الخياط في خرِّق الإبرة من بياض رخامها .

وقيل : إنها مكثت سبعين عاماً لا يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء
 من بياض جِصِّها ورُخامها ، ولم يخرج لها في تلك المدة إلى سراج بالليل من
 ضيائها . وقيل : كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور .

قال ابن جبير: ما شهدنا^(١) بلداً أوسع مسالك، ولا أعلى بناء، ولا أعتق ولا أحفل من الإسكندرية، وأسواقها في نهاية الاحتفال ومن أعجب ما قوصنها أن بناءها تحت الأرض كبنائها فوقها وأعتق، لأن الماء إذا جاء من النيل يخترق جميع آبارها وأزقتها تحت الأرض، فتتصل الآبار بعضها ببعض، ويمد بعضها بعضاً، وعابنا فيها من سوارى الرخام وألواح كبراً وعلواً واتساقاً وحسناً مالا يُتخيل إلا بالوهم؛ حتى إنك تلقى بعض سواريتها يغص بها الجو صعوذاً لا يدرى معناها، ولا لأى شيء وضعت إلا ما يتحدث به أنه كان عليها من قديم الزمان مبان للفلاسفة وأهل الرياسة ومن أعظم عجائبها المنار، آية للمتوسمين وهداية للمسافرين، لولاه ما اهدوا في البحر إلى بر الإسكندرية، ويظهر على أزيد من سبعين ميلاً، ومبناه في نهاية العتاقة والوثاقة طولاً وعرضاً، يزاحم الجو سموً وارتفاعاً ينحصر عنه الوصف، وينحسر دونه الطرف، الخبر عنه يصيق، والمشاهدة له تتسع، ذرعنا أحد جوانبه الأربع، فالفينا فيه ثماناً وخمسين باعاً، ويذكر أن في طوله أزيد من مائة وخمسين قامة

وأما داخله فرأى هائل، اتساع معارج، ومداخل^(٢) وكثرة مساكن. حتى إن الواج في مسالكه ربما ضل. وفي أعلاه مسجد موصوف بالبركة، يتبرك الناس بالصلاة فيه، طاعنا إليه، وشهدنا من شأن مبناه عجباً لا يستوفيه وصف واصف، والله تعالى لا يخليه من عزة الإسلام.

* * *

قوله «عشية عربية»، أى باردة. بفضه: بفرقة. ذوى الفاقات: أهل الفقر والحاجات. عفرية: يقال رجل عفرية وعفر وعفري، إذا كان صحيحاً شديداً موثقاً

(١) رحلة ابن جبير ٩، ١٠ بتصرف.

(٢) ط: «دواخل»، وما أنبته من أ، ب وابن جبير.

«الخلق ، أخذ من عَفَرِ الأَرْض ، وهو التراب ، أى من عَلِقَ به عفره بالأرض ومنه لَيْثٌ عَفْرَيْن ، أى لَيْثٌ لِيُوث ، مَعْفَرٌ لِفْرِيسَتِه . قال النخيل : رجل عَفْرٌ بَيْنَ العَفَارَةِ ، إِذَا وَصِفَ بِالشَّيْطَانَةِ ، وَالعَفِيرُ أَيضاً : الظَّرِيفُ الكَيْسُ ، وَيُقَالُ لِلشَّيْطَانِ : عَفْرِيَتٌ وَعَفْرِيَةٌ ، وَهِيَ عَفْرَايَةٌ . وقرئ : ﴿قَالَ عَفْرِيَةٌ مِنَ الْجِنِّ﴾^(١) ، وفي الحديث : «إِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ العَفْرِيَتِ النَّفْرِيَتِ» ، قِيلَ هُوَ الْجُمُوعُ الْمُنَوَّعُ .

وقال أبو عثمان النهديّ : دخل رجل عظيم الجسم على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له : متى عهدك بالحلى . قال : ما أعرفها ، قال : فبالصدّاع ؟ قال : ما أدري ماهو ! قال : أفأصبّت بمالك ؟ قال : لا ، قال : أفزرت بولدك ؟ قال : لا ، فقال صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ العَفْرِيَتِ النَّفْرِيَتِ» ، وهو الذى لا يبرزأ فى بدنه ولا يصاب فى ماله .

وقوله : «تعتله» ، أى تسوقه بعنف ، وكذلك تدعّه . مُصْبِيَةٌ : لهاصبىّ . جرتومة : أصل ، وكذلك أرومة . ميسى : علامتى . الصّون : الصيانة والاشباض . شيمتى : طبيعتى . الهون : الرفق . بون : بُعد . بناء : جمع بان ، والمجد : الشرف الضخم ، وأصله من الإبل المواجد ، وهى التى امتلأت بطونها من الرعى وعظمت . وأجدّ هاراعمها ، إذا رعاها بحيث تمجد ، ومجدت وهى تمجد : رعت فامتلات . وحكى الأصمعى قال : أتيت شعبة يوماً ؛ وعنده حماد بن سلمة ، وهما يتكلمان فى حديث فقال شعبة : يا أبا سلمة ، هذا الفتى الذى ذكرت لك ، فقال حماد : يا بنى كيف تنشديت الحظيئة : «أولئك قوم . . .» ؟ فابتدأت القصيدة من أولها :

ألا طرفتنا بعد ما هجعت هندُ وقد سرنَ نَحْسًا وائلات بها الجديّ^(٢)

(١) هى قراءة عيسى التقي ، وانظر تفسير القرطبي ١٣ : ٢٠٣ .

(٢) ديوانه ١٩ ، ٢٠ .

إلى أن بلغت قوله :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البني وإن عاهدوا أوفوا وإن عقَدُوا شدًّا^(١) وقال لي حماد : يا بني إن العرب تقول : بني يبني بناءً في العمران ، ويقولون في الشرف : نبا يَنْبُو نَبْوًا ، فأنشد هذا البيت « أحسنوا البني » ، فعرفت قدر حماد من ذلك فما كنت أنشد إلا كما لقتني .

قوله : « أرباب الجدِّ » . أي أصحاب السعد والمال ، والعرب تقول : لفلان جدٌّ في الدنيا ، أي حظ وبخت ، قال امرؤ القيس :

* وقام جدُّهم بني أبيهم^(٢) *

وقال آخر :

عش بجدِّ ولا يضرُّكَ نوْكُ إنما عيشُ من ترَى بالجدودِ
وجدَّ الرجلُ : صار له جدٌّ ، وأجدّه الله : جعل له جدًّا ، وما كنت ذا جدِّ ، ولقد جدِّدت تجمدًا ، ورجل جديد : حظيظ من الجدِّ والحظ .
أبو عبيد قوله : « ولا ينفَعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ »^(٣) ، أي ولا ينفَعُ ذا الفنى منك غناه إنما تنفعه طاعته . يعقوب : أي من كان له حظ في الدنيا لم ينفعه ذلك في الآخرة .

بكتهم : قطع كلامهم وأهانهم . عاف : كره . وصلتهم : اتصاهم به ، والوصلة : سبب التواصل ، وهي في الآدميين ما يصل واحدًا بآخر من حُبِّ وغيره ، والوصلة بالفتح : ما جعلته بين عود وعود ، أو حبل وحبل ، فوصلتهما به . صلتهم : عايتهم . حلفة : يمين . يصابر : يخاصم . حِرْقة : صنعة ومكسب ، وهي فِعْلة من الحرف وهو الحرمان ، والحارَف : الحرور ، كأن صاحبها منع الرزق ، فصار يعالج كسبه .

(١) ديوانه ١٣٨ و بقينه :

* وبالأشقيين ما كان العقاب *

(٢) اللسان - جدد ، وفي رواية : الجد ، بكسر الجيم ، أي الاجتهاد والعمل -

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال صلى الله عليه وسلم : « خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح » .

سهل بن سعد رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمل الأبرار من الرجال الخياطة ، ومن النساء الغزل »

* * *

فَقِيضَ الْقَدْرُ لِنَصِيٍّ وَوَصِيٍّ ، أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدَاعَةَ
 نَادَى أَبِي ، فَأَقْسِمَ بَيْنَ رَهْطِهِ ، أَنَّهُ وَفَى شَرْطِهِ ، وَادَّعَى أَنَّهُ طَامَا
 نَظْمَ دُرَّةَ إِلَى دُرَّةٍ ، فَبَاعَهُمَا بِيَدْرَةَ ؛ فَاغْتَرَّ أَبِي بِزُخْرُفِ مَحَالِهِ ؛
 وَزَوَّجْنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ ، فَلَمَّا اسْتَخْرَجَنِي مِنْ كِنَاسِي ، وَرَحَّلَنِي
 عَنْ أَنَاسِي ، وَتَقَلَّنِي إِلَى كَسْرِهِ ، وَحَصَلَّنِي تَحْتَ أَسْرِهِ ، وَجَدْتُهُ
 قُعْدَةً جُبْمَةً ، وَالْفَيْئَةَ ضُجْمَةً نُومَةً . وَكُنْتُ صَحْبَتَهُ بِرِيَاشٍ
 وَزِيٍّ ، وَأُنَاتٍ وَرِيٍّ ، فَمَا بَرِحَ يَبِيئُهُ فِي سُوقِ الْهَضْمِ ،
 وَيُتَلَفُ ثَمَنُهُ فِي الْخَضْمِ وَالْقَضْمِ ، إِلَى أَنْ مَزَّقَ حَالِي بِأَسْرِهِ ، وَأَنْفَقَ
 مَالِي فِي عُسْرِهِ .

○ ○ ○

قوله : « قِيض » ، أى قدر وساق . نَصِيٍّ : تعبي . وَوَصِيٍّ : مرضى ،
 وَنَصِبَ الرَّجُلَ نَصْبًا . أَعْيَا مِنَ التَّعَبِ ، وَوَصَبَ وَصْبًا : أَتَعَبَهُ الْمَرَضُ ، فَهُوَ نَصِبٌ
 وَوَصِبٌ . الْخُدَاعَةُ : الْكَثِيرُ الْخُدَاعِ لغيره ، وَبِسُكُونِ الدَّالِ الَّذِي يَخْدَعُهُ غَيْرُهُ
 كَثِيرًا ؛ التَّحْرِيكُ لِلْفَاعِلِ وَالسُّكُونُ لِلْمَفْعُولِ فِيمَا يَأْتِي عَلَى « فُعَلَةٌ » مِنَ الصِّفَاتِ .
 نَادَى : مَجْلَسٌ . رَهْطُهُ : قَوْمُهُ ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَجَاعَةٍ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ ، وَيَجْمَعُ

أرهُط وأراهط . وفق شرطه : أى موافق ما اشترط . نَظَمُ دُرَّةً ، يريد أنه جوهرى ينظم سلوك اللؤلؤ . بَدْرَةٌ : عشرة آلاف درهم ، وأراد بالدُرَّة هنا الكلمة ، ويمتد بها عن الحكمة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تَدْعُوا الدُرَّةَ في أفواه الكلاب » ، يعنى العلم . اغترت : انخدع ، وهو افتعل من الغرور . زخرف محاله : تزيين باطله ، وأصل زخرف ؛ زين الشيء بالزخرف وهو الذهب . كِنَاسِي : بيتى وأصله للظبي ، وهو من قوله تعالى : ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ ^(١) تشبيهاً لها بالطباء على ما ذكره ابن قتيبة ؛ ويقال له : كِنَاسٌ وَمِكنَسٌ من الكنس ، كأن الظبية قد كنست مرقدها ووطأتها . رَحَلَنِي : قتلني وحمَلَنِي على الرَّحْلِ . كِسْرُهُ : بيته ، وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء ، لأن جانب الخباء قد انكسر عن يمينه . أسره : حبسه . قُعدَة : كثير القعود . جُمَمَةٌ : كثير الجثوم ، وهو ملازمة الموضع . ضُجعة : كثير الاضطجاع ، وهو الامتداد على الأرض للنوم . نُومَةٌ : كثير النوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لهم المقت من الله » ، وذكر الذي يكثر النوم بالنهار ، ولم يأخذ من الليل شيئاً ، وفي حديث آخر : « خير أهل شر الزمان مؤمن نُومَةٌ » . أبو عبيدة : هو الخامل الذَّكر الذى لا يعرف الشر وأهله ، فتريد أنه عاجز قد لازم بيتها ، فإن تصرف فيه اعترضها ممتداً ، فلا تجد معها راحة . رِيَّاشٌ : ثياب ، « فِعال » من الرِّيش ، لأنها تكسو البدن كما يكسو الرِّيش الطائر . زِيٌّ : هيئة حسنة من اللباس . أُنثاء : متاع . رِيٌّ : حالة حسنة ، وأصله الهمز ، فسُهِّل وأدغم ليوافق « زياً » . قال ابن الأنباري : الأُنثاء : المتاع . والرؤى والرؤاء : المنظر ، وما له رؤاء أى ماله منظر واللسان . والخرقان ، من رأيت أرى . ما برح : ما زال . الهضم : التقصان . الخضم : الأكل بالفم كله . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . مَرَّقٌ : قطع وأفسد . حالى : غناى ، ويروى «مالى» مكان «حالى» ، وما فيه بمعنى الذى كأنه قال : فرقى

الذى لى، ورواية ابن ظفر «بالي» بالياء، وقال: البال: الخاطر، وما لهذا الشيء .
بال، إذا حَقَّرْتَهُ ، والبال كالحلْد ، تقول خَطَرَ بِنَالِي ، كما تقول : خَطَرَ بِخَلْدِي .
ونفسى ، وكانَ هذا هو الأصل . والبال : الحال أيضاً ، ومنه قوله :

* وخالف بال أهل الدار بالي *

عسره ، أى فقره .

* * *

فَلَمَّا أَنْسَانِي طَعْمَ الرَّاحَةِ ، وَغَادَرَ بَيْنِي أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ ،
قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّهُ لَا نَجْبًا بَعْدَ بُوسٍ ، وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ ،
فَانْهَضْ لِلِاِكْتِسَابِ بِصِنَاعَتِكَ ، وَأَجْنِبْنِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ ؛ فَرَزَعَمَ أَنَّ
صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِالْكَسَادِ ، لِأَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ ،
وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ ، كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ ، وَكِلَانًا مَا يَنَالُ مَعَهُ
شِبَعَةٌ ، وَلَا تَرَقًا لَهُ مِنَ الطَّوَى دَمَعَةٌ ، وَقَدْ قُدُّتُهُ
إِلَيْكَ ، وَأَخْضَرْتُهُ لَدَيْكَ ، لِتَمَجِّمَ عُوْدَ دَعْوَاهُ ، وَتَحْكَمَ بَيْنَنَا
بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ .

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَعَيْتُ قِصَصَ عِرْسِكَ ،
فَبَرِهِنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَإِلَّا كَشَفْتُ عَنْ نَبْسِكَ ،
وَأَمَرْتُ بِجَبْسِكَ ؛ فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْأَنْعُمَانِ ، ثُمَّ شَمَّرَ لِلْحَرْبِ
الْعَوَانِ ، وَقَالَ :

• • •

الراحة : القرار والعيش الهنيء ، وأراد بأنقى من الراحة خلوا الكف من الشعر . مخبأ : ستر . بؤس : شدة وقهر . عطر : طيب ..

[أصل المثل : لا عطر بعد عروس]

ولا عطرَ بعد عروس ، مثل يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة إليه ، وأصله أن رجلاً تزوج امرأة فوجدها تَفَلَّةً^(١) ، فقال لها : أين عطرِكِ ؟ قالت : خبأتُه لغير هذا الوقت ، فقال لها : لا مخبأ لعطر بعد عروس ؛ وبهذا اللفظ روى أبو زيد الأنصاري المثل^(٢) .

السكري : عروس رجل كانت عنده ابنة عم له ، فمات عنها ، ف تزوجها بعده ابن عم لها آخر ، وهي كارهة ، وانطلق بها إلى أهلِه وقد زودها طيباً في سَفَط ، فمرَّ بها بقبر عروس ، فأقبلت تبكيه وترفع صوتها ، وتقول : يا عروس الأعراس ، ويا شديد الباس ؛ مع أشياء لا يعلمها الناس . فانتهرها زوجها ، وقال : ما تلك الأشياء ؟ فقالت : كان عن المكارم غير نَعَّاس ، يُعمل السيف صبيحة الباس . ثم قالت : يا عروس الأعراس الأزهر ، الكريم الحضر ، مع أشياء كانت تذكر ؛ فازداد زوجها غضباً ، وقال : ما تلك الأشياء ؟ فقالت : كان عيوقاً للخنا والمنكر ، طيب النكحة غير أبجر ، ثم أخذت السَفَط وكسرتة على قبر عروس ، ثم قالت : لا عطر بعد عروس ، فذهب مثلاً . فقال زوجها : ارجعي إلى أهلك ، أنت طالق ، فقالت : إذا أنصرفت مغتبطة^(٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن عروساً هذا رجل من هذيل ، وامرأته هذليّة اسمها أسماء .

قوله : « براعتك » ، أى جودة تدبيرك . سلالة : ولد صغير كما سُئل من بطن

(١) نفل الشيء : تغيرت رائحته ، وامرأة تَفَلَّةٌ ومثقال .

(٢) اللسان - عرس ، جهرة الأمثال ٢ : ٣٩٥ ، الفاخر ٢١١ .

(٣) فصل المقال ٣٣٨

(٢٣ - شرح مقامات الحريري ١)

أمه ؛ ولهذا سُمِّي ولد الناقة عند النَّتَاج قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى : سليل ، ثم اتسعوا في السَّلالة فقالوا : فلان كريم السَّلالة . والخلالة : عود تُنقَى به الأضراس من الطعام ، شَبَّهت ولدها به في رِقته . ترَقاً : تنقطع . الطَّوى : الجوع ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » . تعجُّم : تختبر . دَعَوَاه : ما أدعاه من الصنعة ، وعجمت العود : عضضته بأسنانك لتعلم قوته من ضعفه . وعيت : حَفِظت . قِصَص عرسك : حديث زوجك . بَرَهِن : أظهر حُجَّتَكَ ، والبُرهان : الحجَّة . لَبَسَكَ : تخليطك والتباس أمرك . أطرق : أمال رأسه إلى الأرض ساكناً . الأفعوان : ذَكَر الأفاعى ، وهذا منقول من قول المتمس :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمًّا^(١)

ووقع لنا في رواية « لناباه »^(٢) ، وهي لفة . شمر : احتزم . العوان : التي قُوتل فيها مرة بعد أخرى ، وهي أشد ، والمرأة العوان : التي علت في السن ولم تهرم . والعوان : الثيب ، كانت ذات زوج أو لم تكن ، وعوت المرأة تعويناً ، والجمع عُون .

اسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبٌ * * * يُضْحَكُ مِنْ شَرِّهِ وَيُنْتَحَبُ
أَنَا امْرُؤٌ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ * * * عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَّارِهِ رَيْبٌ
سَرُوجٌ دَارِي الَّتِي وُلِدْتُ بِهَا * * * وَالْأَصْلُ غَسَّانٌ حِينَ أَنْتَسِبُ
وَشُغْلِي الدَّرْسُ ، وَالتَّبْحُرُ فِي الْعِلْمِ * * * طِلَابِي ، وَحَبَّذَا الطَّلَبُ
وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الْكَلَامِ الَّذِي * * * مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيضُ وَالْحَلْطَبُ

(١) من الأصعية ٩٢ ص ٢٥٦ ، الشجاع : الحية الذكر ، ومساغ ، مفعول من صاغ يسوغ ، وأصل معناه سهولة مدخل الشراب في الخلق .

(٢) يميلونه شاهدا على إلزام المثني الألف في إعرابه .

أُغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأَخْتَارُ اللَّالِي مِنْهَا وَأَنْتَخِبُ
وَأَجْتَنِي الْيَانِعَ الْجَنِيَّ مِنَ السَّقُولِ ، وَغَيْرِي لِلْمُودِ يَحْتَطِبُ
وَأَخَذُ اللَّفْظَ فِضَّةً فَإِذَا مَا صُنَّمْتُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
وَكَنتُ مِنْ قَبْلِ أُمْتَرِي نَشْبًا بِالْأَدَبِ الْمُنْتَقَى وَأَحْتَلِبُ
وَيَمْتَلِي أَخْمَصِي لِحْزَمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ
وَطَالَمَا زُفَّتِ الصَّلَاتُ إِلَى رَبِّي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ

* * *

قوله : « يُنْتَجِبُ » ، أى يُبْكِى ، ونَجِبٌ نَحِييًّا : أعلن بالبكاء . خصائصه :
فضائله وما يختص به من الأفعال الحمودة . رَيْبٌ : شكوك . التَّبَجَّرُ : التوسع .
حِلَابِي : أى طَلْبِي ، وإنما هو للعلم ، وذكر التَّبَجَّرُ واللَّالِي والغَوْصُ وغير ذلك
مجازاً ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما انتعل رجل قطاً ولا تخفف
ولا لبس ثوباً ليغدو في طلب علم يتعلمه إلا غفر الله له حيث يخطو عتبة بيته » .
رَوَى عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « من انتعل ليتعلم خيراً غفر الله له قبل أن يخطو » .

ابن عباس رضی الله عنهما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْغُدُوُّ وَالرَّوَاحُ
فِي تَعْلِيمِ الْعِلْمِ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجَمَادِ فِي سَبِيلِهِ » .

ابن مسعود رضی الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خَرَجَ يَطْلُبُ
بَاباً مِنَ الْعِلْمِ لِيُرَدَّ بِهِ ضَلَالاً إِلَى هُدًى ، أَوْ بَاطِلاً إِلَى حَقٍّ ، كَانَ كَعِبَادَةِ مُتَعَبِدٍ
أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

قوله : « بَصَاغٌ » ، أى يَصْنَعُ . الْهَرِيضُ : الشعر . أَعْوَصُ : أَعْيَبُ فِي الْمَاءِ إِلَى
قَعْرِه . وَاللَّجَّةُ : مَعْظَمُ الْمَاءِ ، جَعَلَهُ لِلْبَيَانِ مَجَازاً . اللَّالِي : جَمْعُ لَوْلُؤَةٍ أُتْنَخِبُ :

أختار . وقال المسيب بن علس^(١) في وصف الفانص وانتخابه الدرّة وتشبيهه
للرأة بها :

كجُمَانَةِ الْبَحْرِىِّ جَاءَ بِهَا غَوَاصُّهَا مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ^(٢)
نصف النهار الماء غامرُه وشريكه بالغيب ما بدرى
فأصاب مُنْيَتَهُ فجاءَ بِهَا صدقيّةٌ كضيفةِ الجُمْرِ
يُعْطَى بِهَا ثَمْنَا فَيَمْنَعُهَا ويقول صاحبه: ألا تشرى!^(٣)
وترى الصّارِيَّ يسجدون لها ويضُمُّها بيديه للنحر
وقال عبد الرحمن بن حسان :

وهى بيضاء مثل جوهرة الفواصِ مُبَيَّرَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ .
وقال النابغة :

أَوْ دَرَّةٍ صَدْقِيَّةٍ غَوَاصُّهَا بهرج متى يرها يُهَلِّئُ ويسجد .
قوله: «اليانغ» أى الناعم . الجنيّ: الطرى . أمترى نشباً ، أى أستخرج
ملاً ، ومربتُ ضرع الناقة: مسحته وحككته ليدرّ اللبن . والنشب ، قيل: هو
العقار وما لا ينقل ، وكان مالكه قد نشب إليه حيث لا ينتقل به ، كالذى ماله الماشية
أو الذهب والفضة . المنتقى: المختار ، ويروى «المقتنى» ، وهو المكتسب . ويقال:
احتلب وحلب حلباً ، والحليب: اللبن ، وهو الحلاب ، والحلاب أيضاً: الإزاء بحلب .
فيه ، وأصله السيلان . وتحلب الضرع: سال ، وانحلبت عينه: سال دمعها . يتمطى:
يركب . أخصى: باطن قدمي ، وهو ماضمٌ منها وأارتفع عن الأرض . الحُرْمته:
أى لرفعته وشرفه . مراتباً: منازل : والمرتبة منزلة الشرف ، من الرتب وهو

(١) ط: «على» تحريف .

(٢) الأبيات في شعراء النصرانية ٣٥٦ ، وخزانة الأدب ١ : ٥٤٥ .

(٣) ألا تشرى ، أى ألا تبع ، كما ذكره ابن الأبارى في الأضداد ٧٤

ها أشرف من الأرض . والرُّتَبُ : جمع رُتْبَةٍ ، وهي بمعنى المرتبة ، وأصل الرُّتَبُ الدَّرَجُ تَقَطَعُ فِي الْحَجْرِ لِيَصْعَدَ بِهَا إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ ، وَمِنْهُ رَتَبَ فَلَامَهُ ، إِذَا أْتَمَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا عَلَى نِظَامٍ وَعِندَالٍ . زُفَّتْ : حُجِلَتْ ، مِنْ زَفَفَتِ الْعُرُوسُ إِلَى زَوْجِهَا إِذَا أَهْدَيْتَهَا لَهُ . الصَّلَاتُ : الْعَطَايَا . رَبَيْتُ : مَنْزَلْتُ . لَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ ، أَي لَا أَرْضِي أَنْ أَكُونَ تَحْتَ مَنَّةِ كُلِّ أَحَدٍ .

* * *

فَالْيَوْمَ مَنْ يَفْلِقُ الرَّجَاءَ بِهِ أ كَسَدُ شَيْءٍ فِي سَوِيهِ الْأَدَبُ
لَا عَرِضُ أَنْبَاءِهِ يُصَانُ وَلَا يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلَّا وَلَا نَسَبُ
كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جَيْفُ يُتَعَدُّ مِنْ نَنْهَاهَا وَيُجْتَنَّبُ
فَخَارَ لُبِّي لِمَا مُنِنْتُ بِهِ مِنَ اللَّيَالِي وَمَرْفُهَا عَجَبُ
وَصَاقَ ذَرْعِي لَضِيقِ ذَاتِ يَدِي وَسَاوَرَتْنِي الْهُمُومُ وَالسَّكْرُ
وَقَادَنِي دَهْرِي الْمَلِيمُ إِلَى سَلُوكِ مَا يَسْدُ شَيْنُهُ الْحَسَبُ
فَبِعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدُ وَلَا بَاتُ إِلَيْهِ أَنْقَابُ
وَادَنْتُ حَتَّى أَثَقَلْتُ سَالِفَتِي بِحَمَلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطَبُ
ثُمَّ طَوَيْتُ الْحَشَى عَلَى سَنَبِ خَمْسًا فَلَمَّا أَمَضَنِي السَّنَبُ
لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَضًا أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأَضْطَرِبُ

* * *

مَنْ يَفْلِقُ : مَعْنَى مَنْ اسْتَفْهَمَ ^(١) . يُرْقَبُ : يَرَعَى . إِلٌ : قَرَابَةٌ ، وَإِلٌ : بَقَاءٌ

(١) حاشية ط : قوله : من استفهم ، الظاهر أن من موصولة وعبارة غيره ؛ أي أن من يطلق به الأمل ، ويرجع منه النوال لا يشمل الأدب والعارف ، حتى صار ذلك كالسلة بالكسادة عنده . انتهى بالحرف . مصححه .

عهد . وسبب : معرفة ووصحبه ، والسبب : العلم ، ومنه : ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(١) ؛ وأصله الخبل ؛ ثم يُستعمل في كل ما يربط شيئاً بشيء ، من كلام أو غيره . عِرَاصِهِمْ : مواضعهم ، وأصل العِرَاصَةُ ، فناء الدار . يُقَالُ : لَبَّ الرَّجُلُ يُلَبُّ لَبَابَةً ، ورجل ملُوب : موصوف باللبابة ، ولُبَّ كل شيء من الثمار ولبابه : داخله ، ولبَّ كل شيء : خالسه . مُنِيَتٌ : ابتليت وقد رلى . صَرَفُهَا : تقلبها وتصرفها بما يكره . دَزَعِي : كناية عن صدرى وخُلُقِي ، وأصل الذرع كيل الشيء بالذراع ؛ ثم صار مثلاً ، يقال : ضاق دَزَعِي بكذا إذا لم تحمله وضاق تصرفك فيه . ذات يدي ، أى مالى . ساورتني : واثبتني . الكَرْبُ : الهموم ، وكررها لاختلاف اللفظ . المَلِيمُ : الذى أتى بما يُلام عليه . سُلُوكٌ : دخول . يستشِينه : يستعيبه ، والشَيْنُ : العيب . لَبَدٌ : شيء لا قليل ولا كثير ، وأصله الصوف ، وأكثر ما يستعمل مُزْدَوَجًا مع سَبَدٍ ؛ يقال : ما عنده سَبَدٌ ولا لَبَدٌ ، أى لا شعر ولا صوف ، ويراد بها نقي الإبل والغنم ، ثم صار نفيًا لكل شيء من المال . بَتَاتٌ : زاد . أُنْقَلَبُ : أرجع .

أَدَنْتُ : أخذت بالدين ، وفي حديث عمر : «فَأَذَانُ مُعْرِضًا»^(٢) . والسالفة : صفحة العنق ، يريد أن هذا الدين لثقله ومقاساة همومه فوق العَطَبِ ، والعَطَبُ : الذى هو الهلاك دونه فى الشدة . عائشة رضى الله عنها : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَذَلَّ عَبْدُهُ ابْتَلَاهُ بِالَّذِينَ وَجَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ» ، وقال أنس رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إِيَّاكُمْ وَالَّذِينَ فَإِنَّهُمْ بِاللَّيْلِ وَمَدَلَّةٌ بِالنَّهَارِ» ، وروى جابر رضى الله عنه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لَا هُمْ إِلَّا هُمُ الَّذِينَ وَلَا وَجَعَ إِلَّا وَجَعَ الْعَيْنُ» .

الحشى : أسقاط الجوف . سَغَبٌ : جوع . أَمْضَيْتُ : أحرقتى . جهازها :

(١) سورة الكهف ٨٤ .

(٢) فى حديثه عن أسيف جبينه ، أى استدان معرضا . النهاية لابن الأثير ٢ : ١٤٩ .

متاعها الذي جاءتني به ، والجهاز ، متاع البيت ، يريد شوارها . عَرَضًا ، أراد « عَرَضًا » فحركة ضرورة ، والعرض الأمتعة هنا ، أخبرني بهذا من يوثق به في اللغة : والعرض خلاف النقد مشهور في اللغة . وفي العين : العَرَضُ ، بفتح الراء : كثرة المال ، فيقول : لتألم ببق لي مال لم أر مالا إلا جهازها ، فيكون على هذا أتم معنى ، ويخرج عن الضرورة التي ألزمته ذلك التحريك . أحول : أتصرف . أضطرب : أكثر التردد والتصرف .

* * *

فَجَلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ وَالْعَيْنُ عِبْرِي وَالْقَلْبُ مَكْتَبٌ
وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبَّيْتُ بِهِ حَدَّ التَّرَاضِي فَيَحْدُثُ الْغَضَبُ
فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُمَهَا أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
أَوْ أَنِّي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا زَخْرَفْتُ قَوْلِي لِيُنَجِّحَ الْأَرْبُ
فَوَالَّذِي سَارَتْ الرَّفَاقُ إِلَى كَمْبَتِهِ تَسْتَحِثُّهَا التَّجِبُ
مَا الْمَكْرُ بِالْمَحْصَنَاتِ مِنْ شَيْءِي وَلَا شِعَارِي التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبُ
وَلَا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نَيْطَ بَهَا إِلَّا مَوَاضِي الْيَرَاعِ وَالْكَتِبُ
بَلْ فِكْرَتِي تَنْظِمُ الْقَلَائِدَ لَا كَفِي ، وَشِعْرِي الْمَنْظُومُ لَا السُّخْبُ
فَهَذِي الْحِرْفَةُ الْمُشَارُ إِلَى مَا كُنْتُ أَخْوِي بَهَا وَاجْتَلِبُ
فَأَذَنْ لَشَرْحِي كَمَا أَذِنَتْ لَهَا وَلَا تَرَاقِبْ وَاحْكُمْ بِمَا يَجِبُ

عَبْرِي : باكية . مكتئب : حزين . لعبت وتحكمت فيه ؛ يقول :
ماتصرفت في بيعه الا برضا منها ومتي^(١) . قوله : « تَوَهُمَهَا » ، أى ظننها . خطبتها :

(١) حاشية ط : « قوله : ودني ، لاجابة لايه » .

مراسلتها في النكاح . لينجح الأرب : لتقضى الحاجة . تستحبها : تستعملها .
 التُّجُب : الإبل الكرام . المكر : الخداع ، المحصنات : العفاف . شيمى :
 خطابى . شعارى : علامتى : التمويه ، تقدم فى الثامنة . نيط : علق ، وناط الشيء
 نوطاً : علقه . اليراع : الأقلام . والمواضى : السرعة فى الكتابة ؛ يريد أنه فصيح
 لا يتوقف قلمه . السُّخْب : جمع سخاب ، وهى قلادة قرنفل ليس فيها جوهر
 ولا لؤلؤ . قال ابن ظفر : السُّخْب : العقود من اللؤلؤ وغيره ، ومن الطيب
 أيضا . أخوى : أخوز وأجمع .

فأذن : اسمع . لا تراقب : لاتراع متناً أحدا ولا تؤثره على صاحبه
 واحكم بيننا بما يجب ؛ وأخذ معنى الأبيات المتقدمة من قول ابن هرمة :
 إني امرؤ لأصوغ الحلىَ تملهُ كفاى لكن لسانى صائغُ الكلمِ
 وقال آخر :

وإني لنظام القلائد للعلا ولستُ بنظام القلائد للنجرِ

قال : فلما أحكم ما شأده ، وأكمل إنشأده ، عطف القاضى إلى
 الفتاة ، بعد أن شُف بالأبيات ، وقال : أما إنه قد ثبت عند جميع
 الحكماء ، وولاة الأحكام ، انقراض جيل الكرام ، وميل الأيام
 إلى اللثام ، وإني لإخال بملك صدوقانى الكلام ، برىا من الملام ،
 وهأهو قد اعترف لك بالقرض ، وصرح عن المحض ، وبين مصداق
 النظم ، وتبين أنه معروقة العظم ؛ وإغناات المَعْدِر ملامة ، ومجنس
 المُسِير مامة ، وكيان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر

عِبَادَةَ ، فَارْجِي إِلَى خِدْرِكَ ، وَاعْذُرِي أَبَا عُدْرِكَ ، وَنَهْنِيهِ
 مِنْ غَرْبِكَ ، وَسَلِّمِي لِقِضَاءِ رَبِّكَ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهُمَا فِي
 الصَّدَقَاتِ حِصَّةً ، وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهِمَا قَبْضَةً ، وَقَالَ لَهُمَا :
 تَمَلَّلاَ بِهَذِهِ الْمَلَالَةِ ، وَتَنَدِّيَا بِهَذِهِ الْبُلَالَةِ ، وَاصْبِرَا
 عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكُدِّهِ ، فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ
 أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . فَهَذَا لِلشَّيْخِ فَرَحَةَ الْمَطْلُوقِ مِنَ الْإِسَارِ ،
 وَهَزَةَ الْمُوسِرِ بَعْدَ الْإِعْسَارِ .

* * *

قوله : « أحكم » ، أى أتقن . شاده : بناه وزينه ، وشاد البناء : أطاله وعمله
 بالشيد ، وهو الجص ، ويقال فيه : أشاد ، ويقال : شاد عمله بالشيد وأشاده : أطاله ،
 هو الأول ، وأشاد الحديث : رفعه ، وعطف : ثنى عنقه وردّها ، وكل ما تننيه
 من عنق أو جارحة أو عود فقد عطفته . شُعِفَ : أعجب . اقراض : اقتطاع
 وهلاك . جيل : صنف ، وجيلك : أهل عمرك . بعلك : زوجك ؛ وبعل الرجل
 بؤولة : تزوج . والقرض : السلف ، أراد به ما أعطته من ثمن جهازها سلفاً .
 صرح : بين . وصرح عن المحض ، مثل يضرب لسرّ الأمر ، إذا انكشف ،
 وقالوا : أمرٌ صراح ، أى منكشف ظاهر ، والصریح من اللبن : المحض الخالص
 الذى لا رغوّة فيه ، قال الشاعر :

* وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبْنُ الصَّرِيحُ ^(١) *

ثم قالوا : لكل شيء خالص : صريح . وقوله : « بين مصداق النظم » ، يريد
 أن نظمه إنما هو للشعر لا للجوهر . معروق : لا لحم على عظامه ، أى هو فقير
 (١) أصل المثل : « تحت الرغوّة الصريح » ، وأول من قاله عامر بن الظرب . وانظر
 جهرة الأمثال ١ : ٢٧٠ .

إعانت : مشقة . المعذِر : الذى يجهد نفسه فى الشئ ثم لا يستطيعه ، يقال : قد أعذر ، أى قد بينَ عذره أنه لا يقدر عليه ، وعذّر فهو معذّر ، إذا قصر فى طلب الشئ ، قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾^(١) ، وقال ابن دريد :
* حكم المعذّر غير حكم المعذِر *

الملائمة والمأئمة : اللؤم والإثم . والعسر : الفقر : والزهادة : قلة الرغبة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جاع واحتاج فكتمه الناس وأنزله بالله ، كان حقاً على الله أن يفتح عليه رزق سنة من حلال » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » .

وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثاً إلا أتاهم الله عزّ وجل برزق » .

خدرك : بيتك ، وأصله السّتر يكون خلفه الجارية المحجوبة . أبا عذرك : زوجك المفضل لك . نههى : كفى . غربك : حدة لسانك . وقيل : معنى « نههى » من غربك ، أى غيضى من دموعك ، والغرب : فيض الدمع ، والأوّل أشبه . سلّى : اتقأدى . فرّض ، أى أوجب . حصّة : نصيب . ناولها : أعطاهما . قبضة : ما أخذت بأطراف أصابعك . الملالاة : الشئ القليل . تعللاً : خذاً منه شيئاً بعد شئ ، وكذلك تندباً ، وأصل الملالاة بقية الماء فى الإناء ، وبقية اللبن فى الصّرع بعد الحلب ، قال الراجز :

* يرضعها الدّرة والمّلاله *^(٢)

(٢) اللسان - عتل ، وروايته : « ترضعى » ، وقوله :

* أحملُ أُمى وهى الحّمّاله *

(١) سورة التوبة ٩٠

والبلاة : الندى القليل بيلُّ وجه الأرض . كيد : مكر . كدّه : جهده
وأنشد أبو مخجنّ الثقفي :

عسى فرجٌ يأتي به الله إنه له كلُّ يومٍ في خليقته أمرٌ
عسى ماترى ألا يدوم وأن ترى له فرجاً مما ألحّ به الدهرُ
إذا اشتدَّ عسرُ فارحُ يسرًا فإنه قضى الله أن العسرَ يتبعه اليسرُ

الإسار : الجبل يشدّ به الأسير . هزة : طرب . الموسر : الغنى . الإعسار :
الفقر ، وسئل حكيم : أيّ الأشياء أحلى ؟ قال : النصرّة على العدو بعد الهزيمة ،
والاستغناء بعد الحاجة ، والغلبة للمتكلم .

* * *

قال الراوى : وكنتُ عرفتُ أنه أبو زيدٍ ساعة بزغت
شمسه ، ونزغت عزمه ، وكذت أفسح عن افتنانه ؛ وإثمار
أفئانه ؛ ثمّ أشفقتُ من عُثورِ القاضي على بهتانه ، وتزويق
لسانه ، فلا يرمى عند عرفانه ، أن يرشحه لإحسانه ، فأحجمتُ
عن القول إحجام المرتاب ، وطويتُ ذكوره كطى السجل للكتاب ؛
إلاّ أنى قلتُ بمدّ مافصل ، ووصل إلى ماوصل : لو أن لنا
من ينطلق في أثره ، لأتانا بفصّ خبره ، وبما ينشر من خبره ؛
فأتبعه القاضي أحد أمثاله ، وأمره بالتجسس عن أبنائه ،
فما لبث أن رجّع متدّ هديها ، وقهر مقبها ، فقال له القاضي : مهيم ،
يا أبا مهيم ، فقال : لقد عاينتُ عجبا ، وسميتُ ما أنشألى طربا ،

هَقَالَه : مَاذَا رَأَيْتُ ، وَالَّذِي وَعَيْتُ ا

قوله : « بزغت » ، أى طلعت . ونزغت : نشزت وقابلته بالشر والذِّكْر القبيح ، وأراد أنه عرفه حين ساقته زوجته إلى القاضي . أفصح : أبين . افتنانه : تنوعه . إثمار : إخراج الثمر ، وهو حمل كل شجرة . أفنانه : أغصانه . أشفقت : خافت . عشور : ظهور ، وعثر على الأمر : أطلع عليه . بهتانه : باطله وكذبه . تزويق : تزيين ، وهو من الزَّووق الذى يعرفه العامة بالزَّواق ، أى أنه تزيين نفي الظاهر ، وليس له ثبات . عرفانه : تقدم معرفته . يرشحه : يهينه ، وفلان يرشح لكذا ، أى يؤهل له ، من رشحت الأم ولدها باللبن ، إذا جعلته في فيه شيئاً بعد شيء حتى يقوى ، وقيل : الترشيح : التربية ، وقيل : هو تحنن الأم على ولدها من الشدة . أحججت : تأخرت . المرتاب : صاحب الريبة . طويت : سترت . السَّجَل : الورق . والكتاب : المكتوب فيها ، وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ السَّجَلُ لِلْكِتَابِ ﴾ (١) ، وقيل : السَّجَل : اسم كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : ملاك من السماء الثالثة ترفع إليه الحظظة أعمال العباد كل خميس واثنين . فصل : زال وانفصل . بفص خبره : بحقيقة أمره . ينشر : يظهر . حبره : حسن كلامه ، وأصله ثياب يمانية مزينة ، ونشرها : حياها من طيتها . التجسس : البحث . أنبائه : أخباره . ما لبث ، أى ما أقام ، والمعنى ما أبطأ شيئاً حتى رجع . متدهداً : متحرراً ، والتدهده : قد ذلك الحجر من أعلى إلى أسفل . قهقر : رجع إلى خلف . مقهقهاً : مبالغاً في الضحك ، والقهقهة : حكاية صوت الضاحك . مهيم : كلمة استفهام ، معناها : ما الأمر ؟ عاينت : رأيت . أنشأ : أحدث ، وتقديره : سمعت شيئاً أحدث لى ذلك الشيء .

(١) سورة الأنبياء ١٠٤ .

المسموع الطَّرب ، ولا يكون «أنشأ» فعلاً لأبي زيد ، إنما هو فعل «ما» من قوله : «ما أنشأ» . وعيت : حفظت .

* * *

قال : ولم يزل الشيخ مُذْ خَرَجَ مِصْفَقُ بِيَدَيْهِ ، وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَيُمَرِّدُ عِلَّ شِدْقَيْهِ ، وَيَقُولُ :

كَدْتُ أَصْلِي بِيَلِيهِ مِنْ وَقَاحِ شَعْرِيهِ
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْإِسْكَانْدَرِيهِ
فَضَحَكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِينَتُهُ ، وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ ،
فَلَمَّا فَاءَ إِلَى الْوَقَارِ ، وَعَقَّبَ الْاسْتِغْرَابَ بِالْاسْتِغْفَارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ
بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ ، حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَأَدِّبِينَ . ثُمَّ قَالَ
لِذَلِكَ الْأَمِينِ : عَلَيَّ بِهِ ، فَاَنْطَلِقْ مُجِدِّدًا فِي طَلْبِهِ . ثُمَّ مَا دَبَعْدَ
لَايِهِ ، مُخْبِرًا بِنَأْيِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ ، لَكُنِّي
الْحَذَرَ ، ثُمَّ لَأَوْ لَيْتَهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى ، وَلَا رَيْتَهُ أَنْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ
لَهُ مِنَ الْأُولَى .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ صَفْوَ الْقَاضِي إِلَيْهِ ، وَفَوَتْ
ثَمَرَةَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، غَشِيَتْنِي نَدَامَةُ الْفِرْزَدِقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ ،
وَالْكُسَيْمِي لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ .

* * *

يصفق بيديه : يضرب بكفيه . يخالف بين رجليه : يبعث بهما في مشيه

خضع كل رجلٍ موضع الأخرى ، وهى من أنواع الرقص ؛ أراد أنه يضرب بكأيه ويرقص . يفرّد : يعنى . بملء شذقيه ، أى بصوت شديد تمتلئ به أشداه .

وملء القدح : قدر ما يملؤه . أبو يعقوب : يقال : أعطنى ملء القدح ماء ، وأعطنى ملأيه ، وأعطنى ثلاثة أملائه .

أصلى ببلية ، أى قربتُ أن أحترق بها وأتصلّى بها ، والبلية : الصيبة يبتلئ بها ، وقآح ، جمع وقاحة ، وهى صلابة الوجه ، وأصلها من الحافر الصُّلب ، وقال بعضهم فى صلابة الوجه :

لا يعملُ المبرّد فى وجهه بل وجهه يعمل فى المبرّد

فجعل وجهه لصلابته يؤثر فى الحديد . شمريّة ، أى شديدة القحّة ، قال الأصبغى : سألت أعرابياً ، وقد خرج من الصلّة : ما قرأ الإمام؟ قال : ما أدرى إلا أنه وقع بين موسى وفرعون شمريّة . هوت : سقطت . ديننته : قلنسوته ، وهذه اللفظة إنما وقعت فى المقامات بفتح الدال وكسر النون ، وديننته بنونين لتوافق «سكينته» ، والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الأولى ، وهى قلنسوة محدّدة الطرف يلبسها القضاة والأكابر ، وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق ، وقد استعملها شعراؤهم ، قال ابن لَنَكِّك :

نفسى تقيك أبا الهذامِ يا أملى إني بكلّ الذى ترضاه لى راضى^(١)
ما كان أيرى فقيهاً إذ ظفرت به فكيف ألبسته دينيّة القاضى
وقال الصابى :

وفوقه دينيّة تذهبُ طوراً وتجي

(١) يتيمة الدهر .

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٣٢٦ ، وهناك : « تقيك أبا الهذام كل أذى » ، وأبو الهذام شاعرا اسمه كلاب بن حزة ؛ كان ابن لَنَكِّك مولعا بهجائه .

ذَوْت : زالت وخفيت . سكينته : وقاره ، وأصل ذَوَى ، في الشيء الذي فيه بللٌ وندوة ، فيجفّ بله ، فاستعاره للسكينة . فاء : رجع . وعقب : أتبع . الاستغراب : كثرة الضحك ، حتى تدمع العينان ؛ أراد أنه أتبع ضحكه الاستغفار ليكون كَفَّارَةً له ، وهذا الذي حُكِيَ عن القاضي يُحْكِي مثاله عن الحجاج ، يقال : إنه كان إذا استغرب ضحكاً يوالى من الاستغفار .

وقال عبد الله بن مسعود : في كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنباً فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً . . . ﴾ (١) الآية ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ . . . ﴾ (٢) الآية .

قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : من قال : « أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه » خمس مرات ، غفر له ولو فرّ من الزحف .

شَدَّاد بن أوس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيّد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت وأنا عبدك أصبحت على عهدك (٣) ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شرّ ما صنعت ، أبوء بنعمتك علىّ ، وأبوء لك بذنبي فأغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

وأصل غفر واستغفر غَطَى . قال قطرب : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، أى غَطِّها ، من قول العرب : غفرت المتاع في الوعاء أغفره غفراً ، أى غَطَّيته . ثعلب : غَفَّر الرجل في مرضه يغفر غفراً ، أى نكس ، فكأن المرض غَطَّى عليه . وقال الأصمعى رحمه الله : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، أى استرها علينا ، ومنه : اصبح ثوبك ، فإنه أغفر للوسخ ، أى أستر ، وهذه معان متقاربة .

(٢) النساء ١١٠ .

(١) آل عمران ١٣٥

(٣) الجامع الصغير ١ : ٥٧ ، وفيه : « وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك » ، وفي آخر الحديث : « ومن قالها من الليل وهو موقن بها مات قبل أن يصبح كان من أهل الجنة » .

قوله: «عَلَىَّ بِهِ»، أى جئني به. مجدًا: مجتهدًا في طلبه. لأبيه: إبطائه. نأيه: بعده. الحذر: الخوف. أوليته، بمعنى وليته وأعطيته. أولى: أحق، يريد أنه لو رجع إليه كان يصله في المرّة الثانية بما هو خير مما وصله به أوّل مرة. قوله: «صفو»، أى ميل. فَوَتْ: ذهاب. التنبيه: الإعلام. غشيتني: غطتني. ولحقتني. أبان: طلق. النوار: بنت عم الفرزدق وزوجه. استبان: تبين.

وقال الشاعر:

لو أن صدور الأمر تبرزلفتي كأعقابه لم تُلفه يتندّم

[ذكر الفرزدق وبعض أخباره]

والفرزدق اسمه هام بن غالب بن صعصعة، دارى من أشراف تميم، والفرزدق لقب به لجهومة وجهه وغلظه، والفرزدق: قطعة العجين، وقيل: الرغيف الضخم.

وخبر مع النوار بنت أعين المجاشعي، أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم، فبعثت إلى الفرزدق أن يكون وليها إذا كان ابن عمها، فقال: إن بالشّام من هو أقرب إليك منى ولواء، وأنا حذر من أن يقدم منهم قادم، فينكر ذلك على، فاشهدى أنك جعلت أمرك إلى. فجعلت له أمرها أن يزوجه من يرى، وأشهدت له بذلك، فقال لها: أرسلني إلى القوم أزوتك ممن خطبك. فلما غصّ مسجد بني مجاشع ببني تميم جاء الفرزدق، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد علمت أن النوار ولتني أمرها، وأشهدكم أنني قد زوتتها من نفسي، فنشزت عليه ونافرته من البصرة إلى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعيها أمراء البصرة، أن يطلقوها منه. وأعيها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شره، فلم يقدر أحد على

حملها ، حتى تحمّلها قومٌ من بني عدى ، يقال لهم بنو نسير إلى مكة ، فصحبهم
النّوار ، فقال الفرزدق :

وقد سخّطت مني النّوار الذي ارتضى به قباها الأزواج ، خاب رحيلها^(١)
أطاعت بني أمّ النّسِيرِ فأصبحت على شارفٍ ورفاء صعب ذلولها^(٢)
وإن امرأً يسعى ليفسد زوجتي^(٣) كساعٍ إلى أسدِ الشّرى يستبيلها^(٤)
ومن دون أبوال الأسود بسالةٌ وبسطة أيدٍ يمنع الضّيم طولها
وإنّ أمير المؤمنين لعالم بتأويل ما وصّى العباد رسولها

ثم ارتحل في أثرها حتى وصلا مكة ، فنزلت النّوار على بنت منظور بن
زبان زوجة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ، ونزل الفرزدق على ابنه حمزة ، وقال :

أصبحتُ قد نزلتُ بحمزة حاجتي إن النّوءه باسمه الموثوق^(٥)
بأبي عمارة خير من وطئ الحصى وجرت له في الصالحين عروق
بين الحوارى الأغرّ وهاشم ثم الخليفة بعد الصّدّيق

فكان كلُّ ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهراً أفسدّه
بنت منظور ليلاً ، حتى غلبت النّوار ، وقضى ابن الزبير عليه ، فقال :

أمّا البنون فلم تُقبلْ شفاعتهم وشهقتُ بنتُ منظور بن زبانا^(٥)
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فلما سمع ابن الزبير شعره ، توقّف في أمره ، فلقبه يوماً بباب المسجد ، فضمه
إلى الحائط ، حتى كادت ترهق نفس الفرزدق . وكان الزبير في غاية من القوّة ، ثم

(١) ديوانه ٦٠٤ ، ٥٦٠ ، النقايس ٤٠٤ ، طبقات الشعراء ٢٨١ (٢) الشارف : الناقة المسنة .

(٣) يستبيلها : يأخذ بولها بيده . (٤) ديوانه ٥٧٠ .

(٥) ديوانه ٨٧٣ ، النقايس ٨٠٥ ، طبقات الشعراء ٢٨٢ .

(٢٤ - شرح مقامات الحريري ١)

هزه وتركه خائفاً. ثم دخل على النّوار، فقال لها: إِمّا أن تُتِمِّي زواج ابن عمك وإلا قتلتُه، وأرحت المسلمين من شرّ لسانه، فقالت له: ولا بدّ أن تقتله؟ قال: ولا بدّ، فعطفتها عليه رَحِمِ القرابة، وقالت: لا والله لا أدعُه للقتل، قدر ضيقته. فتزوَّجها، فحكّم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم، فسأل: هل بمكة أحد يعينه؟ فُدِّلَ على سلم بن زياد، وكان ابن الزبير قد حبَّسه، فقال:

دَعِيَ مُغْلِقِي الأبواب دون فها لهم ومُرِّي بمسرِّي لي هُبُلْتِ إلى سَلَمِ (١)
إلى مَنْ يري المعروف سهلاً سبيله ويفعل أفعال الكرام التي تَنْبِي

ثم دخل على سلم؛ وأنشده القصيدة، فقال: هي لك ومثلها لنفقتك، فقبض عشرين ألفاً، فدفع مهرها، فدخل بها، وأحبها قبل أن تخرج من مكة، ثم خرج بها، وهما عدلان في محمل، وكانت أبدأً تخالفه وتسبّه، لأنها كانت صالحة الدِّين، وكان هو رديء الدين، زانياً قاذفاً للمحصنات، فكانت تكرهه.

ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها، فامتنت عليه، فتهدَّدها بالهجاء، فاستعانت بالنّوار، فقالت: واعدي له ليلة؛ ثم أعلميني. ففعلت، وجاءت النّوار، ودخلت الحُجْلة مع المرأة، فلما دخل الفرزدق البيت، أمرت الجارية فأطفت السراج، وبادر الحُجْلة والنّوار فيها، وهو لا يشك أنها صاحبة الدار، فواقمها. فلما فرغ قالت: يا عدو الله، يا فاسق! فعرَّفها، وعلم أنه قد خُدِعَ، فقال لها: وأنت هي! يا سبحان الله! ما أطيبك حراماً، وأبرذك حلالاً! فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبفضها.

فحدَّث أبو معقل راويته، قال: قال لي الفرزدق يوماً: امض بنا إلى حلقة الحسن، فإني أريد أن أطلق النّوار، فقلت: إني أخاف أن تتبعها نفسك، ويشهد

عليك الحسن وأصحابه ، قال : امض بنا ، فجننا حتى وقفنا على الحسن فقال :
 كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ قال :
 لتعلمن أن النوار طالق مني ثلاثاً ، فقال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، قال :
 فانطلقنا ، فقال الفرزدق : يا هذا ، إن في قلبي من النوار شيئاً ، فقلت : قد
 حذرتك ، فقال :

ندمتُ ندامةَ الكسعيِّ لما غدتِ مِنِّي مطلقَةً نواراً^(١)
 وكانتِ جنَّتِي فخرجتُ منها كأدم حين أخرجهُ الضُّرَّارُ
 ولو أني ملكت يدي ونفسي لأصبح لي على القَدَرِ اختيارُ
 وكنت كفاقي عينيهِ عمداً فأصبح ما يُضِيءُ له نهارُ

وتوفى سنة عشر ومائة. وفيها مات جرير وابن سيرين والحسن ، فقالت
 امرأة بصرية : كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه ، وأضافت جريراً إلى البصرة
 لكثرة قدومه إليها ، ومسكنه باليمامة . وأخباره تطول ، وإنما ذكرنا منها ما تعاقق
 بالنوار معه .

[ذكر خبر الكسعي وقوسه]

وأما الكسعي فرجل منسوب إلى كسع ، قبيلة باليمن ، واسمه محارب
 ابن قيس ، وبندامته يُضرب المثل ؛ يقال : أندم من الكسعي^(٢) ، وقيل : إنه من بني
 سعد بن ذبيان ، وقيل : اسمه عامر بن الحارث .

ومن حديثه أنه كان يرعى إبلاً بوادي كثير العشب وانطمط؛ فبينما هو يربعاها
 بصر بذبعة على صخرة ، فقال : ينبغي أن تكون هذه قوساً ، فجعل يتعمدها
 ويقومها حتى أدركت ، فقطعها ، فلما جئت اتخذ منها قوساً ، وأنشأ يقول :

(١) ديوانه ٣٦٣ .

(٢) ثمار القلوب ١٣٤ ، الميداني ٢ : ٣٤٨ .

يَا رَبِّ وَقَفَّنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِنْ لَدَّتِي لِنَفْسِي
وَأَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي أَنْحَثَهَا صَفْرَاءُ مِثْلَ الْوَرْسِ
* صَلْدَاءُ لَيْسَتْ كَقَيْسَى التُّنْكُسِ *

ثم دهنها وخطمها بوتر، واتخذ من بُرايتها خمسة أسهم، وجعل يقلبها في كفه، وَيُنْشِدُ:

هَنْ وَرَبِّي أَسْهَمٌ حَسَانٌ يَلِدُ لِلرَّامِي بِهَا الْبِنَانُ
كَأَنَّهَا قَوْسُهَا مِيزَانٌ فَأَبْشُرُوا بِالْخَصْبِ يَا صَبِيَانُ
* إِنْ لَمْ يَعْقِبِ الشُّؤْمُ وَالْحَرِمَانُ *

ثم أتى قُتْرَةَ^(١) على موارد مُحْرٍ، فكمن فيها، فمرَّ به قطعٌ، فرمى عَيْراً منها بسهم، فأخطه - أي أنفذه - وجازه، وأصاب الجبل، فأورى نارا، فظن أنه أخطاه، فأنشأ بقول:

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكَدِ الْجِدِّ مَعَا وَالْحَرِمَانِ
مَالِي رَأَيْتَ السَّهْمَ بَيْنَ الصَّوَانِ بُورِي شَرَاراً مِثْلَ لَوْنِ الْعَقِيَانِ
* فَأَخْلَفَ الْيَوْمَ رَجَاءَ الصَّبِيَانِ *

ثم مرَّ به قطع آخر، فرمى عَيْراً فأخطه السهم، فصنع صنيعه الأول، فأنشأ يقول:

لَا بَارِكَ الرَّحْمَنُ فِي رَمِي الْقُتْرِ أَعُوذُ بِالْخَالِقِ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ
أَأَخْطُ السَّهْمَ لِإِرْهَاقِ الضَّرَرِ أَمْ ذَاكَ مِنْ سُوءِ احْتِيَالٍ وَنَظَرِ
* أَمْ لَيْسَ يَفْنَى حَذَرَ عَنْهُ قَدَرُ *

(١) القتره: ناموس الصائد.

ثم مرّ به قطيع آخر فرمى غيراً ، فأخطه السهم ، فصنع صنيمه الأول ، فأنشأ يقول :

ما بال سهمي يوقد الحبيحياً قد كنت أرجو أن يكون صائباً
فأخطأ العير وولى جانباً فصار رأبي فيه رأياً خائباً
ثم مرّ به قطيع آخر ، فرمى غيراً بسهم فأخطه السهم ، وصنع ما صنع أولاً ،
فأنشأ يقول :

يا أسفاً للشؤم والجدّ التكدن في قوس صدق لم تزيّن بأود
أخلف ما أرجو لأهلٍ وولّد فيها ولم يغنِ الحذار والجلد
* نخاب ظنّ الأهل جمعاً والولّد *

ثم مرّ به قطيع آخر ، فرمى غيراً بسهم ، فأخطه السهم ، وصنع كما صنع أولاً ،
فأنشأ يقول :

أبعد خمس قد حفظت عدّها أحجل قوسي وأريد ردها
أخزي الإله لينها وشدها والله لا تسلم مني بعدها
* ولا أرجى ما حبيت ردها *

ثم أخذ القوس ، فكسرها على حجر وبات ، فلما أصبح أبصر الأعيار
الخمسة مطروحة حوله ، فأسف وندم على كسر القوس ، وعضّ على إبهامه
فقطعها تلهفًا ، وأنشأ يقول :

ندمت ندامةً لو أنب نفسي تطاو عني إذاً لقطعت خمسي
تبين لي سفاه الرأي مني لعمرو أبيك حين كسرت قومي

المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال: هتف بي داعي الشوق، إلى رَحْبَةِ
مالك بن طوق؛ فليته مُمتطياً شِمْلَةً، ومُنْتَضِياً عَزْمَةً مُشَمَلَةً. فلَمَّا
أَلْقَيْتُ بِهَا الرَّمْسِي، وَشَدَدْتُ أَمْرَاسِي، وَبَرَزْتُ مِنَ الحَمَامِ بَعْدَ
سَبْتِ رَامِي، رَأَيْتُ غُلَامًا أَفْرَغَ فِي قَائِبِ الجَمَالِ، وَأَلْبَسَ مِنَ الحُسْنِ
حُلَّةَ الكَمَالِ.

هتف بي، أي دعاني، يقال: هتف بي هتفاً وهتافاً: دعاه، وهتفت الحمامة:
مدت صوتها. والشوق: تحرك الحب، يريد أن شوقه إلى الرَحْبَةِ يهبج عليه
حتى سار إليها، وجعل له داعياً مجازاً. والرَحْبَةُ: مدينة شهيرة من عمالة الفرات،
بناها مالك بن طوق، ووليتها فنُسبت إليه، وإليها تنسب الثياب الرحبية، وتعرف
برحبة الشام، وهي على يسار الطريق هي والرتقة في استقبالك الفرات جاثياً من
حوران، وهي في آخر ديار ربيعة، وأول بلاد الشام والفرات، بين ديار ربيعة
والشام، فإذا عبرته صرت في حد الشام.

[ذكر مالك بن طوق]

ومالك - كنيته أبو كلثوم - بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جشم
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب. وقال حبيب يمدحه ويذكر
الرَحْبَةَ:

يامالٍ قد علمت ربيعةً أنه^(١) ما كان مثلك في الأرقام أرقم^(١)
 طالت يدي لما رأيتك سالماً وأنبخ عن خدي ذاك العظم^(٢)
 وشممت ترب الرحبة العبق الثرى وشفى صدأى البحر منها الحضرم^(٣)
 كم حلّ في أكتافها من معدمٍ أمسى بها بأوى إليه المعدم

وقال فيه:

رأته في النوم عتابٌ فقال لها ذوو الفراسة : هذاصفوة الكرم^(٤)
 فجاء والنسب الوضاح جاء به كأنه بهمة^(٥) فيهم من البهم^(٥)
 طعان عمرو بن كلثوم وناثله إن السيور التي قدت من الأدم^(٦)
 لو كان يأمل عمرو مثله خلفاً^(٧) من صلبه لم يجد للموت من ألم

يقول هذا في اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم ، وأين هذا من قول دعبل

يهجوه :

الناس كلهم يعدو لحاجته ما بين ذى فرج منهم ومهموم^(٨)
 ومالكٌ ظلّ مشغولاً بنسبته يزوم منها بناء غير مهدوم^(٩)
 يبني بيوتاً خراباً لا أنيسَ بها ما بين طوقٍ إلى عمرو بن كلثوم

(١) ديوانه ٢٧٥ ، والأرقام بنو تغلب .

(٢) الديوان : « وأنخت عن خدي » . والعظم ، كزبرج : نبت يصنع به .

(٣) الحضرم : الماء الكثير .

(٤) ديوانه ٢٦٨ .

(٥) البهمة : الشجاع .

(٦) النائل : الطاء . والأدم : الجهد .

(٧) الديوان : « ولنا » .

(٨) ديوانه ١٤٤ ، ديوان الماني ١ : ١٨١ .

(٩) الديوان « خراباً غير مرموم » .

وكان ملكاً شجاعاً ، جواداً ممدوحاً أميراً على الجزيرة مسكن قومه
بنى ثعلب .

* * *

قوله « لبيته » ، أى أجبته . ممتطياً : راكباً . شملة : ناقة سريعة . منتصبياً :
مجرداً . عزمة مشمعة ، أى عزمة سريعة لاتوانى فيها . المراسى : هى محابس
السفينة . أمراسى : حبالي ، يريد أنه استعد للإقامة وترك السفر ، وضرب لذلك
المثل بإلقاء المراسى وشد الأمراس . برزت : خرجت وظهرت . سبتت : حلق ،
ومتى دخل أهل المشرق الحمام حلقوا رؤوسهم . أفرغ : وُضع ليصنع . والقالب :
الذى تطبخ فيه الدراهم ، ودرهم مفرغ ، إذا أذيت فضته وصبتت في قالبه ، فيريد
أن هذا الغلام لإفراط حسنه أفرغ في قالب الجمال .

[نبذ وحكايات وأشعار مما ورد في الحسن والجمال]

ونذكر في هذه اللقمة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ، ونضيف إلى
ذلك ما قيل في العلمان من الأشعار الحسان مما يليق بهذا المكان ونذكرها من كل
مقامة يقع فيها ذكر العلمان . قال ابن عبد ربه : الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه
الصفرة مع طول المسك في السكن والتضخ بالطيب كما تضرب في بيضة الأدحى .
وقال أعرابي :

وما تطيت من صفراء خالية كالعاج صفرها الأكنان والطيب
وقال آخر :

كان لون البيض في الأدحى لونك لولا صفرة الجادى
يريد أنها تضخ بالجادى ، وهو الزعفران ، وصفرة النعمة لا تبلغ صفرة .
وقالوا : إن الجارية الحسنة تتلون بلون الشمس ، فهى بالضحى بيضاء ،
وبالعشى صفراء ، قال الأعشى :

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرارة^(١)

العرار : البهار .

وقال الحريري في الدرّة : فأما^(٢) قولهم في الحسن : أحمر ، فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه من الجمال إلا بتحمّل مشقة يحمر^(٣) منها الوجه ، كما قالوا : السنّة الحمراء للمجدبة^(٤) ، وكنّوا عن الأمر المستصعب بالموت الأحمر ، وأما قوله :

هجانٌ عليها مُحْمَرَةٌ في بياضِها تروق لها العينان والحسنُ أحمرٌ
فإنه عنى به الحسن في حمرة اللون مع البياض ، دون غيره من الألوان .

وقالوا في الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسناً .

وقيل : الجميلة السمينة ؛ من الجميل ، وهو الشحم^(٥) ، والمليحة البيضاء من المألحة^(٦) ؛ وهي البياض ، والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه .

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر ، وإذا فرق يصفّر ، ومنه قولهم : ديباج الوجه ، يريدون تلونه من رفته .

وقال عدئ بن زيد في تلون الوجه :

مُحْمَرَةٌ خلط صفرة في بياضٍ مثل ما حاك حائكٌ ديباجاً

(١) ديوانه ١٥٣ ، والعرارة : شجر لها نور أصفر .

(٢) درة العواس ١٠٤ .

(٣) الدرّة : « يحمار » .

(٤) الدرّة : « السنّة المجدبة حمراء » .

(٥) في القاموس : « الجميل : الشحم القائب » .

(٦) في القاموس : « المألحة : بياض يخالط سواد » .

وقال ابن عبد ربه في ذلك :

يَالْوَلُوْءَا يَسْبِي الْعُقُوْلَ اُنَيْقَا وَرَسَاً بِنَقْطِيعِ الْقُلُوْبِ رَفِيْقَا^(١)
 مَا اِنْ رَاَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ دُرًّا يَعُوْدُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيْقَا
 وَاِذَا نَظَرْتَ اِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهِ اَلْفَيْتَ وَجْهَكَ فِي سَنَاهِ غَرِيْقَا
 يَامَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُوْنُ رَقِيْقَا!

وأعاد معنى: « دُرًّا يَعُوْدُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيْقَا » ، في بيت آخر فقال وأحسن :

كَمْ سَوَسَنٍ لَطْفَ الْحَيَاءِ بَلُوْنَهُ فَاَصَارُهُ وَرَدًّا عَلَيَّ وَجَنَاتِهِ
 قَالَتْ امْرَاةٌ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ لَخَالِدٍ: لَقَدْ اَصْبَحْتَ جَمِيْلًا ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ
 وَمَا فِي رَدَائِ الْحُسْنِ وَلَا عَمُوْدِهِ وَلَا بُرْنَسِهِ ! قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : عَمُوْدِهِ
 الشُّطَّاطُ^(٢) ، وَرَدَاؤُهُ الْبَيَاضُ ، وَبُرْنَسُهُ سَوَادُ الشَّعْرِ .

وقالوا: الحَلَاوَةُ في العَيْنَيْنِ ، وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ ، وَالْحَسَنُ فِي الْوَجْهِ ، وَالْمَلَا حَةَ
 فِي النِّمِّ .

وقال بعضهم : الظَّرْفُ فِي الْقَدِّ ، وَالْبِرَاعَةُ فِي الْجَيْدِ ، وَالرَّقَّةُ فِي الْأَطْرَافِ
 وَالْخَصْرُ ، وَالشَّانُ كُلُّهُ فِي الْكَلَامِ ، وَالْمَدَارُ عَلَيَّ الْعَقْلُ .

وقال علي بن عبيد الرِيْحَانِيُّ : الْحَسَنُ تَنَاسُبُ الصُّوْرَةِ ، وَزَيْنَتُهُ اعْتِدَالُ
 الْحَرَكَةِ ؛ ثُمَّ مَا لَا يَحْسُنُ اللِّسَانُ التَّرْجُمَةَ عَنْهُ مِنْ خَفَّةِ الرُّوحِ وَالْقَبُولِ .

وسئل عن اختياره من الحُسْنِ ، فقال : أَمَا مَا يُمْكِنُ نَعْتُهُ فَخَلَّتَانِ

(١) مطمح الأنفس ٥٢

(٢) الشطاط : الطول وحسن القوام.

وثلاثة بينهما ، ليست من صفة اللسان تعجبنى صورة أكثر نعتها الملاحظة ،
وبراعة بفصاحة ، والخلة الثالثة نسميها مراح الروح وشكل النفس وماهية الشوق ،
وبمقدار تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل ، فهذه زبدة
هذا الباب .

وأحسن الحسن ، ما لم يُجَلَّبَ بتزيين وتضييق ، وتحلية وتزويق ، وأطيب
الطيب أنفاس عبقّة من كبدسايمة ، ومزاج معتدل ، وثمر نقي^(١) ، قال امرؤ القيس :
ألم ترَ أني كلما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب^(١)
ويحكى أن سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقياً ، لثلاث يشغله بحسنه
عن تعليمه . ومعنى «سيبويه» بالفارسية رائحة التفاح ، وكان يقال : إنه أطيّبُ
الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه ، فكان إذا استأذن عليه سيبويه
يقول : مرحباً بزائر لا يمل .

وكان أبو حاتم السجستاني يحتم القرآن في كل أسبوع ، ويتصدق كل يوم
بدينار ، ومع هذا الفضل كان يميل بحبه إلى أبي العباس المبرّد ، وكان أبو العباس
يلزم حلقتة وهو غلام وسيم ، فقال فيه :

ماذا لقيتُ اليومَ من مُتَمَجِّنٍ خَنِثَ الكلامِ^(٢)
وقفَ الجمالَ بوجهِهِ فسَمَتْ له حدقُ الأنامِ
حركاته وسكوته يُجَنِّي بها ثمرَ الأثامِ
فإذا خلوتُ بمثله وعزمت فيه على اغترامِ^(٣)
لم أعدُ أفعالَ العفّا ف ، وذاك آكدُ للغرامِ
نفسى فداؤك يا أبا العباسِ يا جلَّ اعتصامِي

(١) ديوانه ٤١ .

(٢) الشعر والخبر في ابن خلكان ١ : ٢١٨ ، والأبيات الثلاثة الأخيرة في نزهة الألباء ١٩٠ .

(٣) ابن خلكان : « اغترام » .

فَارْحَمْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ نَزَرَ الْكُرَى بِأَدَى السَّقَامِ
وَأَنَّ اللَّهَ مَادُونِ الْحَرَامِ مَ فَلَيْسَ يَرْغَبُ فِي الْحَرَامِ

والوَلُوعُ فِي الْجَمَالِ سَجِيَّةٌ رَكِبَهَا اللَّهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ وَأَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ ، فَمَنْ دُونَهُمْ
مِنَ السُّوقَةِ وَالْفَوْغَاءِ . وَعَلَى قَدَرِ ذِكَاةِ الْأَرْضِ يَطِيبُ زَرْعُهَا ، وَعَلَى قَدَرِ طَيْبِ
الْتُّرْبَةِ يَطِيبُ تَبْعُهَا ، فَمَنْهَا الْعَذْبُ وَالْأَجَاجُ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَعَلَى قَدَرِ شَرَفِ النَّفْسِ يَكُونُ
حُبُّهَا ، فَمَنْهُ الْمُسْتَحْسَنُ وَمَنْهُ الْمُسْتَقْبَحُ .

* وَكُلَّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ *

فِي كِتَابِ الْوَشَاحِ : الْعَشْقُ إِذَا تَزَيَّنَ بِالْعَفَافِ فَهُوَ مَعْنَى شَرِيفٍ ، وَيَتَلَوُ
قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) ؛ فَمَنْ اتَّقَى
اللَّهَ فَهُوَ خَلِيلٌ .

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْبَغْدَادِيِّينَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا مَتَّحَنَ النَّاسَ
بِالْهَوَى ، لِیَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِطَاعَةِ مَنْ يَهُوُّ وَنَهْ ، وَلِيَشْقَّ عَلَيْهِمْ سَخَطَهُ ، وَيَسْرَتْهُمْ رِضَاؤُهُ ؛
فَيَسْتَدَلُّونَ بِذَلِكَ عَلَى قَدَرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . لِأَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ
غَيْرُ مَحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ ، وَرَازِقُهُمْ مَبْتَدِئُ الْمَنْعِ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَاعَةَ
لِسِوَاهُ كَانَ هُوَ تَعَالَى أَوْلَى أَنْ يُتَّبَعَ رِضَاؤُهُ .

قَالُوا : وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ وَلَا لِلْجَاهِلِ أَنْ يَنْكِرَ عِلَاقَةَ شَخْصٍ بِشَخْصٍ ،
وَحَنِينَ شَكْلِ إِلَى شَكْلِ ، وَمُؤَالَفَةَ إِلْفٍ إِلَى إِلْفٍ ، فَالْقُلُوبُ صَافِيَةٌ قَابِلَةٌ ، وَالْعَيُونَ
إِلَيْهَا نَاقِلَةٌ .

وَقَالُوا : لِأَعَاشِقٍ عَلَى الْأَغْلَبِ إِلَّا مَوْفُورَ النَّعْمَاءِ ، مَكْفِيٌّ كَدَّ الْمَعِيشَةِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ
فِرَاقِ نَفْسِهِ وَرَقَّةِ حَاشِيَتِهِ .

وقد قيل : إن جميلاً وُثينة لوقعدا لينتين دون غداء وعشاء ليزق كلُّ واحد منهما في وجه صاحبه .

ومن شرط المشوق أن يكون ممن يؤيس ويُطعم ، ويستتر ويلمع ، ويبدو ويُحجَّب ، ويبين ويصعُب ، ويرضى ويُسخط ، ويقرب ويشحط ، كما قال أبو الطيب :

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصل ربُّه

في الهجر فهو الدهرَ يرَجُو ويتَّقِي (١)

وبين الرضا والسخط والقرب والتوى

مجالّ لدمعِ المقلّة المترقِّقِ

والحسن أول سعادة المرء ، ورائد اليُمن ، وسائق التُّجح ؛ لأن الله تعالى بلطف الحكمة ، وبشرف الإبداع والصنعة ، لم يخاق الصورة مختارة الصفات ، سليمة من الآفات ، إلّا عن فضل الاحتفاء ، ولم يطابقها من الأخلاق إلّا بما يناسب جمالها من العقل والصفاء . ولما تجمد الخلق إلّا تبعاً للخلقة ، تناسباً بطرد ، وأصلاً لا ينعكس ، وإجمالاً لا ينفرد ، وما خلق الله نبياً قط إلّا وقد بهر أهل زمانه بحسنه وإحسانه ؛ فإذا نظرته لأوّل وهلة رأيتُه أحسنهم صورة ، وأتقنهم بنيةً ، فهو أوّل مرتبة ، وأعلى منقبة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يمدّب حسان الوجوه ، سُود الحدق» .

وورد عليه وفد عبد القيس ، وفيه غلام وضىء الوجه ، فأقعده وراء ظهره ، وقال : إنما أتيتُ أخى داود من النظر .

وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن ؛ فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسّام ؛ وكأنه يصف الفتى الذي ذكره الحريري :

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٤ ، وفيه البيت الأول بعد الثاني .

يَأْمَنُ تَسْرُبَلُ بِالْمَلَاةِ وَارْتَدَى فَعَلِيهِ تَعْتَكِفُ الْعَيُونُ إِذَا بَدَأَ
 فَيُرَى هِلَالاً زَاهِراً وَيُرَى قَضِيْباً نَاضِراً وَيُرَى كَثِيْباً أَمْلَداً
 فَإِذَا نَهَضَتْ تَرْجَرَجَا وَإِذَا سَفَرَتْ تَبَلَجَا وَإِذَا مَشِيَتْ تَأَوَّدَا
 فَتَرَى الْجَبِيْنَ كَنَاجَ مَلِكِ زَانَهُ دَرَّ تَرَاهُ مَقَرَّقا وَمَنْصُداً
 وَيَجُولُ ذَاكَ الرَّشْحُ فِي أَقْطَارِهِ كَالْيَاسَمِيْنَ جَرَى بِهِ قَطْرُ النَّدَى
 الْوَجْهَ فَضَى أَحَاطَ بِوَجْنَتِيْ ذَهَبٌ ، فَأَنْبَتَ عَارِضِيْنَ زَبْرُجَدَا
 وَفَمَّ عَقِيْمِيْ تَضَمَّنَ لَوْلُوا رَطْباً وَنَظَمَ فَوْقَ ذَاكَ زُمَرَدَا
 وَالأبى إِسْحَاقُ الْخَنَاجِيْ (١) :

وَأَعِيْدَ أَهْدَى تَرْجَساً مِنْ مَحَاجِرِ وَتَنِيْ فَأَبْدَى سَوْسَنًا مِنْ سَوَالِفِ
 وَقَدْ مَاجَ مِنْ عَطَلِيْهِ مَاءُ شَبِيْبِيَّةِ تَعَبٌ وَلَا أَمْوَاجَ غَيْرُ الرِّوَادِفِ
 تَطَّلَعَ مِثْلَ الرَّمْحِ بِسَطَّةِ قَامَةٍ وَفَتَكَةَ الْحَاطِظِ وَلِيْنَ مَعَاظِفِ
 وَالأبى وَكَيْع :

يَأْمَنُ إِذَا لَاحَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ غَفَرَتْ بِلَدَائِعِهَا جَمِيْعَ ذُنُوْبِهِ (٢)
 إِكَانَ فِي تَعْدِيْبِ قَلْبِي رَاحَةً لَكَ فَاجْتَهِدْ بِاللَّهِ فِي تَعْدِيْبِهِ
 وَالأبى إِسْحَاقُ الْخَنَاجِيْ :

يَارِبِّ وَضَّاحِ الْجَبِيْنَ كَأَمَّا رَسْمُ الْعِيْدَارِ بِصَفْحَتِيْهِ كِتَابٌ (٣)
 تُغْرَى بِطَلْعَتِهِ الْعَيُونُ مَلَاةً وَتَبِيْتُ تَعَشَّقُ عَقْلَهُ الْأَلْبَابُ
 خَلِمَتْ (٣) عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ غَلَالَةٌ تَنْدَى وَمِنْ شَفَقِ السَّحَابِ نِقَابُ

(١) هو أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة ، والأبيات في ديوانه ٣٣٦ .
 (٢) بتيمة الدهر ٢ : ٣٤٠ ، وبمده هناك :

النَّجْمُ يَعْلَمُ أَنَّ عَيْنِي فِي الدُّجَى مَعْمُودَةٌ بِطَلْوَعِهِ وَغُرُوبِهِ

(٣) ديوانه ٣٣٧ .

ولأبي نواس :

أساء فزادته الإساءة حُطْوَةً حبيبٌ على ما كان فهو حبيبٌ
يعدّ على الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجميل ذنوب !

ولأبي إسحاق الخفاجي :

تعلقته نشوان من خمر ريقة له رشها دوني، ولي دونها السكر^(١)
ترقق ماء مُتَلَتَيَ ووجهه ويذكي على قلبي ووجنته الجمر
أرق نسيبي فيه رقة حسنه فلم أدر أيّ قبلها منهما السخر
وطبنا معاً نغرا وشعرا، كأنما له منطقي نغراً، ولي نغره شعر

* * *

وَقَدِ اعْتَلَقَ شَيْخٌ بُرْدَنَهُ، يَدْعِي أَنَّهُ فَتَكَ بَابِنِهِ، وَالغَلَامُ
يُنْكِرُ عِرْفَتَهُ، وَيُكْبِرُ قِرْفَتَهُ، وَالْحِصَامُ بَيْنَهُمَا مُتَطَايِرُ الشَّرَارِ،
وَالزَّحَامُ عَلَيْهِمَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ، إِلَى أَنْ تَرَاضِيَا بَعْدَ
اشْتِطَاطِ اللَّدَدِ، بِالتَّنَافُرِ إِلَى وَالِي الْبَلَدِ، وَكَانَ مِمَّنْ يُزَنُّ بِالْهَنَاتِ،
وَيُعَلَّبُ حُبَّ الْبَنِينَ عَلَى الْبَنَاتِ، فَأَسْرَعَا إِلَى نَدْوَتِهِ، كَالسَّلِيمِ فِي

عَدْوَتِهِ

* * *

قوله : « وقد اعتلق شيخ بُردنه »، أي تعلق بكمه وأطراف ثوبه . فتك : قتل ، والفتك : أن تأتي رجلاً آمناً منك وتقتله، أو تسكن له في موضع لا يعرف بك، فإذا أتاك قتلته، ثم سُمي من جهل الأُمور العظام فاتكاً ، فإذا أدخلت

(١) ديوانه ٣٥٣ :

رجلا منزلك أو موضعاً لا مغيث له فيه ، فقتلته فذلك الغيلة ، فإن كان رجلاً يحافك فأمنته وآنتسته حتى آمنك ، ثم قتلته فذلك الغدر . عزفته : معرفته . يكبر : يراه أمراً كبيراً قرفته : تهمة ، وقد قرفته بذنب ، إذا حملته عليه وأتهمته به ، وشبهه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار اشتطاط اللدد : اشتداد الخصام . التنافر : التحاكم . يزن بالهنات : يتهم بالقبائح ، والهنات : الدواهي والهن والهنّة من الكنايات العامّة التي يكنى بها عن كل شيء ولا يقتصر بها على شيء دون شيء .

[فصل في ذكر بعض أخبار الولاية]

قوله «ويغلب حبّ البنين على البنات» نذكر هنا من الولاية التهمين بهذه الهنات ما يليق بالموضع . قال أهل الأخبار : إن القاضي يحيى بن أكثم^(١) ، كان مشتهراً بحبّ الغلمان ، وإن أهل البصرة رفعوا أمره إلى المأمون قبل اتصاله به ، وقالوا فيه : إنه قد أفسد أولادهم ، وظهرت منه الفواحش ، وأنه القائل في صفة الغلمان :

أربعةٌ تمسّقُ الحاظمُ	فعين من بعشقم ساهرة
فواحد دنياه في وجهه	مناقٍ ليست له آخرة
وآخر دنياه منقوصةٌ	من خلفه آخرةٌ وأفره
وثالث فاز بكاتيهما	قد جمع الدنيا مع الآخرة
ورابعٌ قد ضاع ما بينهم	ليست له دنيا ولا آخرة

فاستعظمها المأمون وعزله عنهم .

ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ، وناداه ، فخرج معه في يوم عيد ، وقد ركب الجند أمامه ، ويحيى يحدّثه ويضحكه ، فنظرت إلى غلام أمرد من أولاد

(١) انظر أخبار يحيى بن أكثم في ابن خلّكان ٢ : ٢١٧ - ٢٢٤ وأخبار القضاة لوكيع ٢ : ١٦١ - ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٩١ - ٢٠٤ ، وثمار القلوب ١٥٦ ، ١٥٧

الجند في غاية الفراهمة ، عليه ثوب حرير أخضر ، ودرع موشاة مزررة بالذهب .
فالتفت إلى يحيى ، وقال له : ما تقول في هذه البضاعة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنّ هذا لتبيح من إمام مثلك مع فقيه مثلى ، قال : فمن الذى يقول :

قاضي يرى الحدف في الزناة ولا يرى على من يلوطن من باس

قال : من عليه لعنة الله وغضبه ، ابن أبي نعيم^(١) ، الذى يقول :

أميرنا يرأى كئيباً وحاً كئيباً يلوطن والشير بيننا راسى

قاضي يرى الحدف .. البيت ، وبعده :

لا أحسب الموت ينتضى وعلى الامة وال لآل عباس^(٢)

قال : أو صحيح هذا ؟ قال : نعم ، قال : يُنقى إلى السند ، وإنما ما زحناك ، ثم

قال المأمون في الغلام :

أيها الراكب ثوباً حريراً وحديداً

جئت للعيد وفي وجهك للأعين عيد

أنت جندي ولكن فيك للحسن جنود

وفي يحيى يقول ابن أبي نعيم :

يا ليت يحيى لم يلد له أكثمه ولم تظأ أرض العراق قدمه^(٣)

ألوطن قاضي في البلاد نعلمه أى دواة لم يلقها قلمه

* وأى ججر لم يلججه أرقمه^(٤) *

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٢ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) المضاف والمنسوب ١٥٨ .

(٤) ذكر في المضاف والمنسوب بمد الأبيات : « فقال يحيى : دواتك أيها الأمير » .
(٢٥ - شرح مقامات الحريري ١)

وهذا كقول الآخر :

* يُدْخِلُ الْأَفْعَى إِلَى خَيْسِ الْأَسَدِ *

ويحيي خراساني من مَرُو . وبلغ من تحمكه على المأمون أن فرض لأربعائة غلامٍ مُرَد ، واختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه ، فقال راشد بن إسحاق :

خَلِيلِي أَنْظِرَا مَتَعَجِّبِينَ	لَأُظْرِفَ مَنْظِرٍ تَقْلَاهُ عَيْنِي
لِفِرْضٍ لَيْسَ يُقْبَلُ فِيهِ إِلَّا	أَسِيلُ الْخَلْدِ حُلُوُّ الْمَقْلَتَيْنِ
يُقُودُهُمْ إِلَى الْمِهْجَاءِ قَاضٍ	شَدِيدُ الطَّعْنِ بِالرُّمْحِ الرُّدِّيِّ
إِذَا شَهِدَ الْوَعَى مِنْهُمْ غَلَامٌ	تَجَدَّلُ لِلجَبِينِ وَلِلْيَدَيْنِ
وَبَاتَ الشَّيْخُ مَنْحِنِيًّا عَلَيْهِ	وَصُدْغَاهُ تَحَاذِي الرُّكْبَتَيْنِ

وقال فيه :

وَكُنَّا نَرْجِي أَنْ نَرَى الْعَدْلَ بَيْنَنَا
مَتَى نَصْلُحَ الدُّنْيَا وَيَصْلُحَ أَهْلُهَا
فَأَعْقَبَنَاهُ بَعْدَ الرَّجَاءِ قَنُوطُ
إِذَا كَانَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ يُلُوطُ

وكان القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي^(١) مولعاً بالعلمان ، وكان له غلام اسمه نسيم ، في نهاية من الحسن ، وكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويخصه بتقريبه واستجدانه ، فكتب إليه بعض من يأنس به :

هَلْ عَلَى مَنْ لَامَهُ مَدْعَةٌ لاضطرار الشعر في ميم نسيم

فوقع تحت البيت : نعم ، ولم لا !^(٢)

وسند ذكر من شعره في هذه المقامة ما يستملح .

(١) انظر أخبار تاريخ بغداد ١٢ : ٧٧ ، وابن خلكان ١ : ٣٥٣ .

(٢) الخبر في معجم الأدباء ١٤ : ١٦٦ .

وممن كان يميل إلى الغلمان من الأمراء أبو العشائر الحمداني^(١) الذي يقول
فيه المتنبي :

فيا بحرَ البحُورِ ولا أوريّ وياملكَ الملوكَ ولا أحاشي^(٢)
كأنك ناظرٌ في كلِّ قلبٍ فما يخفي عليك محلُّ غاشٍ

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة ، فقلت : ما
يُجد الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه ، كأن رضوان قد غفل عنه فأبقى من
الجنة ، ثم أنشأ يقول :

أسقمُ هذا الغلامُ جسمي بما بعينه من سقام^(٣)
فتورُ عينيه من دلالٍ أهدى فتوراً إلى عظامي
وامتزجتُ روحه بروحي تمازجُ الماء بالدم

ولأبي العشائر :

سطا علينا ومن حاز الجمال سطا - ظبي من الجنة الفردوس قد هبّطاً
له عذاران قد خطأ بوجنتيه فاستوقفا فوق خديه وما انبسطاً
وظلّ يخطو فكلُّ قال من شغفٍ : يا ليتنه في سواد الناظرين خطاً !

ومع هذا الليل ، كان نزيه النفس ، رفيع الهمة ، سليم الناحية ، وكان في
الجدود غاية ، وفي الشجاعة نهاية ، وفي الشعر آية . وإذا كان المتنبي الذي هو
أشعرُ الناس عند الأُكثرية ، يقول حين عوتب في آخر أيامه على فتور شعره :
قد تجاوزت في شعري ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة ، مذ فارقت آل
حمدان ، ومنهم الذي يقول - يعني أبا العشائر :

(١) انظر أخبار أبي العشائر في بتيمة الدهر ١ : ٧١ - ٧٥ .

(٢) ديوانه : ٢١١ .

(٣) بتيمة الدهر ١ : ٧٢ :

أَخَا الْفَوَارِسِ لَوْ رَأَيْتَ مَوَاقِفِي وَالخَيْلِ مِنْ تَحْتِ الْأَسْنَةِ تَنْحَطُ^(١)
 لَقَرَأْتَ مِنْهَا مَا تَخَطُّ يَدُ الْوَعْيِ وَالْبَيْضِ تَشْكُلُ وَالْأَسْنَةُ تَنْقُطُ
 فَهَكَذَا تَسْتَعَارُ الْعَانِي الْبَدِيعَةَ فِي الْأَلْفَاظِ الرَّفِيعَةَ ؛ فَمَا ظَنِّكَ بِنَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ
 الْمُنْتَبِي هَذَا الثَّنَاءُ !

* * *

وَمَنْ وَصَفَ غَلَامًا فَأَحْسَنَ ، الْأَمِيرَ تَمِيمَ بْنَ الْمَعزِّ صَاحِبَ مِصْرَ ، حَيْثُ يَقُولُ :
 وَبَاتَ ضَجِيعِي مِنْهُ أَهْيَفُ نَاعِمٍ وَأَدْعَجُ وَسِّنَانٌ وَالْعَسُّ أَشْنَبُ^(٢)
 كَأَنَّ الدَّجِيَّ مِنْ لَوْنِ صُدُغِيهِ طَالِعٌ
 وَشَمْسُ الضُّحَى فِي صَحْنِ خَدَّيْهِ نَعْفَرُبُ
 وَقَالَ أَيضًا :

يَا لَيْلَةً بَاتَ فِيهَا الْبَدْرُ مَعْتَبِقِي وَكَانَتِ الشَّمْسُ فِيهَا بَعْضُ جُلَّاسِي^(٣)
 وَبَتْ مُسْتَفْنِيًا بِالشَّعْرِ عَنْ قَدَحِي وَبِالْخُدُودِ عَنِ الثُّفَاحِ وَالْأَسِ
 وَقَالَ أَيضًا :

وَرَدُّ الْخُدُودِ أَرْقُ مِنْ وَرَدِّ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ^(٤)
 هَذَا تَنْشِئُهُ الْأَنْوُ فُ وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُ
 فَإِذَا عَدَلَتْ فَأَفْضَلُ الْـ وَرَدِينَ وَرَدُ يُلْسَمُ
 قَوْلُهُ : « نَدْوَتُهُ » ، أَي مَجْلِسُهُ .

[ذِكْرُ السُّلَيْكِ بْنِ السُّلَيْكَةِ]

وَالسُّلَيْكُ ، هُوَ ابْنُ السُّلَيْكَةِ ، مَعْرُوفٌ بِأُمَّهُ ، وَكَانَتْ أُمَّةً سَوْدَاءَ شَدِيدَةً

(١) يَتِيمَةُ الدَّهْرِ ١ : ٧١

(٢) دِيْوَانُهُ ٤٠٤ ، ٤١٤ . الْعَسُّ : سَوَادٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي الشَّفَةِ . وَالشَّنْبُ : رَقَّةٌ وَعَذْوِيَّةٌ وَبَرْدٌ فِي الْأَسْنَانِ .

(٣) دِيْوَانُهُ ٢٥٠ .

(٤) دِيْوَانُهُ ٣٨٦ .

السواد ، وكان هو أسود ، وأبوه عمرو بن سنان بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدى التميمى .
 وكان يسبق الخيل على رجليه ، وكان من العدائين ومن رجلى العرب -
 وهم الذين يسعون على أقدامهم ، ويسبقون الخيل ، فيستفنون بأرجلهم عنها -
 وكان من أشجع الناس ، وكان لا يُغيرُ إلاَّ وحده ، وكان يقال له : الرئبال :

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب ، فقال : أئى العرب كان أبغض لك أن تلقاه ؟ فقال : أمّا من معدّ فعدى بن فزارة ومرة بن ذبيان وكلاب بن عامر وشيبان بن بكر وشق بن عبد القيس والأرقام من تغلب ، ثم لو جئت بفرسى على مياه سعد ماخفت هَيْجَ أحدٍ ؛ ما لم يلقتنى حرّاهَا أو عبداها ، قال : أما حرّاهَا فعامر بن الطفيل وعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب ، وأما عبداها فعمترَةُ الفوارس وسليمان المقانب .

وأما عدوته المذكورة ، فيقال : إنه أحاط به عدوه فنزا نزوة عدّه فيها أربعاً وعشرون خطوة ، وعدّه أيضاً فى نزوة للشنفرى إحدى وعشرون خطوة .
 ويقال فى المثل : أعدى من الشنفرى ، وأعدى من السليك .

فأما الشنفرى فإنه أغار على بجيلة مع تأبط شرّاً وعمرو بن براق ، فرصدتهم بجيلة على الماء ، فقال تأبط شرّاً : إنّ بالماء رصداً ، فقالا : ليس عليه أحد ، ولا بدّ من وروده ، فورد الشنفرى ثم عمرو ، فقال تأبط شرّاً : القوم إنما يريدوننى ، فذلك لم يعرضوا لكما ، وإذا وردتُ أنا الماء فسيشدون علىّ ، ويأسروننى ، فاذهب يا شنفرى ، كأنك تهرب ، وكن فى أصل ذلك القرن ، فإذا سمعتنى أقول : خذوا خذوا ، فتمال فأطلقتنى ، وقال عمرو : إئتى سامرك أن تستأسر لهم ، فلا تبعد ، ولا تمكّنهم من نفسك . ثم ورد الماء ، فشدّوا عليه ، وكتفوه ، وفعلوا

ما أمرهما ، فقال : تأبّطشراً : يامعشر بجيلة ، هل لكم في أن تيسروا فداءنا به
ونستأسر لكم ابن براق ؟ قالوا : نعم . فقال ياعمرو : هل لك في أن تستأثر ويأسرونا
في الفداء ؟ قال : حتى أروضَ نفسي شوطاً أو شوطين ، فجرى الأوتل كالريح ،
والثاني كالخيل ، ثم أراد أن يجرى ثالثاً ، فجعل يقع ويقوم فشلاً ؛ يُطمعهم بذلك ،
فقال لهم تأبّطشراً : خذوا خذوا ، فأسرعوا إليه بأجمعهم ، وهوى الشنفرى
كالريح قطع وثاقه ، ثم أحضروا ثلاثتهم ، فنجحوا ، فقال تأبّطشراً من قصيدة :
ليلةً صاحوا وأغرّوا بى سراعهمُ بالعيكَتَيْنِ لَدَى عَمْرٍو بنِ بَرّاقِ (١)
لا شيءَ أسرعُ منى غيرِ ذى عُدْرٍ أودى جناحَ بجنبِ الرّيدِ خَفّاقِ (٢)
فالثلاثة عدّاءون ، والمثل مقصور على الشنفرى .

وأما السليك ، فرأته طلائع جيش لبكر بن وائل ، جاءوا مجردين ليغيروا على
تميم ، فقالوا : إن علم السليك بنا أنذر قومه ، فبعثوا إليه فارسين على جوادين ،
فلما صالحاه خرج يمحص (٣) كأنه ظبي ، فطاردها يوماً أجمع ، ثم قال : إذا كان
الليل أعيافناخذها ، ووجدنا أثر بوله قد خد (٤) في الأرض ، فقالا : قاتله الله ! ما
أشدّ متنها ! فتبعاه ليلتهما : فلما أصبحتا وجداه قد عثر بأصل شجرة ، فنذر (٥) منها
كسكان قدمه ، وسقطت قوسه في جريه فانخطمت ، فوجدنا قطعه منها قد ارتزت (٦)
بالأرض ، فقالا : ما بعد هذا شيء ، والله لا تبعناه بعد هذا . ومّر السليك إلى
أهله ، فأنذرهم ، فكذّبوه لبعده الغاية ، فقال :

(١) من قصيدة مفضلية ٢٧ - ٣١ ، مطلعها :

ياعيدُ مالكُ من شوقِ وإِبراقِ ومَرّ طيفِ على الأهوالِ طرّاقِ

والعيكتان : موضع ، ورواية المفضليات : «معدى ابن براق» ، ومعنى مصدر ميمي من
عدا يعدو .

(٢) العذر : جمع عذرة ، وهى ما أقبل من شعر الباصية على وجه الفرس . والرید :
الشمرأخ الأعلى من الجبل ، يقول : لاشيء أسرع منى إلا الفرس ، وإلا الطائر الجارح
الذى يأوى إلى الجبل .

(٣) يمحص : يسرع .

(٤) خد في الأرض : شقها .

(٥) نذرت : سقطت .

(٦) ارتزت : أثبتت .

يَكْذِبُ بَنِي الْعَمْرَانِ: عمرو بن جندب وعمر بن سعد والمكذَّبُ أ كذب^(١)
 تَكَلَّتْكُمْ إِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا كَرَادِيسٍ يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مَوْكِبُ
 كَرَادِيسٍ فِيهَا الْخَوْفُ زَانَ وَحَوْلَهُ فَوَارِسٍ هَمَامٍ مَتَى يَدْعُ بِرَكْبِيَا
 فصدقه قوم ، فنجوا ، وكذب به آخرون ، فورد عليهم الجيش فاكسحهم .
 ومن شعر السليك يرثي فرسه — وكان يقال لها النجم — وأنشدها
 المبرد في باب التشبيه من الكامل :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النِّجْمِ لَمَّا تَحْمَلُ صُحْبَتِي أَصْلًا مَحَارُ^(٢)
 عَلَى قَرَمَاءَ عَالِيَةً شَوَاهُ كَأَنَّ بِياضَ غَرَّتِهِ خِمَارُ^(٣)
 وَمَا يُدْرِيكَ مَا قَفَرِي إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وُلُّوا أَوْ أَعَارُوا^(٤)
 وَيُخْضِرُ فَوْقَ جُهْدِ الْخَضْرِ نَصًّا يَصِيدُكَ نَافِلًا وَالْمَخْرَارُ^(٥)

أى يصيدك . ونافلا : ثانيا ، ورار : ذائب من الهزال ؛ وحكاية السليك ،
 عن أبي عبيدة ، وحكاية الشنفرى عنه وعن الشيباني ؛ وكلتاها على اختصار .
 ونزل على جماعة من كنانة ضيفاً ، فأكرموه ، وجمعوا له إبلاً كثيرة ،
 وأعطوه إياها ، وكان قد كبر وشاخ ، وذهبت قوته ، وانتقص عدوه ، فقالوا
 له : إن رأيت أن ترينا ما بقي من عدوك ! قال : نعم ، ابغوا لى أربعين شاباً ،

(١) الأغاني ٢٠ : ٣٥٣ (طبعة بيروت)

(٢) الكامل ٣ : ٣ : ٦٩ ، قال في شرح هذا البيت : المحار : الصدقة ، يريد الملاسة
 وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت . والأصل : جمع أصيل ، والأصيل : العشى .

(٣) قال أبو العباس : قرماء ، ممدودة : اسم موضع : وشواه : قوائمه .

(٤) قال أبو العباس : ولوا أو أعاروا ؛ إذا طلبوا أو هربوا .

(٥) قوله . « بصيدك » ، أى يصيد لك ، يقال : صدتك ظيباً ، قال الله عز وجل :

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

وأَتونى بدرعٍ ثَقيلةٍ عَظيمةٍ ، فأَتوا بِهَا واختارُوا من شبانهم أربعين أقوياء
عدائين ، فأبس سُلَيْك الدرع ، ثم قال للشَّبان : الحقونى ، ثم عَدَا عَدُوًّا وَسَطًا ،
وعدا الشبان وراءه جهدهم ، فلم يَحقوه حتى غاب عنهم ، ثم كرَّ راجعًا حتى عاد
إلى القوم وحدَه يَخطِر ، والدرع عليه ، وسبق الشَّبان .

وخرج فى ليلةٍ مَعمرةٍ يَطلب الإغارة ، فغلب عليه النوم آخر الليل ، فبينما هو
مَلتفٌ بكساءٍ ، جَمَّ عليه رجلٌ مثله ، شديد البأس ، عَظيم القوَّة ، وأمسك على
يديه ، ومنعه التَحرُّك ، وجعل يلهزه ويؤذيه ، ويقول له : استأسرْ يا خبيث ،
فاجتهد سَليكَ حتى خَلَّص إحدى يديه ، فضمَّ الرجلُ إليه صَمتَه ، وعصره عصرةً ،
فصرَّط ، فقال له : أضرِّطًا وأنت الأعلى^(١) ! فأرسلها مثلاً ، فلما تخلَّص منه ،
قال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت فقلت : لأُخرجنَّ ولا أُرْجع إلى
أهلى حتى آتِيهم وأنا غنى . فقال له السُّليكَ : انطلق معى ، فانطلقا فوجدا ثالثًا ،
قَصَّتْهُ قَصَّتُهُمَا ، فاصطحبوا حتى أتوا وادياً لِمُرَاد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعَمٌ ،
قد ملأ نواحيه من كثرته ، فقال لها السُّليكَ : كونا قريباً منى حتى آتى الرِّعاء ،
فأعلمُ علمَ الحى : أهو قريب أم بعيد ؟ فإن كان قريباً رجعت ، وإن كان بعيداً
أوحيت إليكما بقولى فأغيرا . فأتى الرِّعاء فاستخبرهم عن الحى ، فأخبروه
ببعد الحى ، وأنهم إن طلبوا لم يدركوا ، فقال للرِّعاء : ألا أغدِّيكُم ؟ قالوا :
بلى ، فرفع صوته ففغى :

يا صاحِبِي ألا لا حى فى الوادِي سوى عبيدٍ وأمِّ بين أذوادِ^(٢)
أنتظران قريبا ريث غفلتِهم أم تغدوان فإن الرِّيح للمادِي !
فلما سَمعا ذلك أتياه ، وطردوا الإبل فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريخُ الحى ،
حتى فاتوا بالإبل^(٣) .

(١) الميداني ١ ٤٢٠ ، جبهة الأمثال ١ : ١٣٠

(٢) الرِّيح منا : القوَّة

(٣) الشعر والشعراء ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

قال ابن الأعرابي : آم مقلوب آيم ، وهم العزّاب ، جمع أمة^(١) .
 وكان السلبك من أدلّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وكان يستودع
 الماء بيضَ النعام في الشتاء ، ويدفنه في المفاوز العظيمة ، فإذا كان الصيف
 وانقطعت إغارة الخيل أغار على ربيعة ، وشرب من ذلك الماء . وكان يقول :
 اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، وأما الهيبة فلا هيبة .

* * *

قوله : «عِدْوَتُهُ» ، العِدْوَةُ بالكسر : الحالة ، وبالفتح المرة الواحدة ، فيريد
 الحريرى أن إسرعهما إلى الوالى كان كعدوة السليك .

* * *

فَلَمَّا حَضَرَاهُ ، جَدَّدَ الشَّيْخُ دَعْوَاهُ ، وَاسْتَدْعَى عَدْوَاهُ . فَاسْتَنْطَقَ
 الْغَلَامَ وَقَدْ فَتَنَهُ بِمَحَاسِنِ غُرَّتِهِ ، وَطَرَّ عَقْلَهُ بِتَصْنِيفِ طَرَّتِهِ ، فَقَالَ :
 إِنَّهَا أَفِيكَةُ أَفَاكِ ، عَلَى غَيْرِ مَفَاكِ ؛ وَعَضِيهَةٌ مُحْتَالِ ، عَلَى مَنْ لَيْسَ
 بِمُغْتَالِ . فَقَالَ الْوَالِي لِلشَّيْخِ : إِنْ شَهِدَ لَكَ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَإِلَّا فَاسْتَوْفِ مِنْهُ الْيَمِينَ . فَقَالَ الشَّيْخُ : إِنَّهُ جَدَّلُهُ خَاسِيًا ،
 وَأَفَاحَ دَمَهُ خَالِيًا ، فَأَنْبَى لِي شَاهِدًا ، وَلَمْ يَكُنْ نَمَّ مُشَاهِدًا وَلَكِنْ
 وَلَّنِي تَلْقِيهَهُ الْيَمِينَ ، لِيَبِينَ لَكَ : أَيُصَدِّقُ أَمْ يَمِينُ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
 لِلْمَالِكِ لِدَلِّكَ ؛ مَعَ وَجْدِكَ الْمَتَّهَالِكِ ، عَلَى ابْنِكَ الْمَهَالِكِ !

* * *

واستدعى عدواه ، أى طلب إغاثة وأعداه الحاكم : أغائه . استنطق :
 أمره أن ينطق ، وقد بين سر هذا الاستنطاق في الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام

(١) نقله في اللسان ١٨ : ٤٧ .

قال : « ثم استنطقته عن اسمه ، لا لرغبة في علمه ، بل لأنظر أين فصاحته من صباحته ، وكيف لهجته من بهجته ^(١) ». وكذلك لم يُردِ الوالى أن يستنطقه ليقول حجته ؛ بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتنته . وقد ذكرنا أن فائدة الحسن إنما تدور على اللسان .

[إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره]

وهذا الاستنطاق هو الذى ذهب بإبراهيم بن سيار النظام ، الذى هو إمام فى علم الكلام إلى علاقة غلام ؛ وذلك أنه لَقِيَ غلاماً جميلَ الوجه ، مقبول الصورة ، فاستحسنه ، وتصور فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة ، فقال له : يا غلام ، إنه لولا ما سبق من قول الحكماء ، لما جعلوا السبيل لمثلى إلى مثلك بقولهم : لا ينبغى لأحد أن يصغر عن أن يقول ، ولا أن يكبر عن أن يقال له ، لَمَّا أنستُ إلى مخاطبتك ، ولا انشرح صدرى إلى محادثتك ، لكنه سبب الإخاء وعقد المودة ، ومحلك من قلبى محل الروح من جسد الجبان ، فقال له الغلام - وهو لا يعرفه : لئن قلت ذلك أيُّها الرجل ، لقد قال أستاذنا إبراهيم بن سيار النظام : الطباع تجاذب ما شاكلها بالجائسة ، وتميل إلى ما قارنها بالموافقة ، وكيانى مائل إلى كيانك بكائيتى ؛ ولو كان الذى انطوى عليه لك عرضاً لم أعتد به ودأ ، ولكنه جوهر جسمى ، فبقاؤه بقاء النفس ، وعدمه بعدمها ، وأقول كما قال الهدلى :

فتبينى أنى بكم كلفٌ ثم اصنعى ما شئت عن علم ^(٢)

فقال له النظام : إنما كلمتك بما سمعت ، وأنت عندى حسن الصورة غلام ، ولولا أن محلك محلٌ مقيم ما تعرضت لك ، ثم اعتلقتك النظام بعد ، وقال فيه جريا على علمه :

(١) متن المقامات ص ٣٧٣ (طبع الحسينية) .

(٢) ديوان الهذليين ٩٧٣ ، ونسبه إلى أبي صخر (طبعة مدنى) .

توهمه طرفى فألم خدّه
وصاغه كفى فألم كفه
ومرّ بفكرى خاطراً فجرحتُه
وقال فيه أيضا :

وإذ تأمل في الزّجاجة ظلّه
وجرحته لحظة مقلة الظلّ
وقال فيه أيضا :

أفرغ من نور سماوى
وافتقر الحسن إلى حسنه
فجّل عن تحديد كفى
وقال فيه :

يا مشرقاً ملأ العيو
أوفى على شمس الضحى
ن فلاحظها ما يستقل^(١)
حتى كأنّ الشمس ظلّ
وأتريد قتلي عامداً
ولقتل مثلي ما يحلّ !

فصرّف في شعره من صناعته ، وأبدع في تخيله ببراعته .

* * *

قوله : «غرته» ، أى وجهه . طرّ ، أى قطع وأذهب . تصفيف طرّته : شعره .
المعتدل على جبهته . أفيكة أفاك : كذبة كذاب . سفاك : قتال . عضيهة : بهتان .
وباظل . مقتال : قاتل الفيلة . استوف : استكمل . جدله : صرعه وألقاه على .

(١) أمالى المرتضى ١ : ١٨٨

(٢) بدهق أمالى المرتضى :

يمرّ فمن لينٍ وحسنٍ تعطف
يقال به سكرٌ وليس به سكرٌ

(٣) ديوان المعاني ١ : ٢٣١

الجدالة . وهي الأرض : خاسياً : متباعداً ممنوع الكلام ، كأنه قهره ومنعه أن يصيح عند قتله ، ولذلك لم يجد عليه شاهداً ، وأصله الهمزة فسمّله ليوافق «خالياً» إن أخذته من خسأت السكب ، وإن أخذته من خسيّ البصر إذا كلّ ، فلا تسهيل فيه ، ومعناه قريب من الأوّل ، أى أنه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله . أفاح دمه ، بجاء مهملة : أراقه . قال أبو زيد في نوادره : أفحت دمه ففاح فيجأ وفيجانا ، وأنشد :

نحن قتلنا الملك الجحججاً ولم ندع لسارحٍ مراحاً

* إلاً دياراً أو دماً مفأحاً *

وقال أبو حاتم : أراد : ودماً مفأحاً أى مهرأقا . خالياً : بمعنى «منفرداً» . أنى ، بمعنى كيف . مُشاهد : منى شاهد حاله وحضر عليها . ولئى : مكّئى . تلقينه : تفهيمه وإلقاءه عليه . يمين : يكذب . وجدك : حزنك . المتهالك : الكثير التفاوت ، وتهالكت المرأة عليه : تراخت عليه ، وتكاسلت ، قال الأعشى^(١) :

تهالك حتى ينكر المرء عقله وتُسبى الحكيم ذا الحجى بالتّقل^(٢)

* * *

فَقَالَ الشَّيْخُ لِلْغَلَامِ : قُلْ : وَالَّذِي زَيْنَ الْجَبَابَةِ بِالطَّرْرِ ،
وَالْعَيُونََ بِالْحَوَرِ ، وَالْحَوَاجِبَ بِالْبَلَجِ ، وَالْمَبَاسِمَ بِالْفَلَجِ ،
وَالْمُجْفُونََ بِالسَّقَمِ ، وَالْأَنْوْفَ بِالشَّمَمِ ، وَالْخُدُودَ بِاللَّهَبِ ، وَالشُّوْرَ
بِالشَّنْبِ ، وَالْبَنَانََ بِالْتَّرْفِ ، وَالْخُصُورَ بِالْهَيْفِ ، إِنِّي مَا قَتَلْتُ ابْنَكَ

(١) اللسان - فيح ، ونسبه إلى أبي حرب بن عقيل .

(٢) ديوان الأعشى ٣٥٣

(٣) الديوان : « حتى ينكر المرء عقله » . وتهالكت المرأة في مشيها : تمايلت .

سَهْوًا وَلَا عَمْدًا، وَلَا جَعَلْتُ هَامَتَهُ لِسِنِّي غَمْدًا، وَإِلَّا فَرَمَى اللَّهُ
جَفَنِي بِالْعَمَشِ، وَخَدَّتِي بِالنَّمَشِ، وَطُرَّتِي بِالْجُلْحِ، وَطَلَعِي بِالْبَلْعِ،
وَوَرَدَّتِي بِالْبَهَارِ، وَمَسَّكَنِي بِالْبُخَارِ، وَبَدَرِي بِالْمِحَاقِ، وَفِضَّتِي
بِالْإِحْتِرَاقِ، وَشُعَائِي بِالْإِظْلَامِ، وَدَوَاتِي بِالْأَقْلَامِ.

◊ ◊ ◊

قوله: «الذي زين الجباه بالطرر . . .»، إلى آخر يمينه، إنما ذكر صفات
الحسن شيئاً بعد شيء، ليُرى هذا الوالى كمال الغلام، فيشتد حبه فيه، فإذا ذكر صفة
من صفاته تبه الوالى بذكرها على النظر إليها، فوجدها كما يصف، فهو الآن في
هذه اليمين مجلّو محاسن الغلام عليه.

الطَّرَرُ: جمعُ طُرَّةٍ، وهى اعتدال الشعر على الجبهة، والطُّرَّةُ عندهم أن يقطع
للجارية من مقدّم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها، فيبقى ما بين شعر
ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقياً، والشعر عليها معتدل، كطُرَّة الثوب ثم تسمى
الشعور الحسن طُرراً.

أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث فائنات: الشعر
الحسن، والوجه الحسن، والصوت الحسن».

عائشة رضى الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملائكة السماء
يستبحون بذوائب النساء وبلحى الرجال، فيقولون: سبحان الذى زين الرجال
باللحى، والنساء بالذوائب».

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسال عن
شعرها كما يسأل عن وجهها».

قالوا : الشعر الحسن يزيد الوجه حسناً وجمالاً ، وقال ابن صارة^(١) - وكأنه وصف طرة هذا الغلام - يصف بها أبا الفضل بن الأعم ، وكان من أجمل الناس وأذكركم^(٢) في علم النحو والأدب ، وقرأ النحو قبل أن يلتحق ، فقال فيه :

أكرم بحعفر اللبيب فإنه مازال يوضح مُشْكِلَ «الإيضاح»^(٣)
 ماء الجمال بخدّه متفرقٌ فالعين منه تجول في ضَحَضَاحٍ^(٤)
 ما خدّه جرحته عيني ، إنَّما صَبَغَتْ غِلَالَتَهُ دِمَاءَهُ جِرَاحِي
 لله زاي زبرجد في عسجدٍ في جوهرٍ في كَوْنٍ في رَاحِ
 ذى طُورَةٍ سَبِجِيَّةٍ ذى غُرَّةٍ عاجية كالليل والإضباح
 رشأله خدّ البري ولحظه أبداً شريك الموت في الأرواح

* * *

[مما قيل في أنواع الحسن والجمال]

ونذكر بعد هذا الجور في العيين ، وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل ، وكل ذلك عندهم ممدوح . وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر ، على أننا نلّم ببعض ما قيل في ذلك ، وأما ما يزهّد فيه من ذلك ، ويقلّ ذكره في أشعارهم فالزرق ؛ على أنه قد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الزرق في العيين يُمن» .

(١) ط : « صارمة » ، تصحيف . (٢) فتح الطيب : « وأذكركم » .

(٣) فتح الطيب ٥ : ٢١٣ ، ٢١٤ ، وكتاب الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي .

(٤) الضحضاح : الماء القليل .

وقال معاوية لضحار العبدى : إنك أحمر ، قال : والذهب أحمر ، قال :
إنك لأزرق ، قال : والبازى أزرق .

ولبعض أصحابنا :

أحبك أن قالوا بعينيك زُرْقَه كذاك عتاق الطير زُرُق عيونها

وقال الصنوبرى :

قالوا به زُرْقَة ، فقلت لهم بذلك تمت خصالة البهجة^(١)
ما كحل العين مثل زُرْقَمها كم بين ياقوتة إلى سبجها!

وقال آخر :

ما مثلُ ذا الظبي في الظباء الأزرق الأزرق القباء
يجول في مقلتيه طرفي في زُرْقَة السماء والسماء
يا أبى الشمر ما عليهم من ذلك النور والتبهاء
شُقْرَة شعير على بياض شعاع شمس على هواء

وكل هذا . اعتذار جاء على وفق مدح سواد الألوان ، ولسواد الألوان في
التاسعة فصل مستطرف فقف عليه .

واختلفوا في الحور ، فقال أبو عبيدة : الحوراء : الشديدة بياض بياض العين
في شدة سواد سوادها .

وقال أبو عمرو : الظبية الحوراء : السوداء العين التي ليس في عينها بياض ،
ولا يكون هذا في الإنسان إنما يكون في الوحوش .

(١) يتيمة الدهر

وقال يعقوب : الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض .

وقال قطرب : الحوراء : الحسنة المحاجر ، صغرت العين أم كبرت .

واشتقاق « ح ور » يدل على صحة قول يعقوب وأبي عبيدة ؛ لأنهم إنما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحوراء للدرمك الشديد البياض ونحوه ، وقلمًا يتفق شدة بياض العين إلا مع شدة سوادها ، ألا ترى أن بياضها مع الزرق ليس هناك في النقاء ، وقال القاضى التنوخى في أحور :

حورٌ بعينه أطال تحيرى ترك الدموع بحدى المتصفر^(١)
غصنٌ تأوّد فوق غصنٍ من نقا ليل تبلّح عن نهارٍ مُسفرٍ
كالشمس إلا أنه متنفس عن مسكةٍ متبسمٍ عن جوهرٍ

والبليج : أن يكون ما بين الحاجبين نقيًا من الشعر ، وهو من علامات السيادة عند العرب ، ويُمدّح به ويُتيمن بصاحبه ، ويُتطير بمقرون الحاجبين ؛ ويقال : أبلج وأبلد ، وهى البلجة والبلدة ، قال كثير :

جميلٌ الحيا أبلجُ الوجه واضحٌ حلِيمٌ إذا ما زلزلته الزلزالُ
الفالج : أن يكون بين منابت الأسنان تباعد ، وقد فاج ثفره فلاجًا ، وهو مستحبٌ في الثغر . قال وجيه الدولة : وهو مما يليق بهذا الموضع لذكره أوصافه ذكرها الحريرى رحمه الله هنا :

إذا عدم الرّوضَ المنورَ ناظرى أرانيه ظبيّ فاطر الطّرف أدعجُ
فصدّغاه ريجاني وعيناة ترّجيسى ومن ثفره لى أقحوان مفلجُ
وواحرَ بأ من حسن وردٍ بجده بطف به من عارضيه بنفسجُ

(١) الأبيات في يتيمة الدهر ٢ : ٣١٨ .

(٢) بعمده في اليتيمة :

وأطالَ من ليلى وقصر ليله أنى سهرت وأنه لم يسهر

الجفون : أعطية العيون ، ثم تسعى العين جفنًا مجازاً .

والسقم : فتور العين ، ومن حسن التشبيه في ذلك قول أبي نواس :

فطبَّ بحديث من نديمٍ مساعدٍ وساقية بين الراهق والحلم^(١)
ضعيفة كرت الطرف تحسب أنها قريبة عهد بالإفاقة من سقم

وقال أيضاً :

وشادنٍ قال لي أنا رأى سقمي

وضف جسمي والدمع الذي انسجماً

أخذت دمعك من لفظي ، وجسمك من

خصري ، وسقمك من طرفي الذي سقمًا

وقال ابن الرومي :

قلبي من الطرف السقيم سقيم لو أن من أشكو إليه رحيم

وقال ابن الزقاق :

ومقلّة شادنٍ أوّدت بجسمي كأنّ السقم لي ولها لباس^(٢)
يسلّ اللحظ منها مشرفيًّا لقتلي ثم يفهده النعاس

ولأبي العلاء بن زهر في مثل ذلك :

يا راشقي بسهام مالها غرض إلا فؤادي وما منها له عوض

(١) ديوانه ٣٢ ، حاسة ابن الشجري ١٩٥ ، وذكر البيت الثاني وبعده :

تفوق مالي من طريف وتالد تفوق الصهباء من حلب الكرم

قال : قوله « تفوق مالي » هو من الفؤاد ؛ وهو ما بين الحلبتين .

(٢) ديوانه ١٩٠

(٢٦ - شرح مقامات الحريري ١)

ومرضى بجفونِ كلِّها سَقَمٌ صَحَّتْ وَفِي طَبْعِهَا التَّمْرِ بِيضُ وَالْمَرَضُ
 آمنن ولو بخيالٍ منك يؤنسُنِي فقد يسدُّ مسدَّ الجواهر العَرَضُ
 الشمم : ارتفاع في لين الأنف ، وهو من علامات الجمال والسودد ،
 قال الفرزدق :

بِكَفِّهِ خَيْرُ زَانٍ رِيحُهُ عَيْقٌ من كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عِرْزِ نَيْدِنِهِ شَمَمٌ^(١)
 يُغِضِي حِيَاءً وَيُغَضِّي مِنْ مَهَابَتِهِ فلا يَكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْقَسِمُ
 وقال آخر :

في باعه طولٌ وفي وجهه نورٌ وفي العين منه شَمَمٌ
 وقال النابغة^(٢) :

* شَمَّ العرَّانين ضَرًّا بَوَّنَ لِلِهَامِ *

الذهب : اشتعال النار بغير دخان ، فشبهه الحمرة في الخلد وضياؤه بحمرة النار ،
 وكُنِيَ به أبو لهب لجماله .

وقال ابن وكيع ؛ فجمع السُّمَّ والذهب :

واحزني من جفون ظبي أقام عُدْرِي بِهَا عِدَارُهُ^(٣)
 أسَقَمَ جَسْمِي بِسَقَمِ طَرْفِ حَبَّرَنِي فِي الْهَوَى أَحْوَارُهُ
 عَجِبْتُ مِنْ جَمْرِ وَجَنَّتِيهِ يَحْرِقُنِي دُونَهُ اسْتِعَارُهُ
 هو اختياري فأبصروه^(٤) شاهدُ عَقْلِ النَّتْقِ اخْتِيَارُهُ

(١) ديوان الحماسة - بهرح المرزوقي ١ ، ١٦ .

(٢) ديوانه ٧٣ ، صدره :

* مستحقِّي حَلْقِ الْمَاضِي يُقَدِّمُهُمْ *

(٣) بئيمة الدهر ١ : ٣٤٢ ، وفيه : « واحزني » .

(٤) البئيمة : « هذا اختياري » .

وله قريب منه :

كَأَنَّ صَدْعًا لَهُ تَرَاهُ
بَيْتَ مِنَ الْحَسَنِ لِي إِلَيْهِ
وهو على خدّه مُدَارٌ^(١)
حَجٌّ مَدَى الدَّهْرِ وَاِعْتِمَارٌ

ولا بن الزقاق :

بَأبَى مَنْ لَمْ يَدْعُ لِي لِحْظَهُ
جَعَلَتْ نَكْبَتُهُ فِي ثَغْرِهِ
فِي الْهَوَى مِنْ رَمِيٍّ مِنْدُرْمَقٍ^(٢)
عَبَقًا فِي نَسَقِي يَسْبِي الْحَدَقَ
وَوَدَّتْ خَجَلَتُهُ فِي خَدِّهِ
شَفَقًا فِي فَلَقِي تَحْتَ غَسَقِي

وقال الخفاجي^(٣) :

يَابَانَةٌ تَهْتَزُ فَيَنَانَةٌ
كَمْ دَمَعِ عَيْنِيكَ قَدْ أَجْرِبْتُهُ
وَرَوْضَةٌ تَفْحُحُ مِغْطَارًا
كُنْتُ فَسْتَى قَوْسَهُ حَاجِبًا
وَقَلْبٌ صَبَّ فِيكَ قَدْ طَارَا
فَإِنْ رَمَى يَجْرَحُنِي طَرْفُهُ
رَمَزًا وَسَمَى النَّبْلَ أَشْفَارًا
فِيصْبِغُ الدَّرَّ عَقِيْقًا بِهِ
لَحْظَتُهُ أَجْرَحُهُ ثَارَا
وَأَصْبِغُ الْأَلْوَانَ أَزْهَارًا^(٤)
يُدِيرُ لِلْأَعْيُنِ مِنْ وَجْهِهِ
كَعْبَةٌ حُسْنٍ حَيْثِمًا دَارَا
قَدْ طَبِعَ الْحَسَنُ بِهِ دَرَهْمًا
تَسْبِكُ مِنْهُ الْعَيْنُ دِيْنَارًا
تَعْبُدُ مِنْ وَجْنَتِهِ نَارًا
فَلِي بِهِ عَيْنٌ مَجُوسِيَّةٌ

غيره :

وَأَعْيِدْ تَدْمِي وَجْنَتَاهُ مِنَ اللَّسْحِ
عَدَا قَاتِلِي أَنْ ظَلَّتْ أَجْرَحُ خَدَّهُ
تَخْلُقُ إِلَّا مِنْ صَدُودِي بِاللَّسْحِ
مَتَى صَارَ بِالْقَتْلِ الْقَصَابُ مِنَ الْجُرْحِ

(١) يتيمة الدهر ١ : ٣٣٣ .

(٢) ديوانه ٢٠٨ .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة ، ويعرف بالخفاجي أيضا ، والآيات في ديوانه ١٢٥ م .

(٤) الديوان « وأصبغ النوار » .

الثغور : جمع ثغر وهو السن . وتقدم الشنب في الثانية .

وقال العباس بن الأحنف في طيب النعم :

ذَكَرْتُكَ بِالتَّفَاحِ لِمَا شَمَّمْتُهُ وبالرَّاحِ لِمَا قَابَلْتُ أَوْجَهَ الشَّرْبِ (١)
وَتَذَكَّرْتُ بِالتَّفَاحِ مِنْكَ سِوَالنَّاءِ وبالرَّاحِ طَعْمًا مِنْ مَقْبَلِكَ الْعَذْبِ

وقال ديك الجن ، واسمه عبد السلام :

بَأبِي فَمَنْ شَهِدَ الضَّمِيرُ لَهُ قَبْلَ الْمَذَاقِ بِأَنَّهُ عَذْبُ
كشهادةِ اللَّهِ خالصةِ قَبْلَ الْعِيَانِ بِأَنَّهُ الرَّبُّ

وقال أحمد بن محمد الغساني :

لَهُ مَبْسُومٌ بِرَقَّتِهِ خَاطِفٌ عَقُولَ الرِّجَالِ إِذَا مَا ابْتَسَمُ
أَقُولُ لَهُ إِذْ بَدَأُ دُرَّهُ شَهِدْنَا لَصَانِهِ بِالْحِكْمِ
أَرَى الدَّرَّ تَتَقَبُّهُ النَّاضِمُونَ وَمَاتَقَبُّوا إِذَا فَكَيْفَ انْتَضَمُ!

وقال أبو بكر البلوي :

تَقَطَّفُ مِنْ ثَعْرِهِ وَوَجَنَّتِهِ أَنَامِلُ الطَّرْفِ زَهْرَةً عَجَبًا
شَقِيقَهَا مُذْهَبًا يُرَى خَجَلًا وَأَقْحَوَانًا مَفْضُضًا شَبَابًا

وقال ابن بشر الكاتب : (٢)

وَلَمْ تَزَلْ ، وَالظَّالِمَ حَارِسُنَا جَسْمَيْنِ مَسْتَوْدَعَيْنِ فِي جِسْمِ
أَلْمُهُ فِي الدُّجَى وَبَرَقَ ثَنَا يَا هُ يَرِينِي مَوَاقِعَ اللَّثَمِ

(١) ديوانه ٤٤

(٢) هو الحسن بن علي بن بشر الكاتب ، والأبيات في نهاية الأرب ٢ : ١٠٤

ثم افترقنا عند الصّباح وقد أثر فيه كهيئة الختم.

وقال الشريف الرضى :

بقنأ ضجيعين في ثوبى هوى وتقى
وبات بارق ذلك الثغر يوضح لى
يلفنا الشوق من فرقى إلى قدم^(١)
مواقع اللثم في داج من الظلم

وقال المتنبي :

حسان الثنى ينقش الوشى مثله
ويبين عن درر تقلدن مثله
إذا مسن في أثوابهن النواعم^(٢)
كان التراقى وشحت بالمباسم
فهذه معانٍ مختلفة في أوصاف الثغر كلها حسان .

* * *

قوله : « والبنان بالترف » ، أى الأصابع باللين والنعمة ، وأحسن ما قيل في

ذلك قول النابغة :

بمخصب رخص كان بنانه
فإنذا تشبيهه بديع .
غم يكاد من اللطافة يعقد^(٣)

وقال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شئن كأنه
وقال غيره :

يا قرأ أبصرت في مائم
يندب يشجوا بين أتراب^(٥)

(١) ديوانه ٧٢٣

(٢) ديوانه ٢ : ١١١ ، وفيه : « في أجسامهن » .

(٣) ديوانه ٣٠

(٤) ديوانه ١٧

(٥) لأبي نواس ، ديوانه ٣٦١ ، مختار الأغاني ٣ : ١٣٠

أبرزه المائم لي كارهاً
بيكي فيذري الدر من نرجس
من بين راياتٍ وحجابٍ
ويلطمُ الورْدَ بعُنَّابٍ
وقال عكاشة^(١) :

سقىا لمنزلنا الذي كا به
إذ نحنُ نسقاها شمولاً قرَفًا
يوم الخميس عشيةً أصحَّابًا
تدعُ الصَّحِيحَ بعقله مُرتابًا
من كفِّ جارِيَةٍ كأنَّ بنانها
وكان يُمناها إذا ضربت بها
من فضةٍ قد فُعمتْ عُنَّابًا
تُلقي على يدها الشَّمالَ حِسَابًا
وقال آخر :

وحوراء اللواخطِ بين قَلبي
تري ماء النَّعِيمِ يحولُ فيها
وبين جفونها حَرَبُ البُسُوسِ
كمثلِ الحمرِ في صافي الكُثُوسِ
كانَ بنانها أقلامَ عاجٍ
مرصعة الرأسِ بآبنوسِ

ووصف الخصور بالهيف ، وهو الضمر والرقعة ، وسندكر معها ما يستظرف ،
وقد تقدم قول ابن عبد ربه :

با مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ
ما بالُ قَلْبِكَ لا يَكُونُ رِقِيقًا^(٢)

وقال ابن الرومي :

وَهَبْتَ لَهُ عَيْنِي الْهَجُوعَا
ظَبِيٌّ كَأَنَّ بَحْضَرَهُ
فَأثَابَهَا مِنْهُ الدُّمُوعَا
مِنْ ضَمْرِهِ ظَمًا وَجُوعَا

(١) هو عكاشة بن عبد الصمد العمي ، منسوب إلى بني العم ، من شعراء الأغاني ،
والأبيات في مختار الأغاني ٤ : ٥٠٨ .
(٢) مطمح الأنفس ٥٢ .

وقال عبيد^(١) الله بن عبد الله :

سَلَمَى وَمَا سَلَمَى تَفُوقُ الْمَنَى
وَسَاحَهَا يَحْسُدُ خَلْخَالَهَا
وَالْحَسَنَ أَوْصَافًا وَأَلْوَانًا
كَجَائِعٍ يَحْسُدُ شَبَعَانَا

وقال كشاجم في مقلوبه :

مَسَاوِلَةُ السَّكَلِ غَيْرَ بَطْنِ
حَجُّوْهَا الدَّهْرَ فِي اضْطِرَابٍ
مَنْقَلٍ فِيهِ عَنَكِيوتُ
وَوَشَّحَهَا كَاطْمٌ صَموتُ

وقال حبيب :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ
مَنْ هَيْفَ لَوْ أَنْ الْخَلَائِلِ صِيَّرْتُ
قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ^(٢)
لَهَا وَشُجًّا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَائِلُ

أخذه القاضي ابن لبّال فقال :

جَلوتِ لَنَا شَيْئًا مِنَ الدَّرِّ عَاطِلًا
فَقَالَتْ وَلَمْ تَكْذِبْ خَشِيْتُ سُقُوطَهُ
بِعَيْشِكَ لِمَ جَنَّبْتَهُ الْجِيدَ وَالذَّحْرَا
وَأُومِتْ إِلَى فِيهَا فَنظَّمْتَهُ نَفْرَا
كَذَلِكَ إِنْ عَضَّ السَّوَارُ بِمَعْصِمِي
وَحَازَرْتُ أَنْ يَدْمِيهِ حَمَلْتُهُ الْخَصْرَا

وأكثر ما يذكرون الخصر بالرقعة مع ذكر الكفل بالمعظم ، كما قال

ديك الجن :

وَتَمَّائِلَتْ فَضَحَكْتُ مِنْ أَرْدَا فِيهَا
تَسْقِيكَ كَأْسَ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا
عَجَبًا ، وَلَيْكِنِّي بَكَيْتُ نَخْصِرَهَا^(٣)
وَرَدِيَّةً ، وَمُدَامَةٍ مِنْ نَفْرِهَا

وقال القاضي أبو حفص بن عمر :

(١) ط : « عبادة » ، وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وأخباره وشعره في
أين خلكان ١ : ٢٧٣ ، والبيتان في ديوان المعاني ١ : ٢٥٠ .

(٢) ديوانه ٢٥٦

(٣) الأغاني ١٤ : ٥٥ .

مشت كأنصن ينهيه النَّسِيمُ ويعدّوه النَّسِيمُ فيستقيمُ
 لها ردْفٌ تعلق من ضعيفٍ وذلك الرَّدْفُ لي ولها ظُومُ
 يعذبني إذا فكرت فيه ويتعبها إذا رآمت تقومُ
 وما حَبِّي لها إلا عذابٌ عليه من نَضَارَتِهَا نعيمُ

* * *

قوله: «سهواً» . أى خطأ. والهامة: الرأس. وإلا فرمى الله جفني بالعمش،
 إنما ذكر العمش والنمش وما بعده لأنها أضداد لما تقدم، وعند الإشارة لما يتبين
 من الغلام عند الوالى أضدادها، فيزداد حسناً .

* وبضدّها تتبينُ الأشياءُ * (١)

والعمش : انتشار شعر العينين . والنمش : أخفى من البرش . الجلح : الصلح ،
 وهو انحسار الشعر من التزعتين ، وفعله جَلَحَ الرجل واجلَحَ ، كاسودَّ . والطلع :
 قد تقدّم في الثانية ، وإذا علته خضرة سُمِّيَ بلحاً . والبهار : نرجس المغرب ،
 وهو أصفر ، والورد أحمر ، فدعا له بعلّة تذهب جمال وجهه وتصفر حمرة خده .
 والبخار : كالبختر : التتن . والمسكة : أطيب العطر ، فدعا له بتغيير الرائحة . وتقدّم
 أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة . وتقدّم في الثانية معنى قوله :
 « ووردتني بالبهار » منظوماً ، وقال الصّابي في أبحر :

نطق ابن نصرٍ فاستطارت جيفةٌ في العالمين لنتن فيه الفاسدِ (٢)
 فكانَ أهل الأرض كلهمُ فسواً متواطئين على اتّفاق واحدٍ

وقالت جنان في أبي نواس :

فإذا ما أردت أن تحمد الله على ما أعطى وأولاك شكراً
 فليكن ذلك بالضمير فمن سبّح بالفسو نال إثمًا ووزراً

(١) للعتبي ديوانه ١ : ٢٢ ، صدره :

* ونذيمهم وبهم عرفنا فضله *

(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٢٦٣ .

وقال آخر :

أهدى زريق قطه لقمه قد لا كهافي فيه الأبخر
فبادر القط إلى دفنها يحسبها من بعض ما قد خرى

قوله: «وبدرى بالمحاق»، المحاق: أن ينمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شيء .
واحتراق الفضة: اسودادها . وشُعاعى بالظلام ، أى صباحة وجهه ووضاءته
بسواد اللحية ، أى عاجلنى لله بالالتحاء ، ويريد بهذا كله أن يكسو بياض
وجهه سواد الشعر ، فيكسد ولا يُبْلَغَتْ إليه .

وقال ابن المعتز في مثل هذا الدعاء :

يارب إن لم يكن فى وصله طمع وليس لى فرج من طول هجرته^(١)
فأشف السقام الذى فى طرف مقلته واستر ملاحه خديه بلحيته

ونقل لفظا احتراق الفضة من قول أبى الحسين النعمرى^(٢) ، وهو من شعراء اليتيمة:

لى حبيب يزهى بحسن عجيب وبقد مثل القضيب الرطيب
أحدثت بالسواد فضة خدي فقد أحرقت سواد القلوب

[ذكر العذار والالتحاء]

ونذكر هنا ما يليق بهذا الموضوع مما قيل فى العذار وفى الالتحاء مما مدح
به وذم ، قال ابن عبد ربه :

ومعذر نقش الجلال بمسكه خدأ له بدم القلوب مُضْرَجًا^(٣)
لما تيقن أن سيف جفونه من نرجس جعل التجاد بنفجًا

وقال ابن صارة^(٤) :

(١) ديوانه ١ : ٧١

(٢) هو أبو الحسين محمد بن عمر النعمرى الكاتب ، من شعراء العراق ، والبتان فى

اليتيمة ٢ : ٣٤٦ .

(٣) المقدم ١ : ٣٣

(٤) ط : « صارة » ، تصحيف ، والبتان فى نهاية الأرب ٢ : ٨٦٥ .

ومعذّر رقت حواشي حسبه
لم يكس عارضه السواد وإنما
وقال عبد المحسن الصوري :

ومعذّر العذار إلى فؤادي
وكم أعرضت عنه فأعرضت بي
ولما قلت إن الشعر يسعي
وقال أبو القاسم الزاهي :

لولا عذارك ما خلعت عذارى
ما كنت أحسب أن أعين أو أرى
حتى نظرت إلى عذارك فاعتدى
وللمعتمد بن عباد :

تم له الحسن بالعدار
أخضر في أبيض تبدى
لقد حوى مجلسي تماماً
واختاط الليل بالنهار^(١)
ذلك آسي وذأ بهاري
إن يك من ريقه عفارى

وقال ابن حمدون :

ظل على خده العذار
وأبيض هذا واسود هذا
أغض عيني عنه لأنني
فافتضح الأس والنهار
واجتمع الليل والنهار
عليه من مقلتي أغار

(١) والبيتان أيضاً في التخيبة ١ : ١ : ١٢٣ .

(٢) يتيمة الدهر ١ : ٢٥٧ .

(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٩٩ .

(٤) التخيبة ١ - قنعة ٢ : ١٥١ ، ١٠ - ق ٢ : ١٤ .

فهذا كله حسن في مدح العذار؛ وإن كان التذير بموت الجمال، فإذا تقوى العذار واسود؛ صاروا إلى نعيه، كما قال أبو بكر البلوي:

انظر إلى مَيِّتٍ وَلَكِنَّهُ خَلَوْا مِنَ الْأَكْفَانِ وَالْقَاسِلِ
قد كتب الدهر على خدّه بالشعر: هذا آخرُ الباطلِ

وله في ضده:

لَمَّا التَّحَى مَنْ قَد هَوَيْتُ وقلت رسمٌ قد دَرَّ
عَايَنْتُ مِنْ طَلَّابِهِ زُمْرًا مُوَاصِلَةً زُمْرَ
وكذاك أصحاب الحديث نفاهم عند الكِبَرِ

وكما قال أبو الحسن بن الحاج:

أبا جعفرٍ مات فيك الجمالُ فأظهر خدك لبسَ الحدادِ
وقد كان يبت زهرَ الرياضِ فأصبح يُنبتُ شوكَ القنَادِ
أبْنِ لِي مَتَى كَانَ بَدْرُ السَّمَاءِ يُدْرِكُ بِالْكُونِ أَوْ بِالْفَسَادِ!
وهل كنت في الملك من عبد شمسٍ فأخى عليك ظهورُ القَسَادِ

وقال سعيد بن حميد في غلام التحى:

هَلَّا وَأَنْتِ بَمَاءِ وَجْهِكَ يُسْتَقَى رَوْضُ الشَّبَابِ قَلِيلِ شَعْرِ الْعَارِضِ
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لَحِيَّةً ذَهَبَتْ بِحَسْنِكَ مَلءَ كَفِّ الْقَابِضِ
مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ خَمْرَ عَصِيرِهَا بَعْدَ اللَّذَازَةِ مِثْلَ خَلِّ الْحَامِضِ

وقال علي بن بسام في أخيه جعفر^(١):

يَا مَنْ نَعَّمْتُهُ إِلَى الْإِخْوَانِ لِحِيَّتِهِ أُدْبِرَتْ وَالذَّهْرُ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
قَد كُنْتُ مِمَّنْ يَهْشَمُ النَّاضِرُونَ لَهُ تُفَضُّ دُونَكَ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارٌ
أَيَّامٌ وَجْهِكَ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهُ وَلِلرِّيَاضِ عَلَى خَدِّكَ أَنْوَارٌ

(١) هو على محمد بن نصر بن بسام البغدادي، والأبيات في التخييرة ١ - ق ١: ١١٩ -

فيا لدهرٍ مضى ما كان أحسنه
حانت منيته فاسودَّ عارضه
إذ أنت ممتنعٌ، والشرط دِينَارُ
كما تُسودُّ بعد الميت الدَّارُ
وفيه يقول أيضاً :

حانتُ وفأنتك يا أبا العباسِ
ما بالُ وجهك بعد كثرة نُورِهِ
أين الدَّنانيرُ التي عودَناها
كانت بخذلانِ ثيابه ديباجةً
فدع المِكاسِ فلات حين مِكاسِ
قد سودَّوه بحالك الأنفاسِ !
هيَّهات جاء الشعر بالإنفاسِ
فاستبدلت حِلْساً من الأحلاسِ
كانت بليته من الآساسِ
وكذا البناء فغير مرتفعٍ إذا
وقال مُصعب الماعين :

قد ضافحت أقطارَ خذك حليةً
فكانَ خط الشعر في جنباتِهِ
تركته وهو مسودُّ الأقطارِ
ليلٌ أقام على نجومٍ أو نهارِ

وكان لمحمد بن بشر بابان يُدخل من الأكبر أصحابه ، ومن الأصغر أحبابه
فجاء يوماً غلامٌ مليح ، وأراد الدخول من الأصغر على عادته ، فنسح ، فجعل يخاصم
البواب لإدلاله ، فبلغ ذلك ابن بشرٍ ، فكتب إليه :

قل لمن رامَ بجهلٍ مدخلَ الطَّبيِّ العَريرِ
بعد أن علق في خديب
لَيْتَهُ يَدْخُلُ إن جا
من البابِ الكبيرِ
مدخلَ الطَّبيِّ العَريرِ
من خِلاَةِ الشَّعيرِ
من البابِ الكبيرِ

وقال ابن الأبار :

لست بصابٍ إلى معذَر
لا أعشق الطَّبيِّ ذا الجامِ
بل أنا في حِيَّهِ معذَر
لأنه في الطَّباءِ منكَرُ

أحسن ما فيه أن تراه بين مهارة وبين جوذرة

ينظر قوله : «لأنه في الظبا منكر» إلى قول حبيب :

تعشقت الكبارَ يدلّ عندي على أن الرحي قلبت نِفالا^(١)
وقال آخر :

لى فى أبى يحى ومعشوقه شغل على ذى شغل شاغل
يا ليت شعرى قول ذى حيرة من منهما المفعول والفاعل!

وقال ابن حصين في محبوب صغير :

بأبى ظبي صغير السن حازت ثلث سببي
سرتنى أن ليس يدري مذهبي فيه وقتي
فهو يدعوني عما وأنا أدعوه بأبني

وللخبز أرزى :

قالوا عشقت صغيراً قلت أرتع في ربيع حسن دعاني لاتباع هوى
لما تفتح فيه النور والزهر
وقال التنوخي في جسيم :

من أين أستر وجدى وهومنتهك ما للمعتم في نيل الهوى درك^(٢)
قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم الشمس أعظم جسم ضمّه الفلك
وللقية ابن حزم :

وذى عدل فيمن سباني حسنه يُطيل ملاهى فى الهوى ويقول^(٤) :

(٢) يتيمة الدهر : ٣٣٨ .

(١) ديوانه : ٤٢٠ (طبع المعارف)

(٤) الذخيرة ، القم الأول ١ : ١٤٧

(٣) يتيمة الدهر ٢ : ٣١٨ .

أني حسن وجهي لآح لم تر غيره
فقلت له: أسرفت في اللوم ظاهراً
ألم تر أنني ظاهري وأنا نبي

وأحسن حبيب حين قال :

قال الوشاةُ بدا في الخلد عارضه
الحسن منه على ما كنت أعهد
أحلى وأعذب ما كانت شمائله
وصار من كان يلحى في مودته

وقال الحلواني :

قالوا التحى فامتحت بالشعر بهجته
خطت يد الحسن فيه فوق وجنته:

وله أيضاً :

سامني بالمهوى عذاباً شديداً^(١)
خيفة أن يكون حسناً جديداً
أن أراه مثلي محبباً عميداً

وقال غيره :

قد حل في سوق الكساد
كأنما الشعر فيه زرع
مذ لآح في خدك السواد^(٢)
والنتف منه له حصاد

(١) ديوانه ٤٣٢ ، وفيه : « لانكثروا » .

(٢) نهاية الأرب ٢ : ٨٥ ، من غير نسبة الذخيرة ٤ - ١ : ٢٢٠ .

(٣) الذخيرة ق ٤ - ١ : ٢٠٠ (٤) الذخيرة ق ٤ - ١ : ٢٢٢ ونسبها إلى الحلواني أيضاً .

وقوله: «ودواتي بالأقلام»، أي ابتلاه الله أن يلاطبه، قال الفنجديهي:
أُنشدني بعضُ الشعراءِ بمروُوزٍ لبعضهم:

دوادار الأمير له دواةٌ كمثل الياسمين بغير صُوفٍ
پرى قلم الأمير يفوصُ فيها مفاص عصيدةٍ في حلقِ صوفِي

ونقل لفظ الدواة والأقلام من قول ديك الجن؛ وكان يهوى غلاماً من
حِمْص، اسمه بكر، جلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر، فقام بكر
لميشي، فقال:

دع البدر فليغرُبْ فأنت لنا بدرُ إذا ما تجلَّى عن محاسنك الشَّفَرُ^(١)
إذا ما انقضى سحر الذين يبابلُ فأنت لنا سحرٌ وريقك لي حَمْرُ
ولو قيل لي قم فادع أحسنَ مَنْ ترى

لصحت بأعلى الصوت: يا بكرُ يا بكرُ!

وكان هذا الغلام شديد التصاون والتمتع، فاحتال عليه قومٌ من حِمْص،
فأخرجوه إلى متنزّه، فأسكروه وفسقوا به، فبلغ ذلك ديك الجن فقال:

يا بكرُ ما فعلت بك الأَرْطَامُ يا دارُ ما فعلت بك الأيامُ^(٢)
في الدار بعدُ بقيّة نستانها أم ليس فيك بقيّة نُستانمُ
شغل الظلامُ كراك في أبوابهم^(٣) فتفرّغت لدواتك الأقلامُ
وله فيه أيضاً:

قولا لبكر بن مهدي إذا اعتكرت

عسا كر اللّيل بين الطّامس والجّام^(٤)

(١) الأغاني ١٤ : ٦٠ ، وفيه : « من عاسنك الفجر » .

(٢) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « ما فعلت بك الأبطال » .

(٣) الأغاني : « في ديوانه » .

(٤) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « قولا لبكر بن دهمرد » .

ألم أقل لك إن الكبر مهلكة
قد كنت تفرق من سهم تعابنه^(١)
وكنت تفرع من لمس ومن قبل
إن تدم نخداك من ركض فربتما
والبغي والعجب إفساد لأقوام
فصرت غير رميم رقعة الرامي
فقد ذلك لإسراج وإلجام
أمسى وقلبي منك الموجه الدامي

قال أبو علي بن رشيقي: كنت أوصي غلاماً وضيعاً ، كان يختلف إلي ،
وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه ، فأوقع به ،
فأخبرت بذلك ، فقلت :

ياسوء ما جاءت به الحال
مأخذق الناس بصوغ الخنا
وإن كان ما قالوا كما قالوا
صيع من الخاتم خلخال
وهذا من قول ابن المعتز :

مضى خالد والمال تسعون درهما
وآبورأس المال ثلث الدرهم^(٢)

وهذا المعنى الخبيث يتبين بعقد التسعين والثلاثين في اليد .

وقال ابن رشيقي :

سقطت ثنيته فأوجع قلبه
فإذا مررت به فسل فؤاده
عجبا للؤلؤة هوت من سلكها
أتمدياً يا خطب وهو مصون
لسقوطها وجرى عليه عظيم^(٣)
عنها وقل صبراً كذاك الريم
والسلك لا واه ولا مفصوم
أبدأ بخاتم ربه مختوم

(١) الأغاني : « لغانية »

(٢) نقله في التنف ٥٨ .

(٣) نقله في التنف ٦٥ .

ويستحب لمن وُسم بوشمة الجمال ، أن يكون شديد التصاؤن ، قليل التبدُّل ، فذلك أدعى للسلامة ، وقد قال ابن وكيع في ذلك :

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعاً فقلت : هيهات عنكم غاب أطيبيهِ^(١)
لو جادهان ، وقلت الجود عادتهُ وإنما عزَّ لَمَّا عزَّ مطلبهُ

فإذا تبدَّل وأجاب كلٌّ من دعاه صار عرضةً للظنون ، ونبت عن محاسنه العيون ، لأنَّ النفس الحرَّة لا تنفك من غيرة ، وقد قال العباس بن الأحنف :

يا قومُ لم أهرزكمُ لللالةِ مِنِّي ولا لِمقالِ واشٍ حاسدِ^(٢)
لكنني جرّبتكمُ فوجدتكمُ لا تصبرون على طعامٍ واحدِ
وقال أبو الوليد بن حزم :

لَمَّا استمالك معشرٌ لم أرضهمُ والقول فيك كما علمت كثيرُ
داويتُ دونك مُهجتي فمأسكتُ من بعد ما كادتُ إليك تطيرُ
فأذهب فقير جوائحي لك منزلُ واسمعُ فقير وفائِك المشكورُ
وله أيضاً :

يقول وقد لُمته في الهوى فلان، وعرضت شيئاً قليلاً :
أتمسدتني؟ قلت : لا ، والذي أحلك في الحب مبرعى وببلا
وكيف وقد حل ذلك الإزارُ وقد سلك الناس تلك السبيلاً

(١) بيتية المهر ١ : ٣٣٧

(٢) ديوانه ١٠٦ ، الزهرة ١٥٠ ، الأغانى ١٥ : ١٣٧ (ساسى) ، الشعر والشعراء

وقال محمد بن السري :

قايسْتُ بين جماله وفعاله فإذا الملاحَةُ بالخيانةِ لا تَنِي (١)
والله لا كَلَمْتَهُ ولو أنه كالبدْرِ أو كالشمسِ أو كالمكتفي

وقال آخر :

أيا حسناً أزرْتُ قبائحَ فعله عَلَيْهِ كما أزرى الكسوف على البدرِ
لقد فُتَّتْ كلُّ الناسِ حسناً وزينةً ولكنما قَبَّحَتْ ذلكَ بالفدرِ

وقال ابن عيينة :

ضيعتِ عهد فتى لمهدك حافظُ في حفظه عجبٌ وفي تضبيعك
إن تقليه وتذهبي بفؤاده فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

* * *

فقال الغلامُ : الاضطِلَاءُ بِالْبِلْمِيَّةِ ، وَلَا الْإِيْلَاءُ بِهَذِهِ الْآلِيَّةِ ،
وَالانْتِقَادَ لِلْقَوْدِ ؛ وَلَا الْحَلْفَ بِعَالَمٍ يَحْفِيفُ بِهِ أَحَدٌ . وَأَبَى الشَّيْخُ
إِلَّا تَجْرِبَهُ الْيَمِينِ الَّتِي اخْتَرَعَهَا ، وَأَمَرَ لَهُ جُرْعَهَا . وَلَمْ يَزَلْ
التَّلَاحِي يَدْنُهُمَا يَسْتَعْمِرُ ، وَحَجَّةُ التَّرَاضِي تَعْرِ ، وَالغُلَامُ فِي ضِمْنِ
تَأْيِيهِ ، يَخْلُبُ قَلْبَ الْوَالِيِ بِتَلْوِيهِ ، وَيُطْمِعُهُ فِي أَنْ
يُبَلِّيهِ ، إِلَى أَنْ رَانَ هَوَاهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَأَبَّ بِلْبِيهِ ،
فَسَوَّلَ لَهُ الْوَجْدُ الَّذِي تِيَمُهُ ، وَالطَّمَعُ الَّذِي تَوَهَّمُهُ ، أَنْ

(١) إنباه الرواة ٣ : ١٣٧ ، ابن خلكان ١ : ٥٠٣ ، وبعده هناك :

حلفت لنا ألا نَمُحُونَ عُهُودَنَا فكأما حلفت لنا ألا تَنِي

يُخَلِّصُ الْعُلَامَ وَيَسْتَخْلِصُهُ ، وَأَنْ يُقَدِّدَهُ مِنْ حِبَالَةِ الشَّيْخِ
مُ يَقْتَتِصَهُ .

قوله : « الاصطلاء » ، أى الاتصال والتأبُّس . والبلية ، أراد دعوة الباطل
التي ادعى عليه الشيخ . والإبلاء : الخلف . والألوية : اليمين . والقود : قتل النفس
بالنفس ، فيقول : الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التي لم يحلف
بها أحد اخترعها : استنبطها . أمقر : أمر ، من المقر ؛ وهو الصبر .

[من ألوان من الخلف]

وهذه اليمين المخترعة ، حكى الأصمعيّ شبيهاً ، فقال : اختصم أعرابيّا عند
بعض الولاة في دين ، فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، فقال المدعى :
دعنى من هذه الأيمان ، واحلف بما أقول لك ، فقال : ما قولك ؟ قال : قل : لا ترك
الله لك خُفّاً يتبع خُفّاً ، ولا ظلفاً يتبع ظلفاً ، وحتك من أهلك وولدك ، كما
يُحاتّ الورق من الشجر ؛ إن كان بقي لي هذا الحق قبلك . فأعطاه حقه ولم
يحلف له .

وحكى المسعودي أنّ الفضل بن الربيع قال : صار^(١) إلى عبد الله بن مصعب
ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، فقال : إن موسى بن عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب قد أرادنى على بيعته ، فأخبرت
الرشيد بذلك ، فجمع بينهما ، فقال الزبيرى لموسى : سعيتم علينا ، وأردتم نقض
بيعتنا ودولتنا ، فقال له موسى : ومن أنتم ! فغلب الرشيد الضحك حتى رفع
رأسه إلى السقف لثلاثا يظهر منه الضحك ، ثم قال موسى : يا أمير المؤمنين ، هذا
المشنع على ، خرج مع أخى محمد على ذلك المنصور ، وهو القائل [من أبيات]^(٢) :

قوموا ببيعتهم نهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بنى الحسن

(١) ط : « سار » ، وما أتتته من ا ، ب . (٢) من المسعودي .

ولست سعايته حُبًّا لك ، ولا مراعاةً لدولتك ؛ ولكن بغضاً لنا جميعاً أهل البيت^(١) ، وأنا أستحلفه بيمين ، فإن حلف بها أتت قات ذلك ، فدعى حلالاً لأمير المؤمنين . فقال له الرشيد : احلف له يا عبد الله ، فامتنع ، فقال له الفضل : لِمَ تمتنع وقد زعمت أنه قال ما ذكرته؟ قال : فإنى أحلف له ، قال موسى : قل : تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي ، إن لم يكن ما فاته حقاً . فخاف له ، فقال موسى : الله أكبر ! حدثني أبي عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث » ، وهأنذا بين يدي أمير المؤمنين في قبضته ، فإن مضت ثلاث ولم يحدث له حادث ، فدعى حلالاً لأمير المؤمنين .

قال الفضل : فوالله ما صليت العصر في ذلك اليوم ، حتى سمعت الصراخ من داره^(٢) . فدخلت عليه ، فوالله ما كدت أعرفه : لأنه صار كالزق العظيم ، ثم أسود حتى صار كالنجم ، فعرفت الرشيد في الحين ، فما انقضى كلامنا حتى عرفنا أنه قد مات ، فبادرت بتعجيله ، وتوليت الصلاة عليه . فلما وُورى في قبره انخسف به ، وخرجت رائحة مفرطة الذنن ، ومررت أحمال شوك على الطريق ، فأمرت بها فطرحت في قبره ، فانخسف ثانية ، فأمرت بالواح ساج ، فطرحت على قبره وألقى التراب عليها ، وانصرفت ، وأعلمت الرشيد . فأكثر التعجب ، وأحضر موسى ؛ فأعطاها ألف دينار ، وقال له : لِمَ عدلت عن اليمين المتعارفة عند الناس ؟ فقال : أخبرت بالسند المتقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حلف بيمين كاذبة تجدد الله فيها ، استحيا الله من تعجيل عقوبته ، ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيه حوله وقوته إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث^(٣) » .

* * *

قوله : « التلاحى » ، السباب والتشائم . على رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله

(١) بعدها في السمودي : « ولو وجد من ينتصر علينا جميعاً لكان معه ، وقد قال باطلاً :

(٢) ب والسمودي : « من دار عباده » .

(٣) الخبر في السمودي ٣ : ٣٥١ - ٣٥٣ .

عليه وسلم : « من لآحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته ، وما زال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني من عبادة الأوثان » . وفي المثل : من لاحاك فقد عاداك .

يستمر : يتقد . محجة التراضي : أى طريق الرضا . تعرُّ : تصب . وفى ضمن تأبّيه ، أى فى أثناء كلامه وامتناعه . يخلب : يخدع ويأخذ قلبه . تلويّيه : انعطافه . يطعمه : يدعو للطعم . يلبّيه : يحببه لمراده . وران : غلب وغطى . أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أذنب العبد نُكِّت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب صقلت ، وإن عاد زادت حتى تعظم فى قلبه ، فذلك الران » ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١)

ألب : أقام . لبه : عقله . سؤل : زين . الوجد : حرقه القلب . تيمه : عبده وذلكه ، والتميم : المستعبد لهواه . توهمه : ظنه . يستخلصه : يختصه لنفسه . حباله : آلة الصيد . يقتنصه : يصيده ؛ يقول : إن هذا الغلام فى أواء كلامه بالتمتع وترك الاقنياد للشيخ يطعم الوالى فى الاقنياد له ، وإنه إذا دعاه لما يريد منه أجابه ، وإنما فعل هذا حين رأى إدامة نظر الوالى فى وجهه ، واستحسانه كلامه ، ولو فسّر الوالى حال الغلام بمنظوم لأنشد :

يهدى لك الدر من لفظٍ ومبتسمٍ ضربان : منتشر منه ومنظوم

يجنى الذنوب ، وأحنو أن أوأخذه من أجل ذلك قيل الحسن مرخوم

ولأنشد إذا غلب عليه هواه :

مرآك مرآك لا شمس ولا قمر وورد خديك لاورد ولا زهر (٢)

فى ذمة الله قلب أنت ساكنه إن بنت بان فلاعين ولا أثر

لولا محلك من قلبى لما أسفت نفسى عليك ، فرقناً أيها القمر

هذه الأبيات لأبى الوليد بن حزم ؛ وقد كرر معنى البيت الأخير فقال :

(٢) فصح الطيب ٤ : ٤ .

(١) المطدئين ١٤

أذكيت من قلبي بنايك لوعةً حتى خشيت على محلك فيه

ومما يتعلق بهذا المعنى قول الآخر :

وأرمانى بالسهم تَمُدًّا وفيها نصال الهجر حتى امتلا صدري
قلت له لا ترم قلبي فإنه مكانك والمرمى أنت ولا تدري

وقال آخر :

حملتك في قلبي فهل أنت عالم بأناك محمول وأنت مُقِيمُ !
ألا إن شخصاً في فؤادي محله وأشتاقه ، شخصٌ على كريم
وقال التهامي :

قلبي فداؤك وهو قلب لم يزل تذكى شهاب الشوق في أنثائه^(١)
جاورته شرّ الجوار وزرته لما حطت فناءه بفنائيه
حرق سوى قلبي ودعه فإنتى أخشى عليك وأنت في سودائه
وقال آخر :

أودع فؤادي حرقاً أودع نفسك تؤذي أنت في أضلعي
أمسك سهام اللحظ أو فارمها أنت بما ترى مصابٍ معي
موقعها القلبُ وأنت الذي مسكته في ذلك الموضع

* * *

فقال للشَّيخ : هل لك فيما هو الأبق بالأنوى ، وأقرب
للتنقوى ! فقال : إلام تُشير لأقف فيه ، ولا أوقف لك فيه ؟ فقال :
أرى أن تُقصر عن القيل والقال ، وتقتصر منه على مائة مثقال ،

(١) ديوانه ٨٨ .

لَا تَحْمَلْ مِنْهَا بَعْضًا ، وَأَجْتَبِي الْبَاقِيَ لَكَ عَرْضًا ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
مَا مِنِّي خِلَافٌ ، فَلَا يَكُنْ لَوْعَدِكَ إِخْلَافٌ ، فَتَقَدَّهُ الْوَالِي عِشْرِينَ ،
وَوَزَعَ عَلَى وَزَعَتِهِ تَكْمَلَةَ خَمْسِينَ . وَرَقَّ ثَوْبُ الْأَصِيلِ ، وَانْقَطَعَ
لِأَجْلِهِ صَوْبُ التَّحْصِيلِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ مَارَاجَ ، وَدَعْ عَنكَ اللُّجَاجَ ،
وَعَلَى فِي غَدٍ أَنْ أُتَوَّصَلَ ، إِلَى أَنْ يَنْضَى لَكَ الْبَاقِي وَيَتَحَصَّلَ ،
فَقَالَ الشَّيْخُ : أَقْبَلُ مِنْكَ عَلَى أَنْ الْأَازِمَةَ لَيْلَتِي ، وَيَرَاهُ إِنْسَانٌ
مُقَلَّتِي ، حَتَّى إِذَا أَعْنَى بَعْدَ إِسْفَارِ الصُّبْحِ ، بِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ
الصُّلْحِ ، تَخَلَّصْتَ قَائِبَةً مِنْ قُوبٍ ، وَبَرِيءٌ بِرَاءَةِ الذُّبِّ مِنْ
دَمِ ابْنِ يَمْقُوبَ ، فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : مَا أَرَاكَ سُمْتَ شَطَطًا ، وَلَا
رُمْتَ فَرَطًا .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَّجَ الشَّيْخِ كَالْحُجَّجِ
السَّرِيحِيَّةِ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ عَلمُ السَّرُوجِيَّةِ

* * *

قوله : « أليق » أى أشكل وأصقل . بالأقوى . بصاحب القوة . والذي
هو أقرب للتقوى ، هو العفو لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١) .
أقضيته : أتبعه . لا أقف لك فيه ، أى لا أتوقف فيما تشير به . تقصر : تكف . عن
القييل والقال ، أى عن كل كلام . أجتبي : أجمع . عرضاً : كل ما ليس فيه
روح من الأمتعة غير العين ؛ وهو ليس بنقد من الساع التي يتجر فيها من متاع
ورقيق وغير ذلك . أحمّل : أضمن ، وفلان حميل بكذا ، أى ضامن له . إخلاف :
كذب وعد . نقده : أعطاه نقداً . وفرق : وزعته : شُرطته الذين يكونون

(١) سورة البقرة ٢٣٧ .

عنه الناس ، واحدهم وازع مثل كافر وكفرة ، وقد وزعته وَزَعًا كففته ، وأيضاً دفعته . وقال الحسن البصرى رحمه الله : لا بدّ للسلطان من وَزَعَةٍ . الأصيل العشى . وثوبه : ضوء الشمس ، وهو فى ذلك الوقت رقيق . صَوْب : وقع ، وصاب السهم صوباً وصيَّباً : وقع بالرماية ، وصاب السحاب الموضع : أمطر . والاصحليل : أن يحصل بقية المال . راج : حضر وتيسر ، ويقال : راج الشيء رَوْجاً فهو رَاجٌ إذا جاء جاء سريعاً . قوله : « إنسان مقلتي » ، أى سواد عيني . يراعه : يحفظه وينظره . أعنى : أتى بالبقية ، والعفاوة : بقية المرق فى القدر . تخلّصت : انفصلت . والقائبة : البيضة . والقُوب : الفَرْخ ، وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصَّحبة ، وجاء مقلوباً لأن الذى يفصل ويخرج إنما هو الفَرْخ من البَيْضَة ، والقُوب ، من تقوَّب الشيء إذا انتشر ، ومنه القوباء لداء الحِزاز^(١) . وابن يعقوب هو يوسف عليهما السلام ، وبراءة الذئب من دمه ، هو ما يحكى أن إخوته لما جاءوا إلى أبيهم يبكون على يوسف ، علموا أنه لا يصدّقهم ، فاصطادوا ذئباً فلطّخوه بدم ، وأتوه ببيكون ، وقالوا له : هذا الذئب قد ضرى ، أكل أغنامنا وأكل يوسف أخانا ، قال لهم : أطلقوه ، ودعا الله يعقوب أن ينطقه له ، فقال للذئب : ادن منى ، فجعل يبصص بذئبه ويدنو منه ، حتى وضع خده على فخذ يعقوب ، فقال له : لم أكلت ابني ، وجعفتى فيه ؟ فقال : لا والله يا نبي الله ، ما رأيته ولا أكلته ، ولأنى لغريب فى أرضكم اليوم ، وصلت من مصر فى طلب أخ لى فقدته ، فأوثقتى هؤلاء وساقونى إليك ، فقال لهم يعقوب عليه السلام : الذئب مع أخيه أوثى منكم مع أخيك .

قوله : « سُمّت » : أى كلفتم . شَطَطاً : شيئاً بعيداً ، والشَّطَط : مجاوزة القدر . ورمت فَرَطاً : طلبت شيئاً متفاوتاً ، وكيف لم يسمّه شططا ، وقد حرّمه لذة ليلة مع هذا العلام أحسن من ليلة الخفاجى^(٢) حيث يقول :

(١) فى القاموس : الحزاز ؛ ككتاب : وجم فى القلب من غيظ أو نحوه .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خناجة الأندلسى ، صاحب الديوان المنسوب إليه .

وليلة طَلَقَةٍ قَضَيْتَنِي من موعدٍ للحبيب دِينًا^(١)
 بَتْنًا نَجْرًا الذِيُولَ فِيهَا والحمر تَمْشِي بنا الهويبِي
 أَرْسَلُ فِي رَوْضٍ وَجَنَّتِيهِ لِحِظَةِ عَيْنٍ تَفِيضُ عَيْنًا
 كَأَنَّما اللَّحْظُ كِيميَاءُ تُذْهَبُ مِنْ وَجْهِهِ لُجَيْنًا
 وَمَا تَوَهَّمْتُ أَنْ طَرَفًا يَقْلِبُ عَيْنَ اللّجِينِ عَيْنًا

أو ليلة الآخر حين يقول :

لَمَّا رَأَيْتُ مَنْ ظَلَّتْ فِيهِ مَتِيًّا جَسْمِي ضَيْلًا وَالنُّوَادِ مَوْلَهَا
 جَادَتْ شِمَائِلُهُ عَلَيَّ بَلِيَّةٍ أَهْدَتْ إِلَى الصَّبِّ الْمَعْنَى مَا شَتَّى
 عَانَقْتُ فِيهَا الْبَدْرَ لَيْلَةَ تَمِّهِ يَا مَنْ رَأَى بَدْرًا يَعَانِقُهُ الشَّمَا!

[ذكر أحمد بن سريح أحد أئمة الشافعية]

قوله: «الحجج الشريحية» منسوبة إلى أحمد بن سريح، وهو من كبار أصحاب الشافعي، وكان حسن الاحتجاج، مليح المناظرة .

وقال الفنجديهي: الشريحية منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد بن عمر ابن سريح إمام أصحاب الشافعي على الإطلاق، ومن لانفست ذات درّ بمثله في الآفاق، حججه في أحكام الشرع أوضح الحجج، وأقواها وأمتنها على مرور الأيام والحجج، وكان يلقب بالبازي الأشهب، وبالشافعي الثاني، لتبجّره في استنباط المعاني، من غوامض الأخبار والمثاني، دلائله في فنون العلم متينة، وبراهينه مبيّنة. وقال: رأيت في المنام كأننا أمطرنا كبريتاً أحمر، فملاّت كمي وحجري وجيبي منه، فعُبر لي أني أرزقُ علماً غزيراً كعزة الكبريت الأحمر .

وَمُسَمِّعٌ يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

(١) ديوانه : ٣٤٠ ، المغرب ٢ : ٣٦٩

فلا تحمد الكلب أكل العظام - فعند الخسارة ما ترحة
 تراه وشيكاً شيكساً إسته كلوما جناها عليه فمه
 إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من بكرمه

وكان يناظر محمد بن داود ، فقال له ابن داود يوماً وقد أكثر عليه
 السؤال : أبلغني ربي ، فقال له : قد أبلعتك الدجلة والفُرات^(١) .

وقال له مرة : أمهلني ساعة ، فقال : قد أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم
 الساعة^(٢) .

وقال له ابن داود يوماً : أكلك من الرّجل وتجيبي من الرأس ! فقال له :
 كذلك البقر إذا حفيّت أظلافها ، وهنت قرونها .

واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الأصبهاني في مجلس
 عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا في الإيلاء ، فقال ابن سريج : أنت بقولك : من
 كثرت لحظاته ، دامت حسراته ، أبصر منك في الكلام في الإيلاء ، فقال له
 ابن داود : لئن قلت ذلك ، فإني أقول :

أنزه في روض الحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال مُحَرِّمًا^(٣)
 وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه يُصَبُّ على الصنخر الأصم تهدماً
 وينطق طرفي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي ردّه لتكلمًا
 رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم فلست أرى حبًا صحيحاً مسلماً

وقال له ابن سريج : بم تفتخر ؟ ولو شئت قلت :

(١) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ (طبع الحلبي) .

(٢) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ .

(٣) طبقات الشافعية ٣ : ٢٧ .

وَمُساهِرٍ بِالْفُتُوحِ مِنْ لَحَظَاتِهِ قَدْ بَتَّ أَمْنُهُمُ لَدِيدِ سِنَاتِهِ (١)
 أَصْبُو لِحْنِ كَلَامِهِ وَحَدِيثِهِ وَأُكْرِرُ الِاحْظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
 حَتَّى إِذَا مَا الصَّبِيحُ لَاحَ عَمُودُهُ وَلَى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبِرَاتِهِ
 فقال له أبو بكر: أصلح الله الوزير! يحفظ عليه ما قال، حتى يقيم عليه
 شاهدين عدلين، أنه ولي بخاتم ربه وبراعته، فقال له ابن سريج: فيلزمني في
 هذا ما يلزمك في قولك:

* وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مَحْرَمًا *

فضحك الوزير، وقال: لقد جئتُما ظَرْفًا وَلُطْفًا وَعِلْمًا وَنَهْمًا .
 اشتملت هذه الحكاية على أن هذين الرجلين العالمين على اشتهارهما بالعلم
 والفضل والدين كانا يرتاحان إلى التمتع على سبيل التعزف والتزام التعف
 على ما يليق ويشكل بمنصهما؛ وإذا كان التمتع بشرط العفاف، فإنما يزيد
 الرَّجُلَ الْفَاضِلَ رِقَّةً طَبِيعَ، وَحِلَاوَةً شَمَائِلَ .

وقال ابن سريج في مرضه الذي مات فيه: أُرَيْتُ فِي الْمَنَامِ الْبَارِحَةَ كَأَنَّ
 قَائِلًا يَقُولُ: هَذَا رَبُّكَ يَخَاطِبُكَ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ فَقُلْتُ:
 بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ، قَالَ: قَمِيلٌ: مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ
 يُرَادُ مِنِّي زِيَادَةُ فِي الْجَوَابِ، فَقُلْتُ: بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ، غَيْرَ أَنَا قَدْ أَصَبْنَا مِنْ
 هَذِهِ الذُّنُوبِ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَأَغْفِرُهَا لَكَ .

وَنُوفِي لِحْسِ مَضِينٍ مِنْ جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ، وَبَلَغَ سَنَةَ
 سَبْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَدُفِنَ فِي حِجْرَةِ بَسُوفَةِ غَالِبِ بِنْفِدَادِ رَحْمَةِ
 اللَّهِ عَلَيْهِ .

[طائفة من شعر النسيب]

ونذكر الآن من نفي الشعر المضمّن « مَنْ ظَهَرَ مِنْ مَحْبُوبِهِ بِرَادِهِ مِنْ .

الوصال ، ثم عفا عما يخلّ بأهل الجلال ، قال إدريس بن اليمان :

لم تدر ما خلّدت عيناك في خلدي
أفديك من زائر رام الدنوّ فلم
خاف العيون ، فوافاني على عجل
عاطية الكأس فاستجيت مدامتها
حتى إذا غازلت أجفانه سنة
أردت توسيده خدي وقل له
فبات في حرم لا غدر يُرّعه
بدر ألم وبدر التّم منه حق
تخيّر الليل فيه ، أين مطاعه
وقال الرمادي : (١)

وليلة راقبت فيها الهوى
والراح ما تنزل عن راحتي
وربّ يوم قيظه منضج
أبرز من خدي لي رشحه
وكان في تجليل أزراره
فتحت الجنة من جيبه
مروءة في الحب تنهى بان
وقال سعيد بن حميد :

زائر زارنا على غير وعد
أهيف الكشح ، مُثقل الأرداف

(١) هو يوسف بن هارون الرمادي ؛ والأبيات في المطرب لابن دحية ؛

(٢) الرشح : العرق ؛ والطل : قطرات الندى .

غالب الخوف حين غالبه الشؤمُ ق فأخفى الهوى وليس بخافي
 غض طرفي عنه تقي الله واختره ت على بذله بقاء التصافي
 ثم ولي والخوف قد هز عطفية ه، ولم تحل من لباس العفاف
 وقال بعض الطالبين :

رموني وإياها بشعاء هم بها أحق، أدال الله منهم وعجلاً
 بامر تركناه ورب محمد جميعاً، فإما عفة أو تجملاً
 وسنزيد ما يستحسن في العفاف وضده في الثانية عشر .
 قوله : « علم السروجية » ، أي مشهورها . والعلم : الجبل .

* * *

فلبثت إلى أن زهرت نجوم الظلام ، وانتشرت عقود الزحام ،
 ثم قصدت فناء الوالي ، فإذا الشيخ لافق كالي ، فنشدته الله : أهو
 أبو زيد ؟ فقال : إي ومحل الصيد ا فقلت : من هذا الغلام ،
 الذي هفت له الأحلام ، قال : هو في النسب فرخي ، وفي
 المكتسب فحى ، قلت : فهلا كفيت بحاسن فطرتيه ، وكفيت
 الوالي الافتنان بطرتيه ! فقال : لو لم تبرز جبهته السين ، لما
 فنفت لحمسين ، ثم قال : بت الليلة عندي انطفي نار الجوى ،
 وندبل الهوى من النوى ، فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة ،
 وأصلي قاب الوالي نار حسرة .

* * *

لبثت : أقت. عقود : جمع عقد ، أراد ما يعقد من جموع الناس في الزحام .
انتثرت : افتترقت . زهرت : أضاءت . الفناء : ما حول الدار . ناشدته : سألته .
هفت ، أى طارت . الأحلام : العقول . فطرته : خلقتة . تبرز : تظهر . والطرّة :
قد تقدمت ، وشبه اعتدال الشّمر على الجبهة بشكل السين على السّطر ، وأخذه
من قول التّهامي :

يأربّ معنّى بعيد الشّان نسلكُهُ
لفظٌ يكون لعقدِ الهول واسطةٌ
إن الكتابة صارت تحت أنمله (١)
تردّ أقلامه الأرماح صاغرةٌ
وفي كتابك فاعذُرْ مَنْ يهيم بهِ
الطرّس كالحدّ والنونات دائرة (٢)
في سلك لفظٍ قريب الفهم مُحْتَصِرِ (١)
ما بين منزلة الإسهاب والمُحَصِّرِ
وألجود فالتقيا منه على قدَرِ (٣)
عكسًا ، كعكس شعاع الشّمس للقمرِ (٤)
من المحاسن ما في أحسن الصّورِ
مثل الحواجِبِ والسّينات كالطرّيرِ (٥)

ومن ملح الخبز أرزى :

وبنفسى من إذا خمّشته
وإذا مسّتْ يدي طرّته
نثر الوردُ عليه ورَقَه
أفلتت منه فعادت حاقمه

أخذها من حكاية لعمر بن أبي ربيعة ؛ حدّث المغيرة بن عبد الرحمن ، قال :

(١) ديوانه ٤٥ ، وفيه : « أسلكه » .

(٢) الديوان : « سارت » .

(٣) الديوان : « فالتقيا به » .

(٤) بمدّه في الديوان :

يحلّو بياض المعانى سودُ أحرِفها
إنّ الظلامَ ليجلورونق السّجّورِ

(٥) الديوان « الطرس كالوجه » .

حجبت مع أبي وأنا غلام ، عَلَى جُمَّة (١) ، فحُتَّتِ عَمْرَ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ ، فَجَلَسَتْ عِنْدَهُ ، فَجَعَلَ يَمِدُّ الْخُلْصَةَ مِنْ شَعْرِي ثُمَّ يَرْسُلُهَا ، فَتَرْجِعُ عَلَيَّ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : وَأَشْبَاهَهُ ! حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا بَنَ أَخِي ، قَدْ سَمِعْتَنِي أَقُولُ فِي شَعْرِي : قَالَتْ وَقَلَّتْ ... وَكَلَّ مَمْلُوكٌ لِي حَرًّا إِنْ كُنْتُ كَشَفْتُ عَنْ فَرْجِ امْرَأَةٍ حَرَامٍ قَطًّا ، فَسَأَلْتُ عَنْ رَقِيقِهِ ، فَقِيلَ لِي : أَمَا فِي الْحَوْكِ فَسَبْعُونَ سِوَى غَيْرِهِمْ (٢) .

وساير عمرَ عُرْوَةَ بنَ الزَّيْبِرِ يَحْدِثُهُ ، فَقَالَ : وَأَيْنَ زَيْنِ الْمَوَاكِبِ؟ - يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدًا ، وَكَانَ يُعْرَفُ بِذَلِكَ الْجَمَالِ - فَقَالَ عُرْوَةُ : هُوَ أَمَامَكَ ، فَرَكَدَ يَطْلُبُهُ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، أَوْلَسْنَا أَكْفَاءَ كَرَامًا لِحَادِثَتِكَ ! قَالَ : بَلِي ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، وَلَكِنِّي مَغْرَى بِهَذَا الْجَمَالِ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ التَفْتُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ :

إِنِّي امْرُؤٌ مُوَلَّعٌ بِالْحَسَنِ أَتْبَعُهُ لَأَحْظَّ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ (٣)

أَخَذَهُ الْعَبَّاسُ بنَ الْأَحْنَفِ ، فَقَالَ :

أَتَأْذَنُونَ لَصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
لَا يَضْمُرُ السُّوءَ إِنْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ عَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقَ النَّظَرَ

[بما قيل في حلق الشعر]

ومما يتعلق بذكر الشعرِ حِلَاقِهِ ، وَالشَّعْرُ فِيهِ كَثِيرٌ ؛ فَلَمْ مِنْهُ بِالسَّيْرِ .

وَأَوَّلُ مَنْ قَرَعَ هَذَا الْبَابَ - فِيمَا يَذْكَرُ - الْقَائِلُ :

حَلَقُوا رَأْسَهُ لِيَكْسُوهُ قُبْحًا خِيفَةَ مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَشُحْحًا

(١) الجملة : شعر الرأس

(٢) الخبر في الأغاني ١ : ٧٧ .

(٣) الأغاني ٣ : ١٤٦ ، ١٤٧ .

كان من قبل ذلك ليلاً وُصِبَ
وقال أبو العباس القربيّ :

كان إلّا قمرًا تحت دُجَى
أو كزهرٍ في كمامٍ كامنٍ

وقال أبو العباس بن حيّون :

حلقوك في تغيير حسنك رغبةً
كالخمر فُضّ ختامه فتشعشتُ

فازداد حسنك بهجةً وضياءً
والشَّعْ قُطَّ ذُبَالُهُ فأضاء

* * *

قوله: «قنفشتُ» ، أى أخذت بسرعة ، تقول : قفشت الشيء ، قفشا إذا جمعت عليه كفك بسرعة ، وقد انقشفت العنكبوت ، إذا دخلت حُجْرَها .

قوله: «الجوى» ، أى مرض القلب. نديل : نعوض ، والإدالة : أن يكون الشيء لك مرة ولغيرك أخرى وهى من الدَّوْلَة. النوى : البعد أو يريد : هلمّ انجدد بالموَدَّة فى هذه الليلة ، ويكون ذلك عِوَضًا من طول النزاق ، فقد عزمت على أن أنسلَّ بالسَّحَرِ وأفرّ ، والانسالال : الخروج مستخفياً . أصلي قلب الوالى : أجمله متجرّفاً بالتعسر والتنجع .

* * *

قال : فقَضَيْتُ اللَّيْلَةَ مَعَهُ فى سَمَرٍ ، آتَقَ مِنْ حَدِيْقَةِ زَهْرٍ ، وَخَمِيْلَةِ شَجْرٍ ، حَتَّى إِذَا لَأَلَا الْأَفُقَ ذَنْبُ السَّرْحَانِ ، وَأَنْ انْبِلَاجُ الْفَجْرِ وَحَانَ ، رَكِبَ مَثْنِ الطَّرِيقِ ، وَأَذَاقَ الْوَالِي عَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَسَلَّمَ إِلَى سَاعَةِ الْفِرَاقِ ، رُفْعَةَ مُحْكَمَةِ الْإِلْصَاقِ ،

وقال : اذْفَعُهَا إِلَى الْوَالِي إِذَا سَلِبَ الْقَرَارَ ، وَتَحَقَّقَ مِنْهَا الْفِرَارَ ؛ فَفَضُّضْتُهَا فِعْلَ التَّمَلُّسِ ، مِنْ مِثْلِ صَحِيفَةِ التَّمَلُّسِ .

قَضَيْتُ : أَتَمَمْتُ . سَمَرٌ : حَدِيثٌ بِاللَّيْلِ يُسَمَّرُ عَلَيْهِ . آتَقُ : أَحْسَنُ . حَدِيقَةٌ : بَسْتَانٌ ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا تَحْتَ حَائِطٍ أَوْ زَرْبٍ . زَهْرٌ : تَوْرٌ . خَمِيلَةٌ : رَوْضَةٌ فِيهَا شَجَرٌ . لِأَلَا : لَمَعَ وَأَضَاءَ . الْأَفُقُ : جِهَاتُ السَّمَاءِ . ذَنْبُ السَّرْحَانِ ، هُوَ الْفَجْرُ الْكَاذِبُ ، وَهُوَ ضَوْءٌ يَظْهَرُ قَبْلَ الْفَجْرِ دَقِيقٌ مَتَّصِدٌّ إِلَى السَّمَاءِ . وَالسَّرْحَانُ : الذُّئْبُ ، شَبَّهَ ضَوْءَهُ بِذَنْبِهِ . آنَ : حَانَ وَقَرُبَ . انْبِلَاجُ الْفَجْرِ : ظُهُورُ ضَوْئِهِ . مَتْنٌ : ظَهَرَ . الْحَرِيقُ : النَّارُ . سَلَّمَ : تَرَكَ . مُحْكَمَةُ الْإِلْصَاقِ : مَتَقَنَةُ الطِّيِّ . الْقَرَارُ : السَّكِينَةُ ، يَرِيدُ أَنْ الْوَالِيَّ إِذَا أَخْبَرَ بِهِرٍ بِنَا ذَهَبَ عَقْلُهُ ، فَجَعَلَ يَتَمَلَّلُ وَلَا يَقْرَ . فَضُّضْتُهَا : كَسَرْتُ خَتَامَهَا .

[ذِكْرُ التَّمَلُّسِ وَصَحِيفَتِهِ]

والتَّمَلُّسُ ، شَاعِرٌ مَشْهُورٌ ، اسْمُهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ ، وَسَمِّيَ التَّمَلُّسَ بِقَوْلِهِ :

فَهَذَا أَوَانُ الْعَرِضِ جُنَّ ذَبَابُهُ زَنَايِرُهُ وَالْأُزْرُقُ التَّمَلُّسُ (١)

وَهُوَ مَا خُودٌ مِنَ تَلَمَّسِ الرَّجُلِ الْحَاجَةَ ، إِذَا طَلَبَهَا مَرَّةً مِنْ غَيْرِهِ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ التَّمَلُّسِ بِالْيَدِ ، كَالَّذِي يَلْمَسُ بِيَدِهِ فِي الظَّلَامِ مَوَاضِعَ خَفِيَّةٍ يَطْلُبُ مِنْهَا شَيْئًا ضَاعَ مِنْهُ ، أَوْ كَلَسَ الْأَعْمَى شَيْئًا بِيَدِهِ .

(١) الْعَمْرُ وَالْمَعْرَاءُ ١٢٤ ، قَالَ فِي شَرْحِهِ: الْعَرِضُ : الْوَادِي ، وَيُرْوَى : «حَى ذَبَابُهُ» .
(٢٨ — شَرْحُ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ ١)

ومن كلام عامتنا: فلان يفتمس، بسكون التاء، أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يُشعر به .

والمتمسُّ أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر القلَّين في الجاهلية ، وهم : التمسُّ والمسيب بن علس وحُصين بن الحِمام .

والمتمسُّ ، بالميم قبل اللام ، هو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة ، وقد أُمس إذا خرج من بين القوم هارباً وهم لا يشعرون ، وقد أُمس الشيء ، إذا سقط من يدك ولم تشعر به لملاسته .

والصحيفة : الكتاب. وقصتها^(١) أن التمسُّ وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو ابن هند ملك الحيرة - وكان سييء الخلق شديد ، وهو الذى حرَّق من تميم مائة رجل ، فهجوه ، فقال فيه التماس - وكان طرده لشيء بلغه عنه :

أطردتني حذرَ الهجاء ولا والآلات والأنصاب لا تتل^(٢)
أى لا تنجو .

وقال فيه أيضاً :

إن الخيانة والمفالة واتلنا والغدرَ نتركه ببلدة مفسد^(٣)
ملك يلاعب أمه وقطينها رخو المفاصل أيزه كالبرد
فإذا حلت ودون بيتي غاوة^(٤) فابرق بأرضك ما بدالك وارعد
وقال طرفة :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوئنا حول قبتنا بخور^(٥)

(١) جهرة الأمثال ١ : ٥٧٩ - ٥٨٢ ، الميداني ١ : ٣٩٩ .

(٢) الأفاني ٢٣ : ٥١٦ (طبع الثقافة ببيروت) .

(٣) شعراء النصرانية .

(٤) غاوة : قرية من قرى حلب .

(٥) ديوانه ٩٠ - ٩٦ ، والرغوئ : النعجة المرضع .

لعمرك إن قابوس بن هندی ليخط ملكه نوك كثير^(١)
 في أبيات شهرتها تنبي وتغني عن ذكرها ؛ فاستحيا أن يقتلها بحضرتها ،
 ويذمها إِدلالُ المنادمة ، فكتب لهما بصحيفتين ، وختهما لثلاً يعلما ما فيهما -
 هو أوّل من ختم الكتاب - وقال لهما : اذهبا إلى عاملي بالبحرين ، فقد أمرته
 أن يصلكما بجواز. فذهبا فمراً بطريقهم. ا بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ،
 ويتناول القمل من ثيابه ويقصمه ، فقال المتلمس : ما رأيت شيخاً كالיום أحق
 من هذا ! فقال الشيخ : ما رأيت من مُحقى ! أخرج الداء ، وآكل الدواء ،
 وأقتل الأعداء. ويروى : أقتل عدواً ، وأدخل طيباً ، وأخرج خبيثاً ، أحق والله
 مني من يحمل حتفه بيده .

فاستراب المتلمس بقوله ، وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب
 العرب ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففك الصحيفة فإذا فيها : فإذا
 أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً : فقال لطفة : ادفع إليه صحيفتك ،
 فإن فيها مثل هذا ، فقال لطفة : كلام لم يكن ليحتري على - وكان غراً صغير السن -
 فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة ، وقال :

قذفتُ بها في الثُّني من جنبِ كافرٍ كذلك أقنُو كل فظٍّ مضالٍ^(٢)
 رضيت لها بالماء كما رأيتها يحولُ بها النِّيار في كل جدولٍ
 وأخذ نحو الشام وقال :

ألقي الصحيفة كي يخفِّفَ رَحَلَه والزاد حتى نعلَه ألقاها
 أراد : أنه تخفف للفرار ، فألقى مالا يُثقل ، وما لا بدّ للسفر منه .

(١) النوك : الحماة

(٢) الشعر والشعراء ١ : ١٣١ . الكنى : منقطع النهر . كافر : اسم علم لنهر الحيرة ،

وأقنُو ، أى أجزى .

وقال حين نجا :

مَنْ مَبْلَغِ الشَّمْرَاءِ عَنْ أَخْوِيهِمْ خَبِراً فَتَصَدَّقَهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفَسِ^(١)
 أَوْدَى الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا وَنَجَا - حِذَارِ حَبَائِهِ - الْمُتَلَمَّسُ
 أَتَقِيَ الصَّحِيفَةَ ، لَا أَبَالِكَ إِنَّمَا يُخَشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاءِ الذَّقْرِسِ^(٢)

وأما طرفة فوصل إلى البحرين ، فلما قرأ العامل صحيفته ، وسأله عن المتلمس فأخبره بفراره ، عفا عنه لصدقه ورعايته لطابع الملك حيث لم يفكه .

وقيل : إنه سَجَّهَ ، وبعث إلى عمرو بن هند ، وقال له : ما كنت لأقتل طرفة ، وأعادي قبيلته ، فإذا أردت قتله ، فابعث إليه مَنْ يقتله . ففعل وخير في قتله ؛ فاخار أن يستقى الخمر ، ويُفصدَ أ كحلَه^(٣) ؛ ففعل به ذلك حتى مات نزفاً ، ودفن بهجر . وقيل في قتله غير ذلك .

وقال البحترى يصدق ما تقدم :

ولقد سكنت إلى الصدود من النَّوَى

والشَّرَى أَرَى عِنْدَ طَعْمِ الْحَنْظَلِ^(٤)

وكذاك طرفة حين أوجس ضربةً في الرأس هان عاياه فصد الأ كحل

وقال ، وهو في السجن يخاطب قومه :

أسلنى قومي ولم يفضبوا لسوءةٍ حأت بهم فادحه^(٥)

كلّ خليلٍ كنتُ خالائه لا ترك الله له واضحه

كلّهم أروغٌ من ثعلبٍ ما أشبه اللئيلة بالبارحة ا

(١) الشعر والشمراء ١ : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) النقرس : داء معروف في الرجلين ، وفسره في اللسان ٨ : ١٢٧ بالدهاية .

(٣) الأكلع : عرق في اليد ، ويسمى عرق الحياة .

(٤) ديوانه ١٧٤٣ .

(٥) المقدم الثمين ٥٤ .

وقال يخاطب عمرو بن هند في السجن :

أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ولم أعطِكم بالطَّوعِ مالي ولا عِرضي^(١)
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا حنأ نيكِ بعضُ الشمرِ أهونُ من بعضِ

وقتل وهو ابن عشرين سنة ، والعرب تقول : أشعر الناس ابنُ العشرين
وتعنيه ، إلا أن أبا العباس أشد لأخته تربيته :

عَدَدًا نَالَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حِجَّةً فلما توفى واستوى سيِّداً ضَخْمًا^(٢)
فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّاهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ ، لا وِلْدًا وَلا قَحْمًا^(٣)

وهلك المتلمس في الجاهلية ببُصرى.

* * *

فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ :

قُلْ لِي وَالِ غَادَرْتُهُ بَعْدَ يَدِي سَادِمًا نَادِمًا يَمَضُ الْيَدَيْنِ
سَكَبَ الشَّيْخُ مَالَهُ ، وَفَنَاهُ لُبَّهُ ، فَاصْطَلَى لَطَى حَسْرَتَيْنِ
جَادَ بِالْعَيْنِ حِينَ أَعْمَى هَوَاهُ عَيْنُهُ فَانْتَى بِلاَ عَيْنَيْنِ
خَفَضَ الْحُزْنَ يَامَعْنَى فَا يُجِدُ دِي طِلَابُ الْآتَارِ مِنْ بَعْدِ عَيْنِ
وَكَئِنْ نَجَلَّ مَاعَرَكَ كَمَا لَدَى الْمُسْلِمِينَ رِزْوِ الْحُسَيْنِ
فَقَدِرَ اعْتَصَمَتْ مِنْهُ فِهْمًا وَحِزْمًا وَاللَّيْبُ الْأَرِيبُ يَبْنِي ذَيْنِ
فَاعْصِ مِنْ بَعْدِهَا الْمَطَامِعَ وَاعْلَمْ أَنْ صَيْدَ الطَّبَّاءِ لَيْسَ بِهِ يَنْ

(١) ديوانه ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) الكامل للمبرد ١ : ٢٥٨ . وروايته : « فلما توفاهما » :

(٣) القهم : الرجل التناهى سنا .

لَا وَلَا كُلُّ طَائِرٍ يَلْبِجُ الْفَسْحَ وَتَوْ كَانَ مُخَدَّقًا بِاللَّجِينِ
وَلَكُمْ مَنْ سَعَى لِيَصْطَادَ فَاصْطِ بِدَ وَلَا يَلْقَ غَيْرَ خُفِي حُنِينِ

قوله : «غادرته» ، أى تركته . يعرض اليمين : تندماً . سادماً : متغيراً ،
والسادم : المتغير العقل من النوم ، من قولهم : ماء سديم ، ومياه سديم وأسدام ،
أى متغيرة ، وقيل : السديم : الحزين الذى لا يطيق ذهاباً ولا مجيئاً ، من قولهم :
بغير مسدّم ، إذا منع من الضراب ، فكان الحزين منع من الذهاب والجيء ، فيقول :
تركته يعرض يديه تندماً وتأثماً . اللظى : لهب النار ، وقد لظت النار : عملاً لهبها ؛
فيريد أن الشيخ أخذ ماله والفتى عقله ، فاحترق بنار فجعتين جاد : سمح .
العين : الذهب . هواه : تعشقه وميله : اثنى . رجوع . بلا عينين ، أى بغير مال
ولا بصر . خفض : سكن . معنى : معذب . يجدى : ينفع ، والعين ها هنا :
الشخص .

[أصل المثل : طلب أترأ بعد عين]

وقولهم : طلب أترأ بعد عين ، كأن رجلاً تمسك من عدوه أو من صيد
ليرميه ، فتراخى عنه حتى فاته ، ثم شد في طلبه بعد القوت ؛ وأول من قال ذلك
مالك بن عمرو العامري ؛ وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سماكاً بسبب
قتيل كان له في عمالته ، فحبسهما زماناً ، ثم قال لهما : إني قاتل أحدكما ، فجعل كل
واحد منهما يقول : اقتلني مسكان أخى ، فقتل سماكاً وخطى مالكاً ، فقال سماك
حين ظن أنه مقتول :

وأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصدة
برأس سبيل على مرقب ويوما على طرقي واردة
أأم سماك فلا تجزعي فلموت ما تلد الوالدة

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زمانا . ثم إن ركبا مروا بهم وأحدهم
يعني بهذا البيت :

* وأقسم لو قتلوا مالكا *

فسمعت بذلك أم سماك ، فقالت : يا مالك ، قبح الله الحياة بعد سماك ! اخرج
في طلب نأر أخيك ، فخرج فلقى قاتل أخيه في ناس من قومه ، فقال : من أحسن
لي الجبل الأحمر ! فمرفوه ، فقالوا له : لك مائة من الإبل ، وكف عنه ، فقال :
لا أطلب أثرا بعد عين ، فذهبت مثلاً ، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله ^(١) .

* * *

قوله : « جل » ، أي عظم . عراقك : قصدك . رزء الحسين : المصاب بقتله حين
قتل بكر بلاء .

[رزء الحسين *]

وحديثه أن معاوية لما مات أرسل إليه أهل الكوفة أن قد حبسنا أنفسنا
على بيعتك . وطولب بالمدينة أن يبيع يزيد ، فخرج إلى مكة ، وأرسل ابن عمه مسلم
ابن عقيل إلى الكوفة وقال له : إن كان حقاً ما كتبوا به ، فمرفني ألحق بك .
فخرج من مكة للنصف من رمضان ، وقدم [الكوفة] لخمس خلون

(١) جبهة الأمثال ٢ : ٣٨٩ ، ٣٩٥ ، وأورد في معنى الأثر قول حبيب :

قالوا أتبكي على رسم قتل لهم من فاته العين هدى شوقه الأثر

(*) انظر خبر مقتل الحسين في تاريخ الطبري حوادث سنو ٦٠ ، ٦١ .

من شوال، وأميرها النعمان بن بشير، فدخل مستتراً، فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفاً. فكتبه^(١) بذلك. فلما هم بالخروج لقيه ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له: يا بن عمّ، أهل العراق أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب، فقال له: يا بن عمّ، كتب إلى مسلم باجتماع أهل الكوفة عليّ، فقال له: قد جرت بهم، وهم أصحاب أبيك وأخيك، وقتلتك غداً مع أميرهم، إذا بلغ ابن زياد خبرك استفرّجهم، فكان الذين كتبوا إليك أشدّ عليك عن عدوك، فإن أبيت إلاّ الخروج فلا تخرجنّ بنسائك وولدك معك، فأبى لخائف أن تُقتل كما قتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه. فردّ عليه: لأن أُقتل بموضع كذا^(٢)، أحبّ إلىّ من أن أستحلّ بمكة.

وأتصل الخبر بيزيد، فكتب إلى عبید الله بن زياد بتوليته الكوفة. فخرج مسرعاً، فدخلها في حشمه وهو ملثم، والناس يتوقعون قدوم الحسين، فجعل عبید الله بن زياد يسلم على الناس، والناس يقولون: وعليك السلام يا بن رسول الله، قدمت خير مقدّم، حتى انتهى إلى القصر.

فحسر اللثام، ففتح له النعمان الباب، وتنادى الناس: ابن مَرْجَانة، فحصبوه بالحصباء، فقاتهم. ووضع الرّصد في طلب مُسلم، فصاح مسلم: يا منصور — وكان شعارهم — فاجتمع له في ساعة واحدة ثمانية عشر ألفاً. فأحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد، فلم يمسه النساء ومعه مائة رجل. فلما رأى تفرّقهم سار نحو أبواب كِنْدَةَ، فبلغ الباب ومعه ثلاثة، فخرج وليس معه أحد، فبقي حائراً لا يدرى أين يتوجّه، فنزل من على فرسه، ودخل أحد أزقة الكوفة، فأنهى إلى باب مولاة ل محمد بن الأشعث، فاستسقاها فسقته، وأعلمها حاله،

(١) أي كاتب الحسين.

(٢) تاريخ الطبري « فقال له حسين: إن أسعير الله وأنظر ما يكون ».

خرقت له ، فأوته وأعدت محمد بن الأشعث بمكانه ، فشى إلى ابن زياد ، فأعلمه ، فوجه معه سبعين رجلاً ، فافتخموا عليه ، فقاتلهم مسلم ، وأمنه محمد بن لأشعث ، ووجهه إلى ابن زياد فضرب عنقه ، وبعث برأسه إلى يزيد بن معاوية ، فصلب جثته .

وانتهى الأمر إلى الحسين ، وقد بلغ القادسية ، فهم بالرجوع ، فقال له إخوة مسلم : لا ترجع أو تقتل ، أو نأخذ بثأرنا ، فقال الحسين : لا خير في العيش بعدكم ، فسار حتى لقي خيلاً لابن زياد ، وعليها عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فعدل إلى كربلاء ، وهو في نحو خمسمائة فارس ، فلما كثرت المساكر أيقن أنه لا محيص له ، فقال : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ، ثم هم يقاتلوننا ! ثم خطب قومه فقال : يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ، فإن الدنيا لو بقيت على أحد ، أو بقي عليها أحد ، لكانت الأنبياء أحق بها وبالبقاء ، غير أن الله خلقها للفناء ، فجددوها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهرة ، والدار قلع ، والمنزل تلعمة^(١) ؛ فتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنه . وفيه ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة ؛ وتولى قتله سينان بن أنس النخعي ، واحتز رأسه ، وانطلق به مسرعاً إلى ابن زياد ، وهو يقول :

أوقر زكابي فضةً وذهباً إني قتلت الملك المحجّباً
* قتلتُ خير الناس أمّا وأباً *^(٢)

وبعث معه الرأس إلى يزيد بن معاوية ، وعنده أبو برة ، فجعل ينكت بالفضيب على فيه ، وهو يقول :

نفلق هاماً من رجالٍ أعزّة علينا ، وهم كانوا أعق وأظلماً^(٣)

(١) يقال : هو على قلعة ، أي على رحلة ، والقلعة : مجرى الماء من أعلى بطون الأرض والازول عليه مخوف .

(٢) بده في الطبرى :

* وخيرهم إذ ينسبون نسيا *

(٣) حصين بن الحمام الرمي ، من المفضلية ١٢

فقال له أبو برزة: ارفع قضيبك عن فمه ، فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلمُّه .

وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وقتل معه سبعة وثمانون ، منهم عليُّ ابنه الأكبر ، ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ، ومن إخوته العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو عليٍّ ، ومن بنى عمه جعفر ومحمَّد وعون أبناء عبد الله بن جعفر . ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ، ودفنهم أهل القادسية بعد قتلهم بيوم ، وقتلواهم من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانين .

* * *

قوله : « اعتضت » : اقتلعت من العوض . يبنى ذين : يطلب هذين . للظباء : الغزلان . يلمج : يدخل . محذوقاً باللجين ، أى محذوقاً بالفضة ، والصائد يفرق حول الفخ حبَّ القمح وشبهه ، فيلقطه الطائر حتى يتوصَّل إلى ما نُصِب له فيقع ، فقال : ما كلُّ طائر يُخدع ، ولو حُلِّق له الفخ بحبِّ اللجين بدلا من القمح ، وإني من هذا الصنف .

قوله : « ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد » ، من قول الصابي :

يا قمرأً كأنَّ حَشْفَ في نظرتهِ وكالفضيب اللدن في نُصْرتهِ
خِلْتِكَ صيدا كان في قَبْضَتِي ففرتُ من صيدِي في قَبْضَتِهِ

والسابق له كعب زهير بن في قوله :

طافَ الرُّمَاءَ بصيدٍ راعهم فإذا بعضُ الرُّمَاءِ بنبلِ الصيدِ مقتول^(١)

* * *

(١) لم يرد هنا البيت في ديوانه ، وأورده الميمنى في ملحون الديوان ٢٥٩ ، ١٤٤

عن الشريفي .

[أصل المثل : رجع بجنح حنين]

وَحُفًا حُنَيْنٍ ، يضرب بهما المثل للخائب الخاسر ، واختلف في حُنَيْنٍ ، فقال يعقوب : إنه كان رجلاً مُدْعِيًّا ، فجاء إلى عبد المطلب ، وعليه حُفَانٌ ، فقال : يا عم إني من ولدهاشم ، فَأَنعمَ النَّظْرَ فيه ، وقال : لا وعظام هاشم ، ما أرى فيك شمائل هاشم ، فأرجع خائبًا خاسرًا .

وقيل : كان رجلاً مغنيًا ، فدعاه قوم من أهل الكوفة . ليُطربهم في نزهة ، فخرج جوابه إلى الصحراء ، فضربوه وسلبوا ثيابه ، وتركوها عليه خُفِيَّةً ؛ فلما رجع إلى زوجته - وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضل من أطعمة النزهة - ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها : رجَع حُنَيْنٌ بِخُفِيَّةٍ .

وقيل : إنه كان صانعًا ، فساومه أعرابيٌّ بِخُفَيْنٍ ، وما كسه حتى أخرجته . فلما ارتحل الأعرابيُّ ، أخذ حنينٌ إحدى الخفين فوضعهما على الطريق ، ثم مشى وأتى الأخرى في موضع آخر على الطريق ، وكن له ، فلما مرَّ الأعرابيُّ بِالخُفِّ قال : ما أشبه هذه بجنح حُنَيْنٍ ؛ ولو كان معها الأخرى لأخذتها . فلما انتهى إلى الأخرى ، ندم على ترك الأولى ، فأناخ راحلته ، وأخذها ورجع إلى الأولى ؛ فلما غاب عمَّد حنينٌ إلى راحلته بما عليها فركبها ، ومضى بها ، ورجع الأعرابيُّ إلى قومه دُخْفَيْنٍ ، فكان إذا سئل عن حاله قال : رجعت بجنح حُنَيْنٍ . فصار مثلاً .

وقيل : كان حنينٌ لِمَا حَقِيرًا فَأُخِذَ وَصَلِبَ ، فجاءته أمه وعليه حُفَانٌ فانزعتهما ورجعت ، فقيل : رجعت بجنح حُنَيْنٍ ، أي رضيت منه بذلك .



تَبَصَّرَ وَلَا تَسْمُ كُلَّ بَرْقٍ رَبِّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنٍ
 وَاغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحِ مِنْ غَرَامٍ تَكْتَسِي فِيهِ ثَوْبَ ذَلِّ وَشَيْنِ
 فَبَلَاءِ الْفَتَى اتَّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ وَبَذْرُ الْهَوَى طُمُوحُ عَيْنِ
 قال الراوى : فَمَزَّقَتْ رُقْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ، وَلَمْ أَبْلُ أَعْدَلَ
 أُمَ عَذَرَ .

* * *

قوله « تبصر » : أى أحسن النظر . حَيْن : هلاك . والصاعقة : نار ترسل مع
 الرعد والبرق ، وجمعها صواعق ، وصعق الرجل إذا أصابته ، وصعق إذا مات ،
 وقيس تقول : صاعقة ، وبنو تميم صاقعة ؛ وقد صعق . غرام : عذاب الحب . شين :
 عيب . والبذر : زرع الحب فى الأرض .

طموح : ارتفاع يريد أن أصل المشق مداومة النظر ، ألم فيه بقول عيسى
 عليه السلام : « لا يزنى فرجك ما غضضت بصرك » ؛ وقد تقدم : من كثرت
 لحظاته دامت حسراته .

وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى :
 وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة

وطول الهوى رين على القلب رائن
 فكف دافنا للشر بالخير تسترح من الشر إن الخير للشر دافن
 وقال آخر :

لماذا أنت لم تمص الهوى قاذك الهوى

إلى كل ما فيه عليك مقال

وقال المتنبي :

عريزٌ أسيٌّ من داوّه الأعين النجلى
عناء به مات المحبون من قبل^(١)
فمن شاء فليُنظر إلى فَمَنْظَرِي
نذيرٌ إلى من ظن أن الهوى سهلٌ
وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ
إذا نزلت في قلبه رحلَ العقلِ

وقال ابن زيدون :

مَنْ يسألُ الناسَ عن حالِ فشاهدُه
محضُ العيانِ الذي يُفنى عن الخبرِ^(٢)
أما الضئى فجنته نظرة عننٌ
كانها والردي جاء على قدرِ
فهمتُ معنى الهوى من وحي طرفك لى
إن الحوار لفهمٌ — ومٌ من الحورِ

وقال العباس بن الأحنف :

الحبُّ أوّلُ ما يكون لجاجَةً
تأتى به وتسوقه الأقدارُ^(٣)
حتى إذا اقتحم الفتى لججَ الهوى
جاءت أمورٌ لا تُطاقُ كبارُ

فهذا كله يبيّن بيت الحريرى .

قوله : « مزقت » : قطعت . شذّر مذر : قطعاً متفرقة في كلّ جهة .
وأصل الشذّر قطع الذهب ، ومذّر اتباع لها .
لم أبّل : أى لم أهال . عدل : لام . عذر : قبيل العذر .

(١) ديوانه ٣ : ١٨٠ .

(٢) ديوانه ٢٥١ .

(٣) ديوانه ٩٩٦ .

فهرس المقامات

صفحة	
١٢ - ٤٦	صدر المقامات
٤٨ - ٧٤	المقامة الأولى ، وتعرف بالصنعانية ؛ تتضمن ظهور أبي زيد في مظهر الواعظ ثم كشف حاله بعد ذلك
٧٦ - ١٢٧	المقامة الثانية ، وتعرف بالحلوانية ، تتضمن محاسن من التشبيهات الرائعة في الشعر .
١٣١ - ١٥٧	المقامة الثالثة ، وتعرف بالدينارية ، تتضمن أشعرا في مدح الدينار وذمه .
١٥٨ - ١٨٦	المقامة الرابعة ، وتعرف بالدمياطية ، تتضمن محاوراة أبي زيد مع ابنه في المواصلة والقطيعة .
١٨٩ - ٢١٩	المقامة الخامسة ، وتعرف بالكوفية ، تتضمن وقوف أبي زيد إلى باب دار ابنه ، يطلب منه القري ومجاوبته له
٢٢٤ - ٢٦٨	المقامة السادسة ، وتعرف بالمراغية ، وتتضمن الرسالة التي فيها كلمات معجزة ، وكلمات غير معجزة
٢٧٢ - ٣٠٧	المقامة السابعة ، وتعرف بالبرقعيدية ، تتضمن تعامى أبي زيد ، وقيام امرأته بقيادته ، وهو يبيع الرقاع المكتوبة
٣٠٨ - ٣٣٠	المقامة الثامنة ، وتعرف بالمعرية ، تتضمن مخاصمة أبي زيد وابنة في الميل والإبرة
٣٣٣ - ٣٦٥	المقامة التاسعة ، وتعرف بالإسكندرانية ، تتضمن مخاصمة أبي زيد لامرأته ، وقيامه ببيع أثاثها ومتاعها .
٣٧٥ - ٤٤٤	المقامة العاشرة ، وتعرف الرحبية ، تتضمن دعوى أبي زيد على شخص أنه اعتدى على ابنه

فهرس الموضوعات (٥)

صفحة	
٦١ - ٣	مقدمة الشارح
٣٤ - ٢٢	بديع الزمان الهمداني
٢٥ - ٢٤	ذكر همدان
٢٨ - ٢٦	السبب في إنشاء الحريري للقمامات
٣٣	ذكر قدامة بن جعفر
٣٤	عدى بن الرزاع
٣٦ - ٣٥	القديم والحديث في الأدب
٤٠ - ٣٦	القول في الحمام
٤٢ - ٤١	من أقوالهم في الحقد ذمًا وحمداً
٤٥ - ٤٤	مما ورد من الحكم على السنة البهائم وغيرها
٥١ - ٥٠	مدينة صنماء
٥٧، ٥٦	نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر
٦٤ - ٦٣	من لطائف التجنيس
٦٨ - ٦٦	نبذ من الأشعار في ذم الدنيا
٧١ - ٧٠	أبونواس في مجالس الوعظ
٧٨	ذكر مدينة حلوان

(٥) وهي الموضوعات التي وردت في أثناء الشرح .

صفحة	شعار السكديّة
٧٨ - ٧٩	مما قيل في اللّحي من الشعر
٨٤ - ٨٩	البحترىّ وبعض أخباره وشعره
٩٠ - ٩٦	وصية أبي تمام للبحترىّ
٩٧	ذكر النرجس ومآقال الشعراء في تشبيه الميون به
١٠٣ - ١١٠	ذكر الوأواء الدمشقيّ وبعض شعره
١١٠ - ١١٤	من قولهم في الامتحان
١١٦	يديهة السّلامىّ
١١٧ ، ١١٨	من نوادر صاعد بن الحسن الربعىّ
١٢٢ ، ٢٢٣	مما قيل في البديهة الحاضرة
١١٨ - ١٢١	نقد شعر الحريرىّ
١٢٣ - ١٢٥	من أقوالهم في الفراق
١٢٥ ، ١٢٦	فصل في الحسد وما قيل فيه
١٣٥ - ١٣٨	قصة المثل : أنجز حرثاً ما وعد
١٤٣ - ١٤٤	مما قيل في وصف الدينار من الشعر
١٤٤	فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه
١٤٥ - ١٤٧	فصل في مدح الشئ وذمّه في وقت واحد
١٥٤ - ١٥٦	مما قيل في سواد الليل
١٦٠ - ١٦٢	مذاهب الشعراء في العفو أو الاتصاف
١٧٠ - ١٧٢	مما ورد في الصبح من الشعر
١٧٣	نبذ مما قيل في الحمام شعراً ونثراً
١٧٧ - ١٨٠	قولهم : حديث خرافة
١٨٦ - ١٨٨	

(٢٩ - مآلامات الحريرىّ ١)

صحة

١٨٩ - ١٩١	الكوفة
١٩٣ - ١٩١	مما ورد في وصف الهلال من الشعر
٢٠٥ - ٢٠٣	قصة موسى عليه السلام قبل بيعته
٢٠٧	إبراهيم عليه السلام
٢٠٨ - ٢٠٧	مما قيل في القرى والأضياف
٢١١ - ٢٠٩	نبد وحكايات في البؤس والحرمان
٢١٣ - ٢١١	ذكر مدينة فيد
٢٢٣ - ٢١٩	ذكر الكميت في بعض أخباره وشعره
٢٣٦ - ٢٣٢	ذكر قطري بن النجاء
٢٤٠ ، ٢٣٩	الخطيئة وسميد بن القاص
٢٥١ - ٢٤١	فصل في الدواة والقلم والمداد
٢٦٣ ، ٢٦٢	الضباع وما قيل فيها
٢٦٥ - ٢٦٣	نبد مما قيل في أحوال الدهر
٢٦٧ - ٢٦٥	نبد وأقوال في ذم الزمان
٢٨٩ - ٢٨٦	ذكر ابن عباس وبعض أخباره
٢٩٢ - ٢٨٩	ذكر إياس القاضي وبعض نوادره
٣٠٠ - ٢٩٦	ذكر العمى وما ورد فيه من الشعر
٣٠٦ - ٣٠٣	استطراد بذكر أشعار في التشبيه رائعة
٣٠٨	ذكر معرفة النعمان
٣١٥ ، ٣١٤	القطا
٣١٨ ، ٢٧٦	مما قيل في رفو الثياب من الشعر

صفحة	
٣٢١ - ٣١٨	مما قالت الشعراء في الأطوار البالية
٣٣٩ - ٣٣٥	مما ورد من الشعر في السواد والبياض
٣٣٤	ذكر فرغانة
٣٣٥ ، ٣٣٤	ذكر غانة
٣٤٥ - ٣٣٩	باب في الخض على السفر وترك العجز
٣٤٧ ، ٣٤٦	ذكر الإسكندرية
٣٥٤ ، ٣٥٣	أصل المثل : لا عطر بعد عروس
٣٧١ - ٣٦٨	ذكر الفرزدق وبعض أخباره
٣٧٣ - ٣٧١	ذكر خبـر الكسعى وقوسه
٣٨٣ - ٣٧٦	نبذ وحكايات مما ورد في الحسن والجمال
٣٨٨ - ٣٨٤	فصل في ذكر بعض أخبار الولاية
٣٩٣ - ٣٨٨	ذكر السليـك بن الساسكة
٣٩٥ - ٣٩٤	إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره
٦١٨ - ٤٠٩	مما قيل في أنواع الحسن والجمال أيضا
٤٠٩ - ٣٩٨	ذكر المذراء الأنحاء
٤٢٠ - ٤١٩	من أنواع الخلف
٤٢٧ - ٤٢٥	ذكر أحمد بن سريج أحد أئمة الشافعية
٤٢٩ - ٤٢٧	طائفة من شعر النسـيب
٤٣٢ - ٤٣١	مما قيل في حلق الشعر
٤٣٧ - ٤٣٣	ذكر المتلمس وصحيفته
٤٣٩ - ٤٣٨	أصل المثل : طلب أترأ بعد عين
٤٤٢ - ٤٣٩	رزء الحسين بن على رضي الله عنه
- ٤٤٣	أصل المثل : رجع مخفى حنين

استدراك وتعليق *

صفحة	سطر	
٦	٢٠	أبو الحجاج الأندلسي خطأ ، وصوابه : « الأندلسي » ، منسوب إلى أندلس ، مدينة من كورة بلنسية بالأندلس . وانظر الروض المعطار ٣١ ، وبقية الملتبس للضيبي ٤٧٧ .
١٠	١٣	أبو عبد الله بن إمام الأئمة الراشدين ، هو محمد ابن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، أحد ملوك دولة الموحدين بالمغرب ، بويغ بالخلافة سنة ٥٩٥ وتوفي في سنة ٦١٠ ، وابنه يوسف ولى عهده . وانظر المعجب في أحوال المغرب ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
٢٥	٩	هو أبو بكر بن اللبابة الداني .
٥٦	٨	الصواب أن اسمه أبو حفص بن عمر السلمي قاضي قرطبة . من أهل أغمات ، وولى أيضاً فضاء فاس وتلماس وإشبيلية ، وله شعر كثير مطبوع . توفي سنة ٦٠٤ . وانظر نفع الطيب ١ : ٥٧٣ وصلة الصلة لابن الزبير رقم ٣٠ ، والتكملة لابن أبار برقم ١٨٣١ .

(١) ومعظم هذه الاستدراكات مما أفدته من الصديق العلامة الدكتور محمد
مكي عند قراءته لهذا الجزء بعد طبعه .

- ص ٦٣ ٢ صواب كتاب البيت :
 فاحذر هدايا الناس تأمن من المن
 بها أو قول واش يشي
- ص ٦٣ ١٧ الخبر والأبيات في زهر الآداب ٧٧ ، ٧٨
- ص ٦٦ ٢٢ (حاشية ٤) في ترجمة أبي عمران بن موسى بن عمران : توفي
 سنة ٦٠٤ ، وله تراجم أخرى في التكملة لابن
 أبار برقم ٢١٤٧ والعصون الياضعة ١٣٥ ، وألف
 باء للبلوى ١ : ٢٣ ، ٣٥٦ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٣٨٩ .
- ١٠٧ ١ أبو جعفر بن برد ، خطأ والصواب أن اسمه
 أبو حفص بن برد ، والبيتان في الذخيرة ق ١
 ج ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، وله ترجمة في جذوة المقتبس
 للحميدي ١٩٢ والذخيرة لابن بسام ق ١ ج ٢ :
 ١٨ - ٥٢ ، ومطمح الأنفس ٢٧ ، ٢٨ .
- ١٠٨ ٢ أبو بكر الأبيض ، وهو أحمد بن محمد الأنصاري
 الإشبيلي ، وانظر ترجمته في المطرب لابن دحية
 . ٧٠٦
- ١٢٨ ٢١ الحلواني القيرواني ، هو عبد الكريم بن فضال
 الحلواني القيرواني ، وله ترجمة في المطرب
 ٥٩ ، ٧٥ ، والذخيرة لابن بسام ٤ : ٢١٩ ،
 والرايات لابن سعيد ١٠٧
- ١٣٩ ٣ هو أبو بكر بن الجد

هو موسى بن عمران المراتلي	١٦	١٧٧
الصواب أن الأبيات لأبي عامر بن شهيد ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧	١٧ ، ١٦	١٧٧
هذه الأبيات تنسب للمنفقل ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧ .	٦ - ٣	١٧٨
البيتان في الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٨	٨ ، ٧	١٧٨
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٢ ، ١١	١٧٨
نسبة البيتين لأبي بكر بن بقي ، وهاهذه النسبة في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٣	١٧٨ ح
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	٢٨ ، ١٧	١٧٨
هو وهب بن سلمة القرطبي ، من أهل النسك والورع بالأندلس ، ذكره الرازي في كتاب أعيان الموالى برقم ٢٧٢٨ .	١٢	٢٠٩
الصواب : « الليكي » ، بالياء ، واسمه أبو بكر ابن يحيى بن سهل ، وانظر ترجمته في المغرب لابن سعيد ٢ : ٢٦٦	٢	٣١٣
الخلواني ، هو عبد الكريم بن فضال القيرواني ، والأبيات في الذخيرة ٤ : ٢٢٠	٩	٣١٧
الأبيات في قلائد العقيان ٣٠٠	١٣	٣٢٠
الغفارة في الاصطلاح الأندلسي ضرب من العبادة أو الطيلسان .	٢٢ (الحاشية ١)	٣٢١

- كذا في جميع الأوصال بنسبة هذا البيت ،
 إذا لم أجد في بلدة ما أريده
 فعندي لأخرى عزمة وركاب
 إلى أبي الطيب ، والصواب أن البيت لأبي فراس
 من قصيدته البائية الرومية ، ديوانه ٣٨
 يكتب هكذا : مما قيل في أنواع الحسن والجمال
 أيضاً . (المنوان) ٩ ٣٩٨